الكشاف

عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

تأليف

أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي

٤٦٧-٥٣٨هـ

ويليه

الكافي الشاف

في تخريج أحاديث الكشاف

للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني

المتوفى ٨٥٢هـ

وبذيله

١- كتاب "الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" للإمام ناصر الدين أحمد بن المنير الإسكندري المالكي

٢- حاشية الأستاذ الفاضل محمد عليان المرزوقي الشافعي من أكابر علماء الأزهر.

٣- "مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف"

الجزء الثالث

دار المعرفة

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنبياء مكية

وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ

﴿ سورة الأنبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ هذه اللام لاتخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم كقولك أزف للحيّ رحيلهم الأصل أزف رحيل الحى ثم أزف للحى الرحيل ثم أزف للحى رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه فى باب مايثنى فيه المستقر توكيداً عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبا لك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه أغرب من الأول والمراد اقتراب الساعة وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب مايكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق (فإن قلت) كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام (قلت) هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عزّ وجلّ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ولأنّ كلّ آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب إنما البعيد هو الذى وجد وانقرض ولأنّ ما بقى فى الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه فى آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت فى نسم الساعة وفى خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق إلا صبابة كصبابة الإناء وإذا كانت بقية الشىء وإن كثرت فى نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنّ المراد بالناس المشركون وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو مايتلوه من صفات المشركين * وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لايتفكرون فى عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لابدّ من جزاء للمحسن والمسىء وإذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدّوا أسماعهم ونفروا * وقرر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأنّ الله يجدّد لهم الذكر وقتاً فوقتاً ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآى والسور ومافيها من فنون المواعظ والبصائر التى هى أحق الحق وأجدّ الجد إلا لعباً وتلهياً واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبى عبلة (محدث) بالرفع صفة على المحل * قوله (وهم يلعبون لاهية قلوبهم)

(قوله بعثت فى نسم الساعة) فى الصحاح نسم الريح أوّلها حين تقبل بلين قبل أن تشتدّ ومنه الحديث بعثت فى نسم الساعة أى حين ابتدأت وأقبلت أوائلها والنسم أيضاً جمع نسمة وهى النفس

أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۞ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ بَلْ قَالُوا

حالان مترادفتان أومتداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعدخبر لقوله وهم واللاهية من لهاعنه إذاذهل وغفل يعنى أنهم وإن فطنوا فهم فى قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم (فإن قلت) النجوى وهى اسم من التناجى لاتكون إلاخفية فما معنى قوله وأسرّوا (قلت) معناه وبالغوا فى إخفائها أوجعلوها بحيث لايفطن أحد لتناجيهم ولايعلم أنهم متناجون ۞ أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسرّوا إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسرّوا به أوجاء على لغة من قال أكلونى البراغيث أوهو منصوب المحل على الذم أوهو مبتدأ خبره وأسرّوا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم (هل هذا إلابشر مثلكم أفتأتون السحروأنتم تبصرون) هذا الكلام كله فى محل النصب بدلا من النجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمراً اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكون إلاملكا وأن كل من ادّعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هوساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر (فإن قلت) لم أسروا هذا الحديث وبالغوا فى إخفائه (قلت) كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور فى طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة فى التثبيط عنه وعادة المتشاورين فى خطب أن لايشركوا أعداءهم فى شوراهم ويتجاهدوا فى طىّ سرّهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ يجوز أن يسرّوا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إن كان ماتدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا (فإن قلت) هلا قيل يعلم السر لقوله وأسرّوا النجوى (قلت) القول عام يشمل السرّ والجهر فكان فى العلم به العلم بالسرّ وزيادة فكان آكد فى بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السرّ كما أن قوله يعلم السرّ آكد من أن يقول يعلم سرهم ۞ ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية (فإن قلت) فلم ترك هذا الآكد فى سورة الفرقان فى قوله قل أنزله الذى يعلم السرّ فى السموات والأرض (قلت) ليس بواجب أن يجىء بالآكد فى كل موضع ولكن يجىء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى كما يجىء بالحسن فى موضع وبالأحسن فى غيره ليفتنّ الكلام افتنانا وتجمع

﴿القول فى سورة الأنبياء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى « قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض وهو السميع العليم » (قال إن قلت لم عدل عن قوله يعلم السرّ مع أن المتقدم وأسرّوا النجوى الخ) قال أحمد وهذا من اتباع القرآن للرأى نعوذ بالله من ذلك لاسيما رأى ينفى صفات الكمال عن الله تعالى وما الذى دل عليه السميع العليم من نفى صفتى السمع والعلم فى تفسيرهما بذلك مع أنه لايفهم فى اللغة سميع إلابسمع ولاعليم إلابعلم فإنهما صفات مشتقات من مصادر لابد من فهمها وثبوتها أوّلا ثم ثبوت مااشتقت منه ومن أنكر السمع والعلم فقد سارع إلى إنكار السميع العليم وهو لايشعر وليس غرضنا فى هذا المصنف سوى الإيقاظ لما انطوى عليه الكشاف من غوائل البدع ليتجنبها الناظر وأما الأدلة الكلامية فمن فنها تتلقى وحاله فيما يورده من أمثال هذه النزغات مختلف فمرة يوردها عند كلام يتخيل فى ظاهره إشعاراً بغرضه فوظيفتنا معه حينئذ أن تنازع فى الظهور ثم قد نترقى إلى بيان ظهوره فى عكس مراده أونصوصيته حتى لايحتمل مايدعيه بوجه ما وقد يلجئنا الإنصاف إلى تسليم الظهور له فنذكر وجه التأويل الذى يرشد إليه دليل العقل ومرة يورد نبذاً من هذا الرأى عند كلام لايحتمله ولايشعر به بوجه وغرضه التعسف حتى لايخلى شيئا من كلامه من تعصب وإصرار على باطل فتنبه على ذلك أيضا وماذكره عند هذه الآية من قبيل مايدل النص على عكس مراده فيه وقد أوضحناه

(قوله عمل المنصوبة فى التثبيط عنه) كأن فيه سقطا وفى الصحاح نصبت لفلان نصبا إذا عاديته

أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۞ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۞ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۞ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ

الغاية ومادونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربى يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة ۞ وقرئ (قال ربى) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم فى درج الفساد وأن قولهم الثانى أفسد من الأول والثالث أفسد من الثانى وكذلك الرابع من الثالث ۞ صحة التشبيه فى قوله (كما أرسل الأولون) من حيث أنه فى معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لافرق بين أن تقول أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وبين قولك أتى محمد بالمعجزة (أفهم يؤمنون) فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا أو خالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم مايقترحون لكانوا أنكث وأنكث ۞ أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً فلا يكاذبونهم فيما هم فيه رده لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لايأكلون الطعام) صفة لجسداً والمعنى وما جعلنا الأنبياء عليهم السلام قبله ذوى جسد غير طاعمين ووحد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوى ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام (فإن قلت) نعم قد رد إنكارهم أن يكون الرسول بشراً يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله (وما كانوا خالدين) (قلت) يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لايطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة لايموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلوداً (صدقناهم الوعد) مثل واختار موسى قومه والأصل فى الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقنى سن بكره (ومن نشاء) هم المؤمنون ومن فى بقائه مصلحة (ذكركم) شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التى كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك (وكم قصمنا من قرية) واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال (قوما آخرين) لأن المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهى وسحول قريتان باليمن تنسب إليهما

(قوله وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير) فى الصحاح الحق أبلج والباطل لجلج أى يردد من غير أن ينفذ
(قوله تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر) لعله وحسن الذكر بالواو

فيه ومسكنكم لعلكم تسئلون ۞ قالوا يويلنا إنا كنا ظلمين ۞ فما زالت تلك دعوىهم حتى جعلنهم حصيدا خمدين ۞ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لعبين ۞ لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذنه من لدنا إن كنا فعلين ۞ بل نقذف بالحق على البطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ۞ وله

الثياب وفى الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين سحوليين وروى حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يالثارات الأنبياء ندموا واعترفوا بالخطإ وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها إحدى القرى التى أرادها الله بهذه الآية ۞ فلما علموا شدّة عذابنا وبطشتنا علم حسّ ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا فى سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم (لاتركضوا) والقول محذوف (فإن قلت) من القائل (قلت) يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم فى دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم (وارجعوا إلى ماأترفتم فيه) من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة وهى الترفة (لعلكم تسئلون) تهكم بهم وتوبيخ أى ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم وترتبوا فى مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم بم تأمرون وبماذا ترسمون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس فى أنديتكم المعاون فى نوازل الخطوب ويستشيرونكم فى المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ (تلك) إشارة إلى ياويلنا لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى (دعواهم) والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (فإن قلت) لم سميت دعوى (قلت) لأن المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعالى ياويل فهذا وقتك وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم ۞ الحصيد: الزرع المحصود أى جعلناهم مثل الحصيد شبههم به فى استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أى مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذى كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية (فإن قلت) كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل (قلت) حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود ۞ أى وماسوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع ومابينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع مايتعلق لهم بها من المنافع التى لاتعد والمرافق التى لاتحصى ۞ ثم بين أن السبب فى ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالى هو أن الحكمة صارفة عنه وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلا لأنى على كل شىء قدير ۞ وقوله (لاتخذناه من لدنا) كقوله رزقا من لدنا أى من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد

(قوله ويمترون أخلاف معروفكم) فى الصحاح الريح تمرى السحاب وتمتريه أى تستدره وفيه أيضا الخلف بالكسر حلمة ضرع الناقة (قوله فى استئصالهم واصطلامهم) فى الصحاح الاصطلام الاستئصال

مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۞ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۞ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ

بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أى من الملائكة لا من الإنس رداً لولادة المسيح وعزير (بل) إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعارة لذلك القذف والدمغ تصويرا لإبطاله وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال (ولكم الويل مما تصفون) به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو فى ضعف قوله سأترك منزلى لبنى تميم ۞ وألحق بالحجاز فأستريحا وقرئ فيدمغه (ومن عنده) هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه ۞ (فإن قلت) الاستحسار مبالغة فى الحسور فكان الأبلغ فى وصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور (قلت) فى الاستحسار بيان أن ماهم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون ۞ أى تسبيحهم متصل دائم فى جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر ۞ هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم (آلهة من الأرض هم ينشرون) الموتى ولعمرى أن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات (فإن قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شىء عن هذه الدعوى وذلك أنهم

۞ قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا (قال معناه سبحاننا أن نتخذ لهوا ولعبا الخ) قال أحمد وله تحت قوله واستغنائنا عن القبيح دفين من البدعة والضلالة ولكنه من الكنوز التى يحمى عليها فى نار جهنم وذلك أن القدرية يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح وفعل ما يتوهمونه حسنا بعقولهم ويظنون أن الحكمة تقتضى ذلك فلا يستغنى الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف القبيح فإن الحكمة تقتضى الاستغناء عنه فإلى ذلك يلوح الزمخشرى وما هى إلا نزغة سبق إليها ضلال الفلاسفة ومن ثم يقولون ليس فى الإمكان أكمل من هذا العالم لأنه لو كان فى القدرة أكمل منه وأحسن ثم لم يخلقه الله تعالى لكان بخلا ينافى الجود أو عجزا ينافى القدرة حتى اتبعهم فى ذلك من لا نسميه من أهل الملة عفا الله عنه إن كان هذا مما يدخل تحت ذيل العفو فالحق أن الله تعالى مستغن عن جميع الأفعال حسنة كانت أو غيرها مصلحة كانت أو مفسدة وأن له أن لا يخلق ما يتوهمه القدرية حسنا وله أن يفعل ما يتوهمونه فى الشاهد قبيحا وأن كل موجود من فاعل وفعل على الإطلاق فبقدرته وجد فليس فى الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله وهو مستغن عن العالم بأسره وحسنه وقبحه فلو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك فى ملكه شيئا ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكه شيئا اللهم ألهمنا الحق واستعملنا به عاد كلامه (قال وفى قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل استعارة حسنة استعار القذف الخ) قال أحمد ومثل هذا التنبيه من حسناته ولولا أن السيئة التى قبلها تتعلق بالعقيدة لتلوت إن الحسنات يذهبن السيئات والله أعلم ۞ قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (قال فيه إن قلت لم استعمل الاستحسار ههنا فى النفى الخ) قال أحمد وبمثله أجيب عن قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد فانظره قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (قال إن قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ

(قوله على جرم رخو أجوف فدمغه) فى الصحاح شجه حتى بلغت الشجة الدماغ (قوله لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل (قوله يوجب غاية الحسور وأقصاه) أى الكلال أفاده الصحاح (قوله هم ينشرون الموتى) الإنشار الإحياء بعد الموت أفاده الصحاح

كانوا مع إقرارهم لله عزّ وجل بأنه خالق السموات والأرض ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى منكرين البعث ويقولون من يحيى العظام وهى رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثانى القديم فكيف يدعونه للجماد الذى لا يوصف بالقدرة رأساً (قلت) الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل وإشعار بأنّ ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لأنّ الإلهية لما صحت صحّ معها الاقتدار على الإبداء والإعادة ونحو قوله (من الأرض) قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكى أو مدنى ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التى تعبد فى الأرض لأنّ الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الأمة التى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت الى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم منها أنّ مرادها نفى الآلهة الأرضية التى هى الأصنام لا إثبات السماء مكانا لله عزّ وجلّ ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض لأنها إمّا أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض (فإن قلت) لابدّ من نكتة فى قولهم (قلت) النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها وصفت آلهة بإلا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله (فإن قلت) مامنعك من الرفع على البدل (قلت) لأنّ لو بمنزلة إن فى أنّ الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا فى الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك وذلك لأنّ أعمّ العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحداً والثانى أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله (فإن قلت) لم وجب الأمران (قلت) لعلمنا أنّ الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعزّ علىّ من دم ناظرى

آلهة الخ) قال أحمد فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها وهو أبلغ فى الإنكار والله سبحانه وتعالى أعلم * عاد كلامه (قال محمود إن قلت لابدّ لقوله هم من فائدة وإلا فالكلام مستقل بدونها الخ) قال أحمد وفى هذه النكتة نظر لأنّ آلات الحصر مفقودة وليس ذلك من قبيل صديقى زيد فإنّ المبتدأ فى الآية أخصّ شىء لأنه ضمير وأيضاً فلا ينبنى على ذلك إلزامهم حصر الألوهية فيهم وتخصيص الإنشار بهم ونفيه عن الله تعالى إذ هذا لا يناسب السياق فإنه قال عقبها لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ومعناه لو كان فيهما إله غير الله شريكا لله لفسدتا وكان مقتضى ماقال الزمخشرى أن يقال لو لم يكن فيهما آلهة إلا الأصنام لفسدتا وأتاوالمتلوّ على خلاف ذلك فلا وجه لما قال الزمخشرى وعندى أنه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قوله هم الإيذان بأنهم لم يدعوا لها الإنشار وأنّ قوله هم ينشرون استئناف إلزام لهم وكأنه قال اتخذوا آلهة مع الله عزوجل فهم إذن يحيون الموتى ضرورة كونهم آلهة ثم لما انتظم من دعواهم الألوهية للأصنام وإلزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على إحياء الموتى نظم فى إبطال هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا * وأزيد هذا التقرير وضوحا فأقول إنّ دليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية المقتبس من نورها يورده المتكلمون على صورة التقسيم فيقولون لو وجد مع الله إله آخر وربما قالوا لو فرضنا وجود إلهين فإمّا أن يكونا جميعا موصوفين بصفات الكمال اللاتى يندرج فيها القدرة على إحياء الموتى وإنشارهم وغير ذلك من الممكنات أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر ثم يحيلون جميع الأقسام وهو المسمى برهان الخلف وأدقّ الأقسام إبطالا قسم اتصافهما جميعاً بصفات الكمال وماعداه فبادئ الرأى يبطل فانظر كيف اختار له تعالى إبطال هذا القسم الخفى البطلان فأوضح فساده فى أخصر أسلوب وأوجزه وأبلغ بديع الكلام ومعجزه وإنما ينتظم هذا على أن يكون المقصد من قوله هم ينشرون إلزامهم ادّعاء صفات الألوهية لآلهتهم حتى يتحرّى أنهم اختاروا القسم الذى أبطله الله تعالى وكل إبطال ماعداه من الأقسام إلى ماركبه فى عباده من العقول وكل خطب بعد بطلان هذا القسم جلل والله الموفق فتأمل هذا

رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ۞ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاعْبُدُونِ ۞ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۞

ولكن لايجتمع لخلان فى شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر ۞ إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من فى مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيباً وإجلالا مع جواز الخطإ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسئل عن أفعاله مع ماعلم واستقر فى العقول من أن مايفعله كله مفعول بدواعى الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (وهم يسئلون) أى هم مملوكون مستعبدون خطاؤن فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم فى كل شىء فعلوه ۞ كرر (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أى وصفتم الله تعالى بأن له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة الوحى فإنكم لاتجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهى عنه متوعد عليه ۞ أى (هذا) الوحى الوارد فى معنى توحيد الله ونفى الشركاء عنه كما ورد على فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ذكر أى عظة للذين معى يعنى أمته وذكر للذين من قبلى يريد أمم الأنبياء عليهم السلام وقرئ (ذكر من معى وذكر من قبلى) بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وهو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معى ومن قبلى على من الإضافية فى هذه القراءة وإدخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكر معى ، ذكر قبلى ۞ كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكار ۞ وقرئ (الحق) بالرفع على توكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل (يوحى) ونوحى مشهورتان وهذه الآية مقررة

الفصل بعين الإنصاف تجده أنفس الأنصاف والله المستعان قوله تعالى « لايسئل عما يفعل وهم يسئلون » (قال) لما بين تعالى أنه رب الأرباب وخالقهم ومالكهم ناسب هذا التنبيه على مايجب له تعالى على خلقه من الإجلال والإعظام فإن آحاد الملوك تمنع مهابته أن يسئل عن فعل فعله فما ظنك بخالق الملوك وربهم ثم إن آحاد الملوك يجوز عليهم الخطأ والزلل وقد استقر فى العقول أن أفعال الله تعالى كلها مفعولة بدواعى الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (قال أحمد) سحقاً لها من لفظة ما أسوأ أدبها مع الله تعالى أعنى قوله دواعى الحكمة فإن الدواعى والصوارف إنما تستعمل فى حق المحدثين كقولك هو مما توفر دواعى الناس اليه أو صوارفهم عنه وقوله لايجوز عليه فعل القبائح قلت وهذا من الطراز الأول ولو أنه فى الذيل ۞ فقد نسيت وما بالعهد من قدم ۞ وبعد ما انقضى دليل التوحيد وإبطال الشرك من سمعك أيها الزمخشرى وقلمك رطب بتقريره فلم نكصت وانتكست أتقول أن أحداً شريك الله فى ملكه يفعل مايشاء من الأفعال التى تسميها قبائح فتنفيها عن قدرة الله تعالى وإرادته وما الفرق بين من يشرك لله ملكا من الملائكة وبين من يشرك نفسه بربه حتى يقول إنه يفعل ويخلق لنفسه شاء الله أو لم يشأ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً والقدرية ارتضوا لأنفسهم شر شرك لأن غيرهم أشرك بالملائكة وهم أشركوا بنفوسهم وبالشياطين والجن وجميع الحيوانات نعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك قوله تعالى

(قوله ولكن لا يجتمع لخلان فى شول) فى الصحاح الشول النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها (قوله ولا يجوز عليه الخطا ولا فعل القبائح) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فهو الفاعل للخير والشر كما بين فى علم التوحيد

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ۞ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ۞ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ۞ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ۞ وجعلنا

لما سبقها من آي التوحيد ۞ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ۞ نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم (مكرمون) مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علواً كبيراً وقرئ مكرمون و(لا يسبقونه) بالضم من سابقته فسبقته أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيب اللام مناب الإضافة أي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه ۞ وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبني على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم أنهم مع هذا كله من خشية الله (مشفقون) أي متوقعون من أمارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله وبعد أن وصف كراماتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليه وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع إحاطة علمه بأنه لا يكون كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد قرئ (ألم ير) بغير واو و(رتقا) بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض أي كانتا مرتوقتين (فإن قلت) الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقتين لأنه مصدر فما بال الرتق (قلت) هو على تقدير موصوف أي كانتا شيئاً رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما أو كانت السموات متلاصقات وكذلك الأرضون لا فرج بينهما ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وإنما قيل كانتا دون كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان أي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر (فإن قلت) متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلابد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه (وجعلنا) لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين فإن تعدى إلى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الإنسان من عجل وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لابد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما أنا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني

سبحانه بل عباد مكرمون (قال معناه مكرمون مفضلون على سائر عباد الله) قال أحمد وهذا التفسير من جعل القرآن تبعا للرأي فإنه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده وليس غرضنا إلا بيان أنه حمل الآية ما لا تحتمله وتناول منها ما لا تعطيه لأنه ادعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لا على بعضهم فدعواه

(قوله مفضلون على سائر العباد) هذا عند المعتزلة وبعض البشر أفضل منهم عند أهل السنة (قوله على حذر ورقبة لا يأمنون) بالكسر أي انتظار أفاده الصحاح (قوله كالحلس من خشية الله) بكسر فسكون أو بفتحتين كساء رقيق يكون تحت البرذعة أو تحت الرحل أفاده الصحاح (قوله إن كان ذلك على سبيل الفرض) لعله إذ كان

(قوله ومن هذا) لعله ومن هنا (قوله عليه السلام ما أنا من دد) في الصحاح الدد اللهو واللعب

فى الأرض روسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ۞ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن ءايتها معرضون ۞ وهو الذى خلق اليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون ۞ وما جعلنا لبشر

والظرف لغو ۞ أى كراهة (أن تميدبهم) وتضطرب أولئلا تميد بهم لحذف لا واللام وإنماجاز حذف لالعدم الالتباس كما تزاد لذلك فى نحو قوله لئلا يعلم وهذا مذهب الكوفيين ۞ الفج الطريق الواسع (فإن قلت) فى الفجاج معنى الوصف فما لهاقدمت على السبل ولم تؤخر كما فى قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا (قلت) لم تقدّم وهى صفة ولكن جعلت حالا كقوله ۞ لعزة موحشا طلل قديم ۞ (فإن قلت) ماالفرق بينهما من جهة المعنى (قلت) أحدهما الإعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثانى بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة محفوظا حفظه بالإمساك بقدرته من أن يقع على الأرض ويتزلزل أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة (عن آياتها) أى عما وضع الله فيها من الأدلةوالعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة وأى جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبةوأودعهاماأودعها مما لايعرف كنهه إلا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة فى الدلالة على الجنس أى هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الأرض والحيوان بأمطارها ۞ وهم عن كونها آية بينةعلى الخالق (معرضون) (كل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه أىكلهم (فى فلك يسبحون) والضميرللشمس والقمر والمراد بهماجنس الطوالع كل يوم وليلةجعلوها متكاثرة لتكاثرمطالعهاوهو السبب فى جمعهما بالشموس والأقمار وإلافالشمس واحدةوالقمر واحد وإنما جعل الضميرواوالعقلاءللوصف بفعلهم وهو السباحة (فانقلت) الجملة مامحلها (قلت)محلهاالنصب على الحال من الشمس والقمر (فإن قلت) كيف استبدبهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما (قلت) كما تقول رأيت زيداوهنداًمتبرجة ونحو ذلك إذاجئت بصفةيختص بها بعض ماتعلق به العامل ومنه قوله تعالى فىهذه السورة ووهبنالهإسحق ويعقوب نافلة أولامحل لها لاستئنافها (فانقلت) لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون فى فلك (قلت) هذا كقولهم كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفا أى كل واحد

شاملة ودليله مطلق والله الموفق ۞ قوله تعالى وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم (قال معناه كراهة أن تميد بهم أو تكون لامحذوفة لأمن الإلباس) قال أحمد وأولى من هذين الوجهين أن يكون من قولهم أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدعمه قال سيبويه ومعناه أن أدعم الحائط إذا مال وإنما قدم ذكر الميل اهتماما بشأنه ولأنه أيضا هو السبب فى الإدعام والإدعام سبب فى إعداد الخشبة فعامل سبب السبب معاملة السبب وعليه حمل قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى كذلك مانحن فيه يكون الأصل وجعلنا فى الأرض رواسى لأجل أن تثبتها إذا مادت بهم لجعل الميد هو السبب كما جعل الميل فى المثل المذكور سببا وصار الكلام وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد فنثبتها ثم حذف قوله فنثبتها لأمن الإلباس إيجازا واختصارا وهذا التقرير أقرب إلى الواقع مما أول الزمخشرى الآية عليه فإن مقتضى تأويله أن لاتميد الأرض بأهلها لأن الله كره ذلك ومكروه الله تعالى محال أن يقع كما أن مراده واجب أن يقع والمشاهد خلاف ذلك فكم من زلزلة مادت لها الأرض وكادت تنقلب عاليها سافلها وأما على تقريرنا فالمراد أن الله تعالى يثبت الأرض بالجبال إذامادت وهذا لايأبى وقوع الميد كما أن قوله أن تضل إحدهمافتذكر إحداهما الأخرى لايأبى وقوع الضلال والنسيان من إحداهما لكنه ميد يستعقبه التثبيت وكذلك الواقع من الزلازل إنما هو كاللمحة

(قوله يقع على الأرض ويتزلزل) لعله أويتزلزل (قوله والعبر بالشمس والقمر) لعله كالشمس الخ كعبارة النسفى

مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۞ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ۞ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۞

منهم أوكساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصاراً لأن الغرض الدلالة على الجنس ۞ كانوا يقدوون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا أى قضى الله أن لايخلد فى الدنيا بشراً فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا ۞ سلبقى الشامتون كما لقينا

أى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب مايوجد منكم من الصبر أو الشكر وإنما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه فى صورة الاختبار و (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله (أهذا الذى يذكر آلهتكم) والمعنى أنهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهممهم وما يجب أن لانذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لايصدقون به أصلافهم أحق بأن يتخذوا هزؤا منك فإنك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم مانعرف الرحمن إلا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما أنزل عليك من القرآن والجملة فى موضع الحال أى يتخذونك هزؤا وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله ۞ كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقرار (ويقولون متى هذا الوعد) فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولا ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه أراد بالإنسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم وروى أنه لما دخل الروح فى عينه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع فى خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه النضر بن الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل

ثم يثبتها الله تعالى ۞ قوله تعالى أهذا الذى يذكر آلهتكم (قال فيه الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق بقيد القرينة فإن كان الذاكر صديقا فهم منه الخير وإن كان عدواً فهم منه الذم) قال أحمد وكذلك القول ومنه قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم معناه أتعيبون الحق لما جاءكم ثم ابتدأ فقال أسحر هذا وإنما لم يجعله معمولا للقول ومحكياً به لأنهم قفوا القول بأنه سحر فقالوا إن هذا لسحر مبين ولم يشككوا أنفسهم ولا استفهموا وقد مضى فيه غير هذا وإنما أطلقوا فى قولهم أهذا الذى يذكر آلهتكم ولم يقولوا أهذا الذى يذكر آلهتكم بكل سوء لأنهم إستفظعوا حكاية مايقوله النبى من القدح فى آلهتهم رمياً بأنها لاتسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وحاشوها من نقل ذمها مفصلا فأوموا إليه بالإشارة المذكورة كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر فيومى إليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان وأساؤا الأدب على الرحمن

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۞ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۞ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۞ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۞ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞

ينبت بين الماء والعجل والله أعلم بصحته (فإن قلت) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الإنسان من عجل وقوله وكان الإنسان عجولا أليس هذا من تكليف مالايطاق (قلت) هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها أعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الإنسان جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصراً ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذى هونه عندهم ويجوز أن يكون (يعلم) متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أى حين (لا يكفون عن وجوههم النار) يعلمون أنهم كانوا على الباطل وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم أى لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم يقال للمغلوب فى المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذى كفر أى غلب إبراهيم عليه السلام الكافر وقرأ الأعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين (فإن قلت) فإلام يرجع الضمير المؤنث فى هذه القراءة (قلت) إلى النار أو إلى الوعد لأنه فى معنى النار وهى التى وعدوها أو على تأويل العدة أو الموعدة أو إلى الحين لأنه فى معنى الساعة أو إلى البغتة وقيل فى القراءة الأولى الضمير للساعة وقرأ الأعمش بغتة بفتح الغين (ولا هم ينظرون) تذكير بإنظاره إياهم وإمهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم أى لا يمهلون بعد طول الامهال ۞ سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له فى الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن مايفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء عليهم السلام مافعلوا (من الرحمن) أى من بأسه وعذابه (بل هم) معرضون عن ذكره لايخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لايصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما فى أم من معنى بل وقال (أم لهم آلهة تمنعهم) من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ۞ ثم استأنف فبين أن ماليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ۞ ثم قال بل ماهم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وإمهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم (حتى طال عليهم) الأمد وامتدت بهم أيام الروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمد كاذب (أفلا يرون أنا) ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار إسلام (فإن قلت) أى فائدة فى قوله (نأتى الأرض) (قلت) الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدى المسلمين وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها ۞ قرئ (ولا يسمع الصم) ولا تسمع الصم بالتاء والياء أى لا تسمع

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۞ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا

أنت الصم ولايسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايسمع الصم من أسمع (فإن قلت) الصم لايسمعون دعاء المبشر كالا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل (إذا ماينذرون) (قلت) اللام فى الصم إشارة إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لاللجنس والأصل ولايسمعون إذماينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا أى هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار (ولئن مستهم) من هذا الذى ينذرون به أدنى شيء لأذعنوا وذلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفى المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح فى معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة ۞ وصفت (الموازين) بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها فى أنفسها قسط أوعلى حذف المضاف أى ذوات القسط واللام فى (ليوم القيامة) مثلها فى قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة ترسمت آيات لهـا فعرفتها ۞ لستة أعوام وذا العام سابع وقيل لأهل يوم القيامة أى لأجلهم (فإن قلت) ما المراد بوضع الموازين (قلت) فيه قولان أحدهما ارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثانى أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا إلهى من ذا الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال ياداود إنى إذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة (فإن قلت) كيف توزن الأعمال وإنما هى أعراض (قلت) فيه قولان أحدهما توزن صحائف الأعمال والثانى تجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سود مظلمة ۞ وقرئ (مثقال حبة) على كان التامة كقوله تعالى وإن كان ذو عسرة ۞ وقرأ ابن عباس ومجاهد (آتينا بها) وهى مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء ۞ وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وفى حرف أبى جئنا بها وأنث ضمير المثقال لاضافته إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه أى آتيناهما (الفرقان) وهو التوراة (و) أتينا به (ضياء وذكرا للمتقين) والمعنى أنه فى نفسه ضياء وذكرا أو آتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس رضى الله عنهما الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أوذكر مايحتاجون إليه فى دينهم ومصالحهم أو الشرف محل (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى إضافته إليه أنه رشد مثله وأنه رشد له شأن (من قبل) أى من قبل موسى وهرون عليهما السلام ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات قد رضيها وأحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك فى خير من الناس أنا عالم بفلان

(قوله على التصام من آيات الإنذار) لعله عن (قوله وهو رمح يسير ونفحة بعطية) فى الصحاح رمحه الفرس والبغل والحمار إذا ضربه برجله (قوله ترسمت آيات لها فعرفتها) يروى توسمت

لَهَا عَٰبِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۞ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ

فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل (إذ) إما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أى اذكر من أوقات رشده هذا الوقت قوله (ماهذه التماثيل) تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى مالا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها (فإن قلت) هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على أصنام لهم (قلت) لو قصد التعدية لعداه بصلته التى هى على ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم فى عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شىء وجادون فى نصرة مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم (أنتم) من التأكيد الذى لا يصح الكلام مع الاخلال به لأن العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون ماهم عليه ضلال بقوا متعجبين من تضليله إياهم وحسبوا أن ماقاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذى جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل الضمير فى (فطرهن) للسموات والأرض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل فى تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لأنى لست مثلكم فأقول مالا أقدر على إثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين (فإن قلت) ما الفرق بين الباء والتاء (قلت) أن الباء هى الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمرى أن مثله صعب متعذر فى كل زمان خصوصا فى زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ۞ ولكن إذا الله سنى عقد شىء تيسرا ۞ روى أن آزر خرج به فى يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا إلى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقى إبراهيم فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس فى يده حتى إذا لم يبق إلا الكبير علق الفأس فى عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد (جذاذا) قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وإنما استبقى الكبير لأنه غلب فى ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبى (إليه) إلى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم فى حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم فى آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم واستجهالا وأن قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه فى حل كل

(قوله إذا الله سنى عقد شىء تيسرا) فى الصحاح سناه أى فتحه وسهله (قوله ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه) لعله ويؤهل بدون ضمير فتكون الأفعال الثلاثة مبنية للمجهول ويكون الكلام فى المعبود لا فى العابد

لَمِنَ الظَّـٰلِمِينَ ۞ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۞ قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّـٰلِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۞ قَالَ

مشكل (فإن قلت) فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك فى أعراقهم فأى فائدة دينية فى رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم صلوات الله عليه غرضا (قلت) إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم فى عبادته على جهل عظيم ۞ أى أن من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود فى الظلمة إما لجرأته على الآلهة الحقيقية عندهم بالتوقير والإعظام وإما لأنهم رأوا إفراطاً فى حطمها وتمادياً فى الاستهانة بها ۞ (فإن قلت) ما حكم الفعلين بعد (سمعنا فتى) وأى فرق بينهما (قلت) هما صفتان لفتى إلا أن الأول وهو (يذكرهم) لا بد منه لسمع لأنك لا تقول سمعت زيداً وتسكت حتى تذكر شيئاً مما يسمع وأما الثانى فليس كذلك (فإن قلت) (إبراهيم) ما هو (قلت) قيل هو خبر مبتدا محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لأن المراد الاسم لا المسمى (على أعين الناس) فى محل الحال بمعنى معايناً مشاهداً أى بمرأى منهم ومنظر (فإن قلت) فما معنى الاستعلاء فى على (قلت) هو وارد على طريق المثل أى يثبت إتيانه فى الأعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روى أن الخبر بلغ نمروذ وأشراف قومه فأمروا بإحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا الأذهان الراضة من علماء المعانى والقول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلا أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمى لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كأن قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأمى أو المخرمش لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر ولقائل أن يقول غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأنه هو الذى تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها ۞ وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعنى فلعله أى فلعل الفاعل كبيرهم ۞ فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ۞ نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب أى استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وأن هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم عليه السلام مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق أو قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلا وانكساراً وانخزالا مما بهتهم به إبراهيم عليه السلام فما أحاروا جوابا إلا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمى فاعله أى نكسوا أنفسهم على رؤسهم قرأ به رضوان

(قوله ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة) الموجود فى الصحاح الخرش مثل الخدش والخراش سمته والمخرشة خشبة يخط بها الخراز ولم يوجد فيه خرمشة بزيادة الميم

أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞
قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۞ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۞ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً
وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۞ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ

ابن عبد المعبود (أف) صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجر أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف ۞ أجمعوا رأيهم لما غلبوا بإهلاكه وهكذا المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن أحد أبغض إليه من المحق ولم يبق له مفزع إلا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذى أشار بإحراقه نمروذ وعن ابن عمر رضى الله عنهما رجل من أعراب العجم يريد الأكراد وروى أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتاً كالحظيرة بكوثا وجمعوا شهراً أصناف الخشب الصلاب حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول إن عافانى الله لأجمعن حطباً لإبراهيم عليه السلام ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيداً مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام (يا نار كونى برداً وسلاما) ويحكى ما أحرقت منه إلا وثاقه وقال له جبريل عليه السلام حين رمى به هل لك حاجة فقال أما إليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وعن ابن عباس رضى الله عنه إنما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل وأطل عليه نمروذ من الصرح فإذا هو فى روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال إنى مقترب إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم وكان إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه إذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار إلا خالقها ومن ثم قالوا (إن كنتم فاعلين) أى إن كنتم ناصرين آلهتكم نصراً مؤزراً فاختاروا له أهول المعاقبات وهى الإحراق بالنار وإلا فرطتم فى نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا فى تشهير أمرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهداً فى ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وإرادته كمأمور أمر بشىء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد أبردى فيسلم منك إبراهيم أو ابردى برداً غير ضار وعن ابن عباس رضى الله عنه لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها (فإن قلت) كيف بردت النار وهى نار (قلت) نزع الله عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شىء قدير ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم عليه السلام أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله (على إبراهيم) وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفزعوا إلى القوة والجبروت فنصره وقواه ۞ نجيا من العراق إلى الشام وبركاته الواصلة إلى العالمين إن أكثر الأنبياء عليهم السلام بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهى البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنى والفقير وعن سفيان أنه خرج إلى الشام فقيل له إلى أين فقال إلى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التى ببيت المقدس وروى أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ۞ النافلة ولد الولد وقيل سأل إسحق فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أى زيادة وفضلا من غير سؤال (يهدون بأمرنا) فيه أن من صلح ليكون قدوة فى دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها وأول ذلك أن يهتدى بنفسه لأن الانتفاع بهداه أعم والنفوس إلى الاقتداء بالمهدى أميل (فعل الخيرات) أصله أن تفعل

(قوله إذا عرقت شبهته بالحجة) لعله غرقت بالغين المعجمة

وَكَانُوا لَنَا عَٰبِدِينَ ۞ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ۞ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۞ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۞ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ

الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات ۞ وكذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة (حكما) حكمة وهو ما يجب فعله أو فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة ۞ والقرية سذوم أى فى أهل رحمتنا أو فى الجنة ومنه الحديث هذه رحمتى أرحم بها من أشاء (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين ۞ هو نصر الذى مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أى اجعلهم منتصرين منه ۞ والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه ۞ أى واذكرهما وإذا بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما وقرئ لحكمهما ۞ والضمير فى (ففهمناها) للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك (فإن قلت) أحكما بوحى أم باجتهاد (قلت) حكما جميعاً بالوحى إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليهما السلام وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان عليه السلام أشبه بالصواب (فإن قلت) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أمّا وجه حكومة داود عليه السلام فلأنّ الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها إلى المجنى عليه كما قال أبو حنيفة رضى الله عنه فى العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعى رضى الله عنه يبيعه فى ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث ووجه حكومة سليمان عليه السلام أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعى فيمن غصب عبداً فأبق من يده أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فإذا ظهر ترادا (فإن قلت) فلو وقعت هذه الواقعة فى شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعى رضى الله عنه يوجب الضمان بالليل وفى قوله ففهمناها سليمان دليل على أنّ الأصوب كان مع سليمان عليه السلام وفى قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على أنهما جميعا كانا على الصواب (يسبحن) حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهنّ فقال يسبحن (والطير) إما معطوف على الجبال أو مفعول معه (فإن قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة وأدخل فى الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان إلا أنه غير ناطق روى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (فإن قلت) كيف تنطق الجبال وتسبح (قلت) بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به (وكنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل بالأنبياء مثل ذلك ۞ اللبوس اللباس قال ۞ البس لكل حالة لبوسها ۞ والمراد

(قوله كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى) هذا عند المعتزلة بناء على أن كلام الله حادث فلا يقوم بذاته تعالى أمّا عند أهل السنة فكلامه تعالى قديم قائم بذاته ويسمعه موسى عليه السلام بكشف الحجاب عنه

فَهَلْ أَنْتُمْ شَٰكِرُونَ ۞ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ۞ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۞ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ

الدرع قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين (لتحصنكم) قرئ بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع والياء لداود أو للبوس ۞ قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال (فإن قلت) وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى فما التوفيق بينهما (قلت) كانت فى نفسها رخية طيبة كالنسيم فإذا مرت بكرسيه أبعدت به فى مدة يسيرة على ماقال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء فى نفسها وعاصفة فى عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب مايريد ويحتكم آية إلى آية ومعجزة إلى معجزة وقيل كانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفا لهبوبها على حكم إرادته وقد أحاط علمنا بكل شيء فنجرى الأشياء كلها على مايقتضيه علمنا وحكمتنا أى يغوصون له فى البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك إلى الأعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد فى الجملة فيما هم مسخرون فيه أى ناداه بأنى مسنى الضر وقرئ إنى بالكسر على إضمار القول أو لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر فى كل شيء وبالضم الضرر فى النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين ألطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت ياأمير المؤمنين مشت جرذان بيتى على العصى فقال لها ألطفت فى السؤال لاجرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان أيوب عليه السلام روميا من ولد إسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروى أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا أى لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالإحسان لاننساهم أو رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب فى الدنيا والآخرة ۞ قيل فى ذى الكفل هو إلياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمى بذلك لأنه ذو الحظ من

۞ قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة (قال إن قلت قد وصفت هذه الريح بأنها رخاء وبأنها عاصف فما وجه ذلك قلت ماهى إلا جمعتهما وكانت فى نفسها رخاء طيبة وفى سرعة حركتها كالعاصف) قال أحمد وهذا كما ورد وصف عصا موسى تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجافى منها ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين فكانت فى خفتها وفى سرعة حركتها كالجان وكانت فى عظم خلقها كالثعبان ففى كل واحد من الريح والعصا على هذا التقرير

(قوله مشت جرذان بيتى على العصى) فى الصحاح الجرذ ضرب من الفأر والجمع جرذان
(قوله وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد) فى الصحاح الفدن القصر والفدان آلة الثورين للحرث

إنهم من الصالحين ۞ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ۞ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ۞ وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين ۞ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ۞ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا

الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الأنبياء فى زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الأنبياء ذوو إسمين إسرائيل ويعقوب إلياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذوالنون محمد وأحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (النون) الحوت فأضيف إليه برم بقومه لطول ماذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلاغضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت ۞ ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ أبو شرف مغضبا ۞ قرئ نقدر ونقدر مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتنى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا إلابك قال وماهى يامعاوية فقرأ هذه الآية وقال أويظن نبى الله أن لايقدر عليه قال هذا من القدر لامن القدرة والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان ومايوسوس إليه فى كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين (فى الظلمات) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات وقوله يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل فى ظلمتى بطنى الحوتين وظلمة البحر ۞ أى بأنه (لاإله إلاأنت) أوبمعنى أى عن النبى صلى الله عليه وسلم مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء إلااستجيب له وعن الحسن مانجاه والله إلاإقراره على نفسه بالظلم (ننجى) وننجى ونجى والنون لاتدغم فى الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجى النجاء المؤمنين فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف ۞ سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولايدعه وحيدا بلاوارث ثم رد أمره إلى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أى إن لم ترزقنى من يرثنى فلاأبالى فإنك خير وارث ۞ إصلاح زوجه أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الأنبياء عليهم السلام يريد أنهم مااستحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم فى تحصيلها كما يفعل الراغبون فى الأمور الجادون ۞ وقرئ (رغبا ورهبا) بالإسكان وهو كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه (خاشعين) قال الحسن ذللا لأمر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم فى القلب وقيل متواضعين وسئل الأعمش فقال أما إنى سألت إبراهيم فقال ألا تدرى قلت أفدنى قال بينه وبين الله إذا أرخى ستره وأغلق بابه فليرالله منه خيرا لعلك ترى أنه إن يأكل خشنا ويلبس خشناويطأطئ رأسه (أحصنت فرجها) إحصانا كليا من

معجزتان والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله والمجدود على الحقيقة) فى الصحاح الجد الحظ والبحت تقول جددت يافلان أى صرت ذاجد فأنت جديد حظيظ ومجدود محظوظ (قوله فأضيف إليه برم بقومه لطول ما) سئمهم وتبرم بهم أفاده الصحاح

وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۞ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۞ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ۞ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ۞ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۞ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۞ وَاقْتَرَبَ

الحلال والحرام جميعاً كما قالت ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا (فإن قلت) نفخ الروح فى الجسد عبارة عن إحيائه قال الله تعالى فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحى أى أحييته وإذا ثبت ذلك كان قوله (فنفخنا فيها من روحنا) ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم (قلت) معناه نفخنا الروح فى عيسى فيها أى أحييناه فى جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت فى بيت فلان أى نفخت فى المزمار فى بيته ويجوز أن يراد وفعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لأنه نفخ فى جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها (فإن قلت) هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين (قلت) لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهى ولادتها إياه من غير فحل الأمة الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام أى أن ملة الإسلام هى ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا) إلهكم إله واحد (فاعبدون) ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع أمة خبراً وعنه رفعهما جميعاً خبرين لهذه أو نوى للثانى مبتدأ والخطاب للناس كافة ۞ والأصل وتقطعتم إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ماأفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم ألا ترون إلى عظيم مارتكب هؤلاء فى دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشىء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقاً وأحزابا شتى ۞ ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم ۞ الكفران مثل فى حرمان الثواب كما أن الشكر مثل فى إعطائه إذا قيل الله شكور وقد نفى نفى الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا نكفر سعيه (وإنا له كاتبون) أى نحن كاتبوا ذلك السعى ومثبتوه فى صحيفة عمله ومانحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه ۞ استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجلّ إن الله حرّمهما على الكافرين أى منعهما منهم وأبى أن يكونا لهم وقرئ حرّم وحرِم بالفتح والكسر وحرُم وحرّم ومعنى (أهلكناها) عزمنا على إهلاكها أو قدرنا إهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر إلى الإسلام والإنابة ومجاز الآية أن قوماً عزم الله على إهلاكهم غير متصوّر أن يرجعوا وينيبوا إلى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعنى أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ إنهم بالكسر وحق هذا أن يتمّ الكلام قبله فلابدّ من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قرية أهلكناها ذاك وهو المذكور فى الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعى المشكور غير المكفور ثم علل فقيل إنهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا أى لأنهم لا يرجعون

۞ قوله تعالى فنفخنا فيه من روحنا (قال إن قلت نفخ الروح فى الجسد عبارة عن إحيائه وحينئذ يكون معناه فأحيينا مريم ويشكل إذ ذاك قلت معناه فنفخنا الروح فى عيسى فى مريم أى أحييناه فى جوفها انتهى كلامه) قال أحمد وقد اختار الزمخشرى فى قوله عزّ وجل إذ أوحينا إلى أمك مايوحى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل أن تكون الضمائر كلها راجعة إلى موسى أما الأول فلا إشكال فيه وأما التابوت إذا قذف فى اليم وموسى فيه فقد قذف موسى فى اليم وكذلك الثالث واختار غيره عود الضميرين الأخيرين إلى التابوت لأنه فهم من قوله فاقذفيه فى اليم أن المراد التابوت وأما موسى فلم يقذف فى اليم الزمخشرى نزل قذف التابوت فى اليم وموسى فيه منزلة قذفه فى اليم وفى هذه الآية مصداق لما اختاره فإن الله تعالى نزل نفخ الروح فى عيسى لكونه فى جوف مريم منزلة نفخ الروح فى مريم فعبر بما يفهم ظاهر هذا

الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين ۞ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ۞ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ۞ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ۞ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ۞ لا يسمعون حسيسها وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون ۞ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى

ولاصلة على الوجه الأول (فإن قلت) بم تعلقت (حتى) واقعة غاية له وأية الثلاث هى (قلت) هى متعلقة بحرام وهى غاله لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهى حتى التى يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعنى إذا وما فى حيزها حذف المضاف إلى (يأجوج ومأجوج) وهو سدهما كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها وقيل فتحت كما قيل أهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الإنس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الأرض وقرأ ابن عباس رضى الله عنه من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ (ينسلون) بضم السين ونسل وعسل أسرع و (إذا) هى المفاجأة وهى تقع فى المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل إذا هى شاخصة أو فهى شاخصة كان سديداً (هى) ضمير مبهم توضحه الأبصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا (ياويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون ياويلنا ويقولون فى موضع الحال من الذين كفروا (ماتعبدون من دون الله) يحتمل الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم فى حكم عبدتهم ويصدقه ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم إنكم وما تعبدون من دون الله الآية فأقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد ابن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيراً والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعنى عزيراً والمسيح والملائكة عليهم السلام (فإن قلت) لم قرنوا بآلهتهم (قلت) لأنهم لا يزالون لمقارنتهم فى زيادة غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر إلى وجه العدو باب من العذاب ولأنهم قدروا أنهم يستشفعون بهم فى الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدروا لم يكن شىء أبغض إليهم منهم (فإن قلت) إذا عنيت بما تعبدون الأصنام فما معنى (لهم فيها زفير) (قلت) إذا كانوا هم وأصنامهم فى قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وإن لم يكن الزافرين إلا هم دون الأصنام للتغليب ولعدم الإلباس ۞ والحصب المحصوب به أى يحصب بهم فى النار والحصب الرمى وقرئ بسكون الصاد وصفاً بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا ۞ وعن ابن مسعود يجعلون فى توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز أن يصمهم الله كما يعميهم (الحسنى) الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الأحسن إما السعادة وإما البشرى بالثواب وإما التوفيق للطاعة يروى أن عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول (لا يسمعون حسيسها) والحسيس

(قوله السد الحدب النشز من الأرض) فى الصحاح النشز المكان المرتفع (قوله كما فسر الذين ظلموا وأسروا) لعله ضمير وأسروا أولعله واو وأسروا (قوله وأصنامهم فى قرن واحد) حبل يقرن به البعيران أفاده الصحاح

كُنتُم تُوعَدُونَ ۝ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ۝ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝

الصوت بحس ۝ والشهوة طلب النفس اللذة ۝ وقرئ (لايحزنهم) من أحزن و(الفزع الأكبر) قيل النفخة الأخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض وعن الحسن الانصراف إلى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح أى تستقبلهم (الملائكة) مهنئين على أبواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم قد حل العامل فى (يوم نطوى) لايحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء المفعول (والسجل) بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة أى كما يطوى الطومار للكتابة أى ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه المكتوبات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم إذا رفعت إليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها (أول خلق) مفعول نعيد الذى يفسره (نعيده) والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للإعادة بالإبداء فى تناول القدرة لهما على السواء (فإن قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه (قلت) أوله إيجاده عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم (فإن قلت) ما بال خلق منكراً (قلت) هو كقولك هو أول رجل جاءنى تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لايجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أى أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى (وعداً) مصدر مؤكد لأن قوله نعيده عدة الإعادة (إنا كنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل ذلك عن الشعبى رحمة الله عليه ۝ زبور داود عليه السلام ۝ والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعنى اللوح أى يرثها المؤمنون بعد إجلاء الكفار كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضى الله عنه هى أرض الجنة وقيل الأرض المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم الإشارة إلى المذكور فى هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية أرسل صلى الله عليه وسلم (رحمة للعالمين) لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فإنما

۝ قوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين (قال فيه إن قلت ما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت أول الخلق إيجاده عن العدم وكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم) قلت هذا الذى ذكره ههنا فى المعاد قد عاد به إلى الحق ورجع عما قاله فى سورة مريم حيث فسر الإعادة بجمع المتفرق خاصة إلا أنه كدر صفو اعترافه بالحق بتفسيره قوله إنا كنا فاعلين بالقدرة على الفعل ولا يلزم على هذا من القدرة على الفعل حصوله تحويما على أن الموعود به ليس إعادة الأجسام عن عدم وإن كانت القدرة صالحة لذلك ولكن إعادة الأجزاء على صورها مجتمعة مؤتلفة على ما تقدم له فى سورة مريم إلا أن يكون الباعث له على تفسير الفعل بالقدرة أن الله ذكر ماضيا والإعادة وقوعها مستقبل فتعين عنده من ثم حمل الفعل على القدرة فقد قارب ومع ذلك فالحق بقاء الفعل على ظاهره لأن الأفعال المستقبلة التى علم الله وقوعها كالماضية فى التحقق فمن ثم عبر عن المستقبل بالماضى فى مواضع كثيرة من الكتاب العزيز والغرض الإيذان بتحقيق وقوعه والله أعلم

(قوله والسجل بوزن العتل والسجل) العتل الغليظ الجافى وقال تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) والعتل أيضا الرمح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل كذا فى الصحاح

فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ❁ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ❁ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ❁ قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ❁

أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غديقة فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة فى نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث أن عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال ❁ إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية لأن (إنما يوحى إلى) مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد و (إنما إلهكم إله واحد) بمنزلة إنما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفى قوله فهل أنتم مسلمون أن الوحى الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله وأن تخلعوا الأنداد وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع ويجوز أن يكون المعنى أن الذى يوحى إلى فتكون ما موصولة ❁ آذن منقول من أذن إذا علم ولكنه كثر استعماله فى الجرى مجرى الإنذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله ❁ وقول ابن حلزة

❁ آذنتنا ببينها أسماء ❁ والمعنى أنى بعد توليكم وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعا بذلك (على سواء) أى مستوين فى الإعلام به لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائه و (ما توعدون) من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولابد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وإن كنت لا أدرى متى يكون ذلك لأن الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين فى الإسلام و (ما تكتمون) فى صدوركم من الإحن والأحقاد للمسلمين وهو يجازيكم عليه ❁ وما أدرى لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو تمتيع لكم (إلى حين) ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد فى وقت هو فيه حكمة ❁ قرئ (قل) وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و (رب احكم) على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربى أحكم على أفعل التفضيل وربى أحكم من الاحكام أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ❁ ومعنى (بالحق) لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر ❁ قرئ (تصفون) بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم ❁ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

(قوله ولكن الكسلان محن على نفسه) لعله محن بخاء معجمة فنون وفى الصحاح أخنى عليه الدهر أى أتى عليه وأهلكه
(قوله وقد اجتمع المثلان فى هذه الآية) لعله المثالان (قوله وقشر العصا عن لحائها) فى الصحاح اللحاء ممدود قشر الشجر

ســــورة الحج مدنية

إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَـٰرَى وَمَا هُم بِسُكَـٰرَى وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ

﴿ســــورة الحج مكية﴾

غير ست آيات وهى هذان خصمان إلى قوله إلى صراط الحميد وهى ثمـان وسبعون آية

۞ الزلزلة شدّة التحريك والإزعاج وأن يضاعف زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها ۞ ولاتخلو (الساعة) من أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هى التى تزلزل الأشياء على المجاز الحكمى فتكون الزلزلة مصدرا مضافا إلى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع فى الظرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله إذا زلزلت الأرض زلزالها واختلف فى وقتها فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها ۞ أمر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ماأمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذى لايؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به وروى أن هاتين الآيتين نزلتا ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر (يوم ترونها) منصوب بتذهل والضمير للزلزلة ۞ وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة ۞ (فإن قلت) لم قيل (مرضعة) دون مرضع (قلت) المرضعة التى هى فى حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فى حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة (عما أرضعت) عن إرضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل مافى بطنها لغير تمام ۞ قرئ (وترى) بالضم من أريتك قائما أو رؤيتك قائما و (الناس) منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنثه على تأويل الجماعة ۞ وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى

﴿القول فى سورة الحج﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى (قال يقال مرضع على النسب ومرضعة على أصل اسم الفاعل) قال أحمد والفرق بينهما أن وروده على النسب لايلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه أنه موصوف بها وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل وخروج الصفة عليه وكذلك هو فى الآية

﴿ســــورة الحج﴾

(قوله وأن يضاعف زليل الأشياء) أى يكرر انحراف الأشياء وتزحزحها عن مواضعها وفى الصحاح تقول زلزلت يافلان بالفتح تزل زليلا إذا زل فى طين أو منطق

شديد ۞ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ۞ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله

وعطشى فى جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الأعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وماهم بسكارى على التحقيق ولكن مارهقهم من خوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب (فإن قلت) لم قيل أولا ترون ثم قيل ترى على الإفراد (قلت) لأن الرؤية أولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعاً رائين لها وهى معلقة أخيراً بكون الناس على حال السكر فلا بدأن يجعل كل واحد منهم رائياً لسائرهم قيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء من بلى وصار ترابا وهى عامة فى كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل (ويتبع) فى ذلك خطوات (كل شيطان) عات علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله ولياً له لم تثمر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار وما أرى رؤساء أهل الأهواء والبدع والحشوية الملقبين بالإمامة فى دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا بل هم أشد الشياطين إضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم عنى من قال:

ويارب مقفوا الخطابين قومه ۞ طريق نجاة عندهم مستونهج ولو قرؤا فى اللوح ما خط فيه من ۞ بيان اعوجاج فى طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذى رضيته لملائكتك فى سمواتك وأنبيائك فى أرضك وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين ۞ والكتبة عليه مثل أى كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك فى حاله ۞ وقرئ أنه فأنه بالفتح والكسر فمن فتح فلأن الأول فاعل كتب والثانى عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن الله هو الغنى الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد فى الجلب والطرد كأنه قيل إن ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا فى بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس

لقوله عما أرضعت فأخرج الصفة على الفعل وألحقه التاء (قال وقوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى أثبت لهم أولا السكر المجازى ثم نفى عنهم السكر الحقيقى) قال أحمد والعلماء يقولون إن من أدلة المجاز صدق نقيضه كقولك زيد حمار إذا وصفته بالبلادة ثم يصدق أن تقول وما هو بحمار فتنفى عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد أن أثبت السكر المجازى نفى الحقيقى أبلغ نفى مؤكد بالباء والسر فى تأكيده التنبيه على أن هذا السكر الذى هو بهم فى تلك الحالة ليس من المعهود فى شىء وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله والاستدراك بقوله ولكن عذاب الله شديد راجع إلى قوله وما هم بسكارى وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازى كأنه قيل إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب وما سببه فقال سببه شدة عذاب الله تعالى ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه أنه قال هو الوقت الذى يقول كل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيه نفسى نفسى

(قوله من رأيتك قائما أو رؤيتك قائما) لعله أو رؤيت قائما (قوله رؤساء أهل الأهواء) إن كان مراده أهل السنة كما هو عادته فى الكتابة من التشنيع عليهم فينبغى مطالبته بالفرق بينهم وبين المعتزلة حتى استحقوا التشنيع دونهم (قوله وكأنهم ساطوه بلحومهم) خلطوه (قوله عجوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح) أى صاحوا (قوله هو كأنما كتب عليه هذا الكلام) لعله أى كأنما

وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى الْقُبُورِ ۞

من العيوب ومنها ماهوعلى عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما أبداه بل هذا أدخل فى القدرة من تلك وأهون فى القياس وورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه مالا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبى عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر (فى الأرحام مايشاء) أن يقره من ذلك (إلى أجل مسمى) وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع أو كما شاء وقدر ومالم يشأ إقراره مجته الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثانى أن نقر فى الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشئوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) وحده لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا ۞ الأشد كمال القوة والعقل والتميز وهو من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود والأباطيل وغير ذلك وكأنها شدة فى غير شىء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى أى يتوفاه الله (أرذل العمر) الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى فى أوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه فى درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهى به إلى الحالة السفلى (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أى ليصير نساء بحيث إذا كسب علما فى شىء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه وقرأ أبو عمر والعمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله فى كتابه (اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت أى ارتفعت ۞ البهيج الحسن السار للناظر اليه ۞ أى ذلك الذى ذكرنا من خلق بنى آدم وإحياء الأرض مع مافى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب فى حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو (أن الله هو الحق) أى الثابت الموجود وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد

(قوله من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل) الذى فى الصحاح السد بالفتح واحد الأسدة وهى العيوب (قوله لها واحد كالأسدة والقتود والأباطيل) مثل العمى والصمم والبكم على غير قياس وكان قياسه سدود والقتد خشب الرحل وجمعه قتود وأقتاد والباطل ضد الحق والجمع أباطيل على غير قياس كأنهم جمعوا إبطيلا وفيه أيضا قوله تعالى (حتى يبلغ أشده) أى قوته وهو واحد جاء على بنا الجمع مثل إنك وهو الأسرب ولا نظير لها ويقال له جمع لا واحد له من لفظه مثل أسال وأبابيل وعباديد ومذاكير

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ * ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَـٰلُ الْبَعِيدُ * يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ

الساعة والبعث فلابد أن يفي بما وعد . عن ابن عباس أنه أبو جهل ابن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الأقاصيص وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلدين * والمراد بالعلم العلم الضرورى وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدى إلى المعرفة وبالكتاب المنير الوحى أى يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة وثنى العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولى الجيد وقيل عن الإعراض عن الذكر وعن الحسن ثانى عطفه بفتح العين أى مانع تعطفه (ليضل) تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها (فإن قلت) ما كان غرضه من جداله الضلال (عن سبيل الله) فكيف علل به وما كان أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال (قلت) لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما منى به من خزى الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته الصالحين (على حرف) على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذى يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه ، قالوا نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في دينى هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبى سعيد الخدرى أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت * المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج إلى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين إحداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدإ محذوف * استعير (الضلال البعيد) من ضلال من أبعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته (فإن قلت) الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض (قلت) إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التى ادعاها لها (لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) أو كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبدالله من ضره بغير لام * المولى الناصر ، والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين * هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه أنه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا إلى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه

جنت تجري من تحتها الأنهر إن الله يفعل ما يريد ۝ من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ۝ وكذلك أنزلنه ءايت بينت وأن الله يهدي من يريد ۝ إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصبئين والنصرى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيمة إن الله على كل شيء شهيد ۝ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب

۝ وسمى الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع ۝ وسمى فعله كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظه وقيل فليمدد بحبل إلى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطؤن ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت ۝ وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا ۝ أي ومثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات و) لأن (الله يهدى) به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا ۝ الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعاً فلا يجازيهم جزاء واحداً بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لأنهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم أي بين المؤمنين والكافرين وأدخلت أن على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد ونحوه قول جرير

إن الخليفة أن الله سربله ۝ سربال ملك به ترجى الخواتيم

سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجوداً له تشبيهاً لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه (فإن قلت) فما تصنع بقوله (وكثير من الناس) وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الإنس والجن أولا فإسناده إلى كثير منهم آخراً مناقضة (قلت) لا أنظم كثيراً في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبراً له أي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب ۝ وقرئ حق بالضم وقرئ حقاً أي حق عليهم العذاب حقاً ۝ ومن أهانه الله بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرماً

(قوله ومنه قيل للبهر القطع) أي تتابع النفس أفاده الصحاح (قوله من كفره أو فسقه فقد بقي مهانا) مبني على أن الفاسق واسطة بين المؤمن والكافر وأنه يخلد في النار كالكافر وهو مذهب المعتزلة والحق عند أهل السنة أنه مؤمن وإن دخل النار يخرج منها بالشفاعة أو بمجرد فضله تعالى

وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۞ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۞ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ

وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الإكرام إنه (يفعل مايشاء) من الإكرام والإهانة ولايشاء من ذلك إلا مايقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين ۞ الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع إلى أهل الأديان الستة (فى ربهم) أى فى دينه وصفاته وروى أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسداً فهذه خصومتهم فى ربهم (فالذين كفروا) هو فصل الخصومة المعنى بقوله تعالى «إن الله يفصل بينهم يوم القيامة» وفى رواية عن الكسائى خصمان بالكسر ۞ وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنه لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها (يصهر) يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة أى إذا صب الحميم على رؤسهم كان تأثيره فى الباطن نحو تأثيره فى الظاهر فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ، والمقامع : السياط . فى الحديث : لو وضعت مقمعة منها فى الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها . وقرأ الأعمش ردوا فيها والإعادة والرد لايكون إلا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج مايروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك (يحلون) عن ابن عباس من حليت المرأة فهى حال (ولؤلؤاً) بالنصب على ويؤتون لؤلؤاً كقوله وحوراً عينا ولؤلؤاً بقلب الهمزة الثانية واواً ولوليا بقلبهما واوين ثم تقلب الثانية ياء كأدل ولول كأدل فيمن جر ولولو وليليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس وهداهم الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهداهم إلى طريق الجنة يقال فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين لايراد حال ولا استقبال وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة فى جميع أزمنته وأوقاته ومنه قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أى الصدود منهم مستمر دائم (للناس) أى الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانئ وطارئ ومكى وآفاقى وقد استشهد به أصحاب أبى حنيفة قائلين إن المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة وإجارتها وعند الشافعى لايمتنع ذلك وقد حاور إسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين أخرجوا

(قوله من حليت المرأة فهى حال) الذى فى الصحاح حليت المرأة أى صارت ذات حلى فهى حلية وحالية
(قوله بين حاضر وباد وتانئ وطارئ) فى الصحاح تنأت بالبلد تنوءاً قطنته والتانئ من ذلك

عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۞ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ

من ديارهم وقال أنسب الديار إلى مالكيها أو غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه دار السجن من مالكيه أو غير مالكيه (سواء) بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثانى مفعولى جعلناه أى جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وفى القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الإلحاد العدول عن القصد وأصله إلحاد الحافر وقوله (بإلحاد بظلم) حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراداً ما عادلا عن القصد ظالما (نذقه من عذاب أليم) يعنى أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل فى جميع ما يهم به ويقصده وقيل الإلحاد فى الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل فى المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبدالله ابن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل فقيل له فقال كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من أتى فيه بإلحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد إلحاده بظلم أراد إلحاداً فيه فأضافه على الاتساع فى الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد أن يلحد فيه ظالما وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك عن ابن مسعود الهمة فى الحرم تكتب ذنبا ۞ واذكر حين جعلنا (لإبراهيم مكان البيت) مباءة أى مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم ۞ وإن هى المفسرة (فإن قلت) كيف يكون النهى عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيراً للتبوئة (قلت) كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا إبراهيم قلنا له (لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى) من الأصنام والأوثان والأقذار أن تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة (وأذن فى الناس) ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج أن يقول حجوا وعليكم بالحج وروى أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع (رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على حال كأنه قال رجالا وركبانا (يأتين) صفة لكل ضامر لأنه فى معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق نكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادات وعن أبى حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلى فيما يتقرب به إلى أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا فى أيام معلومات بهيمة الأنعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة ۞ الأيام المعلومات أيام العشر عند أبى حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه أيام النحر البهيمة مبهمة فى كل ذات أربع فى البر والبحر فبينت بالأنعام وهى الإبل والبقر والضأن والمعز ۞ الأمر بالأكل منها أمر إباحة لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثمة استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود أنه بعث بهدى وقال فيه إذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه إلى عتبة يعنى ابنه وفى الحديث كلوا وادخروا وائتجروا

(قوله من الأصنام والأوثان والأقذار) فى الصحاح الوثن الصنم (قوله بعيدة العمق والمعق) فى الصحاح المعق قلب العمق والإمعاق مثل الإعماق وهو ما بعد من أطراف المفاوز (قوله كلوا وادخروا وائتجروا) الظاهر أن المراد اطلبوا الأجر بالصدقة

لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۞ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۞ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۞

(البائس) الذى أصابه بؤس أى شدة و (الفقير) الذى أضعفه الإعسار قضاء التفث : قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد ، والتفث الوسخ فالمراد قضاء إزالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء (نذورهم) مواجب حجهم أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر فى حجهم (وليطوفوا) طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذى هو من أركان الحج ويقع به تمام التحالل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع (العتيق) القديم لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة أعتق من الجبابرة كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير (فإن قلت) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (قلت) ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل (ذلك) خبر مبتدإ محذوف أى الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه فى بعض المعانى ثم إذا أراد الخوض فى معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما فى جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصاً فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل (فهو خير له) أى فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها ۞ المتلو لا يستثنى من الأنعام ولكن المعنى (إلا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله فى سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه فى كتابه فحافظوا على حدوده وإياكم أن تحرموا مما أحل شيئا كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم الله كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك ۞ لما حث على تعظيم حرماته وأحمد من يعظمها أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفى الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور فى قرآن واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه فى القبح والسماجة وما ظنك بشىء من قبيله عبادة الأوثان ۞ وسمى الأوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه يعنى أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة فى اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب (من الأوثان) بيان للرجس وتمييز له كقولك عندى عشرون من الدراهم لأن الرجس منهم يتناول غير شىء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان ۞ والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما أن الإفك من إفكه إذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عدلت شهادة الزور الإشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول أهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ۞ يجوز فى هذا التشبيه أن يكون

۞ قوله تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (قال) يجوز فى

(قوله وأحمد من يعظمها) فى الصحاح أحمدته وجدته محمودا موافقا مرضيا

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۞ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ۞ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ

من المركب والمفرق فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان فى علوه بالسماء والذى ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التى تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذى يطوح به فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ۞ وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهى قراءة الحسن وأصلها تختطفه ۞ وقرئ الرياح ۞ تعظيم الشعائر وهى الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حسانا سمانا غالية الأثمان ويترك المكاس فى شرائها فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والأضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله

هذا التشبيه أن يكون مركبا ومفرقا فإن كان مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة من خرّ من السماء فاختطفته الطير فصيرته مزعا فى حواصلها أوعصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان فى علوه بالسماء والذى ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء وشبه الأهواء التى تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذى يطوح به فى وادى الضلالة بالريح تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة (قال أحمد) أما على تقدير أن يكون مفرقا فيحتاج تأويل تشبيه المشرك بالهاوى من السماء إلى التنبيه على أحد أمرين إما أن يكون الإشراك المراد ردته فإنه حينئذ كمن علا إلى السماء بإيمانه ثم هبط بارتداده وإما أن يكون الإشراك أصلياً فيكون قدعد تمكن المشرك من الإيمان ومن العلو به ثم عدوله عنه اختيارا بمنزلة من علا إلى السماء ثم هبط كما قال تعالى «والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات» فعدهم مخرجين من النور ومادخلوه قط ولكن كانوا متمكنين منه وقد مضى تقرير هذا المعنى بأبسط من هذا وفى تقريره تشبيه الأفكار المتوزعه للكافر بالطير المختطفة وفى تشبيه تطويح الشيطان بالهوى مع الريح فى مكان سحيق نظر لأن الأمرين ذكرا فى سياق تقسيم حال الكافر إلى قسمين فإذا جعل الأول مثلا لاختلاف الأهواء والأفكار والثانى مثلا لنزغ الشيطان فقد جعلهما شيئا واحدا لأن توزع الأفكار واختلاف الأهواء مضاف إلى نزغ الشيطان فلا يتحقق التقسيم المقصود والذى يظهر فى تقرير التشبيهين غير ذلك فنقول لما انقسمت حال الكافر إلى قسمين لامزيد عليهما الأول منهما المتذبذب والمتمادى على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشركين مشبه بمن احتطفته الطير وتوزعته فلا يستولى طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر وذلك حال المذبذب لايلوح له خيال إلااتبعه ونزل عما كان عليه والثانى مشرك مصمم على معتقد باطل لونشر بالمناشير لم يكع ولم يرجع لاسبيل إلى تشكيكه ولامطمع فى نقله عماهو عليه فهو فرح مبتهج لضلالته فهذا مشبه فى إقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح إلى واد سافل فاستقر فيه ونظير تشبيهه بالاستقرار فى الوادى السحيق الذى هو أبعد الأحياء عن السماء وصف ضلاله بالبعد فى قوله تعالى «أولئك فى بعيد» «وضلوا ضلالا بعيدا» أى صمموا على ضلالهم فبعد رجوعهم إلى الحق فهذا تحقيق القسمين والله أعلم

(قوله فتفرق مزعا فى حواصلها) مفرده مزعة بالضم أى قطعة لحم كما فى الصحاح والمطاوح المقاذف وطاح يطوح ويطيح هلك وسقط وطوّحته الطوائح قذفته القواذف كذا فى الصحاح أيضا

مَحِلُّهَآ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۞ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞

صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لابد أن يقام به ويسارع فيه (فإنها من تقوى القلوب) أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لابد من راجع من الجزاء إلى من ليرتبط به وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء (إلى أجل مسمى) إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها ۞ و (ثم) التراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الأحوال والمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطاً في النفع (محلها إلى البيت) أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لأن الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها إلى البيت العتيق يأباه ۞ شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك ۞ وقرئ (منسكا) بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع (فله أسلموا) أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما أي خالصا لاتشوبوه بإشراك المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الأرض وقيل هم الذين لايظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقرأ الحسن (والمقيمي الصلاة) بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الأصل (البدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الإبل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة وأصحابه وإلا فالبدن هي الإبل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن أبي إسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه (من شعائر الله) أي من إعلام الشريعة التي شرعها الله وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها (لكم فيها خير) كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابراهيم من احتاج إلى ظهرها ركب ومن احتاج إلى لبنها شرب وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك (صواف) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي أي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضاً من حرف الإطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب أعط القوس باريها بسكون الياء وجوب الجنوب وقوعها على

(قوله مجللة بالقباطي) في الصحاح القبط أهل مصر والقبطية ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر والجمع قباطي
(قوله وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب) لعله صوافي بالسكون

لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۞ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ

الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط ووجبت الشمس وجبة غربت والمعنى فإذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الأكل منها والإطعام (القانع) السائل من قنعت إليه وكنعت إذا خضعت له وسألته قنوعا (والمعتر) المعترض بغير سؤال أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعاً وقناعة والمعتر المعترض بسؤال وقرأ الحسن والمعترى وعزه وعراه واعتراه واعتره بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع ۞ من الله على عباده واستحمد اليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذى رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للأخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون فى لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر منها جرما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الإبل شاهداً وعبرة ۞ أى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ماقرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فإذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وإن كثر ذلك منهم وقرئ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت ۞ كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته إياكم لإعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته ۞ خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال إنهم لهم المنصورون وقال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة فى ذلك أنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ فى الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ ۞ أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبنى للفاعل والمفعول جميعا والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) أى بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فإنى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد مانهى عنه فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم فى مقاتلتهم ۞ والاخبار بكونه قادراً على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة ومامر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضا (أن يقولوا) فى محل الجر على الإبدال من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ۞ دفع الله بعض الناس ببعض إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لأنه

(قوله وسكنت نسائسها) فى الصحاح النسيسة والنسيس الإيكال بين الناس والنسائس النمائم والنسيس بقية الروح وفيه أيضاً الإيكال بين الناس السعى بينهم (قوله ويغمطونها) أى يحقرونها

اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۞ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۞ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۞ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۞ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي

يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا (من ينصره) أى ينصر دينه وأولياءه هو أخبار من الله عزوجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضى الله عنهم أن مكنهم فى الأرض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ فى ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا (ولله عاقبة الأمور) أى مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست بأوحدى فى التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة (فإن قلت) لم قيل (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى (قلت) لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شىء آخر كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره ۞ النكير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا ۞ كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش ۞ والخاوى الساقط من خوى النجم إذا سقط أو الخالى من خوى المنزل إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل وقوله (على عروشها) لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أى خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وإما أن يكون خبراً بعد خبر كأنه قيل هى خالية وهى على عروشها أى قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت فى قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهى مشرفة على السقوف الساقطة (فإن قلت) ما محل الجملتين من الإعراب أعنى وهى ظالمة فهى خاوية (قلت) الأولى فى محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل قرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها

۞ قوله تعالى فقد كذبت قبلهم إلى قوله وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم (قال فإن قلت) لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى بدون تكرير التكذيب قلت لأن قوم موسى هم بنو إسرائيل ولم يكذبوه وإنما كذبه القبط أو لأن آيات موسى كانت باهرة ظاهرة فكأنه (قال وكذب موسى أيضا على ظهور آياته) قال أحمد ويحتمل عندى والله أعلم أنه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم ينته إلى موسى إلا بعد طول الكلام حسن تكريره ليلى قوله فأمليت للكافرين فيتصل المسبب بالسبب كما قال فى آية قٓ بعد تعديدهم كل كذب الرسل «فحق وعيد» فربط العقاب

(قوله مع بقاء عروشها وسلامها) السلام الحجارة واحدها سلمة بكسر اللام أفاده الصحاح (قوله وبقيت الحيطان مائلة) أى منتصبة قائمة أفاده الصحاح

ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۞ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۞ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞

عطلت أى تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفى هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه روى أن هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت وإنما سميت بذلك لأن صالحاً حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمّروا عليهم جلهس ابن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا وقرئ (فيكون لهم قلوب) بالياء أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحى (فإنها) الضمير ضمير الشأن والقصة يجىء مذكراً ومؤنثاً وفى قراءة ابن مسعود فإنه ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً يفسره (الأبصار) وفى تعمى ضمير راجع إليه والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم أو لا يعتدّ بعمى الأبصار فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب (فإن قلت) أى فائدة فى ذكر الصدور (قلت) الذى قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله فى القلب استعارة ومثل فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذى بين فكيك فقولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لأن محل المضاء هو هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهواً منى ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمداً ۞ أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوّزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوما واحداً عنده كألف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه فى طول ألف سنة من سنيكم لأن أيام الشدائد مستطالة أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سنى العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده فى النظرة والإمهال وقرئ تعدون بالتاء والياء ثم قال وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع إلىّ وإلى حكمى (فإن قلت) لم كانت الأولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو (قلت) الأولى وقعت بدلا عن قوله «فكيف كان نكير» وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعنى قوله ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة يقال سعيت فى أمر فلان إذا أصلحه أو أفسده بسعيه وعاجزه سابقه لأن كل واحد منهما فى طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا فى معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحراً وشعراً وأساطير

والوعيد ووصلهما بالتكذيب بعد أن جدد ذكره والله أعلم ۞ قوله تعالى «وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون» (قال فيه إنذار بحلم الله تعالى ووقاره واستقصاره الأمد الطويل حتى إن يوما واحداً عنده كألف سنة) قال أحمد الوقار المقرون بالحلم يفهم لغة السكون وطمأنينة الأعضاء عند المزعجات والأناة والتؤدة ونحو ذلك مما لا يطلق على الله تعالى إلا بتوقيف وأما الوقار فى قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا فقد فسر بالعظمة فليس من هذا وعلى الجملة فهو موقوف على ثبت فى النقل

فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۞ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً

ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم الإسلام يتم لهم (فإن قلت) كأن القياس أن يقال إنما أنا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده (قلت) الحديث مسوق إلى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا فى الأرض ووصفوا بالاستعجال وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا (من رسول ولا نبىّ) دليل بين على تغاير الرسول والنبى وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبىّ غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله والسبب فى نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو فى نادى قومه وذلك التمنى فى نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الأخرى (ألقى الشيطان فى أمنيته) التى تمناها أى وسوس إليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى وروى الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادى وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نوراً وإيقاناً والمعنى أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقى فى أمانيهم مثل ما ألقى فى أمنيتك إرادة امتحان من حولهم والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد فى عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وأنشد :

تمنى كتاب الله أوّل ليلة ۞ تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق إشارة إلى الملائكة أى هم الشفعاء لا الأصنام (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يذهب به ويبطله (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها ۞ والذين (فى قلوبهم مرض) المنافقون والشاكون (والقاسية قلوبهم) المشركون المكذبون (وإن الظالمين) يريد وإن هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (أنه الحق من ربك) أى ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة (وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى) أن يتأولوا ما يتشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الأصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل أقدامهم وقرئ لهادى الذين آمنوا بالتنوين ۞ الضمير فى (مرية منه) للقرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم ۞ اليوم العقيم يوم بدر وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذى لا خير فيه يقال ريح عقيم إذا لم تنشئ مطراً ولم تلقح شجراً وقيل لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة عليهم السلام فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة

أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۞ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۞ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۞ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۞ ذَلِكَ
وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ
اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞

وكأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير (فإن قلت) التنوين فى (يومئذ) عن أى جملة ينوب (قلت) تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله ولايزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة فى سبيل الله سوى بينهم فى الموعد وأن يعطى من مات منهم مثل مايعطى من قتل تفضلا منه وإحسانا ۞ والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم (حليم) عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روى أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ماأعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فأنزل الله هاتين الآيتين ۞ تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث أنه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة ۞ (فإن قلت) كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع (قلت) المعاقب مبعوث من جهة الله عزّ وجلّ على الإخلال بالعقاب والعفو عن الجانى على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح إن آثر ماندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر فى قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور فإنّ الله لعفو غفور أى لايلومه على ترك مابعثه عليه وهو ضامن لنصره فى كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغى عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغى ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دلّ بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لايوصف بالعفو إلا القادر على ضده (ذلك) أى ذلك النصر بسبب أنه قادر ۞ ومن آيات قدرته البالغة أنه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه مايجرى فيهما على أيدى عباده من الخير والشر والبغى والإنصاف وأنه (سميع) لما يقولون (بصير) بما يفعلون (فإن قلت) مامعنى إيلاج أحد الملوين فى الآخر (قلت) تحصيل ظلمة هذا فى مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك فى مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضىء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته فى أحدهما ماينقص من الآخر من الساعات ۞ وقرئ (تدعون) بالتاء والياء وقرأ اليمانى وإن مايدعون بلفظ المبنى للمفعول والواو راجعة إلى مالأنه فى معنى الآلهة أى ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والإحاطة بمايجرى فيهما وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت إلهيته وإن كل مايدعى إلها دونه باطل الدعوة وأنه لاشىء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا ۞ قرئ (مخضرة) أى ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة (فإن قلت) هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع (قلت) لنكتة فيه وهى إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان

(قوله كما يضىء السرب بالسراج) السرب بالفتح الطريق والسرب بالتحريك بيت فى الأرض أفاده الصحاح
(قوله بسبب أنه الله الحق الثابت) لعله أنّ الله كعبارة النسق

لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ۞ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ

كما تقول أنعم على فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكراله ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع (فإن قلت) فماله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام (قلت) لو نصب لأعطى ماهو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفى الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أنى أنعمت عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وإن رفعته فأنت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم فى علم الإعراب وتوقير أهله (لطيف) واصل علمه أو فضله إلى كل شىء (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم (مافى الأرض) من البهائم مذللة للركوب فى البر ومن المراكب جارية فى البحر وغير ذلك من سائر المسخرات ۞ وقرئ (والفلك) بالرفع على الابتداء (أن تقع) كراهة أن تقع (إلا) بمشيئته (أحياكم) بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة (لكفور) لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ۞ هو نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لاتلتفت إلى قولهم ولاتمكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة فى الدين وهم جهال لاعلم عندهم وهم كفار خزاعة روى أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ماقتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهى له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لايضاربنك فلان أى لا تضاربه وهذا جائز فى الفعل الذى لا يكون إلا بين اثنين (فى الأمر) فى أمر الدين وقيل فى أمر النسائك وقرئ فلا ينزعنك أى أثبت فى دينك ثباتا لايطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت للنبى صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولايصدنك عن آيات الله ولاتكونن من المشركين فلاتكونن ظهيرا للكافرين وهيهات أن ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ماقلت لك من إرادة التهييج والإلهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته أنزعه أى غلبته أى لايغلبنك فى المنازعة ۞ (فإن قلت) لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه (قلت) لأن تلك وقعت مع مايدانيها ويناسبها من الآى الواردة فى أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا ۞ أى وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين (الله يحكم بينكم) خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة للنبى صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه

۞ قوله تعالى وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (قال فيه معناه أن الله عالم بالذات لايتعذر عليه تعلق بمعلوم (قال أحمد وقد تقدم مثله وأنكرنا عليه تحميله القرآن مالا يحتمله فإن الأعلم فى اللغة ذو العلم الزائد المفضل على علم غيره فكيف يفسر بما ينفى صفة العلم البتة هب أن الأدلة العقلية لاوجود لها والله الموفق للصواب

(قوله فإن قلت لم جاءت نظيرة) هى قوله تعالى ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله الخ

ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۞ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۞ مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۞ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ

مايعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل مايحدث فى السموات والأرض وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه ۞ والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه (يسير) لأن العالم الذات لايتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم (ويعبدون) مالم يتمسكوا فى صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى والسمع ولا ألجأهم إليها علم ضرورى ولا حملهم عليها دليل عقلى (وما) للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (المنكر) الفظيع من التجهم والبسور أو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام ۞ وقرئ يعرف والمنكر ۞ والسطو الوثب والبطش ۞ قرئ (النار) بالرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف كأنّ قائلا قال ماهو فقيل النار أى هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ماتلى عليكم (وعدها الله) استئناف كلام ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبراً وأن يكون حالا عنها إذا نصبتها أو جررتها بإضمار قد ۞ (فإن قلت) الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا (قلت) قد سميت الصفة أو القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم ۞ قرئ (تدعون) بالتاء والياء ويدعون مبنياً للمفعول (لن) أخت لافى نفى المستقبل إلا أن لن تنفيه نفياً مؤكداً وتأكيده ههنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا (فإن قلت) ماحل (ولواجتمعوا له) (قلت) النصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزله الله فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على أنّ الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالآلهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ماخلقه وأذله وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا ۞ وقوله (ضعف الطالب والمطلوب) كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لأن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ماقدروا الله حق قدره) أى ماعرفوه حق معرفته حتى لايسموه باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له إن الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به ۞ هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ۞ ثم ذكر أنه تعالى دراك للمدركات عالم بأحوال المكلفين مامضى منها وما غبر لايخفى عليه منهم خافية ۞ وإليه مرجع الأمور كلها والذى هو

(قوله الفظيع من التجهم والبسور) كل منهما كلوح الوجه أفاده الصحاح (قوله وتأكيده ههنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل) لعله للدلالة كعبارة النسفى (قوله إن الشيطان قد خزمهم بخزائمه) فى الصحاح خزمت البعير بالخزامة وهى حلقة من شعر تجعل فى وترة أنفه يشدّ فيها الزمام

الْمَلَـٰئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَـٰهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَـٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّـٰكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَـٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ *

بهذه الصفات لايسأل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله * للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات وفى هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثمة دعا المؤمنين أولا إلى الصلاة التى هى ذكر خالص ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عمّ بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى (واعبدوا ربكم) اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس فى قوله (وافعلوا الخير) صلة الأرحام ومكارم الأخلاق (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله فى سورة الحج سجدتان قال نعم إن لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعى رضى الله عنه فرأى سجدتين فى سورة الحج وأبوحنيفة وأصحابه رضى الله عنهم لايرون فيها إلا سجدة واحدة لأنهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على أنها سجدة صلاة لاسجدة تلاوة (وجاهدوا) أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (فى الله) أى فى ذات الله ومن أجله * يقال هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا وجدا ومنه (حق جهاده) (فإن قلت) ماوجه هذه الإضافة وكان القياس حق الجهاد فيه أوحق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا فى الله (قلت) الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يتسع فى الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا (اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بأنواع الرخص والكفارات والديات والأروش ونحوه قوله تعالى «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وامة محمد صلى الله عليه وسلم هى الأمة المرحومة الموسومة بذلك فى الكتب المتقدمة * نصب الملة بمضمون ماتقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه أو على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد (فإن قلت) لم يكن (إبراهيم) أبا للأمة كلها (قلت) هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لأمته لأنّ أمة الرسول فى حكم أولاده (هو) يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى إبراهيم ويشهد للقول الأول قراءة أبى بن كعب الله سماكم (من قبل وفى هذا) أى من قبل القرآن فى سائر الكتب وفى القرآن أى فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) بأنّ الرسل قد بلغتهم * وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه وثقوا به ولاتطلبوا النصرة والولاية إلا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

سورة المؤمنون مكية

وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ

﴿سورة المؤمنون مكية وهى مائة وتسع عشرة آية وثمانى عشرة عند الكوفيين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قد) نقيضة لما هى تثبت المتوقع ولما تنفيه ولاشك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهى الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه ۝ الفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء فى الخير و(أفلح) دخل فى الفلاح كأبشر دخل فى البشارة ويقال أفلحه أصاره إلى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلونى البراغيث أو على الإبهام والتفسير وعنه أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو أن الأطبا كان حولى ۝ (فإن قلت) ما المؤمن (قلت) هو فى اللغة المصدق وأما فى الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البر التقى دون الفاسق الشقى ۝ الخشوع فى الصلاة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو إلزامه موضع السجود وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى رافعاً بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشدّ بصره إلى شىء أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كفّ الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطى والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصا . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال «لو خشع قلبه خشعت جوارحه» ونظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصا وهو يقول اللهمّ زوجنى الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث (فإن قلت) لم أضيفت الصلاة إليهم (قلت) لأنّ الصلاة دائرة بين المصلى والمصلى له فالمصلى هو المنتفع بها وحده وهى عدّته وذخيرته فهى صلاته وأمّا المصلى له فغنى متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها ۝ اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه وإطراحه يعنى أنّ بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل ۝ لما وصفهم بالخشوع فى الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على

﴿القول فى سورة المؤمنون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الآية) قال اختلف فى الإيمان على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فقد اتصف بالإيمان والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البر التقى دون الفاسق الشقى (قال أحمد والأول مذهب الأشعرية والثانى مذهب المعتزلة والموحد الفاسق عندهم لا مؤمن ولا كافر ولو لم يبن المعتزلة على هذا المعتقد تحريم الجنة على الموحد الفاسق بناء على أنه لا يندرج فى وعد المؤمنين لكان البحث معهم لفظيا ولكن رتبوا على ذلك أمرا عظيما من أصول الدين وقواعده وقد نقل القاضى عنهم فى رسالة الإيمان خبطا طويلا فنقل عن قدمائهم كعمرو بن عبيد وطبقته أنّ الإيمان هو التصديق بالقلب وجميع فرائض الدين فعلا وتركا ونقل عن أبى الهذيل العلاف أنّ الإيمان هو جميع فرائض الدين ونوافله ومختصر دليل القاضى لأهل السنة أنّ الإيمان لغة هو مجرد التصديق اتفاقا فوجب أن يكون كذلك شرعا عملا بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه مع سلامته عن معارضة النقل فإنه لو كان لنبيه عليه الصلاة والسلام ولو بينه لنقل لأنه مما يبتنى عليه قاعدة الوعد والوعيد ولم ينقل لأنّ النقل إما آحاد أو تواتر إلى آخر مادته

مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۞ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ وَلَقَدْ

الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف ۞ الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب إلى الفقير والمعنى فعل المزكى الذى هو التزكية وهو الذى أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكى فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول فى جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشد لأمية ابن أبى الصلت المطعمون الطعام فى السنة الأزمة والفاعلون للزكوات

ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء وحمل البيت على هذا أصح لأنها فيه مجموعة (على أزواجهم) فى موضع الحال أى الاوالين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أى واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المرأة فراشا والمعنى أنهم لفروجهم حافظون فى كافة الأحوال إلا فى حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أى يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسى على تضمينه معنى النفى كما ضمن قولهم نشدتك بالله إلا فعلت معنى ما طلبت منك إلا فعلك (فإن قلت) هلا قيل من ملكت (قلت) لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجرى مجرى غير العقلاء وهم الإناث ۞ جعل المستثنى حدا أوجب الوقوف عنده ثم قال فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو إباحة أربع من الحرائر ومن الإماء ما شئت (فأولئك هم) الكاملون فى العدوان المتناهون فيه (فإن قلت) هل فيه دليل على تحريم المتعة (قلت) لا لأن المنكوحة نكاح المتعة من جملة الأزواج إذا صح النكاح ۞ وقرئ لأمانتهم سمى الشىء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وقال وتخونوا أماناتكم وإنما تؤدى العيون لا المعانى ويخان المؤتمن عليه لا الأمانة فى نفسها ۞ والراعى القائم على الشىء بحفظ وإصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية ويقال من راعى هذا الشىء أى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم ۞ وقرئ (على صلاتهم) (فإن قلت) كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا (قلت) هما ذكران مختلفان فليس بتكرير، وصفوا أولا بالخشوع فى صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها فى أوقاتها ويقيموا أركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغى أن تتم به أوصافها وأيضا فقد وحدت أولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أى صلاة كانت وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على أعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر

۞ قوله تعالى «والذين هم للزكاة فاعلون» (قال) الزكاة تطلق ويراد بها العين المخرجة وتطلق ويراد بها فعل المزكى الذى هو التزكية ويتعين ههنا أن يكون المراد التزكية لقوله فاعلون إذ العين المخرجة لم يفعلها المزكى ثم ضبط المصدر على الإطلاق بأنه الذى يصدق عليه أنه فعل الفاعل فعلى هذا تكون العين المخرجة مصدرا بالنسبة إلى الله تعالى وكذلك السموات والأرض وكل مخلوق من جوهر وعرض قال فجميع الحوادث إذا قيل من فاعلها فيقال الله أو بعض الخلق (قال أحمد) ويقول السنى فاعل جميعها هو الله وحده لا شريك له ولكن إذا سئل بصيغة مشتقة من الفعل على طريقة اسم الفاعل مثل أن يقال له من القائم من القاعد أجاب بمن خلق الله الفعل على يديه وجعله محلا له كزيد وعمرو

خَلَقْنَا الْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَـٰلِقِينَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ۝ فَأَنشَأْنَا لَكُم

والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل ۝ أى (أولئك) الجامعون لهذه الأوصاف (هم الوارثون) الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون الفردوس) فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لاتخفى على الناظر ومعنى الإرث مامرّ فى سورة مريم ۝ أنث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر روى أنّ الله عزّ وجلّ بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ۝ السلالة الخلاصة لأنها تسلّ من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهرانى الطين (فإن قلت) ماالفرق بين من ومن (قلت) الأول للابتداء والثانى للبيان كقوله من الأوثان (فإن قلت) مامعنى (جعلنا) الإنسان (نطفة) (قلت) معناه أنه خلق جوهر الإنسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة ۝ القرار المستقرّ والمراد الرحم وصفت بالمكانة التى هى صفة المستقرّ فيها كقولك طريق سائر أو بمكانتها فى نفسها لانها مكنت بحيث هى وأحرزت ۝ قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لأنّ الإنسان ذو عظام كثيرة (خلقا آخر) أى خلقا مباينا للخلق الأوّل مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لاتدرك بوصف الواصف ولاتبلغ بشرح الشارح وقد احتجّ به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولايرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره فى قدرته وعلمه (أحسن الخالقين) أى أحسن المقدّرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه فى قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروى عن عمر رضى الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى أنّ عبدالله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبى ﷺ فنطق بذلك قبل إملائه فقال له النبى ﷺ اكتب هكذا نزلت فقال عبدالله إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبىّ يوحى إلىّ فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح ۝ قرأ ابن أبى عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت أنّ الميت كالحى صفة ثابتة وأمّا المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق فى قوله تعالى «وضائق به صدرك» جعل الإماتة التى هى إعدام الحياة والبعث الذى هو إعادة مايفنيه ويعدمه دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع (فإن قلت) فإذاً لاحياة إلاحياة الإنشاء وحياة البعث (قلت) ليس فى ذكر الحياتين نفى الثالثة وهى حياة القبر كما لو ذكرت ثلثى ماعندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه الأجناس الثلاثة الإنشاء والإماتة والإعادة والمطوى ذكرها من جنس الإعادة ۝ الطرائق السموات لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شىء فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الأفلاك لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها ۝ أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم (وما كنا) عنها (غافلين) وعن حفظها وإمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلا عنهم ومايصلحهم (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة

بِهِ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَقَالَ الْمَلَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ

أو بمقدار ماعلمناه من حاجاتهم ومصالحهم (فأسكناه فى الأرض) كقوله فسلكه ينابيع فى الأرض وقيل جعلناه ثابتا فى الأرض وقيل إنها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم ۝ وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته وقوله (على ذهاب به) من أوقع النكرات وأحرها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه إيذان باقتدار المذهب وأنه لايتعايا عليه شىء إذا أراده وهو أبلغ فى الإيعاد من قوله قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة فى الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها إذا لم تشكر ۝ خص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم يأكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها طعمته وجهته التى منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء أى ومما أنشئ لكم شجرة (طور سيناء) وطور سينين لايخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن أضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها بقعة وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لأن الألف للتأنيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودى موسى عليه السلام وقرأ الأعمش سينا على القصر (بالدهن) فى موضع الحال أى تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ۝ قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل والثانى أن مفعوله محذوف أى تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفى حرف أبى تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الأعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة فى قوله توقد من شجرة مباركة ۝ قرئ تسقيكم بتاء مفتوحة أى تسقيكم الأنعام (ومنها تأكلون) أى تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لايؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير وفيها منفعة زائدة وهى الأكل الذى هو انتفاع بذواتها والقصد بالأنعام إلى الإبل لأنها هى المحمول عليها فى العادة وقرنها بالفلك التى هى السفائن لأنها سفائن البر قال ذو الرمة ۝ سفينة بر تحت خدى زمامها ۝ يريد صيدحه (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للأمر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التى لاتحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شىء (أن

(قوله يريد صيدحه) أى ناقته المسماة بصيدح

وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا الْأَوَّلِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ قَالَ رَبِّ انصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۞ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۞ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى نَجَّـٰنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ۞

يتفضل عليكم) أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء فى الأرض (بهذا) إشارة إلى نوح عليه السلام أو إلى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله أى ما سمعنا بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا الذى يدعى وهو بشر أنه رسول الله وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا الإلهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على أنهم وآباؤهم كانوا فى فترة متطاولة أو تكذبوا فى ذلك لانهماكهم فى الغى وتشمرهم لأن يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ألا تراهم كيف جننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولا ۞ والجنة الجنون أو الجن أى به جن يخبلونه (حتى حين) أى احتملوه واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلى أمره عن عاقبة فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه ۞ فى نصرته إهلاكهم فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم إياى أو انصرنى بدل ما كذبونى كما تقول هذا بذاك أى بدل ذاك ومكانه والمعنى أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم أو انصرنى بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (بأعيننا) بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله حفاظا يكلؤنه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة (ووحينا) أى نأمرك كيف تصنع ونعلمك روى أنه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر ۞ روى أنه قيل لنوح عليه السلام إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار إلى نوح واختلف فى مكانه فعن الشعبى فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس رضى الله عنه التنور وجه الأرض وعن قتادة أشرف موضع فى الأرض أى أعلاه وعن على رضى الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمى الوطيس والقول هو الأول ۞ يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلكه قال ۞ حتى إذا سلكوهم فى قتائدة (من كل زوجين) من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين أى من كل أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان ۞ جىء بعلى مع سبق الضار كما جىء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى» «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين» ونحوه قوله تعالى «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» وقول عمر رضى الله عنه ليتها كانت كفافا لا علىّ ولا لى ۞ (فإن قلت) لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة (قلت) لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وإيجاب الحكمة أن يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة فى إغراقهم والمفسدة فى استبقائهم وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا إلا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ فى ذلك حيث أتبع النهى عنه الأمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ۞ ثم أمره أن يدعوه بدعاء هو أهم وأنفع له وهو طلب أن ينزله فى السفينة أو فى الأرض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة فى خير الدارين وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسئلته وهو

(قوله حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة) فى الصحاح قتائدة اسم عقبة أى فى طريق قتائدة

وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۝ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۝ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا

قوله (وأنت خير المنزلين) (فإن قلت) هلا قيل فقولوا لقوله فإذا استويت أنت ومن معك لأنه فى معنى فإذا استويتم (قلت) لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع مافيه من الإشعار بفضل النبوة وإظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لايترقى اليها إلا ملك أونبى ۝ وقرئ منزلا بمعنى إنزالا أوموضع إنزال كقوله : ليدخلنهم مدخلا يرضونه (إن) هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها فى المعنى وإن الشان والقصة (كنا لمبتلين) أى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أومختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويدكر كقوله تعالى : ولقد تركناها آية فهل من مدكر (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضى الله عنهما وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجىء قصة هود على أثر قصة نوح فى سورة الأعراف وسورة هود والشعراء (فإن قلت) حق أرسل أن يعدى بإلى كأخواته التى هى وجه وأنفذ وبعث فما باله عدى فى القرآن بإلى تارة وبفى أخرى كقوله كذلك أرسلناك فى أمة وماأرسلنا فى قرية من نذير (فأرسلنا فيهم رسولا) أى فى عاد وفى موضع آخر وإلى عاد أخاهم هوداً (قلت) لم يعد بفى كما عدى بإلى ولم يجعل صلة مثله ولكن الأمة أوالقرية جعلت موضعاً للإرسال كما قال رؤبة ۝ أرسلت فيها مصعباً ذا إقحام وقد جاء بعث على ذلك فى قوله ولوشئنا لبعثنا فى كل قرية نذيراً (أن) مفسرة لأرسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) (فإن قلت) ذكر مقال قوم هود فى جوابه فى سورة الأعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة قالوا ياهود ماجئتنا ببينة وههنا مع الواو فأى فرق بينهما (قلت) الذى بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذى مع الواو فعطف لما قالوه على ماقاله ومعناه أنه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ماهما (بلقاء الآخرة) بلقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك ياحبذا جوار مكة أى جوار الله فى مكة حذف الضمير والمعنى من مشروبكم أو حذف منه لدلالة ماقبله عليه (إذا) واقع فى جزاء الشرط وجواب الذين قاولوهم من قومهم أى تخسرون عقولكم وتغبنون فى آرائكم ۝ ثنى (أنكم) للتوكيد وحسن ذلك لفصل مابين الأول والثانى بالظرف ومخرجون خبر عن الأول أوجعل إنكم مخرجون مبتدأ وإذا متم خبرا على معنى إخراجكم إذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كأنه قيل إذا متم وقع إخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن إنكم وفى قراءة ابن مسعود أيعدكم إذا متم ۝ قرئ (هيهات) بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف (فإن قلت) ماتوعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع فى قوله ۝ فهيهات هيهات العقيق وأهله ۝ فماهذه اللام (قلت) قال الزجاج فى تفسير البعد لما توعدون أوبعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ماهو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به هذا ضمير لايعلم مايعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن الحياة (إلا حياتنا الدنيا) ثم وضع هى موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هى النفس تتحمل ماحملت وهى العرب تقول ماشاءت والمعنى لاحياة إلا هذه الحياة لأن إن النافية دخلت على هى التى

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۞ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ۞ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۞ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۞ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ۞ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

فى معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لاالتى نفت مابعدها نفى الجنس (نموت ونحيى) أى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتى قرن آخر ثم قالوا ماهو إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث ومانحن بمصدقين (قليل) صفة الزمان كقديم وحديث فى قولك مارأيته قديما ولا حديثا وفى معناه عن قريب وماتوكيد قلة المدة وقصرها (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من قولك فلان يقضى بالحق إذا كان عادلا فى قضاياه شبههم فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسودّ من العيدان والورق ومنه قوله تعالى فجعله غثاء أحوى وقد جاء مشددا فى قول امرئ القيس
۞ من السيل والغثاء فلكة مغزل ۞ بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها وهى من جملة المصادر التى قال سيبويه نصبت بأفعال لايستعمل إظهارها ومعنى بعدا بعدوا أى هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا و(للقوم الظالمين) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون (قرونا) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما بنى إسرائيل (أجلها) الوقت الذى حد لهلاكها وكتب (تترى) فعلى الألف للتأنيث لأنّ الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو كما فى تولج وتيقور أى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لأنّ الإضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل إليه جميعا (فأتبعنا) الأمم أو القرون (بعضهم بعضا) فى الإهلاك (وجعلناهم) أخبارا يسمر بها ويتعجب منها الأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للأحدوثة التى هى مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة وهى مما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا (فإن قلت) ما المراد بالسلطان المبين (قلت) يجوز أن تراد العصا لأنها كانت أمّ آيات موسى وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز أن تراد الآيات أنفسها أى هى آيات وحجة بينة (عالين) متكبرين «إنّ فرعون علا فى الأرض» «لايريدون علوا فى الأرض» أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغى والظلم ۞ البشر يكون واحدا وجمعا . بشرا سويا . لبشرين فإما ترين من البشر . ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث إنكم إذا مثلهم . ومن الأرض مثلهن . ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله : إنّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم (وقومهما)

(قوله بعدا وسحقا ودفرا ونحوها) فى الصحاح دفرا له أى نتنا (قوله كما فى تولج وتيقور أى متواترين) التولج كناس الوحش الذى يلج فيه قال سيبويه التاء مبدلة من الواو وهو فوعل كذا فى الصحاح وفيه أيضا التيقور الوقار وأصله ويقور قلبت الواو تاء أهو فوزنه فيعول

لعلهم يهتدون * وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين * يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون * فذرهم في غمرتهم حتى حين * أيحسبون أنما نمدهم

يعنى بنى إسرائيل كأنهم يعبدونه خضوعا وتذللا أولانه كان يدعى الإلهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة (موسى الكتاب) أى قوم موسى التوراة (لعلهم) يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملئهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير فى لعلهم إلى فرعون وملئه لأن التوراة إنما أوتيها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى (فإن قلت) لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه (قلت) نعم لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقى إليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير (وجعلنا ابن مريم) آية (وأمه) ثم حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها * الربوة والرباوة فى رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهى الأرض المرتفعة قيل هى إيليا أرض بيت المقدس وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبى هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فإنها الربوة التى ذكرها الله وقيل مصر * والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعنى أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها * والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الأرض وقد اختلف فى زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة * هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى لذلك ووصى به ليعتقد السامع أن أمراً نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه * والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذى لا يعصى الله فيه والصافى الذى لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أى آويناهما وقلنا لهما هذا أى أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقنا كما واعملا صالحا اقتداء بالرسل * قرئ وإن بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى ولأن وأن مخففة من الثقيلة و (أمتكم) مرفوعة معها وقرئ (زبرا) جمع زبور أى كتباً مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا وزبراً قطعاً استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبراً مخففة الباء كرسل فى رسل أى كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق الغمرة الماء الذى يغمر القامة

---

* وقوله عز وجل « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً » (قال محمود هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى بذلك) قال أحمد هذه نفحة اعتزالية فإن مذهب أهل السنة أن الله تعالى متكلم آمر ناه أزلا ولا يشترط فى تحقق الأمر وجود المخاطب فعلى هذا قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً على ظاهره وحقيقته عند أهل الحق وهو ثابت أزلا على تقدير وجود المخاطبين فيما لا يزال متفرقين كما فى هذا الخطاب أو مجتمعين كما فى زعمه والمعتزلة لما أبت اعتقاد قدم الكلام زلت بهم القدم حتى حملوا هذه الآية وأمثالها على المجاز وخلاف الظاهر وما بال الزمخشرى خص هذه الآية بأنها على خلاف الظاهر ومعتقده يوجب حمل مثل قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وجميع الأوامر العامة فى الأمة على خلاف الظاهر

بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۞ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۞ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ۞

فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين فى غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كأننى ضارب فى غمرة لعب وعن على رضى الله عنه فى غمراتهم (حتى حين) إلى أن يقتلوا أو يموتوا سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه وتعالى ويجوز فى يسارع ويسرع أن يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنياً للمفعول والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجاً لهم إلى المعاصى واستجراراً إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وفيما لهم فيه نفع وإكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد فى جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين و(بل) استدراك لقوله أيحسبون يعنى بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا فى ذلك أهو استدراج أم مسارعة فى الخير (فإن قلت) أين الراجع من خبر أن إلى اسمها إذا لم يستكن فيه ضميره (قلت) هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله إن ذلك لمن عزم الأمور أى إن ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس (يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا وعنها أنها قالت قلت يارسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه (يسارعون فى الخيرات) يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثانى أنهم يتعجلون فى الدنيا المنافع ووجوه الإكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا فى نيلها وتعجلوها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لأن فيه إثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون فى الخيرات (لها سابقون) أى فاعلون السبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها أو إياها سابقون أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا ويجوز أن يكون لها سابقون خبراً بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله ۞ أنت لها أحمد من بين البشر ۞ يعنى أن هذا الذى وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه فى كتاب يريد اللوح أو صحيفة الأعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد أو أراد إن الله لا يكلف إلا الوسع فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحداً من حقه ولا نحطه دون درجته ۞ بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها (من هذا) أى مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال) متجاوزة متخطية لذلك أى لما وصف به المؤمنون (هم لها) معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب ۞ وحتى هذه هى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد ۞ الجؤار الصراخ باستغاثة قال ۞ جأر ساعات النيام لربه ۞ أى يقال لهم حينئذ (لا تجأروا)

(قوله والقد) فى الصحاح القد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ۝ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ

فإنّ الجؤار غير نافع لكم (منا لا تنصرون) لا تغاثون ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومغوثة قالوا الضمير فى (به) للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم والذى سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة إلا أنهم ولاته والقائمون به ويجوز أن يرجع إلى آياتى إلا أنه ذكر لأنها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أو يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فأنتم مستكبرون بسببه أو تتعلق الباء بسامرا أى تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يتهجرون والسامر نحو الحاضر فى الإطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من أهجر فى منطقه إذا أفحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذى هو مبالغة فى هجر إذا هذى والهجر بالفتح الهذيان (القول) القرآن يقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل أ (جاءهم مالم يأت آباءهم) فلذلك أنكروه واستبدعوه كقوله: لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون. أو ليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الأمن مالم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم إسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فإنه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فإنهم كانوا على الإسلام وما شككتم فيه من شىء فلا تشكوا فى أن تبعا كان مسلما وروى فى أن ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود (أم لم يعرفوا) محمدا أو صحة نسبه وحلوله فى سطة هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بأنه خير فتيان قريش والخطبة التى خطبها أبو طالب فى نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا الجنة الجنون وكانوا يعلمون أنه برىء منها وأنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق مانشؤا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لأنه الحق الأبلج والصراط المستقيم فأخلدوا إلى البهت وعولوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر (فإن قلت) قوله (وأكثرهم) فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق (قلت) كان فيهم من يترك الإيمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبى طالب (فإن قلت) يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه

۝ قوله تعالى بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (قال فإن قلت أكثرهم يعطى أن أقلهم لا يكره الحق وكيف ذلك والكل كفرة قلت فيهم من أبى الإسلام حذرا من مخالفة آبائه ومن أن يقال صبا كأبى طالب لا كراهة للحق) قال أحمد وأحسن من هذا أن يكون الضمير فى قوله وأكثرهم على الجنس للناس كافة ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام فى قوله وأكثرهم على الجنس بجملته كقوله إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وكقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ويدل على ذلك قوله تعالى بل جاءهم بالحق والنبى صلى الله عليه وسلم جاء الناس كلهم وبعث إلى الكافة ويحتمل أن يحمل الأكثر على الكل كما حمل القليل على النفى والله أعلم وأما قول الزمخشرى إن من تمادى على الكفر وآثر

(قوله وسيط بلحومهم) أى وخلط

بَلْ أَتَيْنٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۞ أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرّٰزِقِينَ ۞ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنٰكِبُونَ ۞ وَلَوْ رَحِمْنٰهُم

(قلت) ياسبحان الله كأن أباطالب كان أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس رضى الله عنهما ويخفى إسلام أبي طالب ۞ دلّ بهذا على عظم شأن الحق وأنّ السموات والأرض ماقامت ولامن فيهن إلا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب مايقوم به العالم فلايبقى له بعده قوام أو أراد أنّ الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أنّ الحق هو الله ومعناه ولو كان الله إلها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصى لما كان إلها ولكان شيطانا ولما قدر أن يمسك السموات والأرض (بذكرهم) أى بالكتاب الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو وصيتهم وفخرهم أو بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لوأنّ عندنا ذكرا من الأوّلين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم ۞ قرئ خراجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ماتخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله وقيل الخرج ماتبرعت به والخراج مالزمك أداؤه والوجه أنّ الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير . قد ألزمهم الحجة فى هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأنّ الذى أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سرّه وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما إلى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام الذى هو الصراط المستقيم مع إبراز المكنون من أدوائهم وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل أنّ هؤلاء وصفتهم أنهم لايؤمنون بالآخرة (لناكبون) أى عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله إلى صراط مستقيم وأن كل من لايؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفى ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع والمعنى

البقاء عليه تقليدا لآبائه ليس كارها للحق فردود فإن من أحب شيئا كره ضده فإذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه إلى الإيمان ضرورة والله أعلم ثم انجر الكلام إلى استبعاد إيمان أبي طالب وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبى صلى الله عليه وسلم فلو كان قد أسلم لاشتهر إسلامه كما اشتهر إسلام العباس وحمزة وأجدر لأنه أشهر وللقائل بإسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار فلم يظهر له مواقف فى الإسلام يشتهر بها كما ظهر لغيره من عمومته عليه الصلاة والسلام هذا والظاهر أنه لم يسلم وحسبك دليلا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى فيه وأنه بعد ذلك لفى ضحضاح من نار يغلى رأسه من قدميه فإن قيل لايلزم من ذلك موته على الكفر لأنّ كثيرا من عصاة الموحدين يعذب بأكثر من ذلك قلنا من أثبت إسلامه ادعى أنّ ذلك كان قبيل الاحتضار فالإسلام جب ماقبله وتلك الدقيقة التى صار فيها من المسلمين لاتحتمل من المعاصى مايوجب ذلك والله أعلم

(قوله وإنه لم يعرض له حتى يدعى) لعله لم يعرض له جنون حتى يدعى (قوله واستهتارهم بدين الآباء الضلال) فى الصحاح فلان مستهتر بالشراب أى مولع به لايبالى ماقيل فيه (قوله حتى أكلوا العلهز) فى الصحاح العلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير فى سنى المجاعة

وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ

لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذى أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإفراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الإبلاس وهذا التماق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو أشد من الأسر والقتل وهو أطم العذاب فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد يستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون. والإبلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير (فإن قلت) ماوزن استكان (قلت) استفعل من السكون أى انتقل من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح (فإن قلت) هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون (قلت) لأن المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم

* قوله تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون (قال استكان استفعل من السكون أى انتقل من كون إلى كون كما يقال استحال إذا انتقل من حال إلى حال) قال أحمد هذا التأويل أسلم وأحق من تأويل من اشتقه من السكون وجعله افتعل ثم أشبعت الفتحة فتولدت الألف كتولدها فى قوله * ينباع من دفرى غضوب جسرة فإن هذا الإشباع ليس بفصيح وهو من ضرورات الشعر فينبغى أن ترفع منزلة القرآن عن ورود مثله فيه لكن تنظير الزمخشرى له باستحال وهم فإن استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذى معناه التحول كقولهم استحجر الطين واستنوق الجمل وأما استحال فثلاثيه حال حول إذا انتقل من حال إلى حال وإذا كان الثلاثى يفيد معنى التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر فليس استحال من استفعل للتحول ولكنه من استفعل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه إذ لم يزد السداسى فيه على الثلاثى معنى والله أعلم ثم نعود إلى تأويله فتقول المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص إلى كون الخضوع والضراعة إلى الله تعالى * ولقائل أن يقول استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون إلى كون فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر إلى الخضوع بأولى من العكس وترى هذه الصيغة لاتفهم إلا أحد الانتقالين فلو كانت مشتقة من مطلق السكون لكانت مجملة محتملة للانتقالين جميعاً * والجواب أن أصلها كذلك على الإطلاق ولكن غلب العرف على استعمالها فى الانتقال الخاص كما غلب فى غيرها والله أعلم وكان جدى أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير رحمه الله يذكر لى أنه لما دخل بغداد زمن الإمام الناصر رضى الله عنه أظهر من جملة كراماته له أن جمع له الوزير جميع علماء بغداد وعقد بهم محفلا للمناظرة وكان يذكر لى أن مما انجر الكلام إليه حينئذ هذه الآية وأن أحدهم وكان يعرف بالأجل اللغوى خصه الوزير بالسؤال عنها فقال هو مشتق من قول العرب كنت لك إذا خضعت وهى لغة هذلية فاستحسن منه ذلك * قال أحمد وقد وقفت عليها بعد ذلك فى غريب أبى عبيد الهروى وهو أحسن محامل الآية وأسلمها والله أعلم وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعلى وحال واستحال على ما مر وقد قال لى بعضهم يوما لم لاتجعله على هذا التأويل من استفعل المبنى للمبالغة مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم فقلت لايسعنى ذلك لأن المعنى يأباه وذلك أنها جاءت فى النفى والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب فلو ذهبت إلى جعلها للمبالغة أفادت نقص المبالغة لأن نفى الأبلغ أدنى من نفى الأدنى وكأنهم على ذلك ذموا بنفى الخضوع الكثير وأنهم ما بلغوا فى الضراعة نهايتها وليس الواقع فإنهم ما اتسموا بالضراعة ولا بلطخة منها فكيف تنفى عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية والله أعلم

(قوله كما جاء بمنتزاح) أى فى قوله وأنت من الغوائل حين ترمى * وعن ذم الرجال بمنتزاح

وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۞ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَٰفُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ۞ قَالُوٓا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۞ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞

باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا إنما خصّ السمع والأبصار والأفئدة لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية مالا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم فى آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها وأن لايجعل له ند ولا شريك أى تشكرون شكراً قليلا (وما) مزيدة للتأكيد بمعنى حقاً (ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (وإليه) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن أبى عمرو أى قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم ۞ الأساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة ۞ إنى وأسطار سطرن سطراً ۞ وهى ما كتبه الأولون مما لاحقيقة له. وجمع أسطورة أوفق ۞ أى أجيبونى عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين ۞ وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تذكرون فتعلموا أنّ من فطر الأرض ومن فيها اختراعا كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لايشرك به بعض خلقه فى الربوبية ۞ قرئ الأول باللام لاغير والأخيران باللام وهو هكذا فى مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا فى مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ۞ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت فى الرواية (أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله ۞ أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحدمنه أحدا (تسحرون) تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى ۞ وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والضم (بالحق) بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل (وإنهم لكاذبون) حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا (لذهب كل إله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه واستبدبه ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شىء (فإن قلت) إذا لاتدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم

(قوله عما استعلمتكم منه) لعله عنه (قوله وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية) يفيد أن القراءة المشهورة تذكرون بالتشديد

عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۞ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ۞ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۞

يتقدمه شرط ولاسؤال سائل (قلت) الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين (عما يصفون) من الأنداد والأولاد (عالم الغيب) بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدإ محذوف ماوالنون مؤكدتان أى إن كان لابد من أن ترينى ماتعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة (فلا تجعلنى) قرينالهم ولاتعذبنى بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له فى أمته نقمة ولم يخبره أفى حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء (فإن قلت) كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لايجعله معهم (قلت) يجوز أن يسأل العبد ربه ماعلم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لايفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وإخباتاله واستغفاره صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن فى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه ۞ وقرئ إما ترئنهم بالهمز مكان ترينى كما قرئ فإما ترئن ولترؤن الجحيم وهى ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم إن الله قادر على إنجاز ماوعد إن تأملتم فما وجه هذا الإنكار ۞ هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة وهذه قضية قوله بالتى هى أحسن وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى شهادة أن لاإله إلا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه إذا لقيه وعن الحسن الإغضاء والصفح وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لأن المداراة محثوث عليها مالم تؤد إلى ثلم دين وإزراء بمروءة (بما يصفون) بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم ۞ الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض

قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن السيئة (قال) فيه هذا أبلغ من أن يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفصيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة وهذه قضية قوله بالتى هى أحسن (قال أحمد) ماذكره تقريرا للمفاضلة عبارة عن الاشتراك فى أمر والتميز بغيره ولااشتراك بين الحسنة والسيئة فإنهما ضدان متقابلان فكيف تتحقق المفاضلة ۞ قلت المراد أن الحسنة من باب الحسنات أزيد من السيئة من باب السيئات فتجىء المفاضلة مما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدين كقولهم العسل أحلى من الخل يعنون أنه فى الأصناف الحلوة أميز من الخل فى الأصناف الحامضة وليس لأن بينهما اشتراكا خاصا ومن هذا القبيل مايحكى عن أشعب الماجن أنه قال نشأت أنا والأعمش فى حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا بمعنى أنهما استويا فى بلوغ كل منهما الغاية أشعب بلغ الغاية على السفلة والأعمش بلغ الغاية على العلية هذا تفسير كلامه عن نفسه ونعود إلى الآية فنقول هى تحتمل وجها آخر من التفضيل أقرب متناولا وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التى تدفع بها السيئة فإنها قد تدفع بالصفح والإغضاء ويقنع فى دفعها بذلك وقد يزاد على الصفح الإكرام وقد تبلغ غايته ببذل الاستطاعة فهذه الأنواع من الدفع كلها دفع بحسنة ولكن أحسن هذه الحسنات فى الدفع هى الأخيرة لاشتمالها على عدد من الحسنات فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بأحسن الحسنات فى دفع السيئة فعلى هذا تجرى المفاضلة على حقيقتها من غير حاجة إلى تأويل والله أعلم فتأمله فإنه حسن جدا

(قوله وقرئ إما ترئنهم بالهمز) فى نسخة أخرى إما ترئنى بالهمز كما قرئ الخ

وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ

والمعنى أنّ الشياطين يحثون الناس على المعاصى ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثالها على المشى ونحو الهمز الأزّ فى قوله تعالى تؤزهم أزّاً أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس رضى الله عنهما عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع (حتى) يتعلق بيصفون أى لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم مستعيناً بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم أو على قوله وإنهم لكاذبون ۞ خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله ۞ فإن شئت حرمت النساء سواكم ۞ وقوله ۞ ألافارحمونى ياإله محمد ۞ إذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الأمر أدركته الحسرة على مافرّط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال (لعلى أعمل صالحاً) فى الإيمان الذى تركته والمعنى لعلى آتى بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحاً كما تقول لعلى أبنى على أس تريد أأسس أساً وأبنى عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبى صلى الله عليه وسلم إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله وأمّا الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد ۞ والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهى قوله لعلى أعمل صالحاً فيما تركت (هو قائلها) لامحالة لايخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم أو هو قائلها وحده لايجاب إليها ولاتسمع منه (ومن ورائهم برزخ) والضمير للجماعة أى أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلى لما علم أنه لارجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة ۞ الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن أبى رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفى الأنساب يحتمل أنّ التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتألف إلا بالأعمال فتلغوا الأنساب وتبطل وأنه لايعتد بالأنساب لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب إذ يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يساءلون بإدغام التاء فى السين (فإن قلت) قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسئل حميم حميما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما (قلت) فيه جوابان أحدهما أنّ يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون فى بعضها وفى بعضها لايفطنون لذلك لشدّة الهول والفزع والثانى أنّ التناكر يكون عند النفخة الأولى فإذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا عن ابن عباس الموازين جمع موزون وهى الموزونات من الأعمال الصالحات التى لها

۞ قوله تعالى ۞ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون ۞ (قال إن قلت قد ناقض هذا قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) قال أحمد يجب أن لايسلك هذا المسلك فى إيراد الأسئلة عن فوائد الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسؤال الأدب أن يقال قصر فهمى عن الجمع بين هاتين الآيتين فما وجهه ولو سأل سائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن شىء من كتاب الله تعالى بهذه الصيغة لأوجع ظهره بالدرة ۞ عاد كلامه إلى جواب السؤال (قال وجه الجمع بينهما أن يحمل ذلك على اختلاف موقف القيامة) قال أحمد وكثيراً ماينتهز الزمخشرى الفرصة فى إنكار الشفاعة ويشمر ذيله للرد على القائلين بها إذا انتهى إلى مثل قوله ولاتنفعها شفاعة . لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة . ويتغافل حينئذ عن طريق الجمع بين ماظاهره نفى الشفاعة وبين ماظاهره ثبوتها بحمل الأمر على اختلاف الأحوال فى القيامة والله الموفق

(قوله أو على قوله وإنهم لكاذبون) لعله عطف على المعنى فكأنه قال فيما مرّ حتى ردّة على قوله يصفون فقال هنا أو على قوله وإنهم لكاذبون

يبعثون ۞ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ۞ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ۞ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ۞ تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ۞ ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ۞ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ۞ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ۞ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ۞ إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ۞ فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون ۞ إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ۞ قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ۞ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسئل العادين ۞ قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ۞ أفحسبتم أنما خلقناكم

وزن وقدر عند الله تعالى من قوله تعالى « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » (فى جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محلّ للبدل والمبدل منه لأنّ الصلة لا محلّ لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدإ محذوف (تلفح) تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد إلا أنّ اللفح أشدّ تأثيراً والكلوح أن تتقاص الشفتان وتتشمرا عن الأسنان كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مرّ فى السوق برأس أخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون (غلبت علينا) ملكتنا من قولك غلبنى فلان على كذا إذا أخذه منك وامتلكه ۞ والشقاوة سوء العاقبة التى علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم قرئ (شقوتنا) وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما (اخسئوا فيها) ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه (ولا تكلمون) فى رفع العذاب فإنه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس إنّ لهم ست دعوات إذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فينادون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون إنكم ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرنا فيجابون أولم تكونوا فينادون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ۞ فى حرف أبىّ أنه كان فريق بالفتح بمعنى لأنه ۞ السخرى بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر إلا أن فى ياء النسب زيادة قوة فى الفعل كما قيل الخصوصية فى الخصوص وعن الكسائى والفراء أنّ المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية أى تسخروهم واستعبدوهم والأوّل مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه أى تركتم أن تذكرونى فتخافونى فى أوليائى ۞ وقرئ (أنهم) بالفتح فالكسر استئناف أى قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم أحسن الجزاء والفتح على أنه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم (قال) فى مصاحف أهل الكوفة وقل فى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام ففى قال ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة وفى قل ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار ۞ استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة إليها أو لأنهم كانوا فى سرور وأيام السرور قصار أو لأنّ المنقضى فى حكم ما لم يكن وصدقهم الله فى تقالهم لسنى لبثهم فى الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها ۞ وقرئ (فسل العادين) والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين إلا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم

(قوله يقال خسأ الكلب) فى الصحاح خسأت الكلب وخسأ بنفسه يتعدى ولا يتعدى

عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۞ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۞ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّحِمِينَ

لما نحن فيه من العذاب وما فينا أن نعدها فسل من فيه أن يعد ومن يقدر أن يلقى اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدّون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أى الظلمة فإنهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين أى القدماء المعمرين فإنهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين ۞ (عبثا) حال أى عابثين كقوله لاعبين أومفعول له أى ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك وهى أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصى ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسىء (وأنكم إلينا لاترجعون) معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا على عبثاً أى للعبث ولتركم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء (الحق) الذى يحق له الملك لأن كل شىء منه وإليه أو الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال بيت كريم إذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد (لابرهان له به) كقوله مالم ينزل به سلطانا وهى صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جىء بها للتوكيد لا أن يكون فى الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان منه فالله مثيبه وقرئ أنه لايفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح فى معنى حسابهم أنهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خاتمتها أنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقربه عينه عند نزول ملك الموت وروى أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فمكثنا فاستقبل القبلة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر

۞ قوله عز وجل ومن يدع مع الله آلها آخر لا برهان له به (قال فيه لابرهان له به إما صفة لازمة أو كلام معترض لأن فى الصفة إفهاما لأن إلها سوى الله يمكن أن يكون به برهان) قال أحمد إن كان صفة فالمقصود بها التهكم بمدعى إله مع الله كقوله بل أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا فنفى إنزال السلطان به وإن لم يكن فى نفس الأمر سلطان لا منزّل ولا غير منزّل ومن جنس مجىء الجملة بعد النكرة وصرفها عن أن تكون صفة لها ماقدّمه عند قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعداً لانخلفه نحن ولا أنت حيث أعرب الزمخشرى موعداً مصدراً ناصباً لمكاناً سوى واعترضه بأن المصدر الموصوف لا يعمل إلا على كره واعتذرت عنه بصرف الجملة عن أن تكون صفة وجعلها معترضة مؤكدة لمعنى الكلام والله أعلم

(قوله وقرئ ترجعون بفتح التاء) عبارة النسفى بفتح التاء وكسر الجيم

ســـورة النور مدنية

وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

﴿ســـورة النور مدنية﴾

وهى ثنتان وستون آية وقيل أربع وستون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سورة) خبر مبتدإ محذوف (أنزلناها) صفة أو هى مبتدأ موصوف والخبر محذوف أى فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لأنزلناها لأنها مفسرة للمضمر فكانت فى حكمه أو على دونك سورة أو اتل سورة وأنزلناها صفة ومعنى (فرضناها) فرضنا أحكامها التى فيها وأصل الفرض القطع أى جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة فى الإيجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض شتى وأنك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (تذكرون) بتشديد الذال وتخفيفها رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معني فيما فرض عليكم الزانية والزانى) أى جلدهما ويجوز أن يكون الخبر فاجلدوا وإنما دخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط تقديره التى زنت والذى زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه (فإن قلت) أهذا حكم جميع الزناة والزوانى أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فإن المحصن حكمه الرجم وشرائط الإحصان عند أبى حنيفة ست الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول إذا فقدت واحدة منها فلا إحصان وعند الشافعى الإسلام ليس بشرط لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وحجة أبى حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن (فإن قلت) اللفظ يقتضى تعليق الحكم بجميع الزناة والزوانى لأن قوله الزانية والزانى عام فى الجميع يتناول المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزانى يدلان على الجنسين المنافيين لجنسى العفيف والعفيفة دلالة مطلقا والجنسية قائمة فى الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل

﴿القول فى ســـورة النور﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (ذكر) فى الرفع وجهين أحدهما الابتداء والخبر محذوف وهو إعراب الخليل وسيبويه والتقدير وفيما فرض عليكم الزانية والزانى أى جلدهما . الثانى أن يكون الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذى وقد ضمن معنى الشرط (قال أحمد) وإنما عدل سيبويه إلى هذا الذى نقله عنه لوجهين لفظى ومعنوى أما اللفظى فلأن الكلام أمر وهو يخيل اختيار النصب ومع ذلك قراءة العامة فلو جعل فعل الأمر خبرا وبنى المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجأ إلى تقدير الخبر حتى لا يكون المبتدأ مبنيا على الأمر فخاص من مخالفة الاختيار وقد مثلهما سيبويه فى كتابه بقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار الآية ووجه التمثيل أنه صدر الكلام بقوله مثل الجنة ولا يستقيم جزما أن يكون قوله فيها أنهار خبره فتعين تقدير خبره محذوفا وأصله فيما نقص عليكم مثل الجنة ثم لما كان هذا إجمالا لذكر المثل فصل المجمل بقوله فيها أنهار إلى آخرها فكذلك ههنا كأنه قال وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزانى ثم فصل هذا المجمل بما ذكره من أحكام

وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ

بالاسم المشترك ۞ وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطاً فيقول رحمة لعبادك فيقال له أأنت أرحم بهم مني فيؤمر به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطاً فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به إلى النار وعن أبي هريرة إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيراً يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه إلا إزاره ضربا وسطاً لا مبرحا ولا هيناً مفرقا على الأعضاء كلها لا يستثنى منها إلا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها إلا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة على أن الجلد حدّ غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحرّ واحد وله في العبد ثلاثة أقاويل يغرب سنة كالحرّ ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والأذى في قوله تعالى فأمسكوهنّ في البيوت وقوله تعالى فآذوهما ۞ قيل تسميته عذابا دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمى عذابا لأنه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا ۞ الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى أربعين رجلا من المصدّقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحدّ والصحيح أنّ هذه الكبيرة من أمّهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فإنّ فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حدّ القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لأنّ ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنهما إلى أربعين رجلا من المصدّقين بالله ۞ الفاسق الخبيث الذي من

الجلد ويناسب هذا ترجمة الفقهاء في كتبهم حيث يقولون مثلا الصلاة الزكاة السرقة ثم يذكرون في كل باب أحكامه يريدون مما يصنف فيه ويبوب عليه الصلاة وكذلك غيرها فهذا بيان المقتضى عند سيبويه لاختيار حذف الخبر من حيث الصناعة اللفظية وأما من حيث المعنى فهو أنّ المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر لأنه يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني مجملا حيث قال الزانية والزاني وأراد وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني فلما تشوف السامع إلى تفصيل هذا المجمل ذكر حكمهما مفصلا فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة والله أعلم

(قوله قائما على مجرده ليس عليه إلا إزاره) في الصحاح فلان حسن المجرد أي المعرى اه أي المكشوف عن الثياب
(قوله وبهذه الآية نسخ الحبس الأذى) لعله والأذى كما في عبارة النسفي

أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً

شأنه الزنا والتحب لايرغب فى نكاح الصوالح من النساء واللاتى على خلاف صفته وإنما يرغب فى فاسقة خبيثة من شكله أو فى مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لايرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك فى سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرّم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزوانى والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين فى نكاحهنّ فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها أن الرجل إذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية وإذا باشرها كان زانياً وقد أجازه ابن عباس رضى الله عنهما وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت فى القرآن لم ترد إلا فى معنى العقد والثانى فساد المعنى وأداؤه إلى قولك الزانى لايزنى إلا بزانية والزانية لايزنى بها إلا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما فى أول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله : وأنكحوا الأيامى منكم . وقيل الإجماع وروى ذلك عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه (فإن قلت) أى فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية (قلت) معنى الأولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان (فإن قلت) كيف قدمت الزانية على الزانى أولا ثم قدم عليها ثانيا (قلت) سيقت تلك الآية لعقوبتهما

قوله تعالى الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك (قال إن قلت أى فرق بين الجملتين فى المعنى قلت معنى الأولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان) قال أحمد وليس فيما ذكره إيضاح إطباق الجملتين ونحن نوضحه فنقول الأقسام أربعة : الزانى لايرغب إلا فى زانية. الزانية لاترغب إلا فى زان . العفيف لايرغب إلا فى عفيفة . العفيفة لاترغب إلا فى عفيف . وهذه الأقسام الأربعة مختلفة المعانى وحاصرة للقسمة فنقول اختصرت الآية من هذه الأربعة قسمين واقتصرت على قسمين أحرى من المسكوت عنهما لجاءت مختصرة جامعة فالقسم الأول صريح فى القسم الأول ويفهم الثالث والقسم الثانى صريح فى القسم الثانى ويفهم الرابع والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث أن المقتضى لانحصار رغبة العفيف فى العفيفة هو اجتماعهما فى الصفة وذلك بعينه مقتض لانحصار رغبتها فيه ثم يقصر التعبير عن وصف الزناة والأعفاء بما لايقل عن ذكر الزناة وجودا وسلبا فإنّ معنى الأول الزانية لاينكحها عفيف ومعنى الثانى العفيفة لاينكحها زان والسر فى ذلك أن الكلام فى أحكامهم فذكر الأعفاء بسلب نقائصهم حتى لايخرج بالكلام عما هو المقصود منه ثم بينه فى إسناد النكاح فى هذين القسمين للذكور دون الاناث بخلاف قوله الزانية والزانى فإنه جعل لكل واحد منهما ثم استقلالا وقدم الزانية على الزانى والسبب فيه أن الكلام الأول فى حكم الزنا والأصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض والاطماع والكلام الثانى فى نكاح الزناة إذا وقع ذلك على الصحة والأصل فى النكاح الذكور وهم المبتدئون بالخطبة فلم يسند إلا لهم لهذا وإن كان الغرض من الآية تنفير الأعفاء من الذكور والإناث من مناكحة الزناة ذكورا وإناثا زجرا لهم عن الفاحشة ولذلك قرن الزنا والشرك ومن ثم كره مالك رحمه الله مناكحة المشهورين بالفاحشة وقد نقل بعض أصحابه الإجماع فى المذهب على أن للمرأة أو لمن قام من أوليائها فسخ نكاح الفاسق ومالك أبعد الناس من اعتبار الكفاءة إلا فى الدين وأما فى النسب فقد بلغه أنهم فرقوا بين عربية ومولى فاستعظمه وتلا « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

على ماجنيا والمرأة هى المادة التى منها نشأت الجناية لأنها لولم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا فى ذلك بدئ بذكرها وأمّا الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد رضى الله عنه لاينكح بالجزم على النهى والمرفوع فيه أيضا معنى النهى ولكن أبلغ وآكد كما أن رحمك الله ويرحمك أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لايدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها ﴿ وقرئ وحرم بفتح الحاء ﴿ القذف يكون بالزنا وبغيره والذى دل على أن المراد قذفهن بالزنا شيئان : أحدهما : ذكر المحصنات عقيب الزوانى . والثانى اشتراط أربعة شهداء لأنّ القذف بغير الزنا يكفى فيه شاهدان والقذف بالزنا أن يقول الحرّ العاقل البالغ لمحصنة يازانية أو لمحصن يازانى ياابن الزانى ياابن الزانية ياولد الزنا لست لأبيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل الربا ياشارب الخمر يايهودى يامجوسى يافاسق ياخبيث ياماص بظر أمه فعليه التعزير ولا يبلغ به أدنى حدّ العبيد وهو أربعون بل ينقص منه وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام أن يعزر إلى المائة وشروط إحصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة ﴿ وقرئ بأربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة (فإن قلت) كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين (قلت) الواجب عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم أن يحضروا فى مجلس واحد وإن جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعى رضى الله عنه يجوز أن يحضروا متفرقين (فإن قلت) هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحداً منهم (قلت) يجوز عند أبى حنيفة خلافا للشافعى (فإن قلت) كيف يجلد القاذف (قلت) كما جلد الزانى إلا أنه لاينزع عنه من ثيابه إلا ماينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة أيضا كالزانية وأشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لأنّ سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب إلا أنه عوقب صيانة للأعراض وردعا عن هتكها (فإن قلت) فإذا لم يكن المقذوف محصنا (قلت) يعزر القاذف ولا يحدّ إلا أن يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حدّ ولا تعزير ﴿ ردّ شهادة القاذف معلق عند أبى حنيفة رضى الله عنه باستيفاء الحدّ فإذا شهد قبل الحدّ أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فإذا استوفى لم تقبل شهادته أبدا وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء. وعند الشافعى رضى الله عنه يتعلق رد شهادته بنفس القذف فإذا تاب عن القذف بأن رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فأبو حنيفة رضى الله عنه جعل جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد وردّ الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودى الشهادة عنده فى أبدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله (وأولئك هم الفاسقون) كلاما مستأنفا غير داخل فى حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية و(إلا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله (فإنّ الله غفور رحيم) والشافعى رضى الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين أيضا غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفا وهى تنتهى بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم وحقه عند أبى حنيفة رضى الله عنه أن يكون منصوبا لأنه عن موجب والذى يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم أى فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فإنّ الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين (فإن قلت) الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبى حنيفة رضى الله عنه كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الإسلام (قلت) المسلمين لايعبؤن بسب الكفار لأنهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من

(قوله وقرئ وحرم بفتح الحاء القذف بكون) لعله بفتح الحاء والراء

رَّحِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ

الشين والشنار مايلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن إلحاق الشنار (فإن قلت) هل للمقذوف أوللامام أن يعفو عن حدّ القاذف (قلت) لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحدّ والمقذوف مندوب إلى أن لايرافع القاذف ولايطالبه بالحدّ ويحسن من الإمام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحدّ فإذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لأنه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصالح عنه بمال (فإن قلت) هل يورث الحدّ (قلت) عند أبى حنيفة رضى الله عنه لايورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحدّ لايورث وعند الشافعى رضى الله عنه يورث وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحدّ سقط وقيل نزلت هذه الآية فى حسان بن ثابت رضى الله عنه حين تاب مما قال فى عائشة رضى الله عنها ۞ قاذف امرأته إذا كان مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود فى القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما إذا قذفها بصريح الزنا وهو أن يقول لها يازانية أوزنيت أورأيتك تزنين وإذا كان الزوج عبدا أومحدودا فى قذف والمرأة محصنة حدّ كما فى قذف الأجنبيات ومالم ترافعه إلى الإمام لم يجب اللعان واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول فى الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به من الزنا ثم تقول فى الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رمانى به من الزنا وعند الشافعى رضى الله عنه يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الإمام من يضع يده على فيه ويقول له إنى أخاف إن لم تكن صادقا أن تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وبيت المقدس فى مسجده ولعان المشرك فى الكنيسة وحيث يعظم وإذا لم يكن له دين فنى مساجدنا إلا فى المسجد الحرام لقوله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضى بينهما ولاتقع الفرقة بينهما إلا بتفريقه عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم إلا عند زفر فإن الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتى لافرقة أصلا وعند الشافعى رضى الله عنه تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة فى حكم التطليقة البائنة عند أبى حنيفة ومحمد رضى الله عنهما ولايتأبد حكمها فإذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحدّ جاز أن يتزوجها وعند أبى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعى رضى الله عنهم هى فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروى أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدى الأنصارى رضى الله عنه فقال جعلنى الله فداك إن وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبدا وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجىء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ماوراءك قال شر وجدت على بطن امرأتى خولة وهى بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالى ماأسرع ماابتليت به فرجعا فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لاأدرى الغيرة أدركته أم بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال

(قوله من الشين والشنار مايلحقه بقذف) فى الصحاح الشنار العيب والعار (قوله فقام ابن عدى الأنصارى رضى الله عنه) لعله عاصم بن عدى وفى الخازن سبب نزول هذه الآية ماروى عن سهل بن سعد الساعدى أن عويمر العجلانى جاء إلى عاصم بن عدى فقال لعاصم أرأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أيضا عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البينة أوحدّ فى ظهرك فقال يارسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول البينة أوحدّ فى ظهرك فنزل جبريل بقوله تعالى والذين يرمون أزواجهم الآية

الصّٰدقين ۞ والخٰمسة أنّ لعنت الله عليه إن كان من الكٰذبين ۞ ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهٰدٰت بالله إنه لمن الكٰذبين ۞ والخٰمسة أنّ غضب الله عليها إن كان من الصّٰدقين ۞ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنّ الله توّاب حكيم ۞ إنّ الّذين جاءو بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم مااكتسب من الإثم والّذى تولّى كبره منهم له عذاب عظيم ۞ لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنٰت

هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها أنّ لعنة الله عليه إن غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها إن كنت ألممت بذنب فاعترفى به فالرجم أهون عليك من غضب الله إن غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فإن جاءت به أصيهب أثيبج يضرب إلى السواد فهو لشريك وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذى رميت به قال ابن عباس رضى الله عنهما فجاءت بأشبه خلق الله لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لى ولها شأن ۞ وقرئ ولم تكن التاء لأنّ الشهداء جماعة أو لأنهم فى معنى الأنفس التى هى بدل ووجه من قرأ أربع أن ينتصب لأنه فى حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو فشهادة أحدهم وهى مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله وقرئ أن لعنة الله وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع مابعدها وقرئ أن غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة (فإن قلت) لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله (قلت) تغليظاً عليها لأنها هى أصل الفجور ومنبعه بخلابتها وإطماعها ولذلك كانت مقدمة فى آية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم أهون عليك من غضب الله ۞ الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على أمر عظيم لايكتنه وربّ مسكوت عنه أبلغ من منطوق به ۞ الإفك أبلغ مايكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لاتشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ماأفك به على عائشة رضى الله عنها ۞ والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبىّ رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ۞ وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذى تولاه عبد الله لإمعانه فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا إلى الغميزة ۞ أى يصيب كل خائض فى حديث الإفك من تلك العصبة نصيبه من الإثم على مقدار خوضه ۞ والعذاب العظيم لعبدالله لأنّ معظم الشركان منه يحكى أن صفوان رضى الله عنه مرّ بهودجها عليه وهو فى ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة رضى الله عنها فقال والله مانجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ۞ والخطاب فى قوله (هو خير لكم) لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان بن المعطل رضى الله عنهم ومعنى كونه خيراً لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لأنه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وأنه نزلت فيه ثمانى عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لأمّ المؤمنين رضوان الله

(قوله فإن جاءت به أصيهب أثيبج) فى الصحاح الصهبة الشقرة فى شعر الرأس والرجل أصهب وفيه ثبج كل شىء وسطه والأثبج العريض الثبج ويقال الناتىء الثبج اه وما فى الحديث تصغيرهما وفيه أيضاً الخدلجة بتشديد اللام المرأة الممتلئة الذراعين والساقين (قوله وقرئ بنصب الخامستين على معنى) فى النسفى أنه لاخلاف فى رفع الخامسة الأولى على المشهور (قوله ومنبعه بخلابتها) فى الصحاح الخلابة الخديعة باللسان (قوله بالضم والكسر وهو عظمه) فى الصحاح عظم الشىء أكثره ومعظمه

بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَـٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ۞ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَـٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۞

عليها وتطهير لأهل البيت وتهويل لمن تكلم فى ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لاتخفى على متأمليها (بأنفسهم) أى بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وذلك نحو مايروى أن أبا أيوب الأنصارى قال لأم أيوب ألا ترين مايقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لاقالت ولو كنت أنا بدل عائشة رضى الله عنها ماخنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان خير منك (فإن قلت) هلا قيل لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر (قلت) ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لايصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة فى أخيه أن يبنى الأمر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير (هذا إفك مبين) هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الأدب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخوات ۞ جعل الله التفصلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا (عند الله) أى فى حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدوا فى دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف فى الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به إذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله ۞ لولا الأولى للتحضيض وهذه لامتناع الشىء لوجود غيره والمعنى ولولا أنى قضيت أن أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الإمهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك ۞ يقال أفاض فى الحديث واندفع وهضب وخاض (إذ) ظرف لمسكم أو لأفضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات ۞ وقرئ على الأصل تتلقونه وإذ تلقونه بإدغام الذال فى التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه

۞ قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيرا (قال معناه ظنوا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم) قال أحمد والسر فى هذا التعبير تعطيف المؤمن على أخيه وتوبيخه على أن يذكره بسوء وتصوير ذلك بصورة من أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة ولا شىء أشنع من ذلك والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال ونقل أن أبا أيوب الأنصارى قال لامرأته ألا ترين مقالة الناس قالت له لو كنت بدل صفوان أكنت تخون فى حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ماخنته وصفوان خير منك وعائشة خير منى) قال أحمد ولقد ألهمت بنور الإيمان إلى هذا السر الذى انطوى عليه التعبير عن الغير من المؤمنين بالنفس فإنها نزلت زوجها منزلة صفوان ونفسها منزلة عائشة ثم أثبتت لنفسها ولزوجها البراءة والأمانة حتى أثبتتها لصفوان وعائشة بطريق الأولى رضى الله عنها ويحتمل والله أعلم خلاف ما قاله الزمخشرى وهو أن يكون التعبير بالأنفس حقيقة والمقصود إلزام سيىء الظن بنفسه لأنه لم يعتد بوازع الإيمان فى حق غيره وألغاه واعتبره فى حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى والله أعلم

(قوله وإذ تلقونه بإدغام الذال) لعل رسمه هكذا واتقونه إلا أن يعتبر ماقبل الإدغام

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ۞ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ

من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت أمى تقرأ إذ تثقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (فإن قلت) مامعنى قوله (بأفواهكم) والقول لايكون إلا بالفم (قلت) معناه أن الشيء المعلوم يكون وعلمه فى القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولا يجرى على ألسنتكم ويدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ۞ أى تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم وفى كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقى الإفك بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ماوراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه والثانى التكلم بما لاعلم لهم ۞ والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم (فإن قلت) كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم (قلت) للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وإنها لاتنفك عنها فلذلك يتسع فيها مالا يتسع فى غيرها (فإن قلت) فأى فائدة فى تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا (قلت) الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فإن قلت) فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل مالنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه معنى ينبغى ويصح أى ماينبغى لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق و(سبحانك) للتعجب من عظم الأمر (فإن قلت) مامعنى التعجب فى كلمة التسبيح (قلت) الأصل فى ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة (فإن قلت) كيف جاز أن تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة (قلت) لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ماينفرهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفروا وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات ۞ أى كراهة (أن تعودوا) أو فى أن تعودوا من قولك وعظت فلانا فى كذا فتركه ۞ وأبدهم ماداموا أحياء مكلفين و(إن كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح

قوله تعالى « وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم » (قال إن قلت القول لايكون إلا بالأفواه فما فائدة ذكرها قلت المراد أن هذا القول لم يكن عبارة عن علم قام بالقلب وإنما هو مجرد قول اللسان) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد المبالغة أو تعريضا بأنه ربما يتمشدق ويقضى تمشدق جازم عالم وهذا أشد وأقطع وهو السر الذى أنبأ عنه قوله تعالى قد بدت البغضاء من أفواههم والله أعلم ۞ قوله تعالى سبحانك هذا بهتان عظيم (قال) معناه التعجب من عظيم الأمر وأصله أن الإنسان إذا رأى عجيبا من صنائع الله تعالى سبحه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه ۞ ثم أوردها هنا سؤالا على توبيخهم على ترك التعجب فقال إن قلت لم جاز أن تكون زوجة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة ولم يكن كفرها متعجبا منه وفجورها متعجب منه قلت لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويتزلفوا اليهم وكفر الزوجة غير مانع ولامنفر بخلاف الكشخنة (قال أحمد) وما أورد عليه أبرد من هذا السؤال كأن أحدا يشكل عليه أن ينسب الفاحشة إلى مثل عائشة مما ينكره كل عاقل ويتعجب منه كل لبيب والله الموفق

(قوله سمعت أمى تقرأ إذ تثقفونه) وفى نسخة تقفونه بمعنى تتبعونه وكلا النسختين قراءة (قوله وهو عند الله كبيرة موجبة) لعله موجبة للعقاب (قوله والكلام بدونه ملتئب) لعله محرف وأصله مستتب وفى الصحاح استتب الأمر تهيأ واستقام (قوله وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات) كأنها الدياثة

فى الذين ءامنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ۞ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم ۞ يأيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ۞ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمسكين والمهجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ۞ إن الذين يرمون المحصنت الغفلت المؤمنت لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ۞ يوم تشهد عليهم ألسنتهم

ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شىء فاعل لما يفعله بدواعى الحكمة ۞ المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبىّ وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذى تولى كبره منهم (والله يعلم) مافى القلوب من الأسرار والضمائر (وأنتم لاتعلمون) يعنى أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها ۞ وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفى هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك فى التواب والرؤف والرحيم ۞ الفحشاء والفاحشة ماأفرط قبحه قال أبوذؤيب ۞ ضرائر حرمى تفاحش غارها ۞ أى أفرطت غيرتها والمنكر ماتنكره النفوس فتنفر عنه ولاترتضيه ۞ وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها وهو (سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم وإخلاصهم وهو من ائتلى إذا حلف افتعال من الألية وقيل من قولهم ماألوت جهدا إذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للأول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لايحلفوا على أن لايحسنوا إلى المستحقين للإحسان أولا يقصروا فى أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل مايرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت فى شأن مسطح وكان ابن خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان أبوبكر ينفق عليه فلما فرط منه مافرط آلى أن لاينفق عليه وكفى به داعيا إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسىء ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على أبى بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لى ورجع إلى مسطح نفقته وقال والله لاأنزعها أبدا وقرأ أبوحيوة وابن قطيب أن تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم (الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولامكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة ۞ بلهاء تطلعنى على أسرارها
وكذلك البله من الرجال فى قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البله ۞ وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ فى شىء تغليظه فى إفك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ماركب من ذلك واستفظاع ماأقدم عليه ماأنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف فى بابه ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين فى الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم فى

وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۝ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ

الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذى هم أهله حتى يعلموا عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) فأوجز فى ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ماهو دونه فى الفظاعة وماذاك إلا لأمر وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض فى أمر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها إنى عبدالله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وماذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم وخيرة الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الإفك وليتأمل كيف غضب الله فى حرمته وكيف بالغ فى نفى التهمة عن حجابه (فإن قلت) إن كانت عائشة هى المرادة فكيف قيل المحصنات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يخصصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به وإذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة أولا والثانى أنها أم المؤمنين فجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء الأمة الموصوفات بالإحصان والغفلة والإيمان كما قال ۝ قدنى من نصر الخبيبين قدى ۝ أراد عبدالله بن الزبير وأشياعه وكان أعدؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة أبوبكر إلا أن هذا فى الاسم وذاك فى الصفة (فإن قلت) مامعنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الحق البين أى العادل الظاهر العدل الذى لاظلم فى حكمه والمحق الذى لايوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسىء ولا إحسان محسن فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه ۝ أى (الخبيثات) من القول تقال أو تعد (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك الطيبات والطيبون و(أولئك) إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لايطابق حالها فى النزاهة والطيب ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرءون مما يقول أهل الإفك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء أى الخبائث

۝ قوله تعالى «إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات» الآية (قال إن كانت عائشة هى المرادة فلم جمع قلت المراد إما أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكون هذا الوعيد لاحقا بقاذفهن وإما عائشة وجمعت إرادة لها ولبناتها كما قال: ۝ قدنى من نصر الخبيبين قدى ۝ يعنى عبدالله بن الزبير وأتباعه وكان يكنى أبا خبيب) قال أحمد والأظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع فى عائشة على أبلغ الوجوه لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات فما الظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه وسلم على أن تعميم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه وهذا معنى قول زليخا ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم فعممت وأرادت يوسف تهويلا عليه وإرجافا والمعصوم من عصمه الله تعالى ۝ قوله تعالى «الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات» الآية (قال) تحتمل الآية أمرين أحدهما أن يكون المراد الكلمات الخبيثة للخبيثين والمراد الإفك ومن أفاض فيه وعكسه فى الطيبات والطيبين الثانى أن يكون المراد بالخبيثات النساء وبالخبيثين الرجال (قال أحمد) إن كان الأمر على التأويل الثانى فهذه الآية تفصيل لما أجمله

(قوله وكان مضعوفا) فى الصحاح أضعفت الشىء فهو مضعوف على غير قياس.

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ

يتزوجن الخباث والخبات الخبائث وكذلك أهل الطيب ۞ وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله فى قوله وأعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجنى ولقد تزوجنى بكراً وما تزوج بكراً غيرى ولقد توفى وإن رأسه لفى حجرى ولقد قبر فى بيتى ولقد حفته الملائكة فى بيتى وإن الوحى لينزل عليه فى أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وأنا معه فى لحافه وإنى لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما (تستأنسوا) فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر الذى هو خلاف الاستيحاش لأن الذى يطرق باب غيره لا يدرى أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله « لاتدخلوا بيوت النبىّ إلا أن يؤذن لكم » وهذا من باب الكناية والإرداف لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن والثانى أن يكون من الاستئناس الذى هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشىء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا أى تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة . على مستأنس وحد . ويجوز أن يكون من الإنس وهو أن يتعرف هل ثمة إنسان وعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قلنا يارسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يؤذن أهل البيت ۞ والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له وإلا رجع وعن أبى موسى الأشعرى أنه أتى باب عمر رضى الله عنهما فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثا واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومى إلى هذا فعلميه فإنه لايحسن أن يستأذن قولى له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فصدّ الله عن ذلك وعلم الأحسن والأجمل وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا أنت فى بيتك إذا رعف عليك الباب

قوله تعالى الزانية لاينكحها إلا زان وقد بينا أنها مشتملة على هذه الأقسام الأربعة تصريحاً وتضميناً فجاءت هذه الآية مصرحة بالجميع وقد اشتملت على فائدة أخرى وهى الاستشهاد على براءة أم المؤمنين بأنها زوجة أطيب الطيبين فلابدّ وأن تكون طاهرة طيبة مبرأة مما أفكت به وهذا التأويل الثانى هو الظاهر فإنّ بعد الآية لهم مغفرة ورزق كريم وبهذا وعد أزواجه عليه السلام فى قوله تعالى « نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما » والله أعلم عاد كلامه (قال ونقل عن عائشة أنها قالت لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة فذكرت منهن أنها خلقت طيبة عند طيب) قال أحمد وهذا أيضا يحقق ماذكرته من أنّ المراد بالطيبات والطيبين النساء والرجال وأن المراد بذلك إظهار براءة عائشة بأنها زوج أطيب الطيبين فيلزم أن تكون طيبة وفاء بقوله « والطيبون للطيبات » والله أعلم قوله تعالى « لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » (قال فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الذى هو ضدّ الاستيحاش أى حتى يؤذن لكم فتستأنسوا عبر بالشىء عما هو رادف له الثانى أن يكون من الاستعلام من آنس إذا أبصر والمعنى حتى تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا وذكر أيضا وجها بعيدا وهو أن المراد حتى تعلموا هل فيها إنسان أم لا (قال أحمد) فيكون على هذا الأخير بنى من الإنس استفعل والوجه الأوّل هو البين وسر التجوز فيه والعدول اليه عن الحقيقة ترغيب المخاطبين فى الاتيان بالاستئذان بواسطة

(قوله إذا رعف عليك الباب) فى الصحاح رعف الرجل إذا خرج الدم من أنفه ورعف الفرس إذا سبق وتقدم فكأن ماهنا مجاز على وجه التشبيه

أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۞ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا

بواحد من غير استئذان ولاتحية من تحايا إسلام ولاجاهلية وهو ممن سمع ماأنزل الله فيه وماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الأذن الواعية وفى قراءة عبدالله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير إنما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولايعوّل على هذه الرواية وفى قراءة أبى حتى تستأذنوا (ذلكم) الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم مالرتكب وفى الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروى أنّ رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال إنها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لاقال فاستأذن (لعلكم تذكرون) أى أنزل عليكم أوقيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به فى باب الاستئذان ۞ يحتمل (فإن لم تجدوا فيها أحدا) من الآذنين (فلاتدخلوها) واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحداً من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها وذلك أنّ الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولاتسبق عينه إلى مالايحل النظر اليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التى يطويها الناس فى العادة عن غيرهم ويتحفظون من إطلاع أحد عليها ولأنه تصرف فى ملك غيرك فلابدّ من أن يكون برضاه وإلا أشبه الغصب والتغلب (فارجعوا) أى لاتلحوا فى إطلاق الإذن ولاتلجوا فى تسهيل الحجاب ولاتقفوا على الأبواب منتظرين لأنّ هذا مما يجلب الكراهة ويقدح فى قلوب الناس خصوصا إذا كانوا ذوى مروأة ومرتاضين بالآداب الحسنة وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل مايؤدى اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل فى عادات من لم يتهذب من أكثر الناس وعن أبى عبيد ماقرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بنى أسد زاجرة ومانزل فيها من قوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون (فإن قلت) هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا ولاتدخلوا مع كراهتهم (قلت) بعد أن جزم النهى عن الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة فى كونه منهيا عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن (فإن قلت) فإذا عرض أمر فى دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب إنكاره (قلت) ذلك مستثنى بالدليل ۞ أى الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أوأنمع وأنمى خيرا ۞ ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون ومايذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ۞ واستثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ماليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهى الخانات والربط وحوانيت البياعين ۞ المتاع المنفعة كالاستكنان من الحرّ والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى أن أبا بكر رضى الله عنه قال يارسول الله إنّ الله تعالى قد أنزل عليك آية فى الاستئذان وإنا نختلف فى تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلاندخلها إلا بإذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة ۞ من للتبعيض والمراد غضّ البصر عما يحرم والاقتصار به على مايحل وجوّز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه (فإن قلت) كيف دخلت فى غضّ البصر دون حفظ الفروج (قلت) دلالة على أن أمر النظر أوسع ألاترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهنّ وصدورهنّ وثديهنّ وأعضادهنّ وأسوقهنّ وأقدامهنّ وكذلك الجوارى المستعرضات والأجنبية بنظر

ذكر فإن له فائدة وثمرة تميل النفوس اليها وتنفر من ضدها وهو الاستيحاش الحاصل بتقدير عدم الاستئذان ففيه تهيض

فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ

إلى وجهها وكفيها وقدميها فى إحدى الروايتين وأما أمر الفرج فضيق وكفاك فرقا أن أبيح النظر إلا مااستثنى منه وحظر الجماع إلا مااستثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى مالا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل مافى القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد به الاستتار ۝ ثم أخبر أنه (خبير) بأفعالهم وأحوالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم إذ عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر فى كل حركة وسكون ۝ النساء مأمورات أيضاً بغض الأبصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبى إلى ماتحت سرته إلى ركبته وإن اشتهت غضت بصرها رأساً ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضها بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يارسول الله أليس أعمى لايبصرنا قال أفعميا وإن أنتما ألستما تبصرانه (فإن قلت) لم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج (قلت) لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه ۝ الزينة مازينت به المرأة من حلىّ أو كحل أو خضاب فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب وماخفى منها كالسوار والخلخال والدماج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة فى الأمر بالتصوّن والتستر لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لايحل النظر إليها لغير هؤلاء وهى الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها لامقال فى حله كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكنا فى الحظر ثابت القدم فى الحرمة شاهداً على أن النساء حقهن أن يحتطن فى سترها ويتقين الله فى الكشف عنها (فإن قلت) ماتقول فى القراميل هل يحل نظر هؤلاء إليها (قلت) نعم (فإن قلت) أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر إلى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على مايحاذى ماتحت السرة (قلت) الأمر كما قلت ولكن أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلى لأنه لايقع إلا فوق اللباس ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلا عن هؤلاء إلا إذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر إليه فلا يحل النظر إلى القراميل واقعة عليه (فإن قلت) ماالمراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذى تلابسه الزينة منه (قلت) الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل فى عينيه والخضاب بالوسمة فى حاجبيه وشاربيه والغمرة فى خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء (فإن قلت) لم سومح مطلقا فى الزينة الظاهرة (قلت) لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لاتجد بداً من مزاولة الأشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشى فى الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله (إلا ماظهر منها) يعنى إلا ماجرت العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور وإنما سومح فى الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم

للدواعى على سلوك هذا الأدب والله سبحانه وتعالى أعلم ۝ قوله تعالى ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها (قال المراد النهى عن إبداء مواضع الزينة فليس النهى عن إظهار الزينة مقصوداً لعينه ولكن جعل نفسها كناية عن النهى عن إبداء مواقعها بطريق الأولى) قال أحمد وقوله تعالى عقيب ذلك ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن محقق أن

(قوله كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب) فى الصحاح الفتخة بالتحريك حلقة من فضة لافص فيها فإذا كان فيها فص فهو الخاتم وربما جعلها المرأة فى أصابع رجليها وفيه الإكليل شبه عصابة تزين بالجوهر ويسمى التاج إكليلا (قوله فإن قلت ماتقول فى القراميل) فى الصحاح القراميل ماتشده المرأة فى شعرها (قوله والخضاب بالوسمة فى حاجبيه)

أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُولِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ

ومخالطتهم واقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة إلى صحبتهم فى الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك ۞ كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وماحواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدى على الحائط إذا وضعتها عليه وعن عائشة رضى الله عنها مارأيت نساء خيراً من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فأصبحن كأن على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لأجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل فى نسائهن هنّ المؤمنات لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدى مشركة أوكتابية عن ابن عباس رضى الله عنهما والظاهر أنه عنى بنسائهن وماملكت أيمانهن من فى صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء فى حل نظر بعضهن إلى بعض وقيل ماملكت أيمانهن هم الذكور والإناث جميعاً وعن عائشة رضى الله عنها أنها أباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان إنك إذا وضعتنى فى القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لاتغرنكم آية النور فإنّ المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لأنّ عبد المرأة بمنزلة الأجنبى منها خصياً كان أوفحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصى فتقنعت منه فقال هو خصى فقالت يامعاوية أترى أن المثلة به تحلل ماحرّم الله وعند أبى حنيفة لايحل استخدام الخصيان وإمساكهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم (فإن قلت) روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصى فقبله (قلت) لايقبل فيما تعم به البلوى إلاحديث مكشوف فإنّ صح فلعله قبله ليعتقه أولسبب من الأسباب (الإربة) الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولاحاجة لهم إلى النساء لأنهم بله لايعرفون شيئاً من أمرهنّ أوشيوخ صلحاء إذا كانوا معهن غضوا أبصارهم أوبهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء أوالحال والجرّ على الوصفية ۞ وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين مابعده أن المراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا (لم يظهروا) إمّا من ظهر على الشىء إذا اطلع عليه أى لايعرفون ماالعورة ولايميزون بينها وبين غيرها وإمّا من ظهر على فلان إذا قوى عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أى لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهى لغة هذيل (فإن قلت) لم لم يذكر الله الأعمام والأخوال (قلت) سئل الشعبى عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه أن سائر القرابات يشرك الأب والابن فى المحرمية إلاالعم والخال وأبناءهما فإذارآها الأب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيدانى تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن فى التستر ۞ كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب بأحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين وإذا نهين عن إظهار صوت الحلى بعد مانهين عن إظهار الحلى علم بذلك أن النهى عن إظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ

إبداء الزينة بعينه مقصود بالنهى لأنه قد نهى عما هو ذريعة إليه خاصة إذ الضرب بالأرجل لم يعلل النهى عنه إلابعلم أن المرأة ذات زينة وإن لم تظهر فضلا عن مواضعها والله أعلم

فى الصحاح الوسمة بكسر السين المظلم يختضب به وتسكينها لغة وفيه العظلم نبت يصبغ به وفيه أيضاً الغمرة طلاء يتخذ من الورس (قوله قامت كل واحدة منهن إلى مرطها) فى الصحاح المرط كساء من صوف أوخز كان يؤتزر به وفيه أيضا مرط مرحل إزار خز فيه علم (قوله يشترك الأب والابن فى المحرمية) الرابط محذوف أى يشترك بها الأب الخ

عَوْرَاتِ النِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن

۞ أوامر الله ونواهيه فى كل باب لايكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد ولايخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضى الله عنهما توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة (فإن قلت) قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ماقبله فما معنى هذه التوبة (قلت) أراد بها ما يقوله العلماء إن من أذنب ذنباً ثم تاب عنه يلزمه كلما يذكره أن يجدد عنه التوبة لأنه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه إلى أن يلقى ربه وقرئ آيه المؤمنون بضم الهاء ووجه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ماقبلها (الأيامى) واليتامى أصلهما أيائم ويتائم فقلبا والأيم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال

فإن تنكحى أنكح وإن تتأيمى ۞ وإن كنت أفتى منكم أتأيم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم والمراد أنكحوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الأمر للندب لما علم من أن النكاح أمر مندوب إليه وقد يكون للوجوب فى حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوباً إليه قوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتى فليستن بسنتى وهى النكاح وعنه عليه الصلاة والسلام من كان له مايتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه عليه الصلاة والسلام إذا تزوج أحدكم عج شيطانه ياويله عصم ابن آدم منى ثلثى دينه وعنه عليه الصلاة والسلام ياعياض لاتزوجن عجوزاً ولاعاقراً فإنى مكاثر والأحاديث فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وعن النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتى على أمتى مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفى الحديث يأتى على الناس زمان لاتنال المعيشة فيه إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة (فإن قلت) لم خص الصالحين (قلت) ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد فى الأثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ۞ ينبغى أن تكون شريطة الله غير منسية فى هذا الموعد ونظائره وهى مشيئته ولا يشاء

۞ قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم الآية (قال هذا أمر والمراد به الندب ثم ذكر أحاديث تدل على ذلك وأدرج فيها قوله عليه الصلاة والسلام من وجد نكاحا فلم ينكح فليس منا) قال أحمد وهذا بأن يدل على الوجوب أولى ولكن قد ورد مثله فى ترك السنن كثيراً وكان المراد من لم يستن بسنتنا على أنه قد ورد فى الواجب كقوله من غشنا فليس منا ومجانبة الغش واجبة ومن شهر السلاح فى فتنة فليس منا ومثله كثير ۞ عاد كلامه قوله إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (قال فيه ينبغى أن تكون شريطة

(قوله من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم) فى الصحاح العيمة شهوة اللبن وفيه الغيم العطش وحر الجوف اه وهو يفيد أن الغيمة المرة من ذلك وفيه الأيامى الذين لاأزواج لهم من الرجال والنساء وآمت المرأة من زوجها فتئيم أيمة وفيه كزم الشيء بمقدم فيه أى كسره واستخرج مافيه وفيه قرم الصبى والبهم قرما وهو أكل ضعيف فى أول ما يأكل والقرم بالتحريك شدة شهوة اللحم اه ويروى فى الحديث القذم بالذال بدل الراء وفى الصحاح القذم على وزن الهجف الشديد وفيه أيضا الهجف من النعام ومن الناس الجافى الثقيل قال الكميت : هو الأضبط الهواس فينا شجاعه ۞ وفيمن يعاديه الهجف المثقل ولا يستقيم الوزن إلا بتشديد الفاء وفيه الهواس الأسد (قوله إذا تزوج أحدكم عج شيطانه) أى صاح

الحكيم إلاما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» وقد جاءت الشريطة منصوصة فى قوله تعالى «وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إنّ الله عليم حكيم» ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فأفقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففنى وأصبح مسكينا وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضى الله

الحكمة والمصلحة غير منسية واستشهد على ذلك بقوله وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء) قال أحمد جنوحه للمعتقد الفاسد يمتنح عليه الصواب فإنّ معتقده وجوب رعاية المصالح على الله تعالى فمن ثم شرط الحكمة والمصلحة محجراً واسعاً من فضل الله تعالى ثم استشهد على ذلك بما يشهد عليه لا له فإنّ قوله تعالى فى الآية الأخرى إن شاء يقتضى أنّ وقوع الغنى مشروط بالمشيئة خاصة وهذا معتقد أهل الحق فطاح اشتراط الحكمة عن محل الاستدلال تعالى عن الإيجاب رب الأرباب لكن ينبغى التنبه لنكتة تدعو الحاجة إلى التنبيه عليها ليعم نفعها ويعظم وقعها إن شاء الله وذلك أنا إذا بنينا على أن ثم شرطا محذوفا فلا بدّ من تقديره ضرورة صدق الخبر إذ لو اعتقدنا أن الله تعالى يغنى كل متزوج على الإطلاق مع أنا نشاهد كثيراً ممن استمرّ به الفقر بعد النكاح بل زاد للزم خلف الوعد تقدّس الله وتعالى عن ذلك فقد ثبت الاضطرار إلى تقدير شرط للجمع بين الوعد والواقع فالقدرية يقولون المراد إن اقتضت الحكمة ذلك فكل من لم يغنه الله بأثر التزوج فهو ممن لم تقتض الحكمة إغناءه وقد أبطلنا أن يكون هذا الشرط هو المقدر وحتمنا أن المقدر شرط المشيئة كما ظهر فى الآية الأخرى وحينئذ فكل من لم يستغن بالنكاح فذلك لأن الله تعالى لم يشأ غناءه * فلقائل أن يقول إذا كانت المشيئة هى المعتبرة فى غنى المتزوج فهى أيضا المعتبرة فى غنى الأعزب فما وجه ربط وعد الغنى بالنكاح مع أن حال الناكح منقسم فى الغنى على حسب المشيئة فمن مستغن به ومن فقير كما أن حال غير الناكح كذلك منقسم وليس هذا كإضرار شرط المشيئة فى الغفران للموحد العاصى فإن الوعد ثم له ارتباط بالتوحيد وإن ارتبط بالمشيئة أيضا من حيث أن غير الموحد لا يغفر الله له حتما ولا نستطيع أن تقول وغير الناكح لا يغنيه الله حتما لأن الواقع يأباه * فالجواب وبالله التوفيق أن فائدة ربطه الغنى بالنكاح أنه قد ركز فى الطباع السكون إلى الأسباب والاعتماد عليها والغفلة عن المسبب جلّ وعلا حتى غلب الوهم على العقل فخيل أن كثرة العيال سبب يوجب الفقر حتما وعدمها سبب يوجب توفير المال جزما وإن كان واحد من هذين السببين غير مؤثر فيما ربطه الوهم به فأريد قلع هذا الخيال المتمكن من الطبع بالإيذان بأن الله تعالى قد يوفر المال وينميه مع كثرة العيال التى هى سبب فى الأوهام لنفاد المال وقد يقدّر الإملاق مع عدمه الذى هو سبب فى الإكثار عند الأوهام والواقع يشهد لذلك بلا امراء فدل ذلك قطعا على أن الأسباب التى يتوهمها البشر مرتبطات بمسبباتها ارتباطا لا ينفك ليست على ما يزعمونه وإنما يقدّر الغنى والفقر مسبب الأسباب غير موقوف تقدير ذلك إلا على مشيئة خاصة وحينئذ لا ينفر العاقل المتيقظ من النكاح لأنه قد استقرّ عنده أن لا أثر له فى الإقتار وأن الله تعالى لا يمنعه ذلك من إغنائه ولا يؤثر أيضا الخلوعن النكاح لأجل التوفير لأنه قد استقرّ أن لا أثر له فيه وأن الله تعالى لا يمنعه مانع أن يقتر عليه وأن العبد إن تعاطى سبباً فلا يكن ناظراً إليه ولكن إلى مشيئة الله تعالى وتقدس فمعنى قوله حينئذ إن يكونوا فقراء الآية أن النكاح لا يمنعهم الغنى من فضل الله فعبر عن نفى كونه مانعا من الغنى بوجوده معه ولا تبطل المانعية إلا وجود ما يتوهم ممنوعا مع ما يتوهم مانعا ولو فى صورة من الصور على اثر ذلك فمن هذا الوادى أمثال قوله تعالى «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض» فإن ظاهر الأمر طلب الانتشار عند انقضاء الصلاة وليس ذلك بمراد حقيقة ولكن الغرض تحقيق زوال المانع وهو الصلاة وبيان أن الصلاة متى قضيت فلا مانع فعبر عن نفى المانع بالانتشار بما يفهم تقاضى الانتشار مبالغة فى تحقيق المعنى عند السامع والله أعلم فتأمل هذا الفصل واتخذه عضدا حيث الحاجة اليه

(قوله إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة) كأنه مبنى على أنه تعالى يجب عليه فعل الصلاح وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة لا يجب على الله شيء (قوله فقال عليك بالباءة) فى الصحاح سمى النكاح باء وباءة لأن الرجل يتبوأ من أهله أى يستمكن منها كما يتبوأ من داره وفيه أيضا الرازح من الإبل الهالك هزالا اه فإن كان مختصا بالإبل فقد يتوسع فيه إلى غيرها

فَضْلِه وَاللّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِه وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللّهِ الَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ

عنه عجب لمن لايطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت فى أول أمرى على ماعلمت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن الفقر فلما ولدلى الثانى زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صبّ الله علىّ الخير صبا فأصبحت إلى ماترى (والله واسع) أى غنى ذوسعة لايرزؤه إغناء الخلائق ولكنه (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (وليستعفف) وليجتهد فى العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه (لايجدون نكاحا) أى استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح ماينكح به من المال (حتى يغنيهم الله) ترجية المستعفين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفالهم فى استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك أنّ فضله أولى بالإعفاء وأدنى من الصلحاء وماأحسن مارتب هذه الأوامر حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذى يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه (والذين يبتغون) مرفوع على الابتداء أو منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيداً فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى إذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند أبى حنيفة رضى الله عنه حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لأن الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعى رضى الله عنه لايجوز إلا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لأن العبد لايملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لأنه لايقدر على أداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة فى مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر فى مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه آجرها وجصها ومايبنى به وإن كاتبه على قيمته لم يجز فإن أداها عتق وإن كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له أن يطأ المكاتبة وإذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لأنه جاد عليه بالكسب الذى هو فى الأصل له وهذا الأمر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن رضى الله عنه ليس ذلك بعزم إن شاء كاتب وإن شاء لم يكاتب وعن عمر رضى الله عنه هى عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود (خيرا) قدرة على أداء مايفارقون عليه وقيل أمانة وتكسبا وعن سلمان رضى الله عنه أن مملوكا له ابتغى أن يكاتبه فقال أعندك مال قال لا قال أفتأمرنى أن آكل غسالة أيدى الناس (وآتوهم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذى جعل الله لهم من بيت المال كقوله تعالى وفى الرقاب عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم (فإن قلت) هل يحل لمولاه إذا كان غنيا أن يأخذ ماتصدق به عليه (قلت) نعم وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقى طاب للمولى ماأخذه لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعى رضى الله عنه هو إيجاب على الموالى أن يحطوا لهم من مال الكتابة وإن لم يفعلوا أجبروا وعن على رضى الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رضى

(قوله لايرزؤه إغناء الخلائق) أى لاينقصه (قوله وليجتهد فى العفة وظلف النفس) فى الصحاح ظلف نفسه عن الشىء أى منعها وظلفت نفسى عن كذا بالكسر أى كفت (قوله وعزفها عن الطموح إلى الشهوة) فى الصحاح عزفت نفسى عن الشىء زهدت فيه وانصرفت عنه (قوله وإن كاتبه على وصيف جاز) الوصيف الخادم غلاما كان أو جارية كذا فى الصحاح

عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ

الله عنه أنه كاتب عبداله يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب فى الإسلام فأتاه بأول نجم فدفعه اليه عمر رضى الله عنه وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته إلى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا عند أبى حنيفة رضى الله عنه على وجه الندب وقال إنه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم أسلفوهم وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروى أنه كان لحويطب بن عبدالعزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت ۞ كانت إماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبدالله بن أبىّ رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وفتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ۞ ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة وفى الحديث ليقل أحدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وأمتى ۞ والبغاء مصدر البغى (فإن قلت) لم أقحم قوله (إن أردن تحصنا) (قلت) لأنّ الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها وكلمة إن وإيثارها على إذا إيذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ماوجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر (غفور رحيم) لهم أولهن أولهم ولهن إن تابوا وأصلحوا وفى قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم (فإن قلت) لاحاجة إلى تعليق المغفرة بهن لأن المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه فى أنها غير آثمة (قلت) لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الإثم وربما قصرت عن الحد الذى تعذر فيه فتكون آثمة (مبينات) هى الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فى معانى الأحكام والحدود ويجوز أن يكون الأصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف وقرئ بالكسر أى بينت هى الأحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين (ومثلا من) أمثال من (قبلكم) أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضى الله عنها (وموعظة) ماوعظ به فى الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لولا إذ سمعتموه. ولولا إذ سمعتموه. يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ۞ نظير قوله (الله نور السموات والأرض) مع قوله مثل نوره. ويهدى الله لنوره: قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والأرض الحق شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولى الذين

۞ قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا (قال إن قلت لم أقحم قوله إن أردن تحصنا قلت لأن الإكراه لا يكون إلا إذا أردن تحصنا ولا يتصور إلا كذلك إذ لولا ذلك لكن مطاوعات ولم يجب بما يشفى الغليل) وعند العبد الفقير إلى الله تعالى أن فائدة ذلك والله أعلم أن يبشع عند المخاطب الوقوع فيه لكى يتيقظ أنه كان ينبغى له أن يأنف من هذه الرذيلة وإن لم يكن زاجر شرعى ووجه التبشيع عليه أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لأنها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو يأبى إلا إكراهها عليها ولو أبرز مكنون هذا المعنى لم يقع الزاجر من النفس موقعه وعسى هذه الآية تأخذ بالنفوس الدنية فكيف بالنفوس العربية والله الموفق

(قوله وأروى وفتيلة يكرههن على البغاء) لعله قتيلة بالقاف بدل الفاء كما فى عبارة النسفى (قوله والبغاء مصدر البغى) عبارة النسفى مصدر لبغت

يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ

آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور: أى من الباطل إلى الحق وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين إما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضىء له السموات والأرض وإما أن يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به (مثل نوره) أى صفة نوره العجيبة الشأن فى الإضاءة (كمشكاة) كصفة مشكاة وهى الكوة فى الجدار غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (فى زجاجة) أراد قنديلا من زجاج شامى أزهر ۞ شبهه فى زهرته بأحد الدرارى من الكواكب وهى المشاهير كالمشترى والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها (توقد) هذا المصباح (من شجرة) أى ابتدأ ثقوبه من شجرة الزيتون يعنى رويت ذبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لأنها تنبت فى الأرض التى بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من الباسور (لا شرقية ولا غربية) أى منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا فى مضحى ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى شجرة فى مقناة ولا نبات فى مقناة ولا خير فيهما فى مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس فى وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشى جميعاً فهى شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه لتلألئه (يكاد) يضىء من غير نار (نور على نور) أى هذا الذى شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوى النور ويزيده إشراقا ويمده بإضاءة بقية وذلك أن المصباح إذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شىء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه (يهدى الله) لهذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده أى يوفق لإصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالأعمى الذى سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علىّ رضى الله عنه الله نور السموات والأرض أى نشر فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبىّ بن كعب رضى الله عنه مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودرى منسوب إلى الدر أى أبيض متلألئ ودرّىء بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرىء كمريق ودرى كالسكينة عن أبى زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف التاء وفتح الياء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسه بالياء لأن التأنيث ليس بحقيقى والضمير فاصل (فى بيوت) يتعلق بما قبله أى كمشكاة فى بعض بيوت الله وهى المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى فى المسجد نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أى يسبح له رجال فى بيوت وفيها تكرير كقولك زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله فى تسع آيات أى سبحوا فى بيوت ۞ والمراد بالإذن الأمر ورفعها بناؤها كقوله «بناها. رفع سمكها فسواها» «وإذ يرفع إبراهيم القواعد» وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى المساجد أمر الله

(قوله من الظلمات إلى النور أى من الحق إلى الباطل) لعله مقلوب وأصله من الباطل إلى الحق كعبارة النسفى (قوله قنديلا من زجاج شامىٍ أزهر) نعت لزجاج ويوضحه قوله أزهر وعبارة النسفى شامى بكسر الزاى أى قرأ الشامى زجاجة بكسر الزاى (قوله يعنى زويت ذبالته بزيتها) فى الصحاح زويت الشىء جمعته وقبضته وانزوت الجلدة فى النار أى اجتمعت وتقبضت وفيه الذبالة الفتيلة ولعله رويت بالراء كما فى عبارة النسفى (قوله وقيل لا مضحى ولا مقناة) فى الصحاح المقناة المكان الذى لا تطلع عليه الشمس (قوله بالصفاء والوبيص) البريق واللمعان أفاده الصحاح

فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۞ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا

أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن رضى الله عنه ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) أوفق له وهو عام فى كل ذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما وأن يتلى فيها كتابه ۞ وقرئ يسبح على البناء المفعول ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دلّ عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن أبى جعفر رضى الله عنه بالتاء وفتح الباء ووجهها أن يسند إلى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الأوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما ۞ والآصال جمع أصل وهو العشى والمعنى بأوقات الغدو أى بالغدوات وقرئ والإيصال وهو الدخول فى الأصيل يقال آصل كأظهر وأعتم ۞ التجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح فإما أن يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لأنه فى الإلهاء أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهى طلبته الكلية من صناعته ألهتـه ما لا يلهيه شراء شىء يتوقع فيه الربح فى الوقت الثانى لأن هذا يقين وذاك مظنون وأمّا أن يسمى الشراء تجارة إطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة إذا اتجه له بيع صالح أو شراء وقيل التجارة لأهل الجلب اتجر فلان فى كذا إذا جلبه ۞ التاء فى إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه ۞ وأخلفوك عد الأمر الذى وعدوا ۞ وتقلب القلوب والأبصار إمّا أن تتقلب وتتغير فى أنفسها وهو أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وإمّا أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الأبصار بعد أن كانت عميا لا تبصر (أحسن ما عملوا) أى أحسن جزاء أعمالهم كقوله «للذين أحسنوا الحسنى» والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل، وعطاء الله تعالى إما تفضل وإما ثواب وإما عوض (والله يرزق) ما يتفضل به (بغير حساب) فأمّا الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق ۞ السراب ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجرى ۞ والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الأرض كجيرة فى جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات فى ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطاش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد مارجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الإسلام ۞ اللجى العميق الكثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر ۞ وفى (أخرج) ضمير الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة فى لم يرها أى لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها ومثله قول ذى الرمة

فما له من نور ۞ ألم تر أن الله يسبح له من في السموت والأرض والطير صفت كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ۞ ولله ملك السموت والأرض وإلى الله المصير ۞ ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصر ۞ يقلب الله اليل والنهار إن في ذلك

إذا غير النأي المحبين لم يكد ۞ رسيس الهوى من حب مية يبرح

أى لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه أعمالهم أولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار ولا يقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو فى ظلمة الباطل لانور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لأن الألطاف إنما تردف الإيمان والعمل أو كونهما مترقبين ألا ترى إلى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الإضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الأولى (صافات) يصففن أجنحتهن فى الهواء ۞ والضمير فى (علم) لكل أو لله وكذلك فى (صلاته وتسبيحه) والصلاة الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التى لا يكاد العقلاء يهتدون إليها (يزجى) يسوق ومنه البضاعة المزجاة التى يزجيها كل أحد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض وجاز بينه وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كما قيل فى قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر (من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خاله (وينزل) بالتشديد ويكاد سنا على الإدغام وبرقه جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل فى جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سنى للمرتفع و(يذهب بالأبصار) على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم عن أبى جعفر المدنى وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من فى السموات والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاءهم له وابتهالهم إليه وأنه سخر السحاب التسخير الذى وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق فى السحاب الذى يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه إلا براهين فى غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر (فإن قلت) متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من فى السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد فى السماء حتى قيل له ألم تر (قلت) علمه من جهة إخبار الله إياه بذلك على طرق الوحى (فإن قلت) ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة فى قوله من السماء من جبال من برد (قلت) الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال (فإن قلت) ما معنى من جبال فيها من برد (قلت) فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الأرض جبال حجر والثانى أن يريد

(قوله واحدا كالعماء وجمعا كالرباب) فى الصحاح الرباب بالفتح سحاب أبيض (قوله أنه يكون قزعا فيضم بعضه) القزع قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة (قوله ويكاد سنا على الإدغام) لعل رسمه هكذا يكاسنا إلا أن يعتبر ما قبل الإدغام

لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصَٰرِ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُولَٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوٓا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن

الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ماوراءه حكمه كأن الدواب كلهم يميزون فمن ثمة قيل فمنهم وقيل من يمشى فى الماشى على بطن والماشى على أربع قوائم (فإن قلت) لم نكر الماء فى قوله (من ماء) (قلت) لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل (فإن قلت) فما باله معرفا فى قوله «وجعلنا من الماء كل شىء حى» (قلت) قصد ثمة معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذى هو جنس الماء وذلك أنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه (فإن قلت) لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب (قلت) قدم ماهو أعرق فى القدرة وهو الماشى بغير آلة مشى من أرجل أو قوائم ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع (فإن قلت) لم سمى الزحف على البطن مشيا (قلت) على سبيل الاستعارة كما قالوا فى الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر ويقال فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (وما أولئك بالمؤمنين) إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا أو إلى الفريق المتولى فمعناه على الأول إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا الفريق المتولى وحده وعلى الثانى إعلام بأن الفريق المتولى لم يكن ماسبق لهم من الإيمان إيمانا إنما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لأنه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولى والإعراض والتعريف فى قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الإيمان الموصوفون فى قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ومعنى (إلى الله ورسوله) إلى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله ۞ غلسته قبل القطا وفرطه ۞ أراد قبل فرط القطا روى أنها نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما فى أرض فجعل اليهودى يجره إلى رسول الله والمنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا يحيف علينا وروى أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين على بن أبى طالب

۞ قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء (قال فيه إن قلت لم نكر ماء ههنا وعرفه فى قوله وجعلنا من الماء كل شىء حى قلت الغرض فيما نحن فيه أنه تعالى خلق كل دابة من نوع من الماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات بحسب اختلاف نطفها فمنها كذا ومنها كذا ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل وأما آية اقترب فالغرض فيها أن أجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس) قال أحمد وتحرير الفرق أن المقصد فى الأولى إظهار الآية بأن شيئا واحدا تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة ذكر تفصيلها فى آية النور والرعد والمقصد فى آية اقترب أنه خلق الأشياء المتفقة فى جنس الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع فذكر معرفا ليشمل أنواعه المختلفة فالآية فى الأول لإخراج المختلف من المتفق والله أعلم

(قوله مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة) فى الصحاح الجحفلة للحافر كالشفة للإنسان اهـ أى لذى الحافر

(قوله ومنه قوله غلسته قبل القطا) فى الصحاح الغلس ظلمة آخر الليل والتغليس السير من الليل بغلس يقال غلسنا الماء أى وردناه بغلس

لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ أَطِيعُوا

رضى الله عنه خصومة فى ماء وأرض فقال المغيرة أمّا محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فإنه يبغضنى وأنا أخاف أن يحيف على (إليه) صلة يأتوا لأن أتى وجاء قد جاءا معدّيين بإلى أو يتصل بمذعنين لأنه فى معنى مسرعين فى الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المرّ والعدل البحت يزورون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذلهم ماذاب لهم فى ذمة الخصم ۞ ثم قسم الأمر فى صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين فى أمر نبوته أو خائفين الحيف فى قضائه ثم أبطل خوفهم حيفة بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لايخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتمّ لهم جحوده وذلك شيء لايستطيعونه فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثمة يأبون المحاكمة اليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما فى التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لاسبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان فى قوله « ما كان لله أن يتخذ من ولد » مايكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (فإن قلت) إلام أسند يحكم ولا بد له من فاعل (قلت) هو مسند إلى مصدره لأن معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فمن قرأ بينكم منصوبا أى وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشترلنا سويقا ولقد جمع الله فى هذه الآية أسباب الفوز وعن ابن عباس فى تفسيرها (ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) فى سننه (ويخش الله) على مامضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية ۞ جهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنه من قال بالله جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم و(طاعة معروفة) خبر مبتدا محذوف أو مبتدا محذوف الخبر أى أمركم والذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لايشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخاص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لاأيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرأ اليزيدى طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة (إن الله خبير) يعلم مافى ضمائركم ولايخفى عليه شيء من سرائركم وأنه فاضحكم لامحالة ومجازيكم على نفاقكم ۞ صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ فى تبكيتهم ۞ يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ماحمله الله وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقى بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وإن أطعتموه

(قوله ماذاب لهم فى ذمة الخصم) فى الصحاح ذاب لى عليه من الحق كذا إذا وجب وثبت

اللّٰه وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ۞ وعد اللّٰه الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ۞ وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ۞ لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ۞ يا أيها الذين ءامنوا

فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول إلا ناصح وهاد وما عليه إلا أن يبلغ ماله نفع فى قبولكم ولا عليه ضرر فى توليكم ۞ والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية ۞ ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات ۞ الخطاب لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتى فى آخر سورة الفتح وعدهم اللّٰه أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك أن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى اللّٰه عليه وسلم لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز اللّٰه وعدهم وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله صلى اللّٰه عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يملك اللّٰه من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها ۞ وقرئ كما استخلف على البناء المفعول وليبدلنهم بالتشديد (فإن قلت) أين القسم المتلقى باللام والنون فى (ليستخلفنهم) (قلت) هو محذوف تقديره وعدهم اللّٰه وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد اللّٰه فى تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم اللّٰه ليستخلفنهم (فإن قلت) ما محل (يعبدوننى) (قلت) إن جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال مالهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى وإن جعلته حالا عن وعدهم أى وعدهم اللّٰه ذلك فى حال عبادتهم وإخلاصهم فمحله النصب (ومن كفر) يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم اللّٰه (فأولئك هم الفاسقون) أى هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها (فإن قلت) هل فى هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين (قلت) أوضح دليل وأبينه لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلاة) معطوف على أطيعوا اللّٰه وأطيعوا الرسول وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين فى الأرض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز اللّٰه فى الأرض حتى يطمعوا هم فى مثل ذلك وهذا معنى قوى جيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره فى قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذى هو المفعول الأول وكان الذى سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشئ واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله (ومأواهم النار) على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون اللّٰه ومأواهم النار والمراد بهم

(قوله ماله نفع فى قبولكم ولا عليه ضرر) عبارة النسفى فى قلوبكم (قوله لا تغبرون إلا يسيرا) أى لا تبقون أفاده الصحاح (قوله ثم تصير بزيزى قطع سبيل) فى الصحاح بزه يبزه بزا سلبه والاسم البزيزى مثل الخصيصى (قوله وجسروا على غمطها) أى احتقارها

لِيَسْتَئْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْأَيَٰتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَئْذِنُوا كَمَا اسْتَئْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَالْقَوَٰعِدُ مِنَ النِّسَآءِ

المقسمون جهد أيمانهم ۞ أمر بأن يستأذن العبيد وقيل العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ماينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرّد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكان والأعور المختل العين ۞ ثم عذرهم فى ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر فى قوله (طوافون عليكم) يعنى أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان فى كل وقت لأدّى إلى الحرج وروى أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر إلى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أنّ الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لايدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهى إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضى الله تعالى عنه وقيل نزلت فى أسماء بنت أبى مرشد قالت إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان فى لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير فى وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها وعن أبى عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات وعن الأعمش عورات على لغة هذيل ۞ (فإن قلت) ما محل ليس عليكم (قلت) إذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك فى محل الرفع على الوصف والمعنى هنّ ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان وإذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقرراً للأمر بالاستئذان فى تلك الأحوال خاصة (فإن قلت) بم ارتفع (بعضكم) (قلت) بالابتداء وخبره (على بعض) على معنى طائف على بعض وحذف لأن طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمراً لتلك الدلالة (الأطفال منكم) أى من الأحرار دون المماليك (الذين من قبلهم) يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم فى قوله ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى أنّ الأطفال مأذون لهم فى الدخول بغير إذن إلا فى العورات الثلاث فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حدّ الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التى يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا فى جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن وهذا مما الناس منه فى غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لايؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإنى لآمر جارتى أن تستأذن على وسأله عطاء أأستأذن على أختى قال نعم وإن كانت فى حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهنّ الناس الإذن كله وقوله إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا وقوله وإذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم وعن الشعبى ليست منسوخة فقيل له إن

(قوله ومنها أعور الفارس) فى الصحاح أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب (قوله وقيل نزلت فى أسماء بنت أبى مرشد) لعله مرثد كما فى عبارة النسفى

ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ

الناس لايعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هى منسوخة ولا والله ماهى منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها (فإن قلت) ماالسن التى يحكم فيها بالبلوغ (قلت) قال أبو حنيفة ثمانىعشرة سنة فى الغلام وسبع عشرة فى الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن على رضى الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق فى قوله مازال مذ عقدت يداه إزاره ۞ فسما فأدرك خمسة الأشبار واعتبر غيره الإنبات وعن عثمان رضى الله عنه أنه سئل عن غلام فقال هل اخضرّ إزاره ۞ القاعد التى قعدت عن الحيض والولد لكبرها (لايرجون نكاحا) لا يطمعن فيه ۞ والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التى أرادها فى قوله ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أوغير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف إذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا خير لكم (فإن قلت) ماحقيقة التبرج (قلت) تكلف إظهار مايجب إخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لايغيب منه شىء إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها وإظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من أخوات تبرج وتباج كذلك ۞ كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوى العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة فى ذلك وخافوا أن يلحقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعنى عليكم وعلى من فى مثل حالكم من المؤمنين حرج فى ذلك وعن عكرمة كانت الأنصار فى أنفسها قزازة فكانت لاتأكل من هذه البيوت إذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدى إلى الكراهة من قبلهم ولأنّ الأعمى ربما سبقت يده إلى ماسبقت عين أكيله اليه وهو لايشعر والأعرج يتفسح فى مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لايخلو من رائحة تؤذى أوجرح يبض أوأنف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء فى بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكى عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد فى بيته وماله فلما رجع رآه مجهوداً فقال ما أصابك قال لم يكن عندى شىء ولم يحل لى أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولاعليكم أن تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك إذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج فى القعود عن الغزو ولاعليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين فى أن كل واحدة

۞ قوله تعالى والقواعد من النساء اللاتى لايرجون نكاحا فليس عليهنّ جناح أن يضعن ثيابهنّ غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهنّ ۞ قرر الزمخشرى هذه الآية على ظاهرها ۞ ويظهر لى والله أعلم أن قوله تعالى غير متبرجات بزينة من باب ۞ على لاحب لا يهتدى بمناره ۞ أى لامنار فيه فيهتدى به وكذلك المراد هنا والقواعد من النساء اللاتى لازينة لهنّ فيتبرجن بها لأنّ الكلام فيمن هى بهذه المثابة وكأن الغرض من ذلك أن هؤلاء استعفافهم عن وضع الثياب خير لهنّ فما ظنك بذوات الزينة من الشباب وأبلغ مافى ذلك أنه جعل عدم وضع الثياب فى حق القواعد من الاستعفاف

(قوله فى أنفسها قزازة) فى الصحاح القزازة التنطس والتباعد عن الدنس وفيه التنطس المبالغة فى التطهر (قوله أو جرح يبض أو أنف يذن) أى يسيل قليلا قليلا ويذن أى يسيل مخاطه أفاده الصحاح

أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ

منهما منفى عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار فى رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر (فإن قلت) هلا ذكر الاولاد (قلت) دخل ذكرهم تحت قوله (من بيوتكم) لأنّ ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفى الحديث إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم ولأنّ الولد أقرب ممن عدد من القرابات فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذى هو أقرب منهم أولى (فإن قلت) مامعنى (أوما ملكتم مفاتحه) (قلت) أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها فى يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لأنّ مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه (فإن قلت) فما معنى (أو صديقكم) (قلت) معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو يحكى عن الحسن أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين رضى الله عنهم وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ماشاء فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن وعن ابن عباس رضى الله عنهما الصديق أكبر من الوالدين إن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمّهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا إذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم إليه طعام فاستأذن صاحبه فى الأكل منه (جميعا أو أشتاتا) أى مجتمعين أو متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل فإن لم يجد من يواكله أكل ضرورة وقيل فى قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى الأكل وزيادة بعضهم على بعض (فإذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا فبدئوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية

إيذانا بأن وضع الثياب لا مدخل له فى العفة هذا فى القواعد فكيف بالكواعب والله أعلم قوله تعالى ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم إلى قوله تعالى أو صديقكم (قال الصديق يكون واحداً وجمعاً والمراد هنا الجمع) قال أحمد وقد قال الزمخشرى إن سر إفراده فى قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم دون الشافعين التنبيه على قلة الاصدقاء ولا كذلك الشافعون فإنّ الإنسان قد يحمى له ويشفع فى حقه من لا يعرفه فضلا عن أن يكون صديقا ويحتمل فى الآيتين والله أعلم أن يكون المراد به الجمع فلا كلام ويحتمل أن يراد الإفراد فيكون سره ذلك والله أعلم

٭ قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال معناه فسلموا على الجنس الذى هو منكم دينا وقرابة) قال أحمد وفى التعبير عنهم بالأنفس تنبيه على السر الذى اقتضى إباحة الأكل من هذه البيوت المعدودة وأن ذلك إنما كان لأنها بالنسبة إلى الداخل كبيت نفسه لاتحاد القرابة فليطب نفسا بالبساط فيها والله أعلم

(قوله لتأكلوا فبدئوا بالسلام) كذا فى الأصل المنقول منه

يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ۝ إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه إن الذين يستئذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ۝ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء

من عندالله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أولأن التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والحيا من عندالله ۝ ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس رضى الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لى لشىء فعلته لم فعلته ولا قال لى لشىء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبى وأمى يارسول الله قال متى لقيت من أمتى أحداً فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين وقالوا إن لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عندالله وانتصب تحية بسلموا لأنها فى معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا ۝ أراد عزوجل أن يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذنه (إذا كانوا معه على أمر جامع) فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيأ آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ۝ ومعنى قوله (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم ألا تراه كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم بمشيئته وإذنه لمن استصوب أن يأذن له ۝ والأمر الجامع الذى يجمع له الناس فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو أو تشاور فى خطب مهم أو تضام لإرهاب مخالف أو تسامح فى حلف وغير ذلك أو الأمر الذى يعم بضرره أو بنفعه ۝ وقرئ أمر جميع وفى قوله إذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لابد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوى رأى وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضىء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم فى كفايته فمفارقة أحدهم فى مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر فى الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة إليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله (لبعض شأنهم) ۝ وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت فى حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن وقالوا كذلك ينبغى أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم فى نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والأمر فى الإذن مفوض إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه ۝ إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعى أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبى الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده قال دعوات رسول الله

(قوله وجعلهما كالتشبيب له) فى الصحاح التشبيب النسيب يقال هو يشبب بفلانة أى ينسب بها

بعضكم بعضًا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ۞ ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شىء عليم ۞

سورة الفرقان مكية

إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ۞ الذى له ملك السموات

صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة (يتسللون) ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرّج وتدخل ۞ واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعنى ينسلون عن الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض و (لواذاً) حال أى ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن فيأذن له فينطلق الذى لم يؤذن له معه وقرئ لواذاً بالفتح ۞ يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صدّ عنه دونه ومعنى (الذين يخالفون عن أمره) الذين يصدّون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه ۞ الضمير فى أمره لله سبحانه أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه (فتنة) محنة فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر ۞ أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما فى خروجها إلى معنى التكثير فى نحو قوله :

فإن تمس مهجور الفناء فربما ۞ أقام به بعد الوفود وفود

ونحوه قول زهير : أخى ثقة لا تهلك الخمر ماله ۞ ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى أن جميع ما فى السموات والأرض مختصة به خلقاً وملكاً وعلماً فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون فى سترها عن العيون وإخفائها ۞ وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة فى قوله (قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه) يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شىء وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله ۞ والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض فى الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه

﴿القول فى سورة الفرقان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده » (قال يجوز أن يراد بوصفه بالفرقان تفريقه بين الحق والباطل ويجوز أن يراد نزوله مفرقا شيئا فشيئا كما قال وقرآنا فرقناه) قال أحمد والأظهر ههنا هو المعنى

وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۞ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۞ وَقَالُوٓا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ۞ ومشركى كافر بالفرق ۞ وعن ابن الزبير رضى الله عنه على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال لقد أنزلنا إليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ۞ والضمير فى (ليكون) لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير (للعالمين) للجن والإنس (نذيراً) منذراً أى مخوفا أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر (الذى له) رفع على الإبدال من الذى نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه (فإن قلت) كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه (قلت) ما فصل بينهما بشىء لأن المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكأن المبدل منه لم يتم إلا به (فإن قلت) فى الخلق معنى التقدير فما معنى قوله (وخلق كل شىء فقدره تقديراً) كأنه قال وقدر كل شىء فقدره (قلت) المعنى أنه أحدث كل شىء إحداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذى تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى بابى الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقة لما قدر له غير متجاف عنه أو سمى إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شىء فقدره فى إيجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء إلى أمد معلوم ۞ الخلق بمعنى الافتعال كما فى قوله تعالى إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شىء من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير (ولا يملكون) أى لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التى يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التى لا يقدر عليها إلا الله أعجز (قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبدالعزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمى وأبو فكيهة الرومى قال ذلك النضر بن الحرث بن عبدالدار ۞ جاء وأتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل ۞ وظلمهم أن جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب ۞ والزور أن بهتوه بنسبة ما هو برئ منه إليه (أساطير الأولين) ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء واصطبه إذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لأنه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو إياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقى

الثانى لأن فى أثناء السورة بعد آيات وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة قال الله تعالى كذلك أى أنزلناه مفرقا كذلك لنثبت به فؤادك فيكون وصفه بالفرقان فى أول السورة والله أعلم كالمقدمة والتوطئة لما يأتى بعد

(قوله وقد جاء الفرق بمعناه) فى الصحاح والفرق أيضاً الفرقان ونظيره الخسر والخسران قال الراجز ومشركىّ الخ

وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا * انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا * بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ

ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى (فإن قلت) كيف قيل اكتتبها (فهى تملى عليه) وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها (قلت) فيه وجهان أحدهما أراد اكتتابها أو طلبه فهى تملى عليه أو كتبت له وهو أمىّ فهى تملى عليه أى تلقى عليه من كتابه يتحفظها لأنّ صورة الالقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب وعن الحسن أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذى فى معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

وحق الحسن أن يقف على الأولين (بكرة وأصيلا) أى دائما أو فى الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون إلى مساكنهم أى يعلم كل سر خفى فى السموات والأرض ومن جملته ماتسرونه أنتم من الكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمكم أنّ ماتقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ماعلم منكم وعلم منه (فإن قلت) كيف طابق قوله (إنه كان غفورا رحيما) هذا المعنى (قلت) لما كان ماتقدمه فى معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم إنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل * وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربى وخط المصحف سنة لاتغير وفى هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إنّ رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون أى إن صحّ أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا (يأكل الطعام) كما نأكل ويتردد فى الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش * ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا فى الإنذار والتخويف * ثم نزلوا أيضا فقالوا وإن لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش * ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به فى دنياهم ومعاشهم * وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون (فإن قلت) ماوجها الرفع والنصب فى فيكون (قلت) النصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل ومحله الرفع ألا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لأنهما فى حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبدالله بن أبى أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم (مسحورا) سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لاملك (ضربوا لك الأمثال) أى قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لايجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه * تكاثر خير (الذى إن شاء) وهب لك فى الدنيا (خيرا) مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ماوعدك

(قوله وإن أورث ذودا شصائصا جمع شصوص بالفتح وهى الناقة القليلة اللبن (قوله سخرية منهم وطنز) فى الصحاح الطنز السخرية

بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۞ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۞ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۞ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۞ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۞ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ۞ وَيَوْمَ

فى الآخرة من الجنات والقصور ۞ وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله وإن أتاه خليل يوم مسئلة ۞ يقول لاغائب مالى ولاحرم
ويجوز فى ويجعل لك إذا أدغمت أن تكون اللام فى تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو (بل كذبوا) عطف على ماحكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ماوعدك فى الآخرة وهم لايؤمنون بالآخرة ۞ السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن رضى الله عنه أنه اسم من أسماء جهنم (رأتهم) من قولهم دورهم تترا أى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لاترا أى نارهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر فى البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء فى الأحاديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والإرهاق حيث ألقاهم فى مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون فى السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم فى الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة وفى أرجلهم الاصفاد ۞ والثبور الهلاك ودعاؤه أن يقال واثبوراه أى تعال ياثبور فهذا حينك وزمانك (لاتدعوا) أى يقال لهم ذلك أوهم أحقاء بأن يقال لهم وإن لم يكن ثمة قول ومعنى (وادعوا ثبوراً كثيراً) أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم الراجع إلى الموصولين محذوف يعنى وعدها المتقون وما يشاؤنه وإنما قيل كانت لأن ماوعده الله وحده فهو فى تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبا فى اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فإن قلت) مامعنى قوله (كانت لهم جزاء ومصيراً) (قلت) هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لايتم للمتنعم إلا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وان لاتنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير فى (كان) لما يشاؤن والوعد الموعود أى كان ذلك موعوداً واجبا على ربك إنجازه حقيقا أن يسئل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة فى دعواتهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك

۞ قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً (قال فيه هو من قولهم دور بنى فلان تترا أى على المجاز) قال أحمد لاحاجة إلى حمله على المجاز فإن رؤية جهنم جائزة وقدرة الله تعالى صالحة وقد تظافرت الظواهر على وقوع هذا الجائز وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدراكا حسياً وعقليا ألاترى إلى قوله سمعوا لها تغيظاً وإلى محاجتها مع الجنة وإلى قولها هل من مزيد وإلى اشتكائها إلى ربها فأذن لها فى نفسين إلى غير ذلك من الظواهر التى لاسبيل إلى تأويلها إذلامحوج اليه ولو فتح باب التأويل والمجاز فى أحوال المعاد لتطوح الذى يسلك ذلك إلى وادى الضلالة والتحيز

(قوله يتضاعف بغثاثة الموضع) أى فساده ورداءته والاجتواء كراهة المقام بالمكان أفاده الصحاح

يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ۞ قالوا سبحانك

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ۞ يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين (وما يعبدون) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبى الأصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعاً (فان قلت) كيف صح استعمال ما فى العقلاء (قلت) هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شبحا من بعيد ماهو فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد مازيد تعنى أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب (فان قلت) مافائدة أنتم وهم وهلا قيل أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (قلت) ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤل عنه (فإن قلت) فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال (قلت) فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك فى القرآن لطفاً للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن من إضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التى حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذى هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغنى العدل أشد تبرئة وتنزيهاً منه ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازى الذى أسنده الله إلى ذاته فى قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم أوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم ۞ وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه فى هداه الطريق والأصل إلى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير فى معنى جعله ضالا أى ضائعاً لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط فى حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أو

إلى فرق الفلاسفة فالحق أنا متعبدون بالظاهر مالم يمنع مانع والله أعلم ۞ قوله تعالى ويوم نحشرهم ومايعبدون من دون الله إلى قوله قوما بورا (قال) فى هذه الآية كسر بين لمن يزعم أن الله تعالى يضل عباده حقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن منهم ويستعيذون مما نسب إليهم ويقولون بل تفضلك على هؤلاء أوجب أن جعلوا عوض الشكر كفراً فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من ذلك فهم لله أشد تبرئة وتنزيهاً منه ولقد نزهوه حيث أضافوا التفضل بالنعمة إلى الله تعالى وأسندوا الضلال الذى نشأ عنه إلى الضالين فهو شرح للإسناد المجازى فى قوله يضل من يشاء ولو كان مضلا حقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم (قال أحمد) قد تقدم شرح عقيدة أهل الحق فى هذا المعنى وأن الباعث لهم على اعتقاد كون الضلال من خلق الله تعالى التزامهم للتوحيد المحض والإيمان الصرف الذى دل على صحته بعد الأدلة العقلية قوله تعالى الله خالق كل شىء والضلال شىء فوجب كونه خالقه هذا من حيث العموم وأما من حيث الخصوص فأمثال قوله تعالى يضل من تشاء ويهدى

(قوله هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) لعله أم ضلوا كعبارة النسفى (قوله فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم) يدهشوا أو يتحيروا أفاده الصحاح (قوله لقول من يزعم أن الله) يريد أهل السنة القائلين إضلال الله لعباده خلق الضلال فى قلوبهم خلافا للمعتزلة القائلين أنه تعالى لا يخلق الشر ولا يريده

مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۞ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۞

لم يكن (سبحانك) تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الإضلال الذى هو مختص بإبليس وحزبه أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المتقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيه عن الأنداد وأن يكون له نبىّ أو ملك أوغيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصحّ لناولايستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحداً دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونادونك أو ما كان ينبغى لنا أن نكون أمثال الشياطين فى توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وق أ أبو جعفر المدنى نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعنى اتخذ يتعدى إلى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا وإلى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الأولى من المتعدى إلى واحد وهو من أولياء والأصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفى والثانية من المتعدى إلى مفعولين فالأول مابنى له الفعل والثانى من أولياء ومن للتبعيض أى لانتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والذكر ذكر الله والإيمان به أو القرآن والشرائع ۞ والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ ۞ هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان أقصى مايراد بنا ۞ ثم القفول فقد جئنا خراسانا

۞ وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم أنهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم

من تشاء والأصل الحقيقة وقول موسى عليه السلام إن هى إلا فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء فلو كان الإضلال مستحيلا على الله تعالى لما جاز أن يخاطبه الكليم بما لايجوز فإذا أوضح ذلك فالملائكة لم يسئلوا فى هذه الآية عن المضل لعبادهم حقيقة فيقال لهم من أضلّ هؤلاء وإنما قيل لهم أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا فليس الجواب المطابق العتيد أن يقولوا أنت أضللتهم ولو كان معتقدهم أن الله تعالى هو المضل حقيقة لكان قولهم فى جواب هذا السؤال بل أنت أضللتهم مجاوزة لحز السؤال ومحله وإنما كان هذا الجواب مطابقا لو قيل لهم من أضلّ عبادى هؤلاء فقد وضح أن هذا السؤال لايجاب عنه بما تخيله الزمخشرى بتقدير أن يكون معتقدهم أن الله تعالى هو الذى أضلهم وأن عدولهم عنه ليس لأنهم لايعتقدونه ولكن لأنه لايطابق وقد بقى وراء ذلك نظرفى أن جوابهم هذا يدل على معتقدهم الموافق لأهل الحق لأن أهل الحق يعتقدون أن الله تعالى وإن خلق لهم الضلالة إلا أن لهم اختياراً فيها وتميزاً لها ولم يكونوا عليها مقسورين كما هم مقسورون على أفعال كثيرة يخلقها الله فيهم كالحركات الرعشية ونحوها وقد قدمنا فى مواضع أن كل فعل اختيارى له نسبتان إن نظر إلى كونه مخلوقا فهو منسوب إلى الله تعالى وإن نظر إلى كونه اختياريا للعبد فهو منسوب إلى العبد وبذلك قطعت الملائكة فى قولهم بل متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فنسبوا نسيان الذكر إليهم أى الانهماك فى الشهوات الذى نشأ عنه النسيان لأنهم اختاروه لأنفسهم فصدقت نسبته إليهم ونسبوا السبب الذى اقتضى نسيانهم وانهما كهم فى الشهوات إلى الله تعالى وهو استدراجهم ببسط النعم عليهم فبها ضلوا فلا تنافى بين معتقد أهل الحق وبين مضمون قول الملائكة حينئذ بل هما متواطئان على أمر واحد والله أعلم

(قوله هذه المفاجأة بالاحتجاج) التى فى قوله تعالى فقد كذبوكم

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِىٓ أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ۝ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ

سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء (فإن قلت) هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء (قلت) إى والله هى مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهى مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء والياء أيضاً يعنى فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم إنه ليتصرف أى يحتال أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم ۝ الخطاب على العموم للمكلفين ۝ والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله إن الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ۝ وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله أو ضمير مصدر يظلم ۝ الجملة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أعنى من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا إلا له مقام معلوم على معنى وما منا أحد ۝ وقرئ ويمشون على البناء للمفعول أى تمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق (فتنة) أى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه فى الأسواق بعد مااحتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتى وموجب حكمتى على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى أنه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الإنصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وموقع (أتصبرون) بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء فى قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا (بصيرا) عالما بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك أقاويلهم فإن فى صبرك عليها سعادتك وفوزك فى الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وأنها حكمته ومشيئته يغنى من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فإنما بعثناك فقيراً ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوى وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل ومن فى طبقتهم يقولون إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا إدلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض ۝ أى لايأملون لقاءنا بالخير لأنهم كفرة أو لايخافون لقاءنا بالشر والرجاء فى لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لاترجون لله وقارا جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا ۝ اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمداً صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولايخلو إما أن يكونوا عالمين بأن الله لايرسل الملائكة إلى غير الأنبياء وأن الله لايصح أن يرى وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون وإما أن لا يكونوا عالمين بذلك وإنما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التى نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (فإن قلت) مامعنى (فى أنفسهم) (قلت) معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم واعتقدوه كما قال إن فى صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم يقال عتا علينا فلان ۝ وقد وصف العتو بالكبير فبالغ

(قوله ولو قرئ يمشون لكان أوجه) مبنيا للفاعل وفى نسخة يمشون (قوله لايصح أن يرى) هذا مذهب

وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ۞ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۞ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۞ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ۞ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

فى افراطه يعنى أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة فى حسن استئنافها غاية وفى أسلوبها قول القائل

وجارة جساس أبأنا بنابها ۞ كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وفى فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ماأشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وماأغلى نابا بواؤها كليب (يوم يرون) منصوب بأحد شيئين إما بما دل عليه لابشرى أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها ويومئذ للتكرير وإما بإضمار اذكر أى اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال (لابشرى يومئذ للمجرمين) وقوله للمجرمين إما ظاهر فى موضع ضمير وإما لأنه عام فقد تناولهم بعمومه (حجراً محجوراً) ذكره سيبويه فى باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذالله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهى من حجره إذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً ومجيئه على فعل أو فعل فى قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر ۞ عوذ بربى منكم وحجر

(فإن قلت) فإذا قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور (قلت) جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى فى الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لايلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو والموتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم ۞ ليس ههنا قدوم ولا مايشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى أشيائهم وقصد إلى ماتحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثراً ولاعثيراً ۞ والهباء مايخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفى أمثالهم أقل من الهباء (منثوراً) صفة للهباء شبهه بالهباء فى قلته وحقارته عنده وأنه لاينتفع به ثم بالمنثور منه لأنك تراه منتظما مع الضوء فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفا بالأكال ولاأن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثراً أو مفعول ثالث لجعلناه أى فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أى جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة ۞ المستقر المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون ۞ والمقيل المكان الذى يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما أن المترفين فى الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى أنه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك

المعتزلة وعند أهل السنة يصح أن يرى (قوله نحو معاذ الله وقعدك الله) فى الصحاح وقولهم قعيدك لا آتيك وقعيدك الله لا آتيك وقعدك الله لا آتيك يمين للعرب وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر والمعنى بصاحبك الذى هو صاحب كل نجوى كما يقال نشدتك الله (قوله عند لقاء العدو الموتور) فى الصحاح الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه (قوله لم يترك لها أثراً ولاعثيراً) فى الصحاح العثير بتسكين الثاء الغبار (قوله أو مفعول ثالث بالأكال) فى الصحاح الأكال بالضم الحكة

الرَّحْمَـٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ۞ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَـٰنُ

اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى معناه قوله تعالى إنّ أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون قيل فى تفسير الشغل افتضاض الأبكار ولانوم فى الجنة وإنما سمى مكان دعتهم واستروراحهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفى لفظ الأحسن رمز إلى مايتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور إلى غير ذلك من التحاسين والزين ۞ وقرئ (تشقق) والأصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره أدغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذى تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به (فإن قلت) أى فرق بين قولك انشقت الأرض بالنبات وانشقت عن النبات (قلت) معنى انشقت به أنّ الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أنّ التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة إلى الأرض وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبنى إسرائيل فى تيههم وفى معناه قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ۞ وقرئ ونزل الملائكة وننزل الملائكة ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل من ننزل قراءة أهل مكة ۞ الحق الثابت لأنّ كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى إلا ملكه ۞ عض اليدين والأنامل والسقوط فى اليد وأكل البنان وحرق الأسنان والأرم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة والاستحسان مالايجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت فى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت ياعقبة قال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجده ساجداً فى دار الندوة ففعل ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر عليا رضى الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الأنصارى وقال يا محمد إلى من الصبية قال إلى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بأحد فرجع إلى مكة فمات ۞ واللام فى (الظالم) يجوز أن تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره ۞ تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد أنى كنت ضالا لم يكن لى سبيل قط فليتنى حصلت بنفسى فى صحبة الرسول سبيلا ۞ وقرئ ياويلتى بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وإنما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى ۞ فلان كناية عن الإعلام كما أن الهن كناية عن الأجناس فإن أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم أتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه (عن الذكر) عن ذكر الله أو القرآن أو موعظة الرسول ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على

(قوله وأكل البنات وحرق الأسنان والأرم) فى الصحاح حرقت الشيء حرقا بروته وحككت بعضه ببعض ومنه قولهم حرقت نابه أى سحقه حتى سمع له صريف وفلان يحرق عليك الأرم غيظا وفيه أيضا أرم على الشيء أى عض عليه وأرمه أيضا أى أكله والأرم الأضراس كأنه جمع آرم يقال فلان يحرق عليك الأرم إذا تغيظ فحك أضراسه بعضها ببعض
(قوله وقال يا محمد إلى من السبية) فى الصحاح السبية المرأة تسبى

لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۞ وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۞ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۞ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۞ الَّذِينَ

الإسلام ۞ والشيطان إشارة إلى خليله سماه شيطانا لأنه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة أو أراد إبليس وأنه هو الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والإنس ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله ۞ اتخذت يقرأ على الإدغام والإظهار والإدغام أكثر ۞ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه إليه وفى هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء كانوا إذا التجؤا إليه وشكوا إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ۞ ثم أقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصرة عليهم فقال (وكذلك) كان لكل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصراً لك عليهم ۞ مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الإيمان به وعن النبى صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفاً لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجوراً اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر إذا هذى أى جعلوه مهجوراً فيه فحذف الجار وهو على وجهين أحدهما زعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الأولين والثانى أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجراً ۞ والعدو يجوز أن يكون واحداً وجمعاً كقوله فإنهم عدو لى وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة (نزل) ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى أخبر وإلا كان متدافعاً وهذا أيضاً من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقاً وقوله (كذلك) جواب لهم أى كذلك أنزل مفرقا ۞ والحكمة فيه أن نقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شىء وجزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجماً فى عشرين سنة وقيل فى ثلاث وعشرين وأيضاً فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا (فإن قلت) ذلك فى كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شىء تقدمه والذى تقدم هو إنزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرقا (قلت) لأن قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته (ورتلناه) معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا أى اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضى الله عنها فى صفة قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه يعدها وأصله الترتيل فى الأسنان

(قوله ثم أقبل عليه مسليا ومؤسيا) فى الصحاح أسيته تأسية عزيته (قوله لبعل به وتعيا بحفظه) فى الصحاح بعل الرجل بالكسر أى دهش وفيه أيضاً عييت بأمرى إذا لم تهتد لوجهه وأعيا عليه الأمر وتعيا وتعايا بمعنى اه فتدبر

يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَـٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ۝ فَقُلْنَا اذْهَبَآ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَـٰبَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَـٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۝ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي

وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الأقحوان فى تفليجه وقيل هو أنزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل فى مدة متباعدة وهى عشرون سنة ولم يفرقه فى مدة متقاربة (ولا يأتونك) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل فى البطلان إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذى لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ۝ ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى إليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك نحن من الأحوال ما يحق لك فى حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفاً لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعنى أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شىء منها أدخل فى الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب فى فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ۝ ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وأن يراد الدار والمسكن كقوله أى الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازى وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا ۝ الوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضاً والمعنى فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب فانفلق أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة بطولها أعنى إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن على رضى الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة ۝ كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة (وجعلناهم) وجعلنا إغراقهم أو قصتهم (للظالمين) إما أن يعنى بهم قوم نوح وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه قصد تظليمهم فأظهر وإما أن يتناولهم بعمومه ۝ عطف عاداً على هم فى جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين ۝ وقرئ وثمود على تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى تأويل الحى أو لأنه اسم الأب الأكبر قيل فى أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله إليهم شعيباً فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا فى طغيانهم وفى إيذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن أبى عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبى حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهى أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ وهى تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه فى بئر أى دسوه فيها (بين ذلك) أى بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود (ضربنا له الأمثال)

أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۞ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۞ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۞ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ

بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره ۞ والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج ۞ وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لأنه فارغ له ۞ أراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمساً أهلك الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة ۞ ومطر السوء الحجارة يعنى أن قريشا مرّوا مراراً كثيرة فى متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء (أفلم يكونوا) فى مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون (بل كانوا) قوما كفرة بالبعث لايتوقعون (نشوراً) وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومرّوا بها كما مرّت ركابهم أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول إلى ثواب أعمالهم أو لا يخافون على اللغة التهامية ۞ إنّ الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينهما ۞ واتخذه هزواً فى معنى استهزأ به والأصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوءاً به (أهذا) محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار (وبعث الله رسولا) وإخراجه فى معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا أهذا الذى زعم أو ادّعى أنه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم (إن كاد ليضلنا) دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة فى استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم و (لولا) فى مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقيد للحكم المطلق (وسوف يعلمون) وعيد ودلالة على أنهم لايفوتونه وإن طالت مدّة الإمهال ولا بدّ للوعيد أن يلحقهم فلا يغرّنهم التأخير وقوله (من أضلّ سبيلا) كالجواب عن قولهم إن كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضلال من حيث لا يضلّ غيره إلا من هو ضال فى نفسه ويروى أنه من قول أبى جهل لعنه الله ۞ من كان فى طاعة الهوى فى دينه يتبعه فى كل ما يأتى ويذر لايتبصر دليل ولا يصغى إلى برهان فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بدّ أن تسلم شئت أو أبيت ولا إكراه فى الدين وهذا كقوله وما أنت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر ويروى أنّ الرجل منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمى أم هذه منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشدّ من التى تقدّمتها حتى حقت بالإضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الأسماع والعقول لأنهم لايلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا ومشبهين بالأنعام التى هى مثل فى الغفلة والضلال ثم أرجح ضلالة منها (فإن قلت) لم أخر هواه والأصل قولك اتخذ الهوى إلهاً (قلت) ماهو إلا تقديم المفعول الثانى على الأوّل للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق (فإن قلت) ما معنى ذكر الأكثر (قلت) كان فيهم من لم يصده عن

قوله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه (قال إن قلت لم قدم إلهه وهو المفعول الثانى وأجاب بأنه قدم عناية به كقولك ظننت منطلقا زيدا إذا كانت عنايتك بالمنطلق) قال أحمد وفيه نكتة حسنة وهى إفادة الحصر فإن الكلام قبل دخول أرأيت مبتدأ وخبر المبتدإ هواه والخبر إلهه وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر فكأنه قال أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هواه فهو أبلغ فى ذمه وتوبيخه والله أعلم

(قوله وصفنا لهم ما أجروا عليه) لعله ماجروا

أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۞ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۞ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا

الإسلام الأداء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا (فإن قلت) كيف جعلوا أضل من الإنعام (قلت) لأن الأنعام تنقاد لأربابها التى تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ماينفعها وتجتنب مايضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لاينقادون لربهم ولايعرفون إحسانه اليهم من إساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولايتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولايهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى (ألم ترى إلى ربك) ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ومعنى مدّ الظل أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس (ولوشاء لجعله ساكنا) أى لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا أنّ الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها فى مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا فى مكان زائلا ومتسعا ومتقلصاً فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه أنه ينسخه بضح الشمس (يسيرا) أى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيئا بعد شىء من المنافع مالا يعد ولايحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فإن قلت) ثم فى هذين الموضعين كيف موقعها (قلت) موقعها لابيان تفاضل الأمور الثلاثة كان الثانى أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد مابينهما فى الفضل بتباعد مابين الحوادث فى الوقت ووجه آخر وهو أنه مدّ الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فينانا مافى أديمه جوب لعدم النير ولوشاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الأجرام التى تبقى الظل فيكون قدذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير شبه مايستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل (فإن قلت) هلا فسرته بالراحة (قلت) النشور فى مقابلته يأباه أباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأنّ الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أىّ عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر قرئ الريح والرياح نشرا إحياء ونشرا جمع نشور وهى المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى و(بين يدى رحمته) استعارة مليحة أى قدام المطر

(قوله من كونه ثابتا فى مكان زائلا) لعله زائلا عن آخر (قوله أنه ينسخه بضح الشمس) فى الصحاح ضحضح السراب وتضحضح إذا ترقرق والضح الشمس وفى الحديث لايقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان
(قوله ظلها على الأرض فينانا مافى أديمه جوب) فى الصحاح الفينان الطويل وفيه الأدم جمع الأديم مثل أفيق وأفق وربما سمى وجه الأرض أديما وفيه جاب يجوب جوبا إذا خرق وقطع فتدبر
(قوله يأباه أباء العيوف الورد وهو مرنق) فى الصحاح العيوف من الإبل الذى يشم الماء فيدعه وهو عطشان وفيه رنقته ترنيقا كدرته (قوله قرئ الريح والرياح نشرا احياء) لعله ونشرا أى وقرئ نشرا وقوله احياء لعله أى احياء فليحرر

مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۞ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ

(طهورا) بليغا فى طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره فإن كان ماقاله شرحا لبلاغته فى الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل فى شيء والطهور على وجهين فى العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهوراً حسنا كقولك وضوأ حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لاصلاة إلا بطهور أى طهارة (فإن قلت) ما الذى يزيل عن الماء اسم الطهور (قلت) تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة أولم يتغير أو استعماله فى البدن لاداء عبادة عند أبى حنيفة وعند مالك بن أنس رضى الله عنهما مالم يتغير أحد أوصافه فهو طهور (فإن قلت) فما تقول فى قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لاينجسه شيء إلا ماغير لونه أو طعمه أو ريحه (قلت) قال الواقدى كان بئر بضاعة طريقا للماء إلى البساتين وإنما قال (ميتا) لأن البلدة فى معنى البلد فى قوله فسقناه إلى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل ۞ وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا ۞ الأناسى جمع إنسى أو إنسان ونحوه ظرابى فى ظربان على قلب النون ياء والأصل أناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم فى أناعيم (فإن قلت) إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقى يؤذن بأن الطهارة شرط فى صحة ذلك كما تقول حملنى الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش (قلت) لما كان سقى الأناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها فى بواطنهم ثم فى ظواهرهم وأن يربؤا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم (فإن قلت) لم خص الأنعام من بين ماخلق من الحيوان الشارب (قلت) لأن الطير والوحش تبعد فى طلب الماء فلايعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسى وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقى أنعامهم كالإنعام بسقيهم (فإن قلت) فما معنى تنكير الأنعام والأناسى ووصفها بالكثرة (قلت) معنى ذلك أن عليه الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لايعيشهم إلا ماينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيى به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء (فإن قلت) لم قدم احياء الأرض وسقى الأنعام على سقى الأناسى (قلت) لأن حياة الأناسى بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ماهو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ۞ يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب والصحف التى أنزلت على الرسل عليهم السلام وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا (فأبى) أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما مامن عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ماشاء وتلا هذه الآية وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام لأنه لايختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب فى تنكير البلدة والأنعام والأناسى كأنه قال لنحيى به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الأنعام والأناسى وذلك البعض كثير (فإن قلت) هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء (قلت) إن كان لايراها إلا من الأنواء ويجحد أن تكون هى والأنواء من خلق الله فهو كافر وإن كان يرى إن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر ۞ يقول لرسوله

(قوله وظرابين قرئ بالتخفيف) لعله وقرئ (قوله وجود ورذاذ وديمة ورهام) أى مطر ضعيف والرهام جمع رهمة وهى المطرة الضعيفة الدائمة كذا فى الصحاح

بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا ۞ ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ۞ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ۞ وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ۞ وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ۞ ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا ۞ وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ۞ قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ۞ وتوكل على الحى الذى لا يموت

صلى الله عليه وسلم (ولو شئنا) لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى و(لبعثنا فى كل قرية) نبياً ينذرها وإنما قصرنا الأمر عليك وعظمناك به وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وإنما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذى يدل عليه فلا تطع والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون فى توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير فى به إلى مادلّ عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيراً من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث فى كل قرية نذيراً لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له (وجاهدهم) بسبب كونك نذير كافة القرى (جهاداً كبيراً) جامعا لكل مجاهدة ۞ سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة والأجاج نقيضه ۞ ومرجعهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفى كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر ممروج وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج (برزخا) حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته ۞ وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا برداً يريد بارداً (فإن قلت) (وحجرا محجورا) مامعناه (قلت) هى الكلمة التى يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهى ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجراً محجوراً كما قال لايبغيان أى لايبغى أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغى ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما فى صورة الباغى على صاحبه فهو يتعوذ منه وهى من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة ۞ أراد فقسم البشر قسمين ذوى نسب أى ذكوراً ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى إناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشراً نوعين ذكرا وأنثى ۞ الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى أنّ الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روى أنها نزلت فى أبى جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط يريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذى يفعل هذا الفعل وهو عبادة مالاينفع ولا يضرّ على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك لاتلتفت إليه وهذا نحو قوله أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولايكلمهم الله ولاينظر إليهم ۞ مثال (إلا من شاء) والمراد إلا فعل من شاء واستثناؤه عن الأجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ماسعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولاتضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فأفاد

(قوله بالأجاج ممزوج برزخا) لعله غير ممزوج فليحرر

وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۞ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۞ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۞ وَهُوَ الَّذِي

فائدتين إحداهما قلع شبهة الطمع فى الثواب من أصله كأنه يقول لك إن كان حفظك لمالك ثوابا فإنى أطلب الثواب والثانية إظهار الشفقة البالغة وأنك إن حفظت مالك أعتد بحفظك ثوابا ورضى به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه ۞ ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقربهم إليه وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة فى سبيل الله ۞ أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه فى استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحىّ الذى لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أراه أن ليس إليه من أمر عباده شىء آمنوا أم كفروا وأنه خبير بأعمالهم كاف فى جزاء أعمالهم (فى ستة أيام) يعنى فى مدة مقدارها هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه أن يسمى الله لملائكته تلك الأيام المقدرة بهذه الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الأيام وأما الداعى إلى هذا العدد أعنى الستة دون سائر الأعداد فلا نشك أنه داعى حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقديرا إلا بداعى حكمة وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدى إلا معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثنى عشر والسموات سبعا والأرض كذلك والصلوات خمسا وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والإقرار بدواعى الحكمة فى جميع أفعاله وبأن ما قدره حق وصواب هو الإيمان وقد نص عليه فى قوله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك إلا هو وهو الجواب أيضاً فى إن لم يخلقها فى لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنهما إنما خلقها فى ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيداً للمسلمين ۞ الذى خلق مبتدأ و (الرحمن) خبره أو صفة للحى والرحمن خبر مبتدا محذوف أو بدل عن المستتر فى استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحى ۞ وقرئ فسل والباء فى به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته فى نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتمّ به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه أو صلة خبير أو تجعل خبيراً مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا خبيراً به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيراً كقولك رأيت به أسداً أى برؤيته والمعنى إن سألته وجدته خبيراً أو تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شىء وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة (وما الرحمن) يجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لأنه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى (لما تأمرنا) أى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله أمرتك الخير أو لأمرك لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا

(قوله حتى يعرف من ينكره ومن ثمة) عبارة النسفى تعرف

جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجٰهِلُونَ قَالُوا سَلٰمًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيٰمًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ

محمد صلى الله عليه وسلم أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ماهو وفى (زادهم) ضمير اسجدوا للرحمن لأنه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التى هى القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ مسرجا وهى الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والأعمش وقمراً منيرا وهى جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمراً منيرا لأن الليالى تكون قمراً بالقمر فأضافه إليها ونظيره فى بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه قول حسان : ۝ بردى يصفق بالرحيق السلسل ۝

يريد ماء بردى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفة أى ذوى عقبة أى يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف إذا اختلف كثيراً إلى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن أبيّ بن كعب رضى الله عنه يتذكر والمعنى لينظر فى اختلافهما الناظر فيعلم أن لابد لانتقالهما من حال إلى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته فى أحدهما ورده من العبادة قام به فى الآخر وعن الحسن رضى الله عنه من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له فى الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له فى النهار مستعتب (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره فى آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة ويجوز أن يكون خبره الذين يمشون وأضافهم إلى الرحمن تخصيصاً وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون (هونا) حال أو صفة للمشى بمعنى هينين أو مشياً هيناً إلا أن فى وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث أحبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل إذا عز أخوك فهن ومعناه إذا عاسر فياسر والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم إشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب فى الأسواق ولقوله ويمشون فى الأسواق (سلاما) تسلما منكم لانجاهلكم ومتاركة لاخير بيننا ولاشر أى نتسلم منكم تسلما فأقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم والمراد بالجهل السفه وقلة الأدب وسوء الرعة من قوله : ألا لايجهلن أحد علينا ۝ فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن أبى العالية نسختها آية القتال ولاحاجة إلى ذلك لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن فى الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع ۝ البيتوتة خلاف الظلول وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن فى صلاته وإن قل فقد بات ساجداً وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو بأكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما (غراما) هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال :

يوم النسار ويوم الجفا ۝ ركانا عذابا وكانا غراما

(قوله ويقال بفلان خلفة) لعله لفلان (قوله رقلة الأدب وسوء الرعة) فى الصحاح يقال فلان سيء الرعة أى قليل الورع وفيه قيل ذلك الورع بكسر الراء الرجل التقى وقد ورع يرع بالكسر فيهما ورعا ورعة

يقتروا وكان بين ذلك قواما ۞ والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ۞ يضعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا ۞ إلا من

وقال إن يعاقب يكن غراما وإن يعـ ۞ ـط جزيلا فإنه لايبالى

ومنه الغريم لإلحاحه ولزامه ۞ وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله فى صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة (ساءت) فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم إن وجعلها خبراً لها ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقرا حال أو تمييز والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم ۞ قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والإقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الإسراف والإسراف مجاوزة الحد فى النفقة ووصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر رسول الله ﷺ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الإسراف إنما هو الإنفاق فى المعاصى فأما فى القرب فلا إسراف وسمع رجل رجلا يقول لاخير فى الإسراف فقال لا إسراف فى الخير وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن إليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك إنما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية فقال لابنه يا بنى أهذا أيضا مما أعده وقيل أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى رجل شيئاً إلا اشتراه فأكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشىء يقال أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان أعنى بين ذلك قواما جائز أن يكونا خبرين معا وأن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وأن يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبنى لإضافته إلى غير متمكن كقوله ۞ لم يمنع الشرب منها غير إن نطقت ۞ وهو من جهة الإعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لأن ما بين الإسراف والتقتير قوام لامحالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة (حرم الله) أى حرمها والمعنى حرم قتلها و(إلا بالحق) متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظمية فى الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه والقتل بغير الحق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضى الله عنه قلت يارسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك فأنزل الله تصديقه ۞ وقرئ يلق فيه أثاما وقرئ يلقى بإثبات الألف وقد مر مثله والأثام جزاء الإثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال

جزى الله ابن عروة حيث أمسى ۞ عقوقا والعقوق له أثام

وقيل هو الإثم ومعناه يلق جزاء أثام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب (يضاعف) بدل من يلق لأنهما فى معنى واحد كقوله متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا ۞ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

(قوله من الحر والقر وقال عمر) أى البرد (قوله غير إن نطقت وهو من جهة) بقية حمامة فى غصون ذات أوقال وفى الصحاح أن الأوقال شجر المقل وإن المقل ثمر الدوم (قوله أياما أى شدائد) وفى الصحاح الأيام الدخان

تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُولَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا * وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا

وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الإخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات (يبدل) مخفف ومثقل وكذلك سيآتهم (فإن قلت) مامعنى مضاعفة العذاب وإبدال السيئات حسنات (قلت) إذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وإبدال السيئات حسنات أنه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك إيمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصانا * يريد ومن يترك المعاصى ويندم عليها ويدخل فى العمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله (متابا) مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب أو فإنه تائب متابا إلى الله الذى يعرف حق التائبين ويفعل بهم مايستوجبون والذى يحب التوابين ويحب المتطهرين وفى كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعا حسنا وأى مرجع * يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لأن مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل فى النظارة إلى كل مالم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الإثم لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لأن الذى سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه وفى مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام إياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين * اللغو كل ماينبغى أن يلغى ويطرح والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وعن الحسن رضى الله عنه لم تسفههم المعاصى وقيل إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا وقيل إذا ذكروا النكاح كنوا عنه (لم يخروا عليها) ليس بنفى للخرور وإنما هو إثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقانى زيد مسلما هو للسلام لا للقاء والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم فى إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون مافيها كالمنافقين وأشباههم قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة أعين وقرات أعين سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقربهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شىء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم فى الجنة ليتم لهم سرورهم أراد أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أراد واجعل كل واحد منا إماما أو أراد جمع آم كصائم وصيام أو أراد واجعلنا إماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم فى الآية مايدل على أن الرياسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات فى العشرة المبشرين بالجنة (فإن قلت) من فى قوله من أزواجنا ماهى (قلت) يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ماتقر به عيوننا من طاعة وصلاح (فإن قلت) لم قال

قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۞ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۞ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۞ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۞

قرة أعين فتنكر وقلل (قلت) أما التنكير فلأجل تنكير القرة لأن المضاف لاسبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قيل هب لنا منهم سروراً وفرحا وإنما قيل أعين دون عيون لأنه أراد أعين المتقين وهى قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال فى تنكير أعين أنها أعين خاصة وهى أعين المتقين ۞ المراد يجزون الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم فى الغرفات آمنون وقراءة من قرأ فى الغرفة (بما صبروا) بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك وإطلاقه لأجل الشياع فى كل مصبور عليه ۞ وقرئ يلقون كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله تعالى يلق أثاما ۞ والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة عن كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم فى دار رضوانك ۞ لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم فى الجنة أتبع ذلك بيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأبهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ماوعدهم لأجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم إنما هو للعبادة وحدها لالمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئاً يبالى به ۞ والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهى فى محل النصب وهى عبارة عن المصدر كأنه قيل وأى عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعنى أنكم لاتستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ماعبأت به ما اعتددت به من فوادح همومى ومما يكون عبأ على كما تقول ما اكترثت له أى ما اعتددت به من كوارثى ومما يهمنى وقال الزجاج فى تأويل مايعبأ بكم ربى أى وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية (فقد كذبتم) يقول إذا أعلمتكم أن حكمى أنى لاأعتد بعبادى إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمى فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم فى النار ونظيره فى الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه إن من عادتى أن أحسن إلى من يطيعنى ويتبع أمرى فقد عصيت فسوف ترى ماأحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه مايصنع بكم ربى لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة (فإن قلت) إلى من يتوجه هذا الخطاب (قلت) إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب ۞ وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رضى الله عنه هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاما ۞ وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما توعد به لأجل الابهام وتناول مالا يكتنهه الوصف والله أعلم بالصواب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقى الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لاريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

۞ قوله تعالى هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين (قال إن قلت لم قلل الأعين إذ الأعين صيغة جمع قلة قلت لأن أعين المتقين قليل بالإضافة إلى غيرهم يدل على ذلك قوله وقليل من عبادى الشكور) قال أحمد والظاهر أن المحكى كلام كل أحد من المتقين فكأنه قال يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وهذا أسلم من تأويله فإن المتقين وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم قليلا إلا أنهم فى أنفسهم على كثرة من العدد والمعتبر فى إطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلا فى نفسه لا بالنسبة والإضافة والله أعلم

سورة الشعراء مكية

إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ طسٓمٓ ۞ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ۞ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ

﴿ سورة الشعراء مكية ﴾

(إلا قوله والشعراء إلى آخر السورة وهى مائتان وسبع وعشرون آية وفى رواية ست وعشرون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طسم) بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها (الكتاب المبين) الظاهر إعجازه وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين ۞ البخع أن يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للإشفاق يعنى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على مافاتك من إسلام قومك (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا ولامتناع إيمانهم أو خيفة أن لايؤمنوا وعن قتادة رضى الله عنه باخع نفسك على الإضافة ۞ أراد آية ملجئة إلى الإيمان قاصرة عليه (فظلت) معطوف على الجزاء الذى هو ننزل لأنه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق وقد قرئ لو شئنا لأنزلنا وقرئ فتظل أعناقهم (فإن قلت) كيف صح مجىء خاضعين خبراً عن الأعناق (قلت) أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقوله ذهبت أهل اليمامة كان الأهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء. قيل خاضعين كقوله تعالى لى ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالأعناق كما قيل لهم هم الرؤس والنواصى والصدور قال ۞ فى محفل من نواصى الناس مشهود ۞ ۞ وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفى بنى أمية قال ستكون لنا عليهم لدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة ۞ أى ومايجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به (فإن قلت) كيف خولف بين الألفاظ والغرض واحد وهى الإعراض والتكذيب والاستهزاء (قلت) إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لأن من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لامحالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقراً له (فسيأتيهم) وعيدلهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (ما) الشىء الذى كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التى كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل مايرضى ويحمد فى بابه يقال وجه كريم إذا رضى فى حسنه وجماله وكتاب كريم مرضى فى معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه أى من كونه مرضيا فى شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضى فيما يتعلق به من المنافع (إن فى) إنبات تلك الأصناف (لآية) على أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم

(قوله لئلا يؤمنوا ولامتناع إيمانهم) عبارة النسفى أو لامتناع (قوله بالأعناق كما قيل لهم هم) لعله كما قيل لهم الرؤس

ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ

غير مرجو إيمانهم (وإن ربك لهو العزيز) فى انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن تاب وآمن وعمل صالحا (فإن قلت) مامعنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم (قلت) قد دلّ كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته (فإن قلت) فما معنى وصف الزوج بالكريم (قلت) يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت فى الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثانى أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على أنه ماأنبت شيئا إلا وفيه فائدة لأنّ الحكيم لايفعل فعلا إلا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفتها العاقلون (فإن قلت) فحين ذكر الأزواج ودلّ عليها بكلمتى الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لايحصيها إلا عالم الغيب كيف قال إن فى ذلك لآية وهلا قال آيات (قلت) فيه وجهان أن يكون ذلك مشارا به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن فى الانبات لآية أى آية وأنْ يراد أن فى كل واحد من تلك الأزواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبنى إسرائيل باستعبادهم لهم قرئ ألا يتقون بكسر النون بمعنى ألا يتقوننى فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة (فإن قلت) بم تعلق قوله ألا يتقون (قلت) هو كلام مستأنف أتبعه عزوجل إرساله إليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من حالهم التى شنعت فى الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله ويحتمل أن يكون لايتقون حالا من الضمير فى الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال وأما من قرأ ألاتتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجانى حاضر فإذا اندفع فى الشكاية وحرّ مزاجه وحمى غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجانى يوبخه ويعنف به ويقول له ألم تتق الله ألم تستح من الناس (فإن قلت) فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام فى وقت المناجاة والملتفت إليهم غيب لايشعرون (قلت) إجراء ذلك فى تكليم المرسل إليهم فى معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت فى شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً لها واعتباراً بموردها وفى ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا ياناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا ۞ ويضيق وينطلق بالرفع لأنهما معطوفان على خبر أنّ وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما فى المعنى أنّ الرفع يفيد أنّ فيه ثلاث

﴿القول فى سورة الشعراء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (قال إن قلت مافائدة الجمع بين كل وكم وأجاب بأن كلا دخلت للاحاطة بأزواج النبات وكم دلت على أن هذا المحاط به متكاثر مفرط الكثرة قال أحمد فعلى مقتضى ذلك يكون المقصود بالتكثير الأنواع والظاهر أن المقصود آحاد الأزواج والأنعام ويدل عليه أنه لو أسقطت كل فقلت انظروا إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلانى لكنت مكنيا عن آحاد ذلك الصنف المشار إليه فإذا أدخلت كلا فقد أديت بتكريره آحاد كل صنف لا آحاد صنف معين والله أعلم

(قوله كم أنبتنا فيها من زوج كريم) لعل هنا سقطا تقديره كان مستقيما (قوله وحرّ مزاجه وحمى غضبه) فى الصحاح حرّ يحرّ حرّا وحرارة وحرورا

أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝

علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة (فإن قلت) فى النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة وفى جملتها نفى انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هى غم يلحق الإنسان لأمر سيقع وذلك كان واقعاً فكيف جاز تعليق الخوف به (قلت) قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة فى اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التى كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة (فإن قلت) اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى إنى خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان (قلت) يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذى بقى به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلاطة الألسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله تعالى وأخى هرون هو أفصح منى لسانا ومعنى (فأرسل إلى هرون) أرسل إليه جبرائيل واجعله نبيا وأزرنى به واشدد به عضدى وهذا كلام مختصر وقد بسطه فى غير هذا الموضع وقد أحسن فى الاختصار حيث قال فأرسل إلى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله فى تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً حيث اقتصر على ذكر طرفى القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله إلزام الحجة عليهم فبعث إليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم (فإن قلت) كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم أن الله من ورائه (قلت) قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف فى امتثال الأمر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ۝ أراد بالذنب قتله القبطى وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعنى ولهم على تبعة ذنب وهى قود ذلك القتل فأخاف أن يقتلونى به فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة (فإن قلت) قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيداً للعذر فيما التمسه فما قولك فى هذه الرابعة (قلت) هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع ۝ جمع الله له الاستجابتين معاً فى قوله (كلا فاذهبا) لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة بأخيه فأجابه بقوله اذهبا أى اذهب أنت والذى طلبته وهو هرون (فإن قلت) علام عطف قوله فاذهبا (قلت) على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون وقوله (معكم مستمعون) من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجرى بينكما وبينه فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا خبرين لأن أو يكون مستمعون مستقراً ومعكم لغواً (فإن قلت) لم جعلت مستمعون قرينة معكم فى كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع (قلت) ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى «قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً» ويقال استمع إلى حديثه وسمع حديثه أى أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع إلى حديث قوم وهم له

(قوله من الفصحاء المصاقع) فى الصحاح صقع الديك صاح وخطيب مصقع أى بليغ (قوله واجعله نبياً وآزرنى به واشدد به) فى الصحاح آزرت فلانا عاونته والعامة تقول وازرته (قوله وهى قود ذلك القتل) لعله القتيل

أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۞ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۞ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ

كارهون صبّ فى أذنيه البرم (فإن قلت) هلا ثنى الرسول كما ثنى فى قوله إنا رسولا ربك (قلت) الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه إذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل بالصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال: ألكنى إليها وخير الرسو ۞ ل أعلمهم بنواحى الخبر فجعله للجماعة والشاهد فى الرسول بمعنى الرسالة قوله: لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم ۞ بسر ولا أرسلتهم برسول ويجوز أن يوحد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللإخوة كان حكما واحداً فكأنهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا (إن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وتقول أرسلت إليك أن افعل كذا لما فى الإرسال من معنى القول كما فى المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الإرسال التخلية والإطلاق كقولك أرسل البازى يريد خلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف موسى فقال له (ألم نربك) حذف فأتيا فرعون فقولا له ذلك لأنه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير فى التنزيل الوليد الصبى لقرب عهده من الولادة وفى رواية عن أبى عمرو من عمرك بسكون الميم (سنين) قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن ثنتى عشرة سنة وفر منهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك وعن الشعبى فعلتك بالكسر وهى قتلة القبطى لأنه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلأنها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التى فعلت (وأنت من الكافرين) يجوز أن يكون حالا أى قتلته وأنت لذاك من الكافرين بنعمتى أو أنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لأنه كان يعايشهم بالتقية فإن الله تعالى عاصم من يريد أن يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز أن يكون قوله وأنت من الكافرين حكما عليه بأنه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه أو بأنه من الكافرين لفرعون وإلهيته أو من الذين كانوا يكفرون فى دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ إلهتك فأجابه موسى بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو (من الضالين) أى الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه كما قال يوسف لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبى

۞ قوله تعالى حكاية عن فرعون وفعلت فعلتك التى فعلت الآية (قال عدد نعمته عليه ووبخه بما جرى على يديه من قتل خبازه وفظعه عليه بقوله وفعلت فعلتك) قال أحمد ووجه التفظيع عليه من ذلك أن فى إتيانه به مجملا مبهما إيذانا بأنه لفظاعته مما لا ينطق به إلا مكنيا عنه ونظيره فى التفخيم المستفاد من الإبهام قوله تعالى « فغشيهم من اليم ما غشيهم إذ يغشى السدرة ما يغشى فأوحى إلى عبده ما أوحى ومثله كثير والله أعلم

(قوله صبّ فى أذنيه البرم) فى الصحاح البرم ثمر العضاه (قوله واستأصله من سنخته) فى الصحاح السنخ الأصل وسنخ فى العلم سنوخا رسخ وسنخ الدهن بالكسر لغة فى زنخ إذا فسد وتغيرت ريحه يقال بيت له سنخة وسناخة اه ولعل السنخة فى كلامه أيضا تأنيث السنخ

لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ۞ وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل ۞ قال فرعون وما رب العالمين ۞ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ۞ قال لمن حوله

أن يسمى نعمته إلا نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بنى إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيداً يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبداً قال:
علام يعبدنى قومى وقد كثرت ۞ فيهم أباعر ماشاؤا وعبدان
(فإن قلت) إذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء (قلت) قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لأن نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء (فإن قلت) لم جمع الضمير فى منكم وخفتكم مع إفراده فى تمنها وعبدت (قلت) الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد (فإن قلت) تلك إشارة إلى ماذا وأن عبدت ما محلها من الإعراب (قلت) تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هى إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بنى إسرائيل نعمة تمنها على وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن فى موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة على لأن عبدت بنى إسرائيل أى لولم تفعل ذلك لكفلنى أهلى ولم يلقونى فى اليم ۞ لما قال له بوابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله (ومارب العالمين) يريد أى شىء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو إما أن يريد به أى شىء هو من الأشياء التى شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشىء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض وأنه شىء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثله شىء وإما أن يريد به أى شىء هو على الإطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هى فأجابه بأن الذى إليه سبيل وهو الكافى فى معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التى هى فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذى يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية فلما جاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه إلى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت إلها غيرى وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير ۞ (فإن قلت) كيف قيل (وما بينهما) على التثنية والمرجوع إليه مجموع (قلت) أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال فى الهيجا جمالين (فإن قلت) ما معنى قوله (إن كنتم موقنين) وأين عن فرعون وملئه الإيقان (قلت) معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذى يؤدى إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع أو إن كنتم موقنين بشىء قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وإنارة دليله ۞ (فإن قلت) ومن كان حوله (قلت) أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة (فإن قلت) ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب (قلت) قد عمم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذى كفر ۞ وقرئ رب المشارق والمغارب الذى أرسل إليكم بفتح الهمزة (فإن قلت) كيف قال أولا إن كنتم موقنين وآخرا إن كنتم تعقلون (قلت) لاين

(قوله وطنز به حيث سماه رسولهم) أى سخر به واحتدم أى التهب صدره غيظا أفاده الصحاح

أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ

أوّلا فلما رأى منهم شدّة الشكيمة فى العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض إنّ رسولكم لمجنون بقوله إن كنتم تعقلون (فإن قلت) ألم يكن لأسجننك أخصر من لأجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه (قلت) أما أخصر فنعم وأما مؤدّ مؤدّاه فلا لأنّ معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوّة ذاهبة فى الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشدّ من القتل وأشدّ ۝ الواو فى قوله (أو لو جئتك) واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشىء مبين أى جائيا بالمعجزة وفى قوله (إن كنت من الصادقين) أنه لا يأتى بالمعجزة إلا الصادق فى دعواه لأن المعجزة تصديق من الله لمدعى النبوّة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفى على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره إن كنت من الصادقين

۝ قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فأت به إن كنت من الصادقين (قال فيه علم فرعون أنه لا يأتى بالمعجزة إلا صادق فى دعواه لأن المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعى النبوّة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أنّ فرعون لم يخف عليه هذا وخفى على طائفة من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى كلامه) قال أحمد ليته سلم وجه تصنيفه من تآليل هذه الأباطيل وكاف هذا التكليف فى كيده لأهل السنة وإن كيده لفى تضليل بينا هو يعرض بتفضيل فرعون عليهم إذا هو قد حتم على إخوانه القدرية أنهم فراعنة وأنّ كلا منهم إذا فتش نفسه وجد فيها نصيبا من فرعنته حيث يقول أنا ربكم الأعلى لأنهم يعتقدون أن أفعالهم خلقهم وأنهم لها مبدعون خالقون كلا إنهم لهم المبتدعون المختلقون لأنهم حجروا على الله تعالى أن يفعل إلا ما توطأت أوهامهم على أنه حسن بالنسبة إلى الخلق فى الشاهد فمن ثم أشركوا به وهم لا يشعرون ولما هدى الله تعالى أهل السنة إلى التوحيد الحق اعتقدوا أن كل شىء هو مخلوق لله تعالى لا شريك له فى ملكه وأن كل ممكن يجوز أن ينظمه سلطان القدرة الأزلية فى سلكه فكان من الممكنات أن يبتلى الله عباده بخرق العادات على أيدى الكذابين ومراده إظهار الضلالات وقد اندرج ذلك لكونه ممكنا تحت سطوة القدرة حقا يقينا ثم لم يلزم من ذلك لله الحمد خرم فى الدين فإن توهم ناظر بعين الهوى والغرض معنون عما فى قلبه من مرض أن ذلك يجر إلى عدم الوثوق بمعجزات الأنبياء حيث كان على يد غيرهم من الكذابين الأشقياء قيل معاذ الله أن نأخذ ذلك بنفس مطمئنة بصدق الأنبياء آمنة بحصول العلم لها من وقوع ما جوزه العقل ولو قدح الإمكان العقلى فى علم حاصل يقينى للزم الآن الشكّ فى أنّ جبال الأرض قد عادت تبرا أحمر وترابها مسكا أذفر وانقلبت البحار دماعبيطا لأن ذلك ممكن فى العقل بلا خلاف ولا يشكك نفسه فى هذا الإمكان إلا ذو خبل وعته وعمى وعمه وأين الزمخشرى من الحديث الصحيح فى الشاب الذى يكذب الدجال فيقسمه بالسيف جزلتين فيمشى بينهما ثم يقول له عد فيعود حيا فيقول له ما ازددت فيك إلا بصيرة أنت الدجال الذى وصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم به ثانى مرة فلا يسلط عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ خير أهل الأرض أو من خير أهل الأرض أفرأيت هذا المؤمن لما نظر انخراق العادة على يد أكذب الكاذبين حتى شاهد ذلك فى نفسه لم يشككه ذلك فى

(قوله فلما رأى منه شدّة الشكيمة فى العناد) فى الصحاح فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفا أبيا (قوله وخفى على ناس من أهل القبلة) يريد أهل السنة حيث قالوا إن كلا من الحسن والقبيح بقضاء الله تعالى وقدره ولم يلزمهم

ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۞ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۞ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۞ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ۞ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ

فى دعواك أتيت به لحذف الجزاء لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه (ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لاشىء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروى أنها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلك ألا أخذتها فأخذها فعادت عصا (للناظرين) دليل على أن بياضها كان شيئاً يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضاً نورياً روى أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ماهذه قال يدك فما فيها فأدخلها فى أبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق ۞ (فإن قلت) ماالعامل فى حوله (قلت) هو منصوب نصبين نصب فى اللفظ ونصب فى المحل فالعامل فى النصب اللفظى مايقدر فى الظرف والعامل فى النصب المحلى وهو النصب على الحال قال ۞ ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقى لايدرى أى طرفيه أطول حتى زل عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وتوقعه وأحس به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه وقوله (إن هذا الساحر عليم) قول باهت إذا غلب ومتمحل إذا لزم (تأمرون) من المؤامرة وهى المشاورة أو من الأمر الذى هو ضد النهى جعل العبيد آمرين وربهم مأموراً لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب إما لكونه فى معنى المصدر وإما لأنه مفعول به من قوله أمرتك الخير ۞ قرئ أرجئه وأرجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لايقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجؤن لأمر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه (حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله إن هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاؤا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه ۞ وقرأ الأعمش بكل ساحر ۞ اليوم المعلوم: يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذى وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة فى قوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ماوقت به أى حد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول

معلومه فلم يتلكأ فى معاودة تكذيبه ولكن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء ۞ قوله تعالى قالوا أرجه وأخاه (قال معناه أخره ومنه المرجئة الذين لايقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجؤن لأمر الله) قال أحمد ضاقت عليه المسالك فى تفسير الإرجاء حتى استدل عليه بالمرجئة وصرف هذا اللقب لأهل السنة فإنهم هم الذين لايقطعون بوعيد فساق المؤمنين ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عفا عنهم وإن شاء غفر لهم فإن كانت المرجئة هم المؤمنون بقوله تعالى إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء اللهم فاشهد أنا مرجئة

باطل كما بين فى علم التوحيد (قوله ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار) فى الصحاح الغشاء الغطاء اهـ ولعل عبارة المصنف يعشى بالعين المهملة وفى الصحاح العشا مقصور مصدر الأعشى وهو الذى لايبصر بالليل ويبصر بالنهار (قوله وانتفخ سحره خوفا وفرقا) فى الصحاح السحر الرئة ويقال للجبان قد انتفخ سحره (قوله شرطا يحشرون السحرة) الشرط محركة الحرس سموا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها أفاده الصحاح

السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَـٰلِبِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَـٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۞ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَـٰلِبُونَ ۞ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۞ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ

تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا ۞ أوعبد رب أخاعون بن مخراق

يريد ابعثه إلينا سريعا ولاتبطئ به (لعلنا نتبع السحرة) أى فى دينهم إن غلبوا موسى ولانتبع موسى فى دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وإنما الغرض الكلى أن لايتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام ۞ وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله (إن لنا لأجرا) فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله (وإنكم إذاً لمن المقربين) معطوفا عليه ومدخلا فى حكمه دخلت إذا قارة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم إلى الثواب على سحرهم الذى قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى ۞ أقسموا بعزة فرعون وهى من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولايصح فى الإسلام إلا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن وربى ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولاتحلفوا إلا بالله ولاتحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس فى هذا الباب فى إسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شىء لم يقبل منه ولم يعتدبها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التى ليس وراءها حلف لحالف (مايأفكون) مايقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون فى حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو إفكهم سمى تلك الأشياء إفكا مبالغة ۞ روى أنهم قالوا إن يك ماجاء به موسى سحرا فلن يغلب وإن كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ماأتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء ۞ وإنما عبر عن الخرور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاآت فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا مارأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا (فإن قلت) فاعل الإلقاء ماهو لو صرح به (قلت) هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ماعاينوا من المعجزات الباهرة ولك أن لاتقدر فاعلا لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون لعنه الله كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى إضافته إليهما فى ذلك المقام أنه الذى يدعو إليه هذان والذى أجرى على أيديهما ما أجرى (فلسوف تعلمون) أى وبال مافعلتم ۞ الضر والضير والضور واحد أرادوا لاضرر علينا فى ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعواض الكثيرة أو لاضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لابد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لاضير علينا فى قتلك إنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان

(قوله وليس غرضهم باتباع السحرة) لعله اتباع كعبارة النسفى (قوله وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان) أى كسر العين كما فى الصحاح

أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَٰلِكَ

وخبر لامحذوف والمعنى لاضير فى ذلك أوعلينا (أن كنا) معناه لأن كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أومن رعية فرعون أومن أهل المشهد وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذى يجىء به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله إن كنت عملت لك فوفنى حقى ومنه قوله تعالى إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى مع علمه أنهم لم يخرجوا إلالذلك قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر (إنكم متبعون) علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى أنى بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروى أنه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى أن الله أوحى إلى موسى أن اجمع بنى إسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإنى سآمر الملائكة أن لايدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى إلى البحر فيأتيك أمرى فأرسل فرعون فى أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضى الله عنهما خرج فرعون فى ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم شرذمة قليلين (إن هؤلاء) محكى بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذى بلى وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة وقد يجمع القليل على قلة وقال ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لايبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به مايكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذى يجدد حذره وقيل المؤدى فى السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوى قال

أحب الصبى السوء من أجل أمه * وأبغضه من بغضها وهو حادر

أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى أجسامهم * وعن مجاهد سماها كنوزا لأنهم لم ينفقوا منها فى طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر فى الحجال (كذلك)

* قوله تعالى إن هؤلاء لشرذمة قليلون (قال اللهم من أربعة أوجه عبر عنهم بالشرذمة وهى تفيد القلة ثم وصفهم بالقلة وجمع وصفهم ليعلم أن كل ضرب منهم قليل واختار جمع السلامة ليفيد القلة (قال أحمد ووجه آخر فى تقليلهم يكون خامسا وهو أن جمع الصفة والموصوف منفرد قد يكون مبالغة فى لصوق ذلك الوصف بالموصوف وتناهيه فيه بالنسبة إلى غيره

(قوله المدل بأمره المتحقق لصحته) أى الواثق به أفاده الصحاح (قوله ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها) فى الصحاح الجدى من ولد المعز وثلاثة أجد فإذا كثرت فهى الجداء (قوله واخبزوا خبزا فطيرا) فى الصحاح الفطير خلاف الخمير وكل شىء أعجلته عن إدراكه فهو فطير (قوله وقد يجمع القليل على أقله وقلل) فى الصحاح مثل سرير وسرر (قوله وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون) فى الصحاح وقرئ وإنا لجميع حاذرون وحذرون وحذرون أيضا بضم الذال حكاه الأخفش ومعنى حاذرون متأهبون وفيه آدى الرجل أى قوى من الأداة فهو مؤد بالهمز أى شاك فى السلاح وفيه آديت للسفر فإنا مؤد له إذا كنت متهيئا له (قوله وقيل السرر فى الحجال) السرر الجماع والحجال جمع حجلة وهى بيت العروس يزين بالثياب والأسرة والستور كذا

وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۞ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۞ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۞ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞

يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذى وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدإ محذوف أى الأمر كذلك (فأتبعوهم) فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين فى وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا إذا طلعت (سيهدين) طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم وقرئ فلما ترائت الفئتان ۞ إنا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من أدرك الشىء إذا تتابع ففنى ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم فى الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفى معناه بيت الحماسة أبعد بنى أمى الذين تتابعوا ۞ أرجى الحياة أم من الموت أجزع والمعنى إنا لمتتابعون فى الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد ۞ الفرق الجزء المتفرق منه . وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد فى السماء (وأزلفنا ثم) حيث انفلاق البحر (الآخرين) قوم فرعون أى قربناهم من بنى إسرائيل أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد أو قدمناهم إلى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أى أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها ۞ وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم فى البحر على خلاف ما جعله لبنى إسرائيل يبسا فيزلقهم فيه ۞ عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بنى إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى سرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدى موسى أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدرى موسى ما يصنع فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق وروى أن يوشع قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شىء والمكون لكل شىء والكائن بعد كل شىء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له أساف (إن فى ذلك لآية) أية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم ۞ وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله وبنو إسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالإنجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة (وإن ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه ۞ كان إبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شىء كما تقول للتاجر : ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال (فإن قلت) (ما تعبدون) سؤال عن المعبود فحسب

من الموصوفين به كقولهم معازيد جياع مبالغة فى وصفه بالجوع فكذلك ههنا جمع قليلا وكان الأصل إفراده فيقال

فى الصحاح (قوله والطود الجبل العظيم المنطاد فى السماء) فى الصحاح طوّد فى الجبال مثل طوّف وطوّح والمطاود مثال المطاوح (قوله وقد ثلّ عرشها) فى الصحاح ثللت البيت هدمته ويقال للقوم إذا ذهب عزهم قد ثلّ عرشهم

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ

فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً (قلت) هؤلاء قد جاؤا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب إبراهيم وعلى ما قصدوه من إظهار ما فى نفوسهم من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد (فنظل لها عاكفين) ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تلبس فى بلادك فيقول ألبس البرد الأتحمى فأجر ذيله بين جوارى الحى وإنما قالوا نظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل. لابد فى (يسمعونكم) من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم أى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع إيقاعه فى إذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو اسمعوا قط وهذا أبلغ فى التبكيت ۞ لما أجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا أمر تقليدكم هذا إلى أنصى غاياته وهى عبادة الأقدمين الأولين من آبائكم فإن التقدم والأولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقاً بالقدم وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى «كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا» ولأن المغرى على عبادتها أعدى أعداء الإنسان وهو الشيطان وإنما قال (عدو لى) تصويراً للمسألة فى نفسه على معنى أنى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم إلى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال فإنه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولأنه دخل فى باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لأنه يتأمل فيه فربما قاده التأمل إلى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أن رجلا واجهه بشىء فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت إلى أدب وسمع رجلا ناساً يتحدثون فى الحجر فقال ماهو بيتى ولا بيتكم. والعدو والصديق يجيئان فى معنى الوحدة والجماعة قال

وقوم على ذوى مئرة ۞ أراهم عدواً وكانوا صديقا

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبهاً بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (إلا رب العالمين) استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين (فهو يهدين) يريد أنه حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التى لا تنقطع إلى كل ما يصلحه ويعنيه وإلا فمن هداه إلى أن يغتذى بالدم فى البطن امتصاصاً ومن هداه إلى معرفة الثدى عند الولادة وإلى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وإنما قال (مرضت) دون أمرضنى لأن كثيراً من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت

لشرذمة قليلة كما أفرد فى قوله كم من فئة قليلة ليدل بجمعه على تناهيهم فى القلة لكن يبقى النظر فى أن هذا السر يبقى الوجوه المذكورة على ما هى عليه أو يسقط منها شيئا ويخلفه فتأمله والله الموفق ۞ قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام «وإذا مرضت فهو يشفين» (قال إنما أضاف المرض إلى نفسه لأن كثيراً منه بتفريط الإنسان فى مطعمه ومشربه) قال أحمد والذى ذكره غير الزمخشرى أن السر فى إضافة المرض إلى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه بنسبة الشفاء الذى هو نعمة ظاهرة إليه تعالى ولعل الزمخشرى إنما عدل عن هذا لأن إبراهيم عليه السلام قد أضاف

(قوله ألبس البرد الأتحمى) فى الصحاح الأتحمى ضرب من البرود (قوله وقوم على ذوى مئرة أراهم) أى حقد وعداوة أفاده الصحاح

فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿

الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ماسبب آجالكم لقالوا التخم ﴿ وقرئ خطاياى والمراد مايندر منه من بعض الصغائر لأن الأنبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هى قوله إنى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى أختى وماهى إلا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار (فإن قلت) إذا لم يندر منهم إلا الصغائر وهى تقع مكفرة فماله أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له (قلت) الجواب ماسبق لى أن استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم ويدل عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لأممهم وليكون لطفاً لهم فى اجتناب المعاصى والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم (فإن قلت) لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وإنما تغفر فى الدنيا (قلت) لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفى لايعلم ﴿ الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لأن النبى ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله ﴿ والإلحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به فى جملتهم أو يجمع بينه وبينهم فى الجنة ولقد أجابه حيث قال وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ﴿ والإخزاء من الخزى وهو الهوان ومن الخزاية وهى الحياء وهذا أيضا من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفى (يبعثون) ضمير العباد لأنه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه يعنى ولاتخزنى يوم يبعث الضالون وأبى فيهم (إلا من أتى الله) إلا حال من أتى الله (بقلب سليم) وهو من قولهم ﴿ تحية بينهم ضرب وجيع ﴿ وماثوابه إلا السيف وبيانه أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفى المال والبنين عنه وإثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وإن شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين فى معنى الغنى كأنه قيل يوم لاينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أن غناه فى دنياه بماله وبنيه ولك أن تجعل الاستثناء منقطعا ولابد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هى من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن المال والبنين لاينفعان وإنما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع أى لاينفع مال ولابنون إلا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصى ومما أكرم الله تعالى به

الإماتة إلى الله تعالى وهى أشد من المرض فلم يثبت عنده المعنى المذكور ولكن المعنى الذى أبداه الزمخشرى أيضاً فى المرض ينكسر بالموت فإن المرض كما يكون بسبب تفريط الإنسان فى نفسه كذلك الموت الناشئ عن سبب هذا المرض الذى يكون بتفريط الإنسان وقد أضافه إلى الله تعالى ويمكن أن يفرق بين نسبة الموت ونسبة المرض فى مقتضى الأدب بأن الموت قد علم واشتهر أنه قضاء محتوم من الله تعالى على سائر البشر وحكم عام لايخص ولا كذلك المرض فكم من معافى منه قد بغته الموت فالتأسى بعموم الموت لعله يسقط أثر كونه بلاء فيسوغ فى الأدب نسبته إلى الله تعالى وأما المرض فلما كان مما يخص به بعض البشر دون بعض كان بلاء محققاً فاقتضى العلو فى الأدب مع الله تعالى أن ينسبه الإنسان إلى نفسه باعتبار ذلك السبب الذى لايخلو منه ويؤيد ذلك أن كل ما ذكره مع المرض أخبر عن وقوعه بتاً وجزما لأنه أمر لابد منه وأما المرض فلما كان قد يتفق وقد لا أورده مقرونا بشرط إذا فقال وإذا مرضت وكان ممكنا أن يقول والذى يمرضنى

(قوله وهو الهوان ومن الخزاية وهى الحياء) لعله أومن (قوله أوضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه) لعله عطف على المعنى كأنه قال ويحتمل أنه ضمير الضالين الخ

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۞ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ۞ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۞ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۞ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۞ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۞ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۞ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

خليله ونبه على جلالة محله فى الاخلاص أن حكى استثناه هذا حكاية راض بإصابته فيه ثم جعله صفة له فى قوله وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذى سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع على تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون حجة ثم صور المسألة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وعلا فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الأوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا ۞ الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويغتبطون بأنهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون إليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ۞ يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما فى كل لحظة ويوبخون على إشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله (فكبكبوا فيها هم) أى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم ۞ والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كأنه إذا ألقى فى جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها اللهم أجرنا منها يا خير مستجار (وجنود إبليس) شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والإنس ۞ يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدى الأولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصى (فما لنا من شافعين) كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين (ولا صديق) كما نرى لهم أصدقاء لأنه لا يتصادق فى الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى والتباغض قال الله تعالى «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس أو أرادوا أنهم وقعوا فى مهلكة علموا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفى ما يتعلق بهم من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم ۞ والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذى يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص (فإن قلت) لم جمع الشافع ووحد الصديق (قلت) لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل

فيشفينى كما قال فى غيره ، فما عدل عن المطابقة المجانسة المأثورة إلا لذلك والله أعلم ۞ قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (قال إنما جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة إذا نزل بإنسان خطب ممن يعرفه وممن لا يعرفه وأما الصديق فقليل) قال أحمد العجب أن الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع فما الدليل على إرادة الإفراد ثم لو كان

مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۝ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ إِنْ حِسَابُهُمْ

بلدة لشفاعته رحمة له وحسبة وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمك فأعز من بيض الأنوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له . ويجوز أن يريد بالصديق الجمع ۝ الكرة الرجعة إلى الدنيا ۝ ولو فى مثل هذا الموضع فى معنى التمنى كأنه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقى فى التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت ۝ القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ۝ ونظير قوله (المرسلين) والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة وبرد قيل أخوهم لأنه كان منهم من قول العرب يا أخا بنى تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ۝ فى النائبات على ما قال برهانا

۝ كان أمينا فيهم مشهورا بالأمانة كمحمد صلى الله عليه وسلم فى قريش (وأطيعون) فى نصحى لكم وفى ما أدعوكم إليه من الحق (عليه) على هذا الأمر وعلى ما أنا فيه يعنى دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله وأطيعون فاتقوا الله فى طاعتى وكرره ليؤكده عليهم ويقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحدة منهما بعلة جعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم وفى الثانى حسم طمعه عنهم ۝ وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال والواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد فى واتبعك ۝ وقد جمع الأرذل على الصحة وعلى التكسير فى قوله الذين هم أراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وإنما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزرى بالديانة وهكذا كانت قريش تقول فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الأنبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت أتباع الأنبياء كذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والأساكفة وعن مقاتل السفلة (وما علمى) وأى شىء علمى والمراد انتفاء علمه باخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا مع استرذالهم فى إيمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وإنما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم فى قوله الذين هم أراذلنا بادى الرأى ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الأرذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم

المراد الإفراد لكان أعم لأنه فى سياق النفى فينفى الواحد فما زاد عليه إلى ما لا نهاية له والله أعلم ۝ قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين (قال المراد نوح كما تقول فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة وبرد) قال أحمد لا حاجة إلى تأويل الجمع بالواحد ههنا مع القطع بأن كل من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل لأنه ما من نبى إلا ومستند صدقه المعجزة الدالة على الصدق فقد كذبوا كل من استند صدقه إلى دليل المعجزة وكذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله لأن التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل وتصديق واحد يوجب تصديق الكل والله أعلم

(قوله فأعز من بيض الأنوق) فى الصحاح الأنوق على فعول طائر وهو الرخمة (قوله وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة) لعله الدنيئة كعبارة النسفى (قوله هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة) لعله الصاغة وفى الخازن قال ابن عباس يعنى القافة

إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجَيْنَـٰهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ *

يبنى جوابه على ذلك فيقول ماعلىّ إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز (لو تشعرون) ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار من يسمى المؤمن رذلا وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا فإن الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (وما أنا بطارد المؤمنين) يريد ليس من شأنى أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طمعا فى إيمانكم وما علىّ إلا أن أنذركم إنذاراً بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم * ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أنى لا أدعوك عليهم لما غاظونى وآذونى وإنما أدعوك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبونى فى وحيك ورسالتك فاحكم (بينى وبينهم) والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات. الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد، كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لأنهما أخوان فى قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وإبل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام * والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس

فى الآل يرفعها ويخفضها * ريع يلوح كأنه سحل

ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فاتخذوا فى طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام * والمصانع مآخذ

---

* قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون (قال كانوا يهتدون فى أسفارهم بالنجوم فاتخذوا فى طرقهم أعلاما فعبثوا بذلك إذ النجوم فيها غنية عنها وقيل المراد القصور المشيدة وقيل بروج الحمام) قال أحمد وتأويلها على القصور أظهر وقد ورد ذم ذلك على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم حيث وصف الكائنين آخر الزمان بأنهم يتطاولون فى البنيان وما أحسن قول مالك رضى الله عنه ولا يصلى الإمام على شيء أرفع مما عليه أصحابه كالدكاك تكون مرتفعة فى المحراب ارتفاعا كبيراً لأنهم يعبثون فعبر عن ترفعهم إلى المحراب على سبيل التكبر ومطاولتهم المأمومين بالعبث كتعبير هود صلوات الله عليه وسلامه عن ترفع قومه فى البنيان بالعبث. وأما تأويل الآية على اتخاذهم الأعلام فى الطرقات وقد كانت لهم بالنجوم كفاية ففيه بعد من حيث أن الحاجة تدعو إلى ذلك لغيم مطبق وما يجرى مجراه ولو وضع هذا فى زماننا اليوم لهذا المقصد لم يكن عبثا والله أعلم

(قوله كأنه سحل) فى الصحاح السحل الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن وفيه أيضا الكرسف القطن

وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۞ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ۞ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَاهُنَآ ءَامِنِينَ ۞ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۞ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَلَا تُطِيعُوٓا

الماء وقيل القصور المشيدة والحصون (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود فى الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفى حرف أبىّ كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففاً ومشدداً (وإذا بطشتم) بسوط أو سيف كان ذلك ظلماً وعلواً، وقيل الجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين فى العواقب بالغ فى تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهداً بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال (أمدكم بما تعلمون) ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد (فإن قلت) كيف قرن البنين بالأنعام (قلت) هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها (فإن قلت) لو قيل (أوعظت) أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد (قلت) ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه فهو أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ ۞ من قرأ خلق الأولين بالفتح فمعناه أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذى نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس فى قديم الدهر أو ما هذا الذى جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه (أتتركون) يجوز أن يكون إنكاراً لأن يتركوا مخلدين فى نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة فى تخلية الله إياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمن والدعة (فيما ههنا) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون) وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل ۞ (فإن قلت) لم قال (ونخل) بعد قوله فى جنات والجنة تتناول النخل أول شىء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى أنهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل قال زهير تسقى جنة سحقا (قلت) فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله فى جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل ۞ الطلعة هى التى تطلع من النخلة كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو، والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع إناث النخل فيه لطف وفى طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرنى ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله فى أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لأن الإناث ولادة التمر والبرنى أجود التمر وأطيبه

(قوله عن سنة غفلتهم عنها حين قال) لعله حيث قال (قوله وكذلك طلع البرنى ألطف من طلع اللون) ضرب من التمر واللون الدقل والدقل أردأ التمر كذا فى الصحاح

أمر المسرفين ۞ الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ۞ قالوا إنما أنت من المسحرين ۞ ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين ۞ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ۞ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ۞ فعقروها فأصبحوا نادمين ۞ فأخذهم العذاب إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ۞ كذبت قوم لوط المرسلين ۞ إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ۞ إنى لكم رسول أمين ۞ فاتقوا الله وأطيعون ۞ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين ۞ أتأتون الذكران من العالمين ۞ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ۞

ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم وإذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء ۞ وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الأمر وارتسامه طاعة الآمر المطاع أو جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمى والمراد الآمر ومنه قولهم لك على إمرة مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمرى (فإن قلت) ما فائدة قوله (ولا يصلحون) (قلت) فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة ، وأنه بشر . الشرب النصيب من الماء نحو السقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم روى أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها فى العظم وعن أبى موسى رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا وعن قتادة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء (بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك . عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد وروى أن مسطعا ألجأها إلى مضيق فى شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروى أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فإن قلت) لم أخذهم العذاب وقد ندموا (قلت) لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى فى بعض الأمور رأيا فاسدا ويبنى عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعى أو ندموا ندم تائبين ولكن فى غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى «وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية» . وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام فى العذاب إشارة إلى عذاب يوم عظيم أراد بالعالمين الناس أى أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم فى الكثرة ذكرانهم كأن الإناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين عداكم من العالمين الذكران يعنى أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان (من

(قوله وقيل هو من السحر الرئة) لعله بمعنى الرئة (قوله فتلد سقبا فقعد صالح) فى الصحاح السقب الذكر من ولد الناقة (قوله كندامة الكسعى) الكسع حى من اليمن والكسعى رجل منهم ربى نبعة حتى أخذ منها قوسا فرمى عنها الوحش ليلا وظن أنه أخطأ فكسر القوس فلما أصبح رأى ما أصابه من الصيد فندم وضرب به المثل من قال :

ندمت ندامة الكسعى لما ۞ رأت عيناه ما صنعت يداه — كذا فى الصحاح

قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۞ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ۞ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۞

أزواجكم) يصلح أن يكون تبييناً لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفى قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ۞ العادى المتعدى فى ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون فى جميع المعاصى فهذا من جملة ذاك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (لئن لم تنته) عن نهينا وتقبيح أمرنا (لتكونن) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وكما يكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة ۞ و (من القالين) أبلغ من أن يقول إنى لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدوداً فى زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم فى العلم ويجوز أن يريد من الكاملين فى قلاكم والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلى الفؤاد والكبد ، وفى هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين فى دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصى من الكراهة الجبلية (مما يعملون) من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجية

۞ قوله تعالى « أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (قال يحتمل أن يكون من أزواجكم بياناً لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد به العضو المباح منهن وفى قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم فكأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم) قال أحمد وقد أشار الزمخشرى بهذه الإشارة للاستدلال بهذه الآية على حظر إتيان المرأة فى غير المأتى وبيانه أن من لو كانت بياناً لكان المعنى حينئذ على ذمهم بترك الأزواج ولا شك أن ترك الأزواج مضموم إلى إتيان الذكران وحينئذ يكون المنكر عليهم الجمع بين ترك الأزواج وإتيان الذكران لأن ترك الأزواج وحده منكر ولو كان الأمر كذلك لكان النصب فى الثانى متوجهاً على الجمع وكان إما الأفصح أو المتعين وقد اجتمعت العامة على القراءة به مرفوعاً ولا يتفقون على ترك الأفصح إلى ما لا مدخل له فى الفصاحة أو فى الجواز أصلاً فلما وضح ذلك تبين أن هذا المعنى غير مراد فيتعين حمل من على البعضية فيكون المنكر عليهم أمرين كل واحد منهما مستقل بالإنكار أحدهما إتيان الذكران والثانى مجانبة إتيان النساء فى المأتى رغبة فى إتيانهن فى غيره وحينئذ يتوجه الرفع لفوات الجمع اللازم على الوجه الأول واستقلال كل واحد من هاتين العظيمتين بالنكير والله الموفق ۞ قوله تعالى « قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين » (قال أى من جملة من أخرجناه ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وأشباه ذلك قال أحمد وكثيراً ما ورد فى القرآن خصوصاً فى هذه السورة العدول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع كقول فرعون لأجعلنك من المسجونين وقولهم سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقولهم لتكونن من المرجومين وقوله إنى لعملكم من القالين وقوله تعالى فى غيرها « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » وكذلك « ذرنا نكن مع القاعدين » وأمثاله كثيرة والسر فى ذلك والله أعلم أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع فإنه يفهم أمراً زائداً على وقوعه وهو أن الصفة المذكورة كالسمة لموصوف ثابتة العلوق به كأنها لقب وكأنه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة واعتبر ذلك لو قلت رضوا بأن يتخلفوا لما كان فى ذلك مزيد على الإخبار بوقوع التخلف منهم لا غير وانظر إلى المساق وهو قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كيف ألحقهم لقباً رديئاً وصيرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف حتى صارت له لقباً لاصقاً به وهذا الجواب عام فى جميع ما يرد عليك من أمثال ذلك فتأمله واقدره قدره والله الموفق للصواب

فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۞ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ

العصمة ۞ (فإن قلت) فما معنى قوله (فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً) (قلت) معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي (فإن قلت) كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم (قلت) الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان (فإن قلت) (في الغابرين) صفة لها كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم (قلت) معناه إلا عجوزاً مقدراً غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وأما الإمطار ، فعن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطراً من حجارة ، وفاعل (ساء مطر المنذرين) ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم إنما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ۞ قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولا على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف . وروى أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم (فإن قلت) هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع (قلت) قالوا إن شعيبا لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث إن شعيباً أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة ۞ الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه . قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والافهو رباعي وقيل وهو بالرومية العدل ۞ يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفا شرعيا ۞ يقال عثا في الأرض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك ۞ قرئ الجبلة بوزن الأبلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الأولين (فإن قلت) هل اختلف المعنى بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود (قلت) إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون بشرا وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر بكونه بشراً مثلهم (فإن قلت) إن المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه (قلت) أصلهما أن يتفرقا على المبتدإ والخبر كقولك

قوله تعالى « إلا عجوزاً في الغابرين » (قال المجرور صفة لها كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه إلا عجوزاً مقدراً غبورها أي في الهلاك والعذاب) قال أحمد وإن تعجلت برفع القاعدة الممهدة آنفاً فاعلم أن السر الذي اقتضى العدول عن أن يقول مثلا إلا عجوزاً غابرة إلى ما ذكر في المتلو هو أن المذكور في التلاوة يقتضي الإسجال عليها بأنها من أمة موسومين بهذه السمة من الهلاك كما قدمته الآن فهو أبلغ من مجرد وصفها بالغبور والله أعلم

(قوله بوزن الأبلة والجبلة بوزن الخلقة) في الصحاح الأبلة بالضم وتشديد اللام الغدرة من التمر وفيه الغدرة القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة وفيه أيضا الجبلة الخلقة ومنه قوله تعالى «والجبلة الأولين» وقرأها الحسن بالضم اه

ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۞ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۞ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۞ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۞ وَإِنَّهُۥ

إن زيد لمنطلق فلما كان البابان أعنى باب كان و باب ظننت من جنس باب المبتدإ والخبر فعل ذلك فى البابين فقيل إن كان زيد لمنطلقا وإن ظننته لمنطلقا قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه والمعنى إن كنت صادقا أنك نبى فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء (ربى أعلم بما تعملون) يريد أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل وإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشيئة (فأخذهم) الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة إن أرادوا بالسماء السحاب وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا أو نسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا ، وروى أن شعيبا بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة (فإن قلت) كيف كرر فى هذه السورة فى أول كل قصة وآخرها ما كرر (قلت) كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت كل واحدة منها تدلى بحق فى أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تختتم بما اختتمت به ولأن فى التكرير تقريرا للمعانى فى الأنفس وتثبيتا لها فى الصدور ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان أمكن له فى القلب وأرسخ فى الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتق ذهنا أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا (وإنه) وإن هذا التنزيل يعنى ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل ۞ والباء فى نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا (به على قلبك) أى حفظك وفهمك إياه وأثبته فى قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى (بلسان عربى) إما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسمعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام وإما أن يتعلق بنزل فيكون

۞ عاد كلامه (قال) واعلم أن الآيات الأول كالمقدمات لهذه الآيات فإن الله تعالى أبان أنه منزل بلغتهم التى لا يعرفون غيرها وعلى لسان عربى لو أشكل عليهم فهم شىء منه لكان البيان عنده عتيدا ناجزا وما نزله على لسان عجمى قد يعتذرون

(قوله وسلط عليهم الومد) شدة حر الليل كما فى الصحاح

لَفِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ۞ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَـٰٓؤُا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۞ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ۞ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ

المعنى نزله باللسان العربى لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمى لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ماتصنع بما لانفهمه فيتعذر الإنذار به وفى هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجمياً لكان نازلا على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لاتفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فإذا كلم بلغته التى لقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معانى الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهراً بمعرفتها كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين (وإنه) وإن القرآن يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها وبه يحتج لأبى حنيفة فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل «وإنه لفى زبر الأولين» لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك فى أن يعلمه وليس بواضح ۞ وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبراً وليست كالأولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبراً وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل فى تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هى جملة الشأن وأن يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ومنه بيت لبيد ۞ فمضى وقدمها وكانت عادة ۞ منه إذا هى عردت أقدامها ۞ وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بنى إسرائيل عبدالله بن سلام وغيره قال الله تعالى «وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين» (فإن قلت) كيف خط فى المصحف علماء بواو قبل الألف (قلت) خط على لغة من يميل الألف إلى الواو، وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة والربا . الأعجم الذى لايفصح وفى لسانه عجمة واستعجام والأعجمى مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الأعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لايفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمى شبهوه بمن لايفصح ولا يبين وقالوا لكل ذى صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد ۞ ولا عربياً شاقه صوت أعجما ۞ سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربى بلسان عربى مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لايعارض بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعراً تارة وسحراً أخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه (ولو نزلناه على بعض الأعاجم) الذى لايحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله (فقرأه عليهم) هكذا فصيحاً معجزاً متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذراً ولسموه سحراً ثم قال (كذلك سلكناه) أى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى هذه مثل الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعنا فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل أن يتغيروا عماهم عليه من جحوده وإنكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال

بأنه لايفهمهم ما استغلق على أفهامهم من معانيه فقد أزاح أعذارهم ودحض حججهم وسلكه فى قلوبهم ومكنهم من فهمه أشد التمكين ولكن لم يوفقهم بل قدر عليهم أنهم لايؤمنون (قال أحمد) يعنى بقوله قدر عليهم أنهم لايؤمنون علم أنهم لايؤمنون لأن التقدير عنده العلم والحق أن الله تعالى أراد منهم أنهم لا يؤمنون وهذا تقرير لجواب عن سؤال مقدر وهو أن يقال قلوبهم نائية عن قبول الحق لايلجها بوجه ولا بسبب فكيف يسلك الحق فيها فيجاب عنه بهذا الجواب والله أعلم

الْأَلِيمَ ۞ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ۞ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۞ أَفَرَأَيْتَ إِن مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۞ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۞ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ۞ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۞ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۞ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞

الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (فإن قلت) كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته (قلت) أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به (فإن قلت) ما موقع (لا يؤمنون به) من قوله سلكناه في قلوب المجرمين (قلت) موقعه منه موقع الموضح والملخص لأنه مسوق لثباته مكذبا مجحوداً في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به ۞ وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف أبيّ ويروه بغتة (فإن قلت) ما معنى التعقيب في قوله فتأتيهم بغتة فيقولوا (قلت) ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه (أفبعذابنا يستعجلون) تبكيت لهم بإنكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشراً وبطراً واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل ۞ ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم ، وعن ميمون بن مهران : أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت ۞ وقرئ يمتعون بالتخفيف (منذرون) رسل ينذرونهم (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة إما لأن أنذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدإ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول (فإن قلت) كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل عنها في قوله وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب

۞ قوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (قال إن قلت كيف أسند السلك بصيغة التكذيب إلى ذاته قلت المراد الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه بدليل أنه أسند إليهم ترك الإيمان به على عقبه في قوله لا يؤمنون به) قال أحمد وما ينقم من بقائه على ظاهره إلا أنه التوحيد المحض والإيمان الصرف وأن الله تعالى خلق قلوبهم نائية عن قبول الحق والقدرية لا يبلغون في التوحيد إلى هذا الحد والله سبحانه وتعالى أعلم

إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۞ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ۞ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۞ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ

معلوم (قلت) الأصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم ۞ كانوا يقولون إن محمداً كاهن وماينتزل عليه من جنس ماينتزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بأن ذلك مما لايتسهل للشياطين ولايقدرون عليه لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء ۞ وقرأ الحسن الشياطون ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين أن يجرى الإعراب على النون وبين أن يجريه على ماقبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهى الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ فى قراءته الشياطون ظن أنها النون التى على هجائين فقال النضر بن شميل إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه ۞ قد علم أن ذلك لايكون ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ فى ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم كما روى عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا فى الجاهلية موضوع تحت قدمى هاتين وأول ماأضعه ربا العباس والثانى أن يؤمر بأن لايأخذه مايأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولايحابيهم فى الإنذار والتخويف وروى أنه صعد الصفا لما نزلت فنادى الأقرب فالأقرب فخذاً فخذاً وقال يابنى عبدالمطلب يابنى هاشم يابنى عبدمناف ياعباس عم النبى ياصفية عمة رسول الله إنى لاأملك لكم من الله شيئاً سلونى من مالى ماشئتم وروى أنه جمع بنى عبدالمطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يابنى عبدالمطلب لوأخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وروى أنه قال يابنى عبدالمطلب يابنى هاشم يابنى عبدمناف افتدوا أنفسكم من النار فإنى لاأغنى عنكم شيئا ثم قال ياعائشة بنت أبى بكر وياحفصة بنت عمر ويافاطمة بنت محمد وياصفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإنى لاأغنى عنكن شيئا ۞ الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم: وأنت الشهير بخفض الجناح ۞ فلا تك فى رفعه أجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع (فإن قلت) المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله (لمن اتبعك من المؤمنين) (قلت) فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول فى الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ماوجد منه إلا التصديق فحسب ثم إما أن يكونوا منافقين أوفاسقين والمنافق والفاسق لايخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعنى أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل) على الله يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا إذا وقع الإنسان فى محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لأنه لم يحاول دفع مانزل به عن نفسه بمعصية الله وفى مصاحف أهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان فى العطف أن يعطف على فقل أوفلا تدع (على العزيز الرحيم) على الذى يقهر أعداءك

(قوله ويشرب العس على رجل) القدح العظيم كما فى الصحاح

ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ۝ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝

بعزته وينصرك عليهم برحمته ۝ ثم أتبع كونه رحيما على رسوله ماهو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لايشعرون ويستبطن سرأمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر مايصنعون لحرصه عليهم وعلى مايوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دبدنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل أباحنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة فى الجماعة فى القرآن فقال لايحضرنى فتلا له هذه الآية ويحتمل أنه لايخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية أمور الدين (إنه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلى خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم أتموا الركوع والسجود فوالله إنى لأراكم من خلف ظهرى إذا ركعتم وسجدتم ۝ وقرئ ويقلبك (كل أفاك أثيم) هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون إلى الملإ الأعلى فيختطفون بعض مايتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم من أولئك (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم لأنهم يسمعونهم مالم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أى المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين مالم يوحوا إليهم وترى أكثر مايحكمون به باطلا وزوراً وفى الحديث الكلمة يتخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب (فإن قلت) كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى زيد مررت ولاتقول على أزيد مررت (قلت) ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معاً معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه أن الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل قال ۝ أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم ۝ فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر فى ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت (فإن قلت) يلقون مامحله (قلت) يجوز أن يكون فى محل النصب على الحال أى تنزل ملقين السمع وفى محل الجر صفة لكل أفاك لأنه فى معنى الجمع وأن لايكون له محل بأن يستأنف كأن قائلا قال لم تنزل على الأفاكين فقيل يفعلون كيت وكيت (فإن قلت) كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعد ماقضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك (قلت) الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لاينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه (فإن قلت) وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات (قلت) أريد التفريق بينهن بآيات ليست فى معناهن ليرجع إلى المجىء بهن وتطرية ذكر مافيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذى نزلن فيه من المعانى التى اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفى صدره اهتمام بشىء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه (والشعراء) مبتدأ و (يتبعهم الغاوون) خبره ومعناه أنه لايتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح فى الأنساب والنسيب بالحرم والغزل

(قوله والقدح فى الأنساب والنسيب بالحرم والغزل) أى التشبب وخرمت الخرز أى شققته وفتقته وجرحته والخرمان بالضم

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۞

والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية ابن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه حبّ النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيهاً لبعه بعضد ۞ ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلوّ في المنطق ومجاوزة حدّ القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريّ ويفسقوا التقي وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات ۞ وبتّ أفض أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحدّ فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحدّ بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون ۞ استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمر بن عبيد أن رجلا من العلوية قال له إن صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ۞ ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البليغ وقوله (الذين ظلموا) وإطلاقه وقوله (أي منقلب ينقلبون) وإبهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدّتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس أي منفلت ينفلتون ومعناها إنّ الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

الكذب والغزل محادثة النساء ومراودتهن والابتهار ادعاء الشيء كذبا كذا في الصحاح في مواضع (قوله والسارقة وسورة أنزلناها) لعل هنا سقطا تقديره بالنصب (قوله وأن يبهتوا البريّ) أي يتهموا (قوله وتفسير الظلم بالكفر تعليل) لعله من علله بالشيء أي لهاه به كما يعلل الصبي بشيء من الطعام يجتزأ به عن اللبن كما في الصحاح

سورة النمل مكية

وآياتها ٩٣ نزلت بعد الشعراء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۞ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ

﴿سورة النمل مكية وهى ثلاث وتسعون آية وقيل أربع وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طس) قرئ بالتفخيم والإمالة و(تلك) إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين أما اللوح وإبانته أنه قد خط فيه كل ماهو كائن فهو يبينه للناظرين فيه إبانة وإما السورة وإما القرآن وإبانتهما أنهما يبينان ماأودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه (فإن قلت) لم نكر الكتاب المبين (قلت) ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر (فإن قلت) ماوجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن (قلت) كما يعطف إحدى الصفتين على الأخرى فى نحو قولك هذا فعل السخى والجواد الكريم لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك آى كتاب مبين وقرأ ابن أبى عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (فإن قلت) ماالفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (قلت) لافرق بينهما إلا مابين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لايترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه مانحن بصدده والثانى نحو قوله تعالى شهد الله أنه لاإله إلاهو والملائكة وأولوا العلم (هدى وبشرى) فى محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أى هادية ومبشرة والعامل فيها مافى تلك من معنى الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هى هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أى جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى فى كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة فى هداهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا (فإن قلت) (وهم بالآخرة هم يوقنون) كيف يتصل بما قبله (قلت) يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذى هو هم حتى صار معناها ومايوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق

﴿القول فى سورة النمل﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون (قال فيه كرر الضمير حتى صار معنى الكلام ولايوقن بالآخرة حتى الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق) قال أحمد قد تقدم فى غير موضع اعتقاد أن إيقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر كما مر له فى قوله تعالى هم ينشرون أن معناه لاينشر إلاهم وعد الضمير من آلات الحصر كما مر ليس ببين وقد بينا لمجىء الضمير فى سورة اقترب وجها سوى الحصر وأما وجه تكراره ههنا والله أعلم فهو أنه لما كان أصل الكلام وهم يوقنون بالآخرة ثم قدم المجرور على عامله عناية به فوقع فاصلا بين المبتدإ والخبر فأريد أن يلى المبتدأ خبره وقد حال المجرور بينهما فطرى ذكره ليليه الخبر ولم يفت مقصود العناية بالمجرور

فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۞ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۞ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞

۞ (فإن قلت) كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان فى قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (قلت) بين الإسنادين فرق وذلك أنّ إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله عزّ وجلّ مجاز وله طريقان فى علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذى يسمى الاستعارة والثانى أن يكون من المجاز الحكمىّ فالطريق الأول أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم فى قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثانى أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأنّ المجاز الحكمى يصححه بعض الملابسات وقيل هى أعمال الخير التى وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى إلى الحسن ۞ والعمه التحير والتردّد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين أراد متردّدين فى أعمالهم وأشغالهم (سوء العذاب) القتل والأسر يوم بدر ۞ و (الأخسرون) أشدّ الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من) عند أى (حكيم) وأى (عليم) وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (إذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم ۞ وروى أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل فتبع

حيث بقى على حاله مقدما ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعد ما يوجب التطرية فأقرب منها أن الشاعر قال

سق ذو عجل ذا وألحقنا بذا ۞ الشحم إنا قد مللنا بجل

والأصل وألحقنا بذا الشحم فوقع منتصف الرجز أو منتهاه على القول بأنّ مشطور الرجز بيت كامل عند اللام وبنى الشاعر على أنه لابدّ عند المنتصف أو المنتهى من وقيفة ما فقدّر بتلك الوقفة بعد أن بين المعرف وآلة التعريف فطراها ثانية فهذه التطرية لم تتوقف على أن يحول بين الأول وبين المكرّر ولا كلمة واحدة سوى تقديره وقفة لطيفة لا غير فتأمّل هذا الفصل فإنه جدير بالتأمّل والله أعلم ۞ قوله تعالى « إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (قال إن قلت كيف أسند التزيين إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان فى قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم قلت إنّ بين الإسنادين فرقاً فالإسناد إلى الله مجاز وإلى الشيطان حقيقة وقد روى عن الحسن أنّ المراد زينا لهم أعمال البر فعمهوا عنها ولم يهتدوا إلى العمل بها) قال أحمد وهذا الجواب مبنى على القاعدة الفاسدة فى إيجاب رعاية الصلاح والأصلح وامتناع أن يخلق الله تعالى للعبد إلا ما هو مصلحة فمن ثم جعل إسناد التزيين إلى الله تعالى مجازاً وإلى الشيطان حقيقة ولو عكس الجواب لفاز بالصواب وتأمّل ميله إلى التأويل الآخر من أنّ المراد أعمال البر على بعده لأنه لا يعرض لقاعدته بالنقض وأنى لهم ذلك وقد أنى الله بنيانهم من القواعد على أنّ التزيين قد ورد فى الخير فى قوله تعالى ولكنّ الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم على أنّ غالب وروده فى غير البر كقوله زين للناس حب الشهوات زين للذين كفروا الحياة الدنيا وكذلك زين لكثير من المشركين ومما يبعد حمله على أعمال البر إضافة الأعمال إليهم فى قوله أعمالهم وأعمال البر ليست مضافة إليهم لأنهم لم يعملوها قط فظاهر الإضافة يعطى ذلك ألا ترى إلى قوله تعالى ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم وقوله قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان فأطلق الإيمان فى المكانين عن إضافته إليهم لأنه لم يصدر منهم وأضاف الإسلام الظاهر إليهم لأنه صدر منهم والله أعلم

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۞ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ

ذلك أورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا ۞ الشهاب الشعلة ۞ والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبساً وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد ضله (فإن قلت) سآتيكم منها بخبر ولعلى آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لأن أحدهما ترج والآخر تيقن (قلت) قد يقول الراجي إذا قوى رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة (فإن قلت) كيف جاء بسين التسويف (قلت) عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة (فإن قلت) فلم جاء بأو دون الواو (قلت) بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعاً وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة (أن) هى المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك (فإن قلت) هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودى بأنه بورك والضمير ضمير الشأن (قلت) لا لأنه لابد من قد (فإن قلت) فعلى إضمارها (قلت) لا يصح لأنها علامة لا تحذف ومعنى (بورك من فى النار ومن حولها) بورك من فى مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التى حصلت فيها وهى البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبيّ تباركت الأرض ومن حولها وعنه بوركت النار والذى بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر دينى فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد فى بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير فى أقاصيها ويبث آثار يمنه فى أباعدها فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذى جرى فى تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام فى كل من كان فى تلك الأرض وفى ذلك الوادى وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة فى قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين وحقت أن تكون كذلك فهى مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحى إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا (فإن قلت) فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه (قلت) هى بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه فى أرض الشام كلها البركة (وسبحان الله رب العالمين) تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وإيذان بأن ذلك الأمر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤن ۞ الهاء فى (أنه) يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن (أنا الله) مبتدأ وخبر و (العزيز الحكيم) صفتان للخبر وأن يكون راجعا إلى ما دل عليه ما قبله يعنى أن مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوىّ القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير (فإن قلت) علام عطف قوله (وألق عصاك) (قلت) على بورك لأن المعنى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إنى أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليك أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن أحج واعتمر ۞ وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد فى الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين (ولم يعقب) لم يرجع يقال عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار قال:

فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ۞ ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به ويدل عليه (إنى لا يخاف لدىّ المرسلون) و (إلا) بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفى

مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ

الخوف عن الرسل كأن ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أى فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطى ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التى يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب إنى ظلمت نفسى فاغفرلى ۞ والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبى عمرو فى رواية عصمة حسناً و(فى تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب فى تسع آيات (إلى فرعون) ونحوه :

فقلت إلى الطعام فقال منهم ۞ فريق يحسد الإنس الطعاما

ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك فى تسع آيات أى فى جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات إحدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الإبصار لها وهو فى الحقيقة لمتأمليها لأنهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار كل ناظر فيها من كافة أولى العقل وأن يراد إبصار فرعون وملئه لقوله واستيقنتها أنفسهم أوجعلت كأنها تبصر فتهدى لأن العمى لاتقدر على الاهتداء فضلا أن تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى ونحوه قوله تعالى «لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات» والأرض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار وقرأ على بن الحسين رضى الله عنهما وقتادة مبصرة وهى نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أى مكانا يكثر فيه التبصر ۞ الواو فى (واستيقنتها) واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا ۞ وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين وأى ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحراً بينا مكشوفا لا شبهة فيه (علما) طائفة من العلم أو علماً سنياً غزيرا ۞ (فإن قلت) أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر (قلت) بلى ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشىء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علماً فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة (وقالا الحمد لله الذى فضلنا) ۞ والكثير المفضل

۞ قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما (قال معناه طائفة من العلم) قال أحمد التبعيض والتقليل من التنكير وكما يرد للتقليل من شأن المنكر فكذلك يرد للتعظيم من شأنه كما مر آنفا فى قوله تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ولم يقل الحكيم العليم والغرض من التنكير التفخيم كأنه قال من لدن حكيم عليم فظاهر قوله ولقد آتينا داود وسليمان علما فى سياق الامتنان تعظيم العلم الذى أوتياه كأنه قال علما أى علم وهو كذلك فإن علمهما كان مما يستعظم ويستغرب ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات الذى خصهما الله تعالى به وكل علم بالإضافة إلى علم الله تعالى قليل ضئيل والله أعلم ۞ قوله تعالى وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (قال) بجلا نعمة الله عليهما

(قوله نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة) فى الصحاح جفر الفحل عن الضراب إذا انقطع عنه ومنه قيل الصوم مجفرة أى قاطع للنكاح

دَاوُدَ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ٭ وَحُشِرَ

عليه من لم يؤت علماً أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفى الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم فى الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس أفقه من عمر ٭ ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبداً وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله (وقال ياأيها الناس) تشهيرا لنعمة الله وتنويهاً بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور والمنطق كل مايصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذى علمه سليمان من منطق الطير هو مايفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل فى شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون مايقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء. وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا. وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان. وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يامذنبين. وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال. وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيراً تجدوه. وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه. وصاح قمرى فأخبر أنه يقول سبحان ربى الأعلى. وقال الحدأ يقول كل شىء هالك إلا الله. والقطاة تقول من سكت سلم. والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه. والديك يقول اذكروا الله ياغافلين. والنسر يقول ياابن آدم عش ماشئت آخرك الموت. والعقاب يقول فى البعد من الناس أنس. والضفدع يقول سبحان ربى القدوس. وأراد بقوله (من كل شىء) كثرة ماأوتى كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شىء تريد كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة فى العلم واستكثار منه ومثله قوله وأوتيت من كل شىء (إنّ هذا لهو الفضل المبين) قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا القول شكراً ولا أقوله فخراً (فإن قلت) كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثانى أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التى كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه وإظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجباً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحواً من ذلك إذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجح فى عين عدوّ ألا ترى كيف أمر العباس رضى الله عنه بأن يحبس أباسفيان حتى تمر عليه الكتائب ٭ روى أن معسكره كان مائة فرسخ فى مائة: خمسة وعشرون للجنّ وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجنّ بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسى الذهب

من حيث قولهما فضلنا وتواضعا بقولهما على كثير ولم يقولا على عباده اعترافا بأن غيرهما يفضلهما حذراً من الترفع

(قوله هو مايفهم بعضه من بعض معانيه) عبارة النسفى والمنطق كل مايصوت من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض اه (قوله ياابن آدم عشت ماشئت) لعله عش وفى الخازن عش ماشئت آخره الموت (قوله وإظهار آيينه وسياسته) قيل مراتبه وبهائه وفى نسخة أبهته فليحرّر

لسليمن جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ٭ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مسكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون ٭ فتبسم ضاحكا من قولها وقال

والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لايقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر. ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض أنى قدزدت فى ملكك لايتكلم أحد بشىء إلا ألقته الريح فى سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت إليك لئلا تتمنى مالاتقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتى آل داود (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لايتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ٭ قيل هو واد بالشام كثير النمل (فإن قلت) لم عدى أتوا بعلى (قلت) يتوجه على معنيين : أحدهما أن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب ٭ ولشدة ماقربت عليك الأنجم ٭ لما كان قربا من فوق . والثانى أن يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشىء إذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادى لأنهم مادامت الريح تحملهم فى الهواء لايخاف حطمهم ٭ وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الأصل النمل بوزن الرجل والنمل الذى عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع فى السبع قيل كانت تمشى وهى عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبوحنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبوحنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى ٭ وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لايحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحتطمنكم ٭ ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم (فإن قلت) لايحطمنكم ماهو (قلت) يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون نهيا بدلا من الأمر والذى جوز أن يكون بدلا منه

٭ قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم (قال لما دخل قتادة الكوفة التف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فقال أبوحنيفة وكان شابا سلوه عن النملة التى كلمت سليمان أذكرا كانت أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبوحنيفة كانت أنثى فقيل كيف لك ذلك قال لأن الله عز وجل قال قالت نملة ولو كانت ذكراً لقال قال نملة) قال أحمد لاأدرى العجب منه أم من أبى حنيفة أن يثبت ذلك عنه وذلك أن النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الأنثى لأنه اسم جنس يقال نملة ذكر ونملة أنثى كما يقولون حمامة ذكر وحمامة أنثى وشاة ذكر وشاة أنثى فلفظها مؤنث ومعناه محتمل فيمكن أن تؤنث لأجل لفظها وإن كانت واقعة على ذكر بل هذا هو الفصيح المستعمل ألاترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام لاتضحى بعوراء ولا عجفاء ولا عمياء كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولايعنى الإناث من الأنعام خاصة فحينئذ قوله تعالى قالت نملة روعى فيه تأنيث اللفظ وأما المعنى فيحتمل على حد سواء. وإنما أطلت فى هذا وإن كان لايتمشى عليه حكم لأنه نسبه إلى الإمام أبى حنيفة على بصيرته باللغة ثم جعل هذا الجواب معجبا لنعمان على غزارة علمه وتبصره بالمنقولات ثم قرر الكلام على ماهو عليه مصونا له فيالله العجب العجاب والله الموفق للصواب

(قوله توقف سلاف العسكر) أى متقدموهم أفاده الصحاح (قوله وهى عرجاء تتكاوس) فى الصحاح كوسته على رأسه تكويسا أى قلبته وكاس هو يكوس إذا فعل ذلك وكاس البعير إذا مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۞ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۞ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا

أنه فى معنى لاتكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لاأرينك ههنا أراد لايحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفاقها ۞ ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا فى الضحك وآخذا فيه يعنى أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك وكذلك ضحك الأنبياء عليهم السلام وأما ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة فى وصف ماوجد منه من الضحك النبوى وإلا فبدو النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا (فإن قلت) ما أضحكه من قولها (قلت) شيآن إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم فى باب التقوى وذلك قولها وهم لايشعرون تعنى أنهم لوشعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله بما لم يؤت أحداً من إدراكه بسمعه ماهمس به بعض الحكل الذى هو مثل فى الصغر والقلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى ۞ وحقيقة أوزعنى اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى وأكفه وأرتبطه لاينفلت عنى حتى لاأنفك شاكرا لك وإنما أدرج ذكر والديه لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة إلى الدين فإنه إذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك وروى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ۞ ومعنى (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) واجعلنى من أهل الجنة ۞ أم هى المنقطعة . نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال (مالى لاأرى) على معنى أنه لايراه وهو حاضر لساتر ستره أوغير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة مالاح له ونحوه قولهم إنها لإبل أم شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء فى الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهداً واقعاً فانحط إليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثنى عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علىّ به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذى قواك وأقدرك علىّ إلا رحمتينى فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبىّ الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتينى بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعاً له فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه فقال يانبىّ الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله

(قوله ماهمس به بعض الحكل) فى الصحاح الحكل مالايسمع له صوت (قوله وعلى استيفاقه لزيادة العمل) فى الصحاح استوفقت الله سألته التوفيق (قوله تجهز للحج بحشره فوافى الحرم) فى الصحاح حشرت الناس أحشرهم حشراً جمعتهم ومنه يوم الحشر (قوله وكان الهدهد قناقنه) القناقن بالضم الدليل الهادى والبصير بالماء فى حفر القنى والقنى جمع قناة أفاده الصحاح فى موضعين (قوله فدعا عفريت الطير وهو النسر) فى نسخة عريف الطير وكذا عبارة النسفى

أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ

* تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين ألفه وقيل لألزمنه صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الأضداد وقيل لألزمنه خدمة أقرانه (فإن قلت) من أين حلّ له تعذيب الهدهد (قلت) يجوز أن يبيح له الله ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر له من أجله إلا بالتأديب والسياسة جاز أن تباح له ما يستصلح به * وقرئ ليأتيني وليأتين * والسلطان الحجة والعذر (فإن قلت) قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صحّ حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول أو ليأتيني بسلطان (قلت) لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك ليكوننّ أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادّعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وإيقان (فمكث) قرئ بفتح الكاف وضمها (غير بعيد) غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفاً من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخراً له ولبيان ما أعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى (أحطت) بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيهاً على أنّ في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والإحاطة بالشيء علماً أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أنّ الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه * سبإ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالألف كقولهم ذهبوا أيدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسماً للحي أو الأب الأكبر صرف قال:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ * يبنون من دون سيله العرما

وقال:

الواردون وتيم في ذرى سبإ * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب بسبإ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أدّ ويحتمل أن يراد المدينة والقوم * والنبأ الخبر الذي له شأن * وقوله (من سبإ بنبإ) من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة فحسن وبدع لفظاً ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحاً وهو كما جاء أصح لما في النبإ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال * المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكاً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس والضمير في (تملكهم) راجع إلى سبإ فإن أريد به القوم فالأمر ظاهر وإن أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها * وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعاً في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللاً بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (فإن قلت) كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان (قلت) يجوز

(قوله وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ) لعله التي تتعلق

لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۞ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞

أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته فى كل شىء كما يكون لبعض أمراء الأطراف شىء لا يكون مثله للملك الذى يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد أمر عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع فى عظيمة وهى مسخ كتاب الله (فإن قلت) كيف قال (وأوتيت من كل شىء) مع قول سليمان وأوتينا من كل شىء كأنه سوى بينهما (قلت) بينهما فرق بين لأن سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع أولا إلى ما أوتى من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم إلى الملك وأسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد (فإن قلت) كيف خفى على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب (قلت) لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب (فإن قلت) من أين للهدهد التهدى إلى معرفة الله ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه (قلت) لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا فى زمن نبى سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له . من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا لحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يا اسجدوا ألا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال ۞ ألا يا اسلمى يا دارمىّ على البلى ۞ وفى حرف عبد الله وهى قراءة الأعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وفى قراءة أبىّ ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سركم وما تعلنون وسمى المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهى قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من يقول فى الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبى ثم أجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لأنها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء وقيل من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفى إخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض وذلك بإلهام من يخرج الخبء فى السموات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذى الفراسة النظار بنور الله مخائل كل مختص بصناعة أو فن من العلم فى روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا إلا ألقى الله عليه رداء عمله (فإن قلت) أسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا أم فى إحداهما (قلت) هى واجبة فيهما جميعا لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها وإحدى القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعى رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشر وإنما اختلفا فى سجدة ص فهى عند أبى حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعى سجدة شكر وفى سجدتى سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه (فإن قلت) هل يفرق الواقف بين القراءتين (قلت) نعم إذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا وإن شاء وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش العظيم (فإن قلت) كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله فى الوصف بالعظم (قلت) بين الوصفين بون عظيم لأن وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك

(قوله ومن نوكى القصاص) أى حمقى أفاده الصحاح (قوله وقيل من أحطت إلى العظيم) فى اللباب أن الخلاف فى ألا يسجدوا إلى العظيم ومال إليه فى التقريب اه من هامش (قوله فى روائه) بالضم أى منظره أفاده الصحاح

قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۞ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۞ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۞

ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ماخلق من السموات والأرض ۞ وقرئ العظيم بالرفع (سننظر) من النظر الذى هو التأمل والتصفح ۞ وأراد أصدقت أم كذبت إلا ،أن كنت من الكاذبين، أبلغ لأنه إذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لامحالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به (تول عنهم) تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون مايقولونه بمسمع منك و(يرجعون) من قوله تعالى يرجع بعضهم إلى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها وتوارى فى الكوة (فإن قلت) لم قال فألقه اليهم على لفظ الجمع (قلت) لأنه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك (كريم) حسن مضمونه ومافيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب إلى العجم فقيل له أنهم لايقبلون إلا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما ألقى اليها كأنها لما قالت إنى ألقى إلى كتاب كريم قيل لها ممن هو وماهو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت وقرأ عبدالله وإنه من سليمان وإنه عطفا على إنى وقرئ إنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقى إلى أنه من سليمان ويجوز أن تريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ أبى أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة وأن فى (ألاتعلوا) مفسرة أيضا . لاتعلوا: لاتتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ : السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وائتونى مسلمين، وكانت كتب الأنبياء عليهم السلام جملا لايطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميرى فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ماقالت (مسلمين) منقادين أو مؤمنين ۞ الفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا فى السن والمراد بالفتوى ههنا الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأى والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها (قاطعة أمرا) فاصلة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه قاضية أى لا بت أمرا إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف أرادوا بالقوة قوة

۞ قوله تعالى قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (قال معناه أصدقت أم كذبت إلا أن عبارة الآية أبلغ لأنه إذا كان معروفا بالكذب اتهم فى جملة إخباره فلم يوثق به) قال أحمد وهذا مما نبهت عليه فى سورة الشعراء من العدول عن الفعل الذى هو أم كذبت وعن مجرد صفته فى قوله أم كنت كاذبا إلى جمله واحدا من الفئة الموسومة بالكذب فهو أبلغ فى مقصود سياق الآية من التهديد والله أعلم

قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۞ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۞ ارْجِعْ

الأجساد وقوة الآلات والعدد ۞ وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب (والأمر إليك) أى هو موكول إليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك ۞ كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لامن أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع رأيك ۞ لما أحست منهم الميل إلى المحاربة رأت من الرأى الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولا ماذكروه وأرتهم الخطأ فيه بـ(أن الملوك إذا دخلوا قرية) عنوة وقهراً (أفسدوها) أى خربوها ومن ثمة قالوا للفساد الخربة ۞ وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التى لاتتغير لأنها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحوذلك ورأت ثم ذكرت بعدذلك حديث الهدية ومارأت من الرأى السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون فى الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (مرسلة اليهم بهدية) أى مرسلة رسلا بهدية أصانعه بها عن ملكى (فناظرة) ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك فروى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذارأى وعقل وقال إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلايهولنك وإن رأيته بشاً لطيفا فهو نبى فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والهوام والطيور كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ماوراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم إن فيه كذاوكذا ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها فى الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها فى الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم فقالت هو نبى ومالنا به طاقة فشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف ۞ وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه فلما جاؤا (أتمدونى) وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله أتحاجونى وبنون واحدة أتمدونى ۞ الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدى والمهدى اليه تقول هذه هدية فلان تريد هى التى أهداها أو أهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى أن ماعندى خير مما عندكم وذلك أن الله آتانى الدين الذى فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتانى من الدنيا

(قوله والأطواق والقرطة) واحدها قرط (قوله على رماك فى زىّ الغلمان) هى إناث الخيل

إليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ۞ قال يأيها الملؤا أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ۞ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين ۞ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا

مالايستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بأن يمد بمال ويصانع به (بل أنتم) قوم لاتعلمون إلاظاهراً من الحياة الدنيا فلذلك (تفرحون) بما تزادون ويهدى اليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالكم وماأرضى منكم بشىء ولاأفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية (فإن قلت) ماالفرق بين قولك أتمدنى بمال وأناأغنى منك وبين أن تقوله بالفاء (قلت) إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبى عالما بزيادتى عليه فى الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدنى بالمال وإذاقلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فأنا أخبره الساعة بمالاأحتاج معه إلى إمداده كأنى أقول له أنكر عليك مافعلت فإنى غنى عنه وعليه ورد قوله فما آتانى الله (فإن قلت) فما وجه الإضراب (قلت) لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنهم لايعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى اليهم حظ من الدنيا التى لايعلمون غيرها ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدى ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التى أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها (ارجع) خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر (لاقبل) لاطاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لايقدرون أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لاقبل لهم بهم ۞ الضمير فى منها لسبا ۞ والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك ۞ والصغار أن يقعوا فى أسر واستعباد ولايقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا ۞ يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام فجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرساً يحفظونه ولعله أوحى إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ماخصه الله به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى مايشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويصدقها وعن قتادة أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختباراً لعقلها ۞ وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان (لقوى) على حمله (أمين) آتى به كما هو لاأختزل منه شيئاً ولا أبدله (الذى عنده علم من الكتاب) رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو ياحى ياقيوم وقيل ياإلهنا وإله كل شىء إلها واحداً لاإله إلا أنت وقيل ياذا الجلال والإكرام وعن الحسن رضى الله عنه الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقاً عالما وقيل اسمه أسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ماهو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغنى أنه الخضر عليه السلام ۞ علم من الكتاب: من الكتاب المنزل وهو علم الوحى والشرائع وقيل هو اللوح والذى عنده علم منه جبريل عليه السلام ۞ وآتيك فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل. الطرف تحريك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف فى نحو قوله

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً ۞ لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله (قبل أن يرتد إليك طرفك) أنك ترسل طرفك إلى شىء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد

عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۞ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۞ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ

عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش فى مكانه بمارب ثم نبغ عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدرة الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجىء به كما تقول لصاحبك افعل كذا فى لحظة وفى ردة طرف والتفت ترنى وما أشبه ذلك تريد السرعة (يشكر لنفسه) لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفى كلام بعض المتقدمين أن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا (غنى) عن الشكر (كريم) بالإنعام على من يكفر نعمته والذى قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر (نكروا) اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله ۞ وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف (أتهتدى) لمعرفته أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنبوة سليمان عليه السلام إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس ۞ هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فـ(قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقع فى المحتمل (وأوتينا العلم) من كلام سليمان وملئه (فإن قلت) علام عطف هذا الكلام وبم اتصل (قلت) لما كان المقام الذى سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت فى جوابها وطبقت المفصل وهى عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التى تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكرا لله على فضلهم عليها

۞ قوله تعالى أهكذا عرشك (قال فيه لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس بهو وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل) قال أحمد وفى قولها كأنه هو عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال بأن تقول هكذا هو نكتة حسنة ولعل قائلا يقول كلا العبارتين تشبيه إذ كاف التشبيه فيهما جميعا وإن كانت فى إحداهما داخلة على اسم الإشارة وفى الأخرى داخلة على المضمر وكلاهما أعنى اسم الإشارة والمضمر واقع على الذات المشبهة وحينئذ تستوى العبارتان فى المعنى ويفضل قولها هكذا هو بمطابقته للسؤال فلابد فى اختيار كأنه هو من حكمة فنقول حكمته والله أعلم أن كأنه هو عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه فى التغاير بين الأمرين فكاد يقول هو هو وتلك حال بلقيس وأما هكذا هو فعبارة جازم بتغاير الأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير فلهذا عدلت إلى العبارة المذكورة فى التلاوة لمطابقتها حالها والله أعلم وقول الزمخشرى ولا ليس بهو إن كان من قوله فوهم والصواب ولا ليس به والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله ثم نبغ عند مجلس سليمان) فى الصحاح نبغ الشىء ظهر (قوله وقلما أقشعت نافرة) أى أقلعت أفاده الصحاح (قوله وطبقت المفصل وهى عاقلة) لعله وطابقت

مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ۞ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۞ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۞

وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها (وصدها) عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهرانى الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوّة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أوقبل هذه الحالة تعنى ماتبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا فى الإسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدّها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل ۞ وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صدّ أوبمعنى لأنها ۞ الصرح القصر وقيل صحن الدار ۞ وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد ۞ والممرد المملس وروى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له إن فى عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هى أحسن الناس ساقا وقدما لاأنها شعراء ثم صرف بصره وناداها (إنه صرح ممرد من قوارير) وقيل هى السبب فى اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذاتبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان (ظلمت نفسى) تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت أن سليمان عليه السلام يغرقها فى اللجة فقالت ظلمت نفسى بسوء ظنى بسليمان عليه السلام ۞ وقرئ أن اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء (فريقان) فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد (يختصمون) يقول كل فريق الحق معى ۞ السيئة العقوبة والحسنة التوبة (فإن قلت) مامعنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى (قلت) كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة التى يعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة فى ذلك الوقت وإن لم تقع فنحن على مانحن عليه فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم ۞ ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب (لعلكم ترحمون) تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه ۞ وكان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحا

(قوله فبنوا لها سيلحين وغمدان) فى الصحاح سيلحون قرية وفيه فى فصل نصب أن للعرب فى نصيبين ونحوه كيبرين وفلسطين وسيلحين وياسمين وقنسرين مذهبين أحدهما لزوم الياء وإعراب مالا ينصرف والثانى إعراب الجمع بالياء والنون نصبا وجرا وبالواو والنون رفعا وفى فصل غمد غمدان قصر باليمن وفى فصل صنع المصانع الحصون (قوله فإن مر سانحا تيمن) السانح ماولاك ميامنه من ظبى أوطائر أوغيرهما بأن يمر من مياسرك إلى ميامنك والبارح ماولاك

وَكَانَ فِى الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ

تيمن وإن مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أى قدر الله الغالب الذى ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذى تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أى تشاءمنا وكانوا قد قحطوا (قال طائركم عند الله) أى سببكم الذى يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه (تفتنون) تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة (المدينة) الحجر ۞ وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه فى معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رباب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفى قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح عليه السلام وكانوا من أبناء أشرافهم (ولا يصلحون) يعنى أن شأنهم الإفساد البحت الذى لا يخلط بشىء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح (تقاسموا) يحتمل أن يكون أمراً وخبراً فى محل الحال بإضمار قد أى قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا ۞ وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح إلا أن يكون خبراً والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر ۞ وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان (فإن قلت) كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه (قلت) كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحاً وبيتوا

۞ قوله تعالى « لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون » (قال فيه إن قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحاً وبيتوا أهله وجمعوا بين البياتين جميعا لا أحدهما كانوا صادقين وفى هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا تراهم قصدوا قتل نبى الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق حيلة يتفصون بها عن الكذب) قال أحمد وحيلة الزمخشرى لتصحيح قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل أقرب من حيلتهم التى سماها الله تعالى مكراً لأن غرضه من تمهيد حيلتهم أن يستشهد على صحة القاعدة المذكورة فى موافقة قوم لوط عليها إذا استقبحوا الكذب بعقولهم لا بالشرع وأنى يتم له ذلك أولهم وهم كاذبون صريح الكذب فى قولهم ۞ ما شهدنا مهلك أهله ۞ وذلك أنهم فعلوا الأمرين ومن فعل الأمرين لجحد فعل أحدهما لم يكن فى فريته مرية وإنما كانت الحيلة تتم لو فعلوا أمراً فادعى عليهم فعل أمرين فجحدوا المجموع ومن ثم لم تختلف العلماء فى أن من حلف لا أضرب زيداً فضرب زيداً وعمراً كان حانثاً بخلاف الحالف لا أضرب زيداً وعمراً ولا آكل رغيفين فأكل أحدهما فإن مثل هذا محل خلاف العلماء فى الحنث وعدمه فإذا تمهد أن هؤلاء كاذبون صراحا فى قولهم ما شهدنا مهلك أهله وأنه لا حيلة لهم فى الخلاص من الكذب فلا يخلو أمرهم أن يكونوا عقلاء فهم لا يتواطئون على اعتقاد الصدق بهذه الحيلة مع القطع بأنها ليست حيلة ولا شبهة لقرب جحدهم من الصدق فيبطل ما قال الزمخشرى لإثبات قاعدة دينه على زعمه إذ قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل من قواعد عقائد القدرية بموافقة قوم غير عقلاء على صحتها فحسبه ما رضى به لدينه والسلام

مياسره بأن يمر من ميامنك إلى مياسرك كذا فى الصحاح (قوله والبيات مباغتة ليلا) فى الصحاح بيت العدو أى أوقع بهم ليلا والاسم البيات (قوله ليس من آيين الملوك) تقدم آنفاً أنه قيل آيين الملك مراتبه وبهاؤه كما وجد بهامش

لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ۞

أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ماشهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعاً لا أحدهما وفى هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق فى خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ۞ مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى أنه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم فى مكانه ونجى صالحاً ومن معه وقيل جاءوا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون رامياً (أنا دمرناهم) استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة أو خبر مبتدإ محذوف تقديره هى تدميرهم أو نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان أى كان عاقبة مكرهم الدمار (خاوية) حال عمل فيها مادل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدإ المحذوف (و) اذكر (لوطاً) أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه ۞ وإذ بدل على الأول ظرف على الثانى (وأنتم تبصرون) من بصر القلب أى تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وأن الله إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى فهى مضادة لله فى حكمته وحكمه وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل فى القبح والسماجة وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضكم من بعض لأنهم كانوا فى ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا فى المعصية وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله :
وبح باسم ما تأتى وذرنى من الكنى ۞ فلا خير فى اللذات من دونها ستر
أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم (فإن قلت) فسرت تبصرون بالعلم وبعده (بل أنتم قوم تجهلون) فكيف يكونون علماء جهلاء (قلت) أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها (فإن قلت) تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون (قلت) اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة وقرأ الأعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة أحسن (يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا إنكارهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو استهزاء (قدرناها) قدرنا كونها (من الغابرين) كقوله قدرنا إنها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور فى المعنى ۞ أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين

(قوله حيلة يتفصون بها عن الكذب) فى الصحاح فصا الإنسان إذا تخلص من البلية والضيق. وتفصيت من الديون إذا خرجت منها وتخلصت (قوله صخرة من الهضب حيالهم) أى من المطر المتتابع مطرة بعد مطرة وقعد حياله أى إزاءه وأصله الواو أفاده الصحاح (قوله وبح باسم ما تأتى) يروى من تهوى

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ۞ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۞ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا

على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابراً عن كابر هذا الأدب فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقيل هو متصل بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء عليهم السلام وأشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وإنما هو إلزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثاً لينبهوا على الخطإ المفرط والجهل المورط وإضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا إن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التي كانت تجري تحته ۞ ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ يشركون بالياء والتاء، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (فإن قلت) ما الفرق بين أم وأم في أم ما تشركون وأمن خلق (قلت) تلك متصلة لأن المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله تعالى آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والأرض خير تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الأعمش أمن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلا من الله كأنه قال أمن خلق السموات والأرض خير أم ما تشركون (فإن قلت) أي نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا (قلت) تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم ۞ والحديقة البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة وقيل ذات لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لأن الناظر يبتهج به (أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين (يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد (أمن جعل) وما بعده بدل من أمن خلق فكان

۞ قوله تعالى آلله خير أما يشركون (قال فيه معلوم أن لا خير فيما أشركوه حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وإنما هو إلزام لهم وتبكيت) قال أحمد كلام مرضي بعد أن تضع خالق كل شيء مكان قوله خالق كل خير فإنه

(قوله فأجروا أوائل كتبهم) لعله فأجروا ذلك أوائل كتبهم (قوله والحدائق البستان عليه حائط) في الصحاح الحديقة كل بستان عليه حائط

أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون * أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكرون * أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون * أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين *

حكمهما حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (حاجزا) كقوله برزخا * الضرورة الحالة المحوجة إلى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أحوجه مرض أوفقر أونازلة من نوازل الدهر إلى اللجا والتضرع إلى الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو المجهود وعن السدى الذى لاحول له ولاقوة وقيل المذنب إذا استغفر (فإن قلت) قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر إذا دعاه وكم من مضطر يدعوه فلايجاب (قلت) الإجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لايحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقاً يصلح لكله ولبعضه فلاطريق إلى الجزم على أحدهما إلا بدليل وقدقام الدليل على البعض وهو الذى أجابته مصلحة فبطل التناول على العموم (خلفاء الأرض) خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط * وقرئ يذكرون بالياء مع الإدغام وبالتاء مع الإدغام والحذف وما مزيدة أى يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفى التذكر والقلة تستعمل فى معنى النفى (يهديكم) بالنجوم فى السماء والعلامات فى الأرض إذا جنّ الليل عليكم مسافرين فى البر والبحر * (فإن قلت) كيف قيل لهم (أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم منكرون للإعادة (قلت) قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عذر فى الإنكار (من السماء) الماء (و) من (الأرض) النبات (إن كنتم صادقين) أنّ مع الله إلها فأين دليلكم عليه (فإن قلت) لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن فى السموات والأرض (قلت) جاء على لغة بنى تميم حيث يقولون مافى الدار أحد إلا حمار يريدون مافيها إلا حمار وكأن أحدا لم يذكر ومنه قوله عشية ماتغنى الرماح مكانها * ولا النبل إلا المشرفى المصمم وقولهم ماأتانى زيد إلا عمرو وماأعانه إخوانكم إلا إخوانه (فإن قلت) ماالداعى إلى اختيار المذهب التميمى على الحجازى (قلت) دعت اليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله إلا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى إلى قولك إن كان الله ممن فى السموات والأرض فهم يعلمون الغيب يعنى أنّ علمهم الغيب فى استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أنّ معنى مافى البيت إن كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الأنيس (فإن قلت) هلا زعمت أنّ الله ممن فى السموات والأرض كما يقول المتكلمون الله فى كل مكان على معنى أنّ علمه فى الأماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لاتحمله على مذهب بنى تميم (قلت) يأبى ذلك أن كونه فى السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وإرادة المتكلم

تخصيص قدرى أو إشراك خفى والتوحيد الأبلج ماقلناه والله سبحانه وتعالى أعلم * قوله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه (قال إن قلت فكم من مضطر لايجاب قلت الإجابة موقوفة على كون المدعو به مصلحة ولهذا لايحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه المصلحة) قال أحمد الصواب أنّ الإجابة مقرونة بالمشيئة لا بالمصلحة وإنما تقف الإجابة على المصلحة عند القدرية لإيجابهم على الله تعالى رعاية المصالح فقول الزمخشرى لايحسن الدعاء من العبد إلا شارطا فيه المصلحة فاسد فإنّ المشيئة شرط فى إجابة الدعاء اتفاقا ومع ذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول الداعى اللهم اغفر لى إن شئت

(قوله دعت اليه نكتة سرية) لعله بزنة فعيلة فيكون بمعنى شريفة (قوله البيت إن كانت اليعافير أنيسا) هو قول الشاعر
وبلدة ليس بها أنيس * إلا اليعافير وإلا العيس

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۞ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الْآخِرَةِ

بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أنّ قولك من فى السموات والأرض وجمعك بينه وبينهم فى إطلاق اسم واحد فيه إبهام تسوية والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته تعالى ألاترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أنه يعلم مافى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلاالله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبيده مكره . وقيل نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (أيان) بمعنى متى ولو سمى به لكان فعالا من آن يئين ولا يصرف وقرئ إيان بكسر الهمزة وقرئ بل أدرك بل ادراك بل ادارك بل تدارك بل أ أدرك بهمزتين بل آ أدرك بألف بينهما بل أدرك بالتخفيف والنقل بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدرك على الاستفهام بلى أدرك بلى أأدرك أم تدارك أم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك أصله تدارك فأدغمت التاء فى الدال وادرك افتعل ومعنى أدرك علمهم انتهى وتكامل وادرك تتابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لاريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ۞ يريد المشركين ممن فى السموات والأرض لأنهم لما كانوا فى جملتهم نسب فعلهم إلى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله ناس منهم (فإن قلت) إن الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وأن العباد لاعلم لهم بشىء منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لايشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة (قلت) لما ذكر أن العباد لايعلمون الغيب ولايشعرون بالبعث الكائن ووقته الذى يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذى لابد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به . والوجه الثانى أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لأجهل الناس ماأعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن إثباته الذى الطريق إلى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذى لاطريق إلى معرفته وفى أدرك علمهم وادارك علمهم وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفنى من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التى عندها تعدم وقد فسره الحسن رضى الله عنه باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا فى الهلاك (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ بل أ أدرك على الاستفهام (قلت) هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لأنها أم التى بمعنى بل والهمزة (فإن قلت) فمن قرأ بلى أدرك وبلى أ أدرك (قلت) لما جاء بلى بعد قوله ومايشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك علمهم فى الآخرة على سبيل التهكم الذى معناه المبالغة فى نفى العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لايعلمون كونها فيرجع إلى نفى الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها وإذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لأن العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن (فى الآخرة) فى شأن الآخرة ومعناها (فإن قلت) هذه الاضطرابات الثلاث مامعناها (قلت) ماهى إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولا بأنهم لايشعرون وقت البعث ثم بأنهم لايعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون فى شك ومرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة ألاترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لايتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لايخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر فى عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى جعلهم كالبهائم لايتدبرون

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۞ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞

ولا يتبصرون ۞ العامل فى إذا مادل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لأن بين يدى عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهى همزة الاستفهام وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمعن والمراد الاخراج من الأرض أومن حال الفناء إلى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على إذا وإن جميعا إنكار على إنكار وجحود عقيب جحود دليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير فى إنالهم ولآبائهم لأن كونهم ترابا قد تناولهم وآباؤهم ۞ (فإن قلت) قدم فى هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفى آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا (قلت) التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وإن الكلام إنما سيق لأجله ففى إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذى تعمد بالكلام وفى الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد ۞ لم تلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لأن تأنيثها غير حقيقى ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم ۞ وأراد بالمجرمين الكافرين وإنما عبر عن الكفر بلفظ الإجرام ليكون لطفاً للمسلمين فى ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى إلى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيآتهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لأنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (فى ضيق) فى حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فإن الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشىء ضيقاً وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق أيضاً تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقاً حرجا قرئ مخففاً ومثقلا ويجوز أن يراد فى أمر ضيق من مكرهم ۞ استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم (عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء فى ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدى بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه ۞ تولوا سراعا والمنية تعنق يعنى دنونا من عمير وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف فى وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده ومالا مجال للشك بعده وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم وأن الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده ۞ الفضل والفاضلة الإفضال ولفلان فواضل فى قومه وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش ۞ قرئ تكن يقال كننت الشىء وأكننته إذا سترته وأخفيته يعنى أنه يعلم مايخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه ۞ سمى الشىء الذى يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت

(قوله اسم الفاعل فيه عقابا) لعله اسم المفعول وعقابا جمع عقبة أفاده الصحاح وعبارة النسفى لأن اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أوأن أولام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف إذا اجتمعن
(قوله تولوا إسراعا والمنية تعنق) فى الصحاح العنق ضرب من سير الدواب

وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۞ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۞ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۞ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ

التاء فيهما بمنزلتها فى العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة فى أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية فى قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال ومامن شىء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته فى اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ۞ قداختلفوا فى المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر فى أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أى من بنى إسرائيل أو منهم ومن غيرهم (بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (فإن قلت) مامعنى يقضى بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه (قلت) معناه بما يحكم به وهو عدله لأنه لايقضى إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكماً أو أراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلايرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى له وبمن يقضى عليه أو العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين ۞ أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذى لايتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وأن مثله لايخذل (فإن قلت) (إنك لاتسمع الموتى) يشبه أن يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك (قلت) وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالأذى والعداوة فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس منه فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا مايتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لاتعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل (فإن قلت) مامعنى قوله (إذا ولوا مدبرين) (قلت) هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعى بأن يولى عنه مدبراً كان أبعد عن إدراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت بهادى العمى على الأصل وتهدى العمى وعن ابن مسعود وما أن تهدى العمى وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة أى أبعده عنها بالسقى وأبعده عن الضلال بالهدى (إن تسمع) أى مايجدى إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أى يصدقون بها (فهم مسلمون) أى مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعنى جعله سالما لله خالصا له سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ماوعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لاتنفع التوبة ودابة الأرض الجساسة جاء فى الحديث أن طولها ستون ذراعا لايدركها طالب ولايفوتها هارب وروى لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن إبل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير ومابين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروى لاتخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبى هريرة فيها من كل لون ومابين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضى الله عنه لايتم خروجها إلا بعد ثلاثة

(قوله سقاه عن العيمة) هى شهوة اللبن كما فى الصحاح (قوله ورأسها يبلغ أعنان السماء) فى الصحاح : أعنان السماء صفائحها وما اعترض من أقطارها كأنه جمع عنن والعامة تقول عنان السماء

الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ۝ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ۝ حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ۝ ووقع

أيام وعن علي رضى الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس فى أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دارنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) يعنى أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجى لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن السدى تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر رضى الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشأم ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى تخرج من أجياد وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن فى مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى عليه السلام فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة فى وجهه حتى يضىء لها وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب درى وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يافلان أنت من أهل الجنة ويافلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم أى مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة على رضى الله عنه لنحرقنه وأن يستدل بقراءة أبى تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام والقراءة بإن مكسورة حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أى تقول الدابة ذلك أوهى حكاية لقوله تعالى عند ذلك (فإن قلت) إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا (قلت) قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله إلى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وإنما هى خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أى تكلمهم بأن (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا فى النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فإن الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون فى دين الله أفواجا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدى أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار (فإن قلت) أى فرق بين من الأولى والثانية (قلت) الأولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الأوثان ۝ الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادئ الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدى إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف أى أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه (أماذا كنتم تعملون) بها للتبكيت لا غير وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس إلا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته رويعى سوء أتأكل نعمى أم ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله

(قوله بلسان ذلق) أى طلق كما فى الصحاح (قوله تخرج من أجياد) جبل بمكة سمى بذلك لموضع خيل تبع وسمى قعيقعان لموضع سلاحه

الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ۞ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ۞ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۞ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۞ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ

أصل كلامك وأساسه هو الذى صحّ عندك من أكله وفساده وترمى بقولك أمّاذا تعمل بها مع علمك أنه لايعمل بها إلا الأكل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لايجىء منه إلا أكلها وأنه لايقدر أن يدعى الحفظ والإصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل فى الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآيات الله أمّاذا كنتم تعملون من غير ذلك يعنى أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية وإنما خلقوا للإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم فى النار ثم يكبون فيها وذلك قوله (ووقع القول عليهم) يريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لاينطقون ۞ جعل الإبصار للنهار وهو لأهله (فإن قلت) مالتقابل لم يراع فى قوله ليسكنوا ومبصراً حيث كان أحدهما علة والآخر حالا (قلت) هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأنّ معنى مبصراً ليبصروا فيه طرق التقلب فى المكاسب (فإن قلت) لم قيل (ففزع) دون فيفزع (قلت) لنكتة وهى الإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لامحالة واقع على أهل السموات والأرض لأنّ الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون (إلا من شاء الله) إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرّة ومثله قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ۞ وقرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له (جامدة) من جمد فى مكانه إذا لم يبرح ۞ تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة فى مكان واحد (وهى تمرّ) مرّاً حثيثاً كما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحرّكت لاتكاد تتبين حركتها كما قال النابغة فى صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ۞ وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله إلا أنّ مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ فى الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التى أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله (الذى أتقن كلّ شىء) يعنى أنّ مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) إلى آخر الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماده ورصانة تفسيره

(قوله لتبهته وتعلمه علمك) تدهشه وتحيره (قوله والركاب تهملج) فى الصحاح الهملاج من البراذين واحد الهماليج ومشيها الهملجة فارسى معرب (قوله ومكانة إضماده ورصانة تفسيره) الذى فى الصحاح ضمد الجرح يضمده ضمداً شدّه بعصابة وفيه الرصين المحكم الثابت وقد رصن بالضمّ رصانة

فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ

وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ إفراغا واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادى على سداده وأنه ما كان ينبغى أن يكون إلا كما قد كان ألا ترى إلى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعدما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذى أتقن كلّ شىء ومن أحسن من الله صبغة لا يخلف الله الميعاد لا تبديل لخلق الله ۞ وقرئ تفعلون على الخطاب (فله خير منها) يريد الإضعاف وأنّ العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان مابين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أى له خير حاصل من جهتها وهو الجنة ، وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة ۞ وقرئ يومئذ مفتوحا مع الإضافة لأنه أضيف إلى غير متمكن (قوله وأخرس الشقاشق) فى الصحاح شقشق الفحل شقشقة هدر وإذا قالوا للخطيب ذو سقشقة فإنما يشبه بالفحل ومنصوبا مع تنوين فزع (فإن قلت) ماالفرق بين الفزعين (قلت) الفزع الأوّل هو مالا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدّة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وإحسان وتولية وأمّا الثانى فالخوف من العذاب (فإن قلت) فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه (قلت) يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب وأمّا ما يلحق الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم فلا يخلون منه لأنّ البشرية تقتضى ذلك وفى الأخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدّة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار ۞ أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله ۞ وقيل السيئة الإشراك ۞ يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكأنه قيل فكبوا فى النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إيذانا بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين (هل تجزون) يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب بإضمار القول ۞ أمر رسوله بأن يقول (أمرت) أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو التلو كقوله واتبع ما يوحى إليك ۞ والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحبّ بلاده إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج فى مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال إنى أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها فى الشرف والعلو ووصفها بأنها محرّمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ إليها آمن ۞ وجعل دخول كل شىء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفى ذلك إشارة إلى أن ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك إليها كل شىء

۞ قوله تعالى إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرّمها وله كل شىء (قال فيه المراد بالبلدة مكة وإضافة اسم الله تعالى إليها لتشريفها وذكر تحريمها لأنه أخص أوصافها وأسنده إلى ذاته تأكيداً لشرفها ثم قال وله كل شىء فجعل دخول كل شىء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول هذه البلدة المعظمة وفى ذلك إشارة إلى أن ملكا قد ملك هذه البلدة المكرمة وملك إليها كل شىء إنه لعظيم الشأن) قال أحمد وتحت قوله وله كل شىء فائدة أخرى سوى ذلك وهى أنه لما أضاف اسمه إلى البلدة المخصوصة تشريفا لها أتبع ذلك إضافة كل شىء سواها إلى ملكه قطعاً لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها

(قوله وأخرس الشقاشق) فى الصحاح شقشق الفحل شقشقة : هدر . وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فإنما يشبه بالفحل (قوله بصدر هياب وقلب وجاب) فى الصحاح وجب القلب وجيباً اضطرب (قوله فلما بلغ الحزورة استقبلها) تلّ صغير كما فى الصحاح (قوله لا يختلى خلاها) أى لا يجز حشيشها ولا يقطع شجرها

وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞

سورة القصص مكية

إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية و آية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة و آياتها ٨٨ نزلت بعد النمل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ طسٓمٓ ۞ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ

اللهم بارك لنا فى سكناها وآمنا فيها شر كل ذى شر و لا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك وقرئ التى حرمها وأتل عليهم هذا القرآن عن أبىّ وأن اتل عن ابن مسعود (فمن اهتدى) باتباعه إياى فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفى الأنداد عنه والدخول فى الملة الحنيفية واتباع ما أنزل علىّ من الوحى فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلىّ (ومن ضل) ولم يتبعنى فلا علىّ وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ ۞ ثم أمره أن يحمد الله على ما خوّله من نعمة النبوة التى لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التى تلجئهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعنى فى الآخرة . عن الحسن وعن الكلبى الدخان وانشقاق القمر وما حلّ بهم من نقمات الله فى الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم الآية ۞ وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين قرئ تعملون بالتاء والياء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا إله إلا الله

﴿ سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (من نبأ موسى وفرعون) مفعول نتلو أى نتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) محقين كقوله تنبت بالدهن (لقوم يؤمنون) لمن سبق فى علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم (إن فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون (علا فى الأرض) يعنى أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد فى الظلم والعسف (شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه قال الأعشى

وبلدة يرهب الجواب دلجتها ۞ حتى تراه عليها يبتغى الشيعا

أو يشيع بعضهم بعضاً فى طاعته أو أصنافا فى استخدامه يتسخر صنفاً فى بناء وصنفا فى حرث وصنفا فى حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط ۞ والطائفة المستضعفة بنو إسرائيل ۞ وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود فى بنى إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على

وتنبيها على أن الإضافة الاولى إنما قصد بها التشريف لا لأنها ملك الله تعالى خاصة والله أعلم ۞ قوله تعالى « وما ربك بغافل عما تعملون » (قال فيه لأن العالم بالذات لا يجوز عليه الغفلة) قال أحمد قد سبق له جحد صفة العلم وإيهام أن سلبها داخل فى تنزيه الله تعالى لأنه يجعل استحالة الغفلة عليه معللة بأنه عالم بالذات لا بعلم والحق أن استحالة الغفلة عليه تعالى لأن علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض بل هو علم قديم أزلى عام التعلق بجميع الواجبات والممكنات والممتنعات ولا يتوقف تنزيهه تعالى على تعطيل صفاته وكماله وجلاله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وَيَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا

ثخانة حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل (ويستضعف) حال من الضمير فى وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف و(يذبح) بدل من يستضعف وقوله (إنه كان من المفسدين) بيان أن القتل ما كان إلا فعل المفسدين لحسب لأنه فعل لاطائل تحته صدق الكاهن أو كذب ۞ (فإن قلت) علام عطف قوله (ونريد أن نمن) وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد (قلت) هى جملة معطوفة على قوله إن فرعون علا فى الأرض لأنها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصاله ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم (فإن قلت) كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة عليهم وإذا أراد الله شيئا كان ولم يتوقف إلى وقت آخر (قلت) لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم (أئمة) مقدمين فى الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قادة يقتدى بهم فى الخير وعن مجاهد رضى الله عنه دعاة إلى الخير وعن قتادة رضى الله عنه ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا (الوارثين) يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ۞ مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد فوطأه ومهده ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم فى الأرض وهى أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لاتنبو بهم ولاتغث عليهم كما كانت فى أيام الجبابرة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم ۞ وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما أى يرون (منهم ما) حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ۞ اليم البحر قيل هو نيل مصر (فإن قلت) ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر (قلت) أما الأول فالخوف عليه من القتل لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما الثانى فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع فى يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون فى تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف (فإن قلت) ما الفرق بين الخوف والحزن (قلت) الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحى اليها ووعدت مايسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروى أنه ذبح فى طلب موسى عليه السلام تسعون ألف وليد وروى أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى إسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ماجئتك إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك حبا ماوجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ماتصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهى لاتدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان أوحى الله اليها فألقته فى اليم وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر فى تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله ۞ اللام فى (ليكون) هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمنى سواء بسواء ولكن معنى التعليل

(قوله لاتنبو بهم ولاتغث عليهم) أى ولاتفسد وتردؤ أفاده الصحاح (قوله ووضعته فى تنور مسجور) فى الصحاح التنور الذى يخبز فيه وفيه أيضا سجرت التنور سجرا إذا حميته (قوله تابوت من بردى مطلى بالقار) فى الصحاح البردى بالفتح نبات معروف فلينظر

كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ

فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبنى غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجىء والتأدب الذى هو ثمرة الضرب فى قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد * وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم (كانوا خاطئين) فى كل شىء فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطأ * روى أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نوراً فعالجته ففتحته فإذا بصبى نوره بين عينيه وهو يمص إبهامه لبنا فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الأطباء لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت إن هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبى الذى تحذر منه فأذن لنا فى قتله فهم بذلك فقالت آسية (قرة عين لى ولك) فقال فرعون لك لا لى وروى فى حديث لو قال هو قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت هذا إن صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته وروى أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بنى إسرائيل قرة عين خبر مبتدإ محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبراً ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لى ولك بتقديم لا تقتلوه (عسى أن ينفعنا) فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لأهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت فى سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا * أو نتبناه فإنه أهل للتبنى ولأن يكون ولدا لبعض الملوك (فإن قلت) (وهم لا يشعرون) حال فما ذو حالها (قلت) ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم فى التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله إن فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم (فارغا) صفراً من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء أى جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان ألا أبلغ أبا سفيان عنى * فأنت مجوف نخب هواء وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى إلى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا أى خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء. وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر يعنى بطل قلبها وذهب وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها (لتبدى به) لتصحر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها (لولا أن ربطنا على قلبها) بإلهام الصبر كما يربط على الشىء المنفلت ليقر ويطمئن (لتكون من المؤمنين) من المصدقين

(قوله برصها بريقه فبرأت) فى الصحاح برئت من المرض برءاً بالضم وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برءا بالفتح وأصبح فلان بارئا من مرضه (قوله من صفر الإناء وقرع الفناء) صفر الإناء خلوه مصدر صفر الشىء بالكسر أى خلا وقرع الفناء خلوه من الغاشية مصدر قرع بالكسر أى خلا (قوله لتصحر به والضمير لموسى) فى الصحاح أصحر الرجل أى خرج إلى الصحراء والمراد هنا تجهر به ولا تكتم أمره

الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۞ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا

بوعد الله وهو قوله إنارادوه اليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدى بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسروراً بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذى حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لابتبنى فرعون وتعطفه ۞ وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة فى جارة الواو وهى الميم كأنها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره ۞ وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد ۞ وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد إلى جنبه وإلى جانبه أى نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة ۞ وهم لايحسون بأنها أخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لأنّ من حرم عليه الشيء فقد منعه ألاترى إلى قولهم محظور وحجر وذلك لأنّ الله منعه أن يرضع ثديا فكان لايقبل ثدى مرضع قط حتى أهمهم ذلك ۞ والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدى أوالرضاع (من قبل) من قبل قصصها أثره ۞ روى أنها لما قالت (وهم له ناصحون) قال هامان إنها لتعرفه وتعرف أهله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون والنصح إخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبىّ على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى إلاثديك قالت إنى إمرأة طيبة الريح طيبة اللبن لاأوتى بصبى إلا قبلنى فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده فى الرد فعندها ثبت واستقرّ فى علمها أن سيكون نبيا وذلك قوله (ولتعلم أن وعد الله حق) يريد وليثبت علمها ويتمكن (فإن قلت) كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها (قلت) ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع ولكنه مال حربى كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله (ولكن أكثرهم لايعلمون) داخل تحت علمها المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لايعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا يروى أنها حين ألقت التابوت فى اليم جاءها الشيطان فقال لها ياأم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجرى ثم ذهبت فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع فى يد العدوّ فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد إنما كان لهذا الغرض الدينى وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الأكثر لايعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلى الذى ماسواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن (واستوى) واعتدل وتمّ استحكامه وبلغ المبلغ الذى لايزاد عليه كما قال لقيط واستحملوا أمركم لله دركمو ۞ شزر المريرة لاقحما ولاضرعا

القول فى سورة القصص

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (قال فيه روى أنهم اتهموها لما قالت وهم له ناصحون بمعرفة موسى عليه السلام فقالت إنما أردت وهم للملك فرعون ناصحون فخلصت من التهمة) قال أحمد أورت هذه التورية استحسانا لفطنتها ولكونها من بيت النبوة وأخت النبىّ فحقيق لها ذلك

(قوله مزورة متجانفة مخاتلة) أى مائلة ومخاتلة أى مخادعة فاده الصحاح (قوله شزر المريرة لاقحما ولاضرعا) الشزر من الفتل ما كان إلى فوق خلاف دور المغزل والمريرة الغريمة والقحم الذى يرمى بنفسه فى الأمر من غير روية والضرع

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۞ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۞ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ

وذلك أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبيّ إلا على رأس أربعين سنة ۞ العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الأنبياء سنتهم قال الله تعالى «واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة» وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لايفعل فعلا يستجهل فيه ۞ المدينة مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر ۞ وحين غفلتهم مابين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شبّ وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية إلا على تغفل ۞ وقرأ سيبويه فاستعانه (من شيعته) ممن شايعه على دينه من بنى إسرائيل وقيل هو السامرىّ (من عدوّه) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الإسرائيلى لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون ۞ والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام (فقضى عليه) فقتله (فإن قلت) لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه (قلت) لأنه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل فكان ذنباً يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبىّ أن يقتل مالم يؤمر (بما أنعمت علىّ) يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علىّ بالمغفرة لأتوبن (فلن أكون ظهيراً للمجرمين) وأن يكون استعطافا كأنه قال رب اعصمنى بحق ما أنعمت علىّ من المغفرة فلن أكون إن عصمتنى ظهيراً للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه فى جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلى المؤدية إلى القتل الذى لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلى به مرة أخرى يعنى لم يقل فلن أكون إن شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وعن عطاء أن رجلا قال له إن أخى يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعنى من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسرى قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفى الحديث ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً فيجمعون فى تابوت من حديد فيرمى به فى جهنم وقيل معناه بما أنعمت علىّ من القوة فلن أستعملها إلا فى مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والإيمان بك ولا أدع قبطيا يغلب أحداً من بنى إسرائيل (يترقب) المكروه وهو الاستقادة منه أو الإخبار وما يقال فيه ۞ ووصف الإسرائيلى بالغىّ لأنه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر ۞ وقرئ يبطش بالضم ۞ والذى هو عدوّ لهما القبطى لأنه ليس على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بنى إسرائيل ۞ والجبار الذى يفعل مايريد من الضرب والقتل بظلم لاينظر فى العواقب ولا يدفع بالتى هى أحسن وقيل المتعظم الذى لايتواضع لأمر الله ولما قال هذا أفشى

قوله تعالى قال رب بما أنعمت علىّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين (قال أحمد) لقد تبرأ من عظيم لأن ظهير المجرمين شريكهم فيما هم بصدده ويروى أنه يقال يوم القيامة أين الظلمة وأعوان الظلمة فيؤتى بهم حتى بمن لاق لهم ليقة أو برى لهم قلماً فيجعلون فى تابوت من حديد ويلقى بهم فى النار

بالتحريك الضعيف كذا فى الصحاح

أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ۞ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من النصحين ۞ فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظلمين ۞ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ۞ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ۞ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير ۞ فجاءته إحداهما تمشى على استحياء

على موسى فانتشر الحديث فى المدينة ورقى إلى فرعون وهموا بقتله ۞ قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون و (يسعى) يجوز ارتفاعه وصفاً لرجل وانتصابه حالا عنه لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة وإذا جعل صلة لجاء لم يجز فى يسعى إلا الوصف ۞ والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسببك (لك) بيان وليس بصلة الناصحين (يترقب) التعرض له فى الطريق أو أن يلحق (تلقاء مدين) قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن إبراهيم ولم تكن فى سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف إليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه و (سواء السبيل) وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافياً لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزا فانطلق به إلى مدين (ماء مدين) ماءهم الذى يستقون منه وكان بئراً فيما روى ۞ وورده مجيئه والوصول إليه (وجد عليه) وجد فوق شفيره ومستقاه أمة جماعة كثيفة العدد (من الناس) من أناس مختلفين (من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم ۞ والذود الطرد والدفع وإنما كانتا تذودان لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقى وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط أغنامهما وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما (ماخطبكما) ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما أى مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطبا كما سمى المشئون شأنا فى قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه أى قصدت قصده وقرئ لانسقى ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام (كبير) كبير السن (فسقى لهما) فسقى غنمهما لأجلهما وروى أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده وروى أنه سألهم دلواً من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما وروى أنه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئراً أخرى عليها الصخرة وإنما فعل هذا رغبة فى المعروف وإغاثة للملهوف والمعنى أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما أخطأت همته فى دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقى فى مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل فى متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتى من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان

(قوله لانسقى ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء) يفيد أن القراءة المشهورة بفتح النون والياء وكسر الراء ، والرخال واحده رخل وهى الأنثى من ولد الضأن والثناء عقال البعير ونحوه من حبل مثنى كذا فى الصحاح

قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ

به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب فى الخير وانتهاز فرصة وبعث على الاقتداء فى ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم (فإن قلت) لم ترك المفعول غير مذكور فى قوله يسقون وتذودان ولا نسقى (قلت) لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا وكذلك قولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقى لا المسقى (فإن قلت) كيف طابق جوابهما سؤاله (قلت) سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب فى ذلك أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقى إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبلتا إليه عذرهما فى توليهما السقى بأنفسهما (فإن قلت) كيف ساغ لنبى الله الذى هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقى الماشية (قلت) الأمر فى نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه وأما المروأة فالناس مختلفون فى ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة (إنى) لأى شىء (نزلت إلىّ) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) وإنما عدى فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وإن خضرة البقل تتراءى فى بطنه من الهزال ماسأل الله إلا أكلة ويحتمل أن يريد إنى فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلىّ من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون فى ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة (على استحياء) فى موضع الحال أى مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روى أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما اذهبى فادعيه لى فتبعها موسى فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بأرضنا (فإن قلت) كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وان يمشى معها وهى أجنبية (قلت) أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرّا كان أو عبدا ذكرا كان أو أنثى فى الأخبار وما كانت إلا مخبرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه وأما مماشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها فى نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع (فإن قلت) كيف صح له أخذ الأجر على البر والمعروف (قلت) يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدإ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم خصوصاً فى دار نبى من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للأجر وقد روى ما يعضد كلا القولين روى أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء ابن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أى جزاء سقيك * والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص * كبراهما كانت تسمى صفراء

(قوله وتذودان ولا نسقى) لعل هنا سقطا تقديره فسقى لهما وعبارة النسفى لا نسقى وفسقى (قوله لا نقدر على مساجلة الرجال) فى الصحاح السجل الدلو إذا كان فيه ماء والمساجلة المفاخرة بأن تصنع مثل صنعه فى جرى أو سقى وأصله من الدلو اه (قوله أبلتا إليه عذرهما) لعله تحريف وأصله أبدتا كعبارة النسفى (قوله غث أو سمين لفقير) أى مهزول كما فى الصحاح والمراد ردىء أو جيد (قوله أى مستحيية متخفرة) الخفر شدة الحياء ومنه جارية خفرة ومتخفرة كذا فى الصحاح (قوله وأغنامها حفل بطان) فى الصحاح ضرع حافل أى ممتلئ لبنا وفيه بطن بالكسر يبطن بطنا عظم بطنه من الشبع (قوله لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبا) فى الصحاح طلاع الشىء ملؤه

الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ اسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَـْٔجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ

والصغرى صفيراء وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها ۞ وعن ابن عباس أن شعيبا أحفظته الغيرة فقال وماعلمك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه وقولها (إن خير من استأجرت القوى الأمين) كلام حكيم جامع لايزاد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخلصتان أعنى الكفاية والأمانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته (فإن قلت) كيف جعل خير من استأجرت اسما لإن والقوى الأمين خبراً (قلت) هو مثل قوله ألا إن خير الناس حيا وهالكا ۞ أسير ثقيف عندهم فى السلاسل فى أن العناية هى سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ماهو أحق بأن يكون خبراً اسما وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف ومنه قولهم أهون ما أعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر فى عمر روى أنه أنكحه صفراء وقوله (هاتين) فيه دليل على أنه كانت له غيرهما (تأجرنى) من أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك أبوته إذا كنت له أبا و (ثمانى حجج) ظرفه أو من أجرته كذا إذا أثبته إياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم أجركم الله ورحمكم وثمانى حجج مفعول به ومعناه رعية ثمانى حجج (فإن قلت) كيف صح أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز (قلت) لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه ولو كان عقداً لقال قد أنكحتك ولم يقل إنى أريد أن أنكحك (فإن قلت) فكيف صح أن يمرها إجارة نفسه فى رعية الغنم ولابد من تسليم ماهو مال ألا ترى إلى أبى حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بأن يخدمها سنة وجوز أن يتزوجها بأن يخدمها عبده سنة أو يسكنها داره سنة لأنه فى الأول مسلم نفسه وليس بمال وفى الثانى هو مسلم مالا وهو العبد أو الدار (قلت) الأمر على مذهب أبى حنيفة على ماذكرت وأما الشافعى فقد جوز التزوج على الإجارة لبعض الأعمال الخدمة إذا كان المستأجر له

۞ قوله تعالى قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين (قال فيه هذا الكلام حكيم جامع لايزاد عليه لأنه إذا اجتمعت القوة والأمانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذى ساقته سياق المثل والحكم عن أن تقول فإنه قوى أمين) قال أحمد وهو أيضا أجمل فى مدح النساء للرجال من المدح الخاص وأبقى للحشمة وخصوصاً إن كانت فهمت أن غرض أبيها عليه السلام أن يزوجها منه وما أحسن ما أخذ الفاروق رضى الله تعالى عنه هذا المعنى فقال أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوى فى مضمون هذه الشكاية سؤال الله تعالى أن يتحفه بمن جمع الوصفين فكان قويا أمينا يستعين به على ما كان بصدده رضى الله عنه وهذا الإيهام من ابنة شعيب صلوات الله عليه وسلامه قد سلكته زليخا مع يوسف عليه السلام ولكن شتان مابين الحياء المجبول والمستعمل ليس التكحل فى العينين كالكحل حيث قالت لسيدها ماجزاء من أراد بأهلك سوأ إلا أن يسجن أو عذاب أليم وهى تعنى ماجزاء يوسف بما أراد فى من السوء إلا أن تسجنه أو تعذبه عذابا أليما ولكنها أوهمت زوجها الحياء والخفر أن تنطق بالعصمة منسوبا إليها الخنا إيذانا بأن هذا الحياء منها الذى يمنعها أن تنطق بهذا الأمر يمنعها من مراودة يوسف بطريق الأخرى والأولى والله أعلم ۞ قوله تعالى على أن تأجرنى ثمانى حجج (نقل من مذهب أبى حنيفة منع النكاح على مثل خدمته بعينه وجوازه على مثل خدمة عبده سنة وفرق بأنه فى الأولى سلم نفسه وليس بمال وفى الثانية سلم عبده وهو مال ونقل عن الشافعى جواز

(قوله إن شعيبا أحفظته الغيرة) أى أغضبته كما فى الصحاح (قوله أهون ما أعملت لسان ممخ) فى الصحاح تمخيت من الشيء وأمخيت منه إذا تبرأت منه اه فلعل ممخ اسم فاعل من أمخيت (قوله ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه) ومواضعة

أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ

أو المخدوم فيه أمراً معلوما ولعلّ ذلك كان جائزا فى تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيئا آخر وإنما أراد أن يكون راعى غنمه هذه المدة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الإنكاح بالرعية على معنى إنى أفعل هذا إذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرعية ثمانى سنين بمبلغ معلوم ويوفيه إياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرنى ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما (فإن أتممت) عمل عشر حجج (فمن عندك) فإتمامه من عندك ومعناه فهو من عندك لا من عندى يعنى لا ألزمكه ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع وإلا فلا عليك (وما أريد أن أشق عليك) بإلزام أتم الأجلين وإيجابه (فإن قلت) ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر (قلت) حقيقته أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعى غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة فى مراعاة الأوقات والمداقة فى استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسمح فى معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يشارى ولا يمارى وقوله (ستجدنى إن شاء الله من الصالحين) يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطأة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح إن شاء الله وإن شاء استعمل خلافه (ذلك) مبتدأ و(بينى وبينك) خبره وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت علىّ ولا أنت عما شرطت على نفسك ۞ ثم قال أى أجل من الأجلين قضيت أطولهما الذى هو العشر أو أقصرهما الذى هو الثمان (فلا عدوان على) أى لا يعتدى علىّ فى طلب الزيادة عليه (فإن قلت) تصور العدوان إنما هو فى أحد الأجلين الذى هو الأقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا (قلت) معناه كما أنى إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما فى القضاء وأما التتمة فموكولة إلى رأيى إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون متعديا وهو فى نفى العدوان عن نفسه كقولك لا إثم على ولا تبعة على وفى قراءة ابن مسعود أى الأجلين ما قضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله

تنظرت نصرا والسماكين أيهما ۞ على من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر (فإن قلت) ما الفرق بين موقعى ما المزيدة فى القراءتين (قلت) وقعت فى المستفيضة مؤكدة لإبهام أى زائدة فى شياعها وفى الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه قال أى الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتى له ۞ الوكيل الذى وكل إليه الأمر ولما استعمل فى موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدى بعلى لذلك روى أن شعيبا كانت عنده عصى الأنبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب

النكاح على المنافع المعلومة مطلقا) قال أحمد ومذهب مالك على ثلاثة أقوال المنع والكراهة والجواز والعجب من إجازة أبى حنيفة النكاح على منافع العبد بخلاف منافع الزوج مع أن الآية أجازت النكاح على منافع الزوج ولم تتعرض لغيره وما ذاك إلا لترجيح المعنى الذى أشار إليه الزمخشرى أو تفريعا على أن لا دليل فى شرع من قبلنا أو غير ذلك والله أعلم

(قوله ووطأة الخلق ولين الجانب) فى الصحاح شئ وطئ بين الوطاءة (قوله والمهيمن والمقيت عدى بعلى) أى المقتدر أو الحافظ

أَمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ۞ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

فسهاوكان مكفوفا فضنّبها فقال غيرها فما وقع فى يده إلاهى سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل بعدموت آدم فكانت معه حتى لقى بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيباً ملك فى صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردّها سبع مرّات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضاً وعن الكلبى الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإنّ الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أنّ فيها تنيناً أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قدأقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مسّ الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أنّ لموسى والعصا شأنا وقال له إنى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كلّ أدرع ودرعاء فأوحى إليه فى المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التى سبقت ۞ الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهنّ جميعاً العود الغليظ كانت فى رأسه نار أولم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ۞ جزل الجذى غير خوار ولاذعر

وقال

ألقى على قبس من النار جذوة ۞ شديداً عليه حرها والتهابها

۞ من الأولى والثانية لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ۞ و (من الشجرة) بدل من قوله من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لأنّ الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف (فإن قلت) ما معنى قوله واضمم إليك جناحك من الرهب (قلت) فيه معنيان أحدهما أنّ موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشىء فقيل له إنّ اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمر أنّ اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأنّ يدى الإنسان بمنزلة جناحى الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضمّ جناحه إليه والثانى أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب

(قوله إلا أنّ فيها تنينا أخشاه عليك) أى ثعبانا (قوله كلّ أدرع ودرعاء) فى الصحاح به ردع من زعفران أو دم أى لطخ وأثر وردعته بالشىء فارتدع أى لطخته به فلطخ اه فالأردع شبيه الملطخ بلون آخر ولفظ الخازن أبلق وبلقاء (قوله غير خوّار ولاذعر) الخور الضعف والذعر الفزع أفاده الصحاح (قوله فيه غضاضة عند الأعداء) أى ذلة ومنقصة كما فى الصحاح (قوله فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية) أى فعند ما تنقلب

وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۞ وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۞ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا

العصا حية حتى لايضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران ومنه مايحكى عن عمر بن عبد العزيز أنّ كاتباً له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإنى ماسمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسى ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أى إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سبباً وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى إخفاء الرهب (فإن قلت) قد جعل الجناح وهو اليد فى أحد الموضعين مضموما وفى الآخر مضموما إليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما (قلت) المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكلّ واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير أنّ الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطنى مما فى رهبك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كمى لها (فذانك) قرئ مخففا ومشدداً فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك (برهانان) حجتان بينتان نيرتان (فإن قلت) لم سميت الحجة برهانا (قلت) لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطانا من السليط وهو الزيت لإنارتها ۞ يقال ردأته أعنته والردء اسم مايعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل :

وردئى كل أبيض مشرفى ۞ شحيذ الحد عضب ذى فلول

وقرئ رداً على التخفيف كما قرئ الخب (رداً يصدّقنى) بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثنى سواء (فإن قلت) تصديق أخيه ماالفائدة فيه (قلت) ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى وإنما هو يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدّق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ، وفضل الفصاحة إنما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فإنّ سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدّقه الذى يخاف تكذيبه وأسند التصديق إلى هرون لأنه السبب فيه إسناداً مجازياً ومعنى الإسناد المجازى أن التصديق حقيقة فى المصدق فإسناده حقيقة وليس فى السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله إنى أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ ردأ يصدقونى وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقنى ۞ العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة

ابنى لبينى لستمو بيد ۞ إلا يداً ليست لها عضد

(قوله وليفرح روعك) أى ليذهب فزعك أفاده الصحاح (قوله وكيف تطبيقه المفصل) لعله تطبيقه على المفصل (قوله زرمانقة من صوف) فى الحديث أن موسى عليه السلام لما أتى فرعون أتاه وعليه زرمانقة يعنى جبة صوف قال أبو عبيد أراها عبرانية كذا فى الصحاح (قوله شحيذ الحدّ عضب ذى فلول) أى محدد والعضب القاطع والفلول كسور فى حده كذا فى الصحاح (قوله فإنّ سحبان وباقلا يستويان فيه) مثل فى الفصاحة وباقل مثل فى الفهاهة والعىّ

سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ۞ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى

ويقال فى دعاء الخير شدّ الله عضدك وفى ضدّه فت الله فى عضدك ومعنى (سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به ونعينك فإمّا أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدّة العضد والجملة تقوى بشدّة اليد على مزاولة الأمور وإمّا لأن الرجل شبه باليد فى اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدّة بعضد شديد (سلطانا) غلبة وتسلطا أو حجة واضحة (بآياتنا) متعلق بنحو ما تعلق به فى تسع آيات أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أى تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم (سحر مفترى) سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (فى آبائنا) حال منصوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلوا من أن يكونوا كاذبين فى ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله فى فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول (ربى أعلم) منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبياً وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحراً مفتريا لما أهله لذلك لأنه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون و (عاقبة الدار) هى العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى «أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن» وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت (فإن قلت) العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إمّا أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر (قلت) قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله فقد حرف فإذاً عاقبتها الأصلية هى عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما فى مصاحف أهل مكة وهى قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال

۞ قوله تعالى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار (قال العاقبة هى العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عزّ وجلّ أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد دار الدنيا وعاقبتها أن يختم للإنسان فيها بالرحمة والرضوان وتلقاه الملائكة بالبشرى عند الموت قال فإن قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلاهما يصح أن يسمى عاقبة لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها خيراً أو شراً فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت لأن الله سبحانه وتعالى وضع الدنيا مجازاً للآخرة وأراد لعباده فيها أن يعبدوه ولا يعملوا إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فمن عمل فى الدنيا على خلاف ذلك فقد حرف لأن عاقبتها الأصلية هى عاقبة الخير وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لأنها من تحريف الفجار) قال أحمد وقد تقدم من قواعد أهل الحق ما يستضاء به فى هذا المقام والقدر الذى يحتاج إلى تجديده ههنا أن استدلاله على أن عاقبة الخير وعبادة الله تعالى هى المرادة له لا سواها بقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون معارض بأمثاله فى أدلة أهل السنة على عقائدهم مثل قوله «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس» الآية والمراد والله أعلم ولقد جعلنا لعذاب جهنم خلقاً كثيراً من الثقلين ومن ذلك ما يروى عن الفاروق رضى الله عنه أنه قال وإنكم آل المغيرة ذرأ النار أى خلقها فلئن دلت آية الذاريات ظاهرا

وبحث عما أجابهم به موسى عليه السلام عندتسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الأشياء ۞ وقرئ تكون بالتاء والياء. روى أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى أجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ مالم يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان البانى لايقدر أن يقوم على رأسه يبنى فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك ويروى فى هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة من السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت اليه وهى ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فعندها بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه والله أعلم بصحته ۞ قصد بنفى علمه بإله غيره نفى وجود معناه مالكم من إله غيرى كما قال الله تعالى قل أتنبؤن الله بما لايعلم فى السموات ولافى الأرض معناه بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لايتعلق به إلا على ماهو عليه فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجود فمن ثمة كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وإن إلها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله وإنى لأظنه من

على أن الله تعالى إنما خلق الثقلين لتكون عاقبتهم الجنة جزاء وثوابا على عبادتهم له فقد دلت آية الأعراف على أنه خلق كثيرا من الثقلين لتكون عاقبتهم جهنم جزاء على كفرهم وحينئذ يتعين الجمع بين الآيتين وحمل عموم آية الذاريات على خصوص الآية الأخرى وإن المراد ماخلقت السعداء من الثقلين إلا لعبادتى جمعا بين الأدلة فقد ثبت أن العاقبتين كلتيهما مرادة لله تعالى هذا بعد تظافر البراهين العقلية على ذلك فوجه مجيء العاقبة المطلقة كثيرا وإرادة الخير بها أن الله تعالى هدى الناس اليها ووعدهم ماورد فى سلوك طريقها من النجاة والنعيم المقيم ونهاهم عن ضدها وتوعدهم على سلوكها بأنواع العذاب الأليم وركب فيهم عقولا ترشدهم إلى عاقبة الخير ومكنهم منها وأزاح عللهم ووفر دواعيهم فكان من حقهم أن لايعدلوا عن عاقبة الخير ولايسلكوا غير طريقها وأن يتخذوها نصب أعينهم فأطلقت العاقبة والمراد بها الخير تفريعاً على ذلك والله أعلم والحاصل أنها لما كانت هى المأمور بها والمحضوض عليها عوملت معاملة ماهو مراد وإن لم تكن مرادة من كثير من الخلق وقال لى بعضهم مايمنعك أن تقول لم يفهم كون العاقبة المطلقة هى عاقبة الخير من إطلاقها ولكن من إضافتها إلى ذويها باللام فى الآى المذكورة كقوله من تكون له عاقبة الدار وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والعاقبة للمتقين فأفهمت اللام أنها عاقبة الخير إذ هى لهم وعاقبة السوء عليهم لالهم كما يقولون الدائرة لفلان يعنون دائرة الظفر والنصر والدائرة على فلان يعنون دائرة الخذلان والسوء فقلت لقد كان لى فى ذلك مقال لولا ورود أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ولم يقل عليهم فاستعمال اللام مكان على دليل على إيفاء الاستدلال باللام على إرادة عاقبة الخير والله أعلم ۞ قوله تعالى وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى الآية (قال عبر عن نفى المعلوم بنفى العلم وإنما كان كذلك لأن العلم لايتعلق بالمعلوم إلا على ماهو عليه إن موجودا فوجود وإن معدوماً فمعدوم فمن ثم عبر عن نفى كونه موجودا بنفى كونه معلوما) قال أحمد لشدة مابلغ منه الوهم لم يتأمل كيف سقوط السهم وإنما أتى من حيث أن الله تعالى عبر كثيرا عن نفى المعلوم بنفى العلم فى مثل قوله قل أتنبؤن الله بما لايعلم فى السموات ولافى الأرض أم تنبؤنه بما لايعلم فى الأرض فلما اطرد ذلك عنده توهم أن هذا التعبير عن نفى المعلوم بنفى العلم يشمل كل علم ولو لم يتعلق بالمعلوم على ماهو به وليس هو كذلك بل هذا التعبير لايسوغ إلا فى علم الله تعالى لأمر يخص العلم القديم وهو عموم تعلقه حتى لايعزب عنه أمر فما لم يتعلق العلم بوجوده يلزم أن لا يكون موجوداً إذ لو كان موجوداً لتعلق به بخلاف علم الخلق فلا تلازم بين نفى الشيء ونفى العلم الحادث بوجوده ولا كذلك العلم القديم فإن بين نفى معلومه ونفى تعلقه بوجوده تلازما سوغ التعبير المذكور ولكن المعلوم أن فرعون كان يدعى الإلهية ويعامل علمه معاملة علم الله تعالى فى أنه لايعزب عنه

فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَاسْتَكْبَرَ

الكاذبين وإذا ظنّ موسى عليه السلام كاذبا فى إثباته إلها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظنّ أن فى الوجود إلهاً غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظناً كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب فى بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى عليه السلام وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه فى مكان كما كان هو فى مكان وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد فى عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعرى أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان فى نفسه بتلك الصفة وإن صحّ ما حكى من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول فى غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين كقوله ۝ فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج ۝ ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال (أوقد لى ياهامان على الطين) ولم يقل اطبخ لى الآجر واتخذه لأنه أوّل من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلوّ طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بياء فى وسط الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر رضى الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر فقال ما علمت أن أحداً بنى بالآجر غير فرعون ۝ والطلوع والإطلاع الصعود يقال طلع الجبل وأطلع بمعنى ۝ الاستكبار بالحق إنما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أى المتبالغ فى كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما ألقيته فى النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (يرجعون) بالضم والفتح (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) من الكلام الفخم الذى دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقاراً لهم واستقلالا لعددهم وإن كانوا الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهنّ آخذ فى كفه فطرحهنّ فى البحر ونحو ذلك قوله « وجعلنا فيها رواسى شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » وما هى إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل

شىء فمن ثم طغى وتكبر وعبر بنفى علمه عن نفى المعلوم تدليساً على ملئه وتلبيساً على عقولهم السخيفة والله أعلم ويناسب تعاظمه هذا قوله فأوقد لى ياهامان على الطين ولم يقل فاطبخ لى آجراً وذلك من التعاظم كما قال تعالى وله العظمة والكبرياء ومن ارتدى بردائهما قصمه ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية فذكر هذه العبارة الجامعة لأنواع الكفر على وجه الكبرياء تهاونا بها وذلك من تجبر الملوك جلّ الله وعز ومن تعاظم فرعون أيضاً نداؤه لوزيره باسمه وبحرف النداء وتوسيط ندائه خلال الأمر وبناؤه الصرح ورجاؤه الاطلاع دليل على أنه لم يكن مصمما على الجحود قال الزمخشرى وذلك مناقض لما أظهر من الجحد الجازم فى قوله ما علمت لكم من إله غيرى فإما أن يخفى هذا التناقض على قوله لغباوتهم وكآبة أذهانهم وإما أن يتفطنوا لها ويخافوا نقمته فيصبروا قال أحمد ولقائل والله أعلم أن يحمل قوله ما علمت لكم من إله غيرى على الشكّ ونفى علمه خاصة وإجرائه مجرى سائر علوم الخلق فى أنه لا يلزم من نفى تعلقه بوجود أمر نفى ذلك الأمر لجواز أن يكون موجوداً عازباً عن علمه وحينئذ لا يكون تناقضاً ولو لم يكن حمله هذا هو الأصل لما ساغ غنا أن يرفع التناقض عن كلامه لأنه أحقر من ذلك ۝ عاد كلامه قال وقوله تعالى فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم مقابلة لاستكباره بتعل عبر عنه بما صورته

(قوله دليل التعظيم والتجبر) لعله التعظم (قوله وألقينا فيها رواسى) فى نسخة وجعلنا فيها رواسى شامخات لكن الأولى أوفق

هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ۝ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ۝ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ۝ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ۝ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ۝ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى

مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته (فإن قلت) مامعنى قوله (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) (قلت) معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة فى تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصى (ويوم القيامة لاينصرون) كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وإنما يمنعها من علم أنها لاتنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لاتغنى عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة اليه وإلى سوء عاقبته (فإن قلت) فأى فائدة فى ترك المردوف إلى الرادفة (قلت) ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مثبوت حكمه لما منعت منه الألطاف فبذكر منع الألطاف يحصل العلم بوجوده التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة لاينصرون كأنه قيل وخذلناهم فى الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى طرداً وإبعاداً عن الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين (بصائر) نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذى يستبصر به كما أن البصر نور العين الذى تبصر به يريد آتيناه التوراة أنواراً للقلوب لأنها كانت عمياء لاتستبصر ولاتعرف حقا من باطل وإرشادا لأنهم كانوا يخبطون فى ضلال (ورحمة) لأنهم لوعملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) إرادة أن يتذكروا شبهت الإرادة بالترجى فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجى موسى عليه السلام لتذكرهم

أخذ حصيات بمتهنات ثم نبذها أى طرحها فى اليم بهوان فذلك تمثيل لاستهانته به وإهلاكه بهذا النوع من الهلاك والله أعلم ۝ قوله تعالى وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار (قال فيه معناه دعوناهم أئمة دعاة إلى النار كما تقول جعلته بخيلا فاسقاً إذا دعوته بذلك) قال أحمد لافرق عند أهل السنة بين قوله تعالى وجعل الظلمات والنور وجعلنا الليل والنهار آيتين وبين هذه الآية فمن حمل الجعل على التسمية فيما نحن فيه فراراً من اعتقاد أن دعاءهم إلى النار مخلوق لله تعالى فهو بمثابة من حمله على التسمية فى قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فراراً من جعل الليل والنهار مخلوقين لله تعالى فلافرق بين نفى مخلوق واحد عن قدرته تعالى ونفى كل مخلوق نعوذ بالله من ذلك ۝ قوله تعالى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (قال معناه إرادة تذكرهم لأن الإرادة تشبه الترجى فاستعير لها أو يراد به ترجى موسى عليه السلام) قال أحمد الوجه الثانى هو الصواب واحذر الأول فإنه قدرى ۝ قوله تعالى

(قوله ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار) هذا التأويل ومايأتى بعده فى قوله ويجوز خذلناهم إلى آخره مبنيان على أنه تعالى يجب عليه الصلاح ولا يجوز عليه خلق الشر وهذا مذهب المعتزلة أما مذهب أهل السنة فهو أنه لايجب عليه تعالى شىء ويجوز عليه خلق الشر كالخير وقد حقق فى التوحيد فلا داعى إلى تأويل الآية بمثل هذا التكلف

الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا

كقوله تعالى لعله يتذكر (الغربى) المكان الواقع فى شق الغرب وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له فى الألواح ۞ والأمر المقضى إلى موسى عليه السلام الوحى الذى أوحى اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذى أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام ولا كنت (من) جملة (الشاهدين) للوحى اليه أو على الوحى اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ماجرى من أمر موسى عليه السلام فى ميقاته وكتبه التوراة له فى الألواح وغير ذلك ۞ (فإن قلت) كيف يتصل قوله (ولكنا أنشأنا قرونا) بهذا الكلام ومن أى وجه يكون استدراكا له (قلت) اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث أن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحى إلى عهدك قرونا كثيرة (فتطاول) على آخرهم وهو القرن الذى أنت فيهم (العمر) أى أمد انقطاع الوحى واندرست العلوم فوجب إرسالك اليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى عليهم السلام كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وماجرى عليه ولكنا أوحينا إليك فذكر سبب الوحى الذى هو إطالة الفترة ودلّ به على المسبب على عادة الله عزوجل فى اختصاراته فإذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ثاويا) أى مقيما (فى أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التى فيها قصة شعيب وقومه ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (إذ نادينا) يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه و(لكن) علمناك (رحمة) وقرئ رحمة بالرفع أى هى رحمة (ما أتاهم) من نذير فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ۞ (لولا) الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية وإحدى الفاءين للعطف والأخرى جواب لولا لكنها فى حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعنى أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك (فإن قلت) كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (قلت) القول هو المقصود بأن يكون سببا لإرسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هى السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجىء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا

ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين قال لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية والفاء الأولى عاطفة الثانية جواب لولا والمعنى لولا أنهم قائلون إذا عوقبوا لولا أرسلت الينا رسولا محتجين بذلك لما أرسلت اليهم أحداً فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة سببا فى الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت العقوبة سبب القول وهى سبب السبب فجعلت سببا وعطف السبب الأصلى عليها بالفاء السببية) قال أحمد وذلك مثل قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى

(قوله فأرسلناك وكسبناك العلم) كسب يتعدى إلى مفعولين فيقال كسبت أهلى خيراً وكسبت الرجل مالا كما فى الصحاح

قَالُوا لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ۝ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ

قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهى أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ماألجئوا به إلى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا وإنما السبب فى قولهم هذا هو العقاب لاغير لاالتأسف على مافاتهم من الإيمان بخالقهم وفى هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم مالا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ۝ ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدى جعل كل عمل معبراً عنه باجتراح الأيدى وتقديم الأيدى وإن كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع فى الكلام وتصيير الأقل تابعاً للأكثر وتغليب الأكثر على الأقل (فلما جاءهم الحق) وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسدّ طريق احتجاجهم (قالوا لولا أوتى مثل ماأوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات لجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنزأوجاء معه ملك وماأشبه ذلك (أولم يكفروا) يعنى أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى) وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب أصل فى أيام موسى عليه السلام فمعناه على هذا أو لم يكفر آباؤهم (قالوا) فى موسى وهرون (ساحران تظاهرا) أى تعاونا وقرئ إظهاراً على الإدغام وسحران بمعنى ذوا سحر أوجعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر أو أرادوا نوعان من السحر (بكل) بكل واحد منهما (فإن قلت) بم علقت قوله من قبل فى هذا التفسير (قلت) بأو لم يكفروا ولى أن أعلقه بأوتى فينقلب المعنى إلى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة وقالوا فى موسى ومحمد

والسر فى جعل سبب السبب سببا وعطف السبب الأصلى عليه أمران أحدهما أن مزيد العناية يوجب التقديم وهذا هو السر الذى أبداه سيبويه . الثانى أن فى هذا النظم تنبيها على سببية كل واحد منهما أما الأول فلاقترانه بحرف التعليل وهو أن وأما الثانى فلاقترانه بفاء السبب ولايتعاطى هذا المعنى إلامن قولك أن تضل إحداهما فتذكر لامن قول القائل أن تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت وكان بعض النحاة يورد هذه الآية إشكالا على النحاة وعلى أهل السنة من المتكلمين فيقول لولا عند أهل الفن تدل على امتناع جوابها لوجود مابعدها وحينئذ يكون الواقع بعدها فى الآية موجوداً وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل وجوابها المحذوف غير واقع وهو عدم الإرسال لأنه ممتنع بالأولى ومتى لم يقع عدم الإرسال كان الإرسال واقعاً ضرورة فيشكل الواقع بعدها على أهل السنة لأنهم يقولون لاظلم قبل بعثة الرسل فلا تتصور العقوبة بتقدير عدم البعثة وذلك لأنها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع فإن لم يكن شرع فلا مخالفة ولا عقوبة ويشكل الجواب على النحاة لأنه يلزم أن لايكون واقعاً وهو عدم بعثة الرسل لكن الواقع بعدها يقتضى وقوعه ثم كان مورد هذا الإشكال يجيب عنه بتقدير محذوف والأصل ولولا كراهة أن تصيبهم مصيبة وحينئذ يزول الإشكال عن الطائفتين والتحقيق عندى فى الجواب خلاف ذلك وإنما جاء الإشكال من حيث عدم تجويز النحاة لمعنى لولا أن يقولون أنها تدل على أن مابعدها موجود وأن جوابها ممتنع به والتحرير فى معناها أنها تدل على أن مابعدها مانع من جوابها عكس لو فإن معناها لزوم جوابها لمابعدها ثم المانع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً والآية من قبيل فرض وجود المانع وكذلك اللزوم فى لو قد يكون الشىء الواحد لازما لشيئين فلا يلزم نفيه من نفى أحد ملزوميه وعلى هذا التحرير يزول الإشكال الوارد على لو فى قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فتأمل هذا الفصل فتحته فوائد للمتأمل والله الموفق

فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هويه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظلمين ۞ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ۞ الذين ءاتينهم الكتب من قبله هم به يؤمنون ۞ وإذا يتلى عليهم قالوا ءامنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ۞ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقنهم ينفقون ۞ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعملنا ولكم أعملكم سلم عليكم لا نبتغى الجهلين ۞ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم

عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا أو فى الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنه نعته وصفته وأنه فى كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى عليه السلام ومما أنزل علىّ ۞ هذا الشرط من نحو ماذكرت أنه شرط المدل بالأمر المتحقق لصحته لأن امتناع الإتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر معلوم متحقق لامجال فيه للشك ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهكم بهم ۞ (فإن قلت) ما الفرق بين فعل الاستجابة فى الآية وبينه فى قوله ۞ فلم يستجبه عند ذاك مجيب ۞ حيث عدى بغير اللام (قلت) هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعى باللام ويحذف الدعاء إذا عدى إلى الداعى فى الغالب فيقال استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولايكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف (فإن قلت) فالاستجابة تقتضى دعاء ولا دعاء ههنا (قلت) قوله فأتوا بكتاب أمر بالإتيان والأمر بعث على الفعل ودعاء إليه فكأنه قال فإن لم يستجيبوا دعاءك إلا الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى ثم قال (ومن أضل ممن) لايتبع فى دينه إلا (هواه بغير هدى من الله) أى مطبوعا على قلبه ممنوع الألطاف (إن الله لا يهدى) أى لايلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم عابث وقوله بغير هدى فى موضع الحال يعنى مخذولا مخلى بينه وبين هواه ۞ قرئ (وصلنا) بالتشديد والتخفيف والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعداً ووعيداً وقصصاً وعبراً ومواعظ ونصائح إرادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه فى أثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ۞ نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت فى عشرة أنا أحدهم وقيل فى أربعين من مسلمى أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من الشام ۞ والضمير فى من قبله للقرآن ۞ (فإن قلت) أى فرق بين الاستئنافين أنه وأنا (قلت) الأول تعليل للإيمان به لأن كونه حقاً من الله حقيق بأن يؤمن به والثانى بيان لقوله آمنا به لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا أن إيمانهم به متقادم لأن آباءهم القدماء قرؤا فى الكتب الأول ذكره وأبناءهم من بعدهم (من قبله) من قبل وجوده ونزوله (مسلمين) كائنين على دين الإسلام لأن الإسلام صفة كل موحد مصدّق للوحى (بما صبروا) بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته (بالحسنة السيئة) بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالحلم الأذى (سلام عليكم) توديع ومتاركة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة حلم من المؤمنين (لانبتغى الجاهلين) لانريد مخالطتهم وصحبتهم (فإن قلت) من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم (قلت) اللاغين الذين دل عليهم قوله وإذا سمعوا اللغو (لاتهدى من أحببت)

(قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب) صدره ۞ وداع دعا يامن يجيب إلى الندى ۞

بِالْمُهْتَدِينَ ۞ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ

لاتقدر أن تدخل فى الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لأنك عبد لاتعلم المطبوع على قلبه من غيره (ولكن الله) يدخل فى الإسلام (من يشاء) وهو الذى علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الألطاف تنفع فيه فيقرن به ألطافه حتى تدعوه إلى القبول (وهو أعلم بالمهتدين) بالقابلين من الذين لايقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت فى أبى طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته يامعشر بنى هاشم أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياعم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد ياابن أخى قال أريد منك كلمة واحدة فإنك فى آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لاإله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال ياابن أخى قد علمت أنك لصادق ولكنى أكره أن يقال خرع عند الموت ولولا أن تكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة ومسبة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبدالمطلب وهاشم وعبد مناف ۞ قالت قريش وقيل إن القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما نحن أكلة رأس أى قليلون أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم فى الحرم الذى آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب فى الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون فى حرمهم لايخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذى زرع والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب فإذا خولهم الله ماخولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز (تجبى إليه) تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بإلى كقوله يجنى إلى فيه ويجنى إلى الخافة ۞ وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ۞ ومعنى الكلية الكثرة كقوله . وأوتيت من كل شيء . ولكن أكثرهم لايعلمون) متعلق بقوله من لدنا أى قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لايعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أنداده ۞ (فإن قلت) بم انتصب رزقا (قلت) إن جعلته مصدراً جاز أن ينتصب بمعنى ماقبله لأن معنى يجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولا له وإن جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة ۞ هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا فى مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود فى ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم ۞ وانتصبت (معيشتها) إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه وإما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج وإما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لايحفظ حق الله فيه

(قوله أكره أن يقال خرع عند الموت) فى الصحاح خرع الرجل بالكسر ضعف فهو خرع (قوله وعلى بنى أبيك غضاضة) مذلة ومنقصة (قوله ويجنى إلى الخافة) فى الصحاح الخافة خريطة من آدم يشتار فيها بعسل وفيه يشتار يتجنى

(قوله فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر) أى بطروها وحقروها والأشر والبطر شدة المرح والمرح شدة الفرح كذا فى الصحاح (قوله كقولك زيدظنى مقيم) أى فى ظنى

لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِى أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوٰةِ

(إلا قليلا) من السكنى قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يسكنها إلا المسافر ومارّ الطريق يوماً أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصى المهلكين بقى أثره فى ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلا (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أى تركناها على حال لايسكنها أحد وخربناها وسويناها بالأرض

تتخلف الآثار عن أصحابها * حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى فى كل وقت (حتى يبعث فى) القرية التى هى أمّها أى أصلها وقصبتها التى هى أعمالها وتوابعها (رسولا) لإلزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لايؤمنون أو وما كان فى حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى فى الأرض حتى يبعث فى أم القرى يعنى مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء * وقرئ أمها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لايهلكهم إلا إذا استحقوا الهلاك بظلمهم ولايهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثه الرسل ولايجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنصّ فى قوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وأن حاله فى غناه وحكمته منافية للظلم دلّ على ذلك بحرف النفى مع لامه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم * وأى شىء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهى مدة الحياة المتقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك (وأبقى) لأن بقاءه دائم سرمد * وقرئ يعقلون بالياء وهو أبلغ فى الموعظة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع هذه الآية تقرير وإيضاح للتى قبلها والوعد الحسن الثواب لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأى شىء أحسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى * و (لاقيه) كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسروراً وعكسه فسوف يلقون غيا (من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فإنهم لمحضرون قيل نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وقيل فى على وحمزة وأبى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة (فإن قلت) فسر لى الفاءين وثم واخبرنى عن مواقعها (قلت) قد ذكر فى الآية التى قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتها ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الأولى وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبيب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذى هو الضمان فى الخير وأما ثم فلتراخى حال الإحضار عن حال التمتيع لا لتراخى وقته عن وقته * وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد فى عضد تشبيهاً المنفصل بالمتصل وسكون الهاء فى فهو وهو ولهو

* قوله تعالى « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا » (قال هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حتى أخبر بأنه لايهلكهم إلا إذا استحقوا العذاب ولايستحقوا حتى تتأكد عليهم الحجة ببعثة الرسل) قال أحمد هذا إسلاف من الزمخشرى لجواب ساقط عن سؤال وارد على القدرية لاجواب لهم عنه ينشأ السؤال فى هذه الآية فيقال لو كانت العقول تحكم عن الله تعالى بأحكام التكليف اقامت الحجة على الناس وإن لم يكن بعث رسل إذ العقل حاكم فلا يجدون للخلاص من هذا السؤال سبيلا

الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۞ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۞ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ۞ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحٰنَ اللَّهِ وَتَعٰلَىٰ

أحسن لأن الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل (شركائى) مبنى على زعمهم وفيه تهكم (فإن قلت) زعم يطلب مفعولين كقوله ۞ ولم أزعمك عن ذاك معزلا ۞ فأين هما (قلت) محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائى ويجوز حذف المفعولين فى باب ظننت ولا يصح الاقتصار على أحدهما (الذين حق عليهم القول) الشياطين أو أئمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين و (هؤلاء) مبتدأ و (والذين أغوينا) صفته والراجع إلى الموصول محذوف و (أغويناهم) الخبر ۞ والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ماغوينا يعنون أنا لم نغو إلا باختيارنا لا أن فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم وإلجاء أودعونا إلى الغى وسوّلوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلا لا قسرا وإلجاء فلا فرق إذاً بين غينا وغيهم وإن كان تسويلنا داعيا لهم إلى الكفر فقد كان فى مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعياً إلى الإيمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم والله تعالى قدم هذا المعنى أول شىء حيث قال لإبليس إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (تبرأنا إليك) منهم ومما اختاروه من الكفر بأنفسهم هوى منهم للباطل ومقتاً للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان (ما كانوا إيانا يعبدون) إنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى أو لا مايوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم مايقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم مايشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم مايبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل (فعميت عليهم الأنباء) فصارت الأنباء كالعمى عليهم جميعاً لا تهتدى إليهم (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس فى المشكلات لأنهم يتساوون جميعا فى عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبإ الخبر عما أجاب به المرسل إليه رسوله وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون فى الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوّضون الأمر إلى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من أممهم (فأما من تاب) من المشركين من الشرك ۞ وجمع بين الإيمان والعمل الصالح (فعسى أن) يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجى التائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح . الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ويختار لأن معناه ويختار مايشاء

(قوله وسدروا فلا يهتدون طريقا) أى تحيروا أفاده الصحاح

عما يشركون ۞ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ۞ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ۞ قل أرءيتم إن جعل الله عليكم اليل سرمدا إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ۞ قل أرءيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ۞ ومن رحمته جعل لكم اليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۞ ويوم يناديهم فيقول أين شركاءى الذين كنتم تزعمون ۞ ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهنكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ۞ إن قرون كان من قوم موسى

ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أن الخيرة لله تعالى فى أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل إليهم وقيل معناه ويختار الذى لهم فيه الخيرة أى يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم فى الأمرين ليس فيهما خيرة لمختار (فإن قلت) فأين الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت ما موصولة (قلت) أصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه فى قوله إن ذلك لمن عزم الأمور لأنه مفهوم (سبحان الله) اى الله برىء من إشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار (ما تكن صدورهم) من عداوة رسول الله وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره فى النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالإلهية المختص بها و (لا إله إلا هو) تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة إلا هى (فإن قلت) الحمد فى الدنيا ظاهر فما الحمد فى الآخرة (قلت) هو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفى الحديث يلهمون التسبيح والتقديس (وله الحكم) القضاء بين عباده (أرأيتم) وقرئ أريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسى ومعناه أخبرونى من يقدر على هذا ۞ والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص (فإن قلت) هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه (قلت) ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمة قرن بالضياء (أفلا تسمعون) لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته) زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة لتسكنوا فى أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله فى الآخر وهو النهار ولإرادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف فى تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذان بأن لا شىء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شىء أدخل فى مرضاته من توحيده اللهم فكما أدخلتنا فى أهل توحيدك فأدخلنا فى الناجين من وعيدك (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيداً) وهو نبيهم لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) ولرسوله لا لهم ولشياطينهم (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشىء الضائع (ما كانوا يفترون) من الكذب والباطل (قارون) اسم أعجمى مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا

(قوله ونظيره دلامص من الدلاص) فى الصحاح الدلاص اللين البراق والدلامص البراق يقال دلصت الدرع بالفتح

فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ

من قرن لانصرف ۞ وقيل معنى كونه من قومه أنه آمن به وقيل كان إسرائيليا ابن عم موسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى بن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى وقال إذا كانت النبوة لموسى عليه السلام والمذبح والقربان إلى هرون فمالى وروى أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه وجد قارون فى نفسه وحسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شىء إلى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لاأصدقك حتى تأتى بآية فأمر رؤساء بنى إسرائيل أن يجىء كل كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها فى القبة التى كان الوحى ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا وإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ماهو بأعجب مما تصنع من السحر (فبغى عليهم) من البغى وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بنى إسرائيل فظلمهم وقيل من البغى وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم فى الثياب شبرا ۞ المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو مايفتح به وقيل هى الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله ۞ والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولايزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود قال أبو رزين يكفى الكوفة مفتاح وقد بولغ فى ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة وأولى القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ماأضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة ۞ ومحل إذ منصوب بتنوء (لاتفرح) كقوله ولاتفرحوا بما آتاكم وقول القائل

۞ ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ۞ وذلك أنه لايفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق مافيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن ماقال القائل

أشد الغم عندى فى سرور ۞ تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك إلى الآخرة (ولا تنس نصيبك) وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك (وأحسن) إلى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن اليك ۞ والفساد فى الأرض ما كان عليه من الظلم والبغى وقيل إن القائل موسى عليه السلام وقرئ واتبع (على علم) أى على استحقاق واستيجاب لما فى من العلم الذى فضلت به الناس وذلك أنه كان أعلم بنى إسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل (عندى) معناه فى ظنى كما تقول الأمر عندى كذا كأنه قال إنما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ثم زاد عندى أى هو فى ظنى ورأيى هكذا ۞ ويجوز أن يكون اثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه فى التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والأيام

(قوله بأنواع التجارة والدهقنة) أى الزراعة كما عبر غيره

اللّٰهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ

كأنه قيل (أو لم يعلم) فى جملة ماعنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفياً لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندى فتنفج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى أدعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا ۞ (فإن قلت) ماوجه إتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله (قلت) لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وماأشبه ذلك (فى زينته) قال الحسن فى الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل فى تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر ۞ كان المتمنون قوما مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة فى اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به إلى الله وينفقوه فى سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا ۞ الغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذى يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى ياليت لنا مثل ماأوتى قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا إلا كما يضر العضاه الخبط ۞ والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وماالدنيا إلا أحاظ وجدود ۞ ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك مالا يرتضى كما استعمل لاأبالك وأصله الدعاء على الرجل بالأقراف فى الحث على الفعل ۞ والراجع فى (ولا يلقاها) للكلمة التى تكلم بها العلماء أو للثواب لأنه فى معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهى الإيمان والعمل الصالح (الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وعلى ماقسم الله من القليل عن الكثير ۞ كان قارون يؤذى نبى الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بنى إسرائيل وقال إنّ موسى أرادكم على كل شىء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغى حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يابنى إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإنّ بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذى فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك لنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال

(قوله فتنفج بالعلم) أى ترفع وتفاخر وتكبر أفاده الصحاح (قوله بغلة شهباء عليها الأرجوان) فى الصحاح قطيفة حمراء أرجوان وفيه أيضا الأرجوان صبغ أحمر شديد الحمرة ويقال هو بالفارسية أرغوان وهو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون (قوله إلا كما يضر العضاه الخبط) فى الصحاح العضاه كل شجر يعظم وله شوك وفيه الخبط ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها (قوله الدعاء على الرجل بالأقراف) أى بفساد الأب أفاده الصحاح

الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ۞ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۞ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

يارب إن كنت رسولك فاغضب لى فأوحى اليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يابنى إسرائيل إنّ الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال ياأرض خذ بهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى عليه السلام ويناشدونه بالله والرحم وموسى لايلتفت اليهم لشدّة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله إلى موسى ماأفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتى لو إياى دعوا مرة واحدة لوجدونى قريبا مجيبا فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله (من المنتصرين) من المنتقمين من موسى عليه السلام أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه منه فامتنع ۞ قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة (مكانه) منزلته من الدنيا (وى) مفصولة عن كان وهى كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل ماأوتى قارون وتندموا ثم قالوا (كأنه لايفلح الكافرون) أى ماأشبه الحال بأن الكافرين لاينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال

وى كأن من يكن له نشب يحـبب ومن يفتقر يعيش عيش ضر

وحكى الفراء أنّ أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال وى كأنه وراء البيت وعند الكوفيين أنّ ويك بمعنى ويلك وأنّ المعنى ألم تعلم أنه لايفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وى كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أولأنه لايفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وى ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك ۞ وقرأ الأعمش لولا منّ الله علينا ۞ وقرئ (لخسف بنا) وفيه ضمير الله ولا نخسف بنا كقولك انقطع بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا (تلك) تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها ۞ لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن على رضى الله عنه أنّ الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأمانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله إنّ فرعون علا فى الأرض ولاتبغ

۞ قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولافسادا والعاقبة للمتقين (قال لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما كما قال تعالى ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار فعلق الوعيد بالركون إلى الظلمة وعن على أنّ الرجل يعجبه أن يكون شراك نعله خيرا من شراك نعل أخيه فيدخل تحتها وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض وعن الفضيل أنه قرأها وقال ذهبت الأمانى ههنا ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون لقوله إنّ فرعون علا فى الأرض وقوله ولاتبغ الفساد فى الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولايتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبرها على وعمر والفضيل) قال أحمد هو تعرض لغمص أهل السنة فإن كل موحد من أهل الجنة وإنما طمعوا حيث أطمعهم الله

(قوله كقوله ويك عنتر أقدم) أى قول عنترة ولقد شفى نفسى وأذهب سقمها ۞ قول الفوارس ويك عنتر أقدم
(قوله وقرئ لخسف بنا) يفيد أنّ القراءة المشهورة لخسف مبنيا للمجهول (قوله لم يولق الموعد) لعله الوعد

للمتقين ۝ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ۝ إن الذى فرض عليك القرءان لرادك إلى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلل مبين ۝ وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكفرين ۝ ولا يصدنك عن ءايت الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين ۝ ولا تدع مع الله إلها ءاخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ۝

الفساد فى الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله (والعاقبة للمتقين) كما تدبره علىّ والفضيل وعمر ۝ معناه فلا يجزون فوضع (الذين عملوا السيآت) موضع الضمير لأن فى إسناد عمل السيئة إليهم مكرر أفضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين (إلا ما كانوا يعملون) إلا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزى السيئة إلا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها (فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعنى أن الذى حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و(لرادك) بعد الموت (إلى معاد) أى معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت فى ذلك اليوم معاداله شأن ومرجعاله اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة فى أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه (فإن قلت) كيف اتصل قوله تعالى (قل ربى أعلم) بما قبله (قلت) لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل للمشركين ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه ومايستحقه من الثواب فى معاده (ومن هو فى ضلال مبين) يعنيهم ومايستحقونه من العقاب فى معادهم (فإن قلت) قوله (إلا رحمة من ربك) ماوجه الاستثناء فيه (قلت) هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقى عليك الكتاب إلا رحمة من ربك ويجوز أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك ألقى إليك ۝ وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهى فى لغة كلب وقال

أناس أصدوا الناس بالسيف عنهمو ۝ صدود السواقى عن أنوف الحوائم

(بعد إذ أنزلت إليك) بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك ۝ والنهى عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذى سبق ذكره (إلا وجهه) إلا إياه والوجه يعبر به عن الذات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك فى السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا إن كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

تعالى بل حقق طمعهم فى رحمته حيث يقول رسوله عليه الصلاة والسلام من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق ثلاثا وفى الثالثة وإن رغم أنف أبى ذر اللهم اقسم لنا من رجاء رحمتك ما تعصمنا به من القنوط ومن خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك والله الموفق للصواب

(قوله صدود السواقى) لعله السوافى بالفاء كعبارة الصحاح

(قوله بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه) لعله إنزالها

سورة العنكبوت مكية

إلا من آية ١ إلى غاية آية ١١ فمدنية وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۞ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا

﴿سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الحسبان لايصح تعليقه بمعانى المفردات ولكن بمضامين الجمل ألاترى أنك لو قلت حسبت زيداً وظننت الفرس لم يكن شيئاحتى تقول حسبت زيداعالما وظننت الفرس جواداً لأن قولك زيد عالم أوالفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لااليقين فلم تجد بدافى العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطرى الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك (فإن قلت) فأين الكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان فى الآية (قلت) هوفى قوله (أن يتركوا أن يقولوا آمناوهم لايفتنون) وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأماغير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقوله ۞ فتركته جزر السباع ينشنه ۞ ألاترى أنك قبل المجىء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام (فإن قلت) أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ (قلت) كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة فى قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديباتعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا ۞ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب فى الأنفس والأموال وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلوا صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ فى الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وروى أنها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل فى عمار بن ياسر وكان يعذب فى الله وقيل فى ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون «ولا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا» فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل فى مهجع بن عبدالله مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وامرأته (ولقد فتنا) موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعنى أن أتباع الأنبياء عليهم السلام قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب مايصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) فى الإيمان

(قوله فتركته جزر السباع ينشنه) فى الصحاح جزر السباع اللحم الذى تأكله اه وناشه ينوشه إذا تناوله باطشابه كما يفيده الصحاح

سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

(وليعلمن الكاذبين) فيه (فإن قلت) كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل (قلت) لم يزل يعلمه معدوماً ولا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعداً ووعيداً كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ على رضى الله عنه والزهرى وليعلمن من الإعلام أى وليعرفنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقها (أن يسبقونا) أن يفوتونا يعنى أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا فى الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وإصرارهم على المعاصى فى صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون (فإن قلت) أين مفعولا حسب (قلت) اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذاك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه (ساء ما يحكمون) بئس الذى يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ۞ لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتى ويذر فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضى من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله (من كان يرجو لقاء الله) من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشر (فإن أجل الله) وهو الموت (لآت) لا محالة فليبادر العمل الصالح الذى يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى (وهو السميع العليم) الذى لا يخفى عليه شىء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلى فى صفة عسال ۞ إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها ۞ (فإن قلت) فإن أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط (قلت) إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذى تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة (ومن جاهد) نفسه فى منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه (فإنما يجاهد) لها لأن منفعة ذلك راجعة

﴿القول فى سورة العنكبوت﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى « وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (قال إن قلت هو لم يزل يعلم الصادقين والكاذبين قبل الامتحان فما وجه هذا الكلام قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد) قال أحمد فيما ذكر إيهام بمذهب فاسد وهو اعتقاد أن العلم بالكائن غير العلم بأن سيكون والحق أن علم الله تعالى واحد يتعلق بالموجود زمان وجوده وقبله وبعده على ما هو عليه وفائدة ذكر العلم ههنا وإن كان سابقاً على وجود المعلوم التنبيه بالسبب على المسبب وهو الجزاء كأنه قال تعالى لنعلمنهم فلنجازينهم بحسب علمه فيهم والله أعلم ۞ قوله تعالى « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون » (قال محمود المراد بهؤلاء أحد فريقين إما قوم مسلمون سيآتهم صغائر مغمورة بالحسنات وإما قوم آمنوا وعملوا الصالحات بعد كفر فالإسلام يجب ما قبله) قال أحمد حجر واسعا من رحمة الله تعالى بناء على أصله الفاسد فى وجوب الوعيد على مرتكب السيئات الكبائر إلا بالتوبة وأطلق تكفير الصغائر وإن لم تكن توبة إذا غمرتها الحسنات وكلا الأصلين قدرى مجتنب والله الموفق

أَحْسَنَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

إليها وإنما أمر الله عز وجل ونهى رحمة لعباده وهو الغنىّ عنهم وعن طاعتهم ۞ إمّا أن يريد قوماً مسلمين صالحين قد أساؤا فى بعض أعمالهم وسيآتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أى يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذى كانوا يعملون أى أحسن جزاء أعمالهم وإمّا قوماً مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عزّ وجلّ يكفر سيآتهم بأن يسقط عقاب ماتقدم لهم من الكفر والمعاصى ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم فى الإسلام ۞ وصى حكمه حكم أمر فى معناه وتصرفه يقال وصيت زيداً بأن يفعل خيراً كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه بيت الإصلاح

وذبيانيـــة وصت بنيها ۞ بأن كذب القراطف والقروف

كما لو قال أمرتهم بأن ينتهبوها ومنه قوله تعالى « ووصى بها إبراهيم بنيه » أى وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيداً بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) وصيناه بإيتاء والديه حسناً أو بإيلاء والديه حسنا أى فعلا ذا حسن أو ما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا وإحسانا ويجوز أن تجعل حسناً من باب قولك زيداً بإضمار اضرب إذا رأيته متهيأ للضرب فتنصبه بإضمار أولها أو افعل بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفا (لاتطعهما) فى الشرك إذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير إن وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الأول لابد من إضمار القول معناه وقلنا إن جاهداك أيها الإنسان (ماليس لك به علم) أى لاعلم لك بإلهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال لتشرك بى شيئاً لايصح أن يكون إلها ولا يستقيم وصاه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما إذا أراداه على ماذكر على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله وأنه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ثم قال إلىّ مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان أحدهما أن الجزاء إلىّ فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك فى الدنيا كما أنى لاأمنعهما رزقى والثانى التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة فى الدين بذكر المرجع والوعيد . روى أن سعد بن أبى وقاص الزهرى رضى الله عنه حين أسلم قالت أمه وهى حمنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس : ياسعد بلغنى أنك قد صبأت فوالله لايظلنى سقف بيت من الضح والريح وإن الطعام والشراب علىّ حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها إليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه فنزلت هذه الآية والتى فى لقمان والتى فى الأحقاف فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يداريها ويترضاها بالإحسان وروى أنها نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخرمة امرأة من بنى تميم من بنى حنظلة فنزلا بعياش وقالا له إن من دين محمد صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لاتطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى تراك وهى أشد حباً لك منا فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة والغارب فاستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علىّ أن أقسم مالى بينى وبينك فمازالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال له عمر أما إذ عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل إن ناقتى قد كلت فاحملنى معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه وشداه وثاقا وجلده

(قوله بأن كذب القراطف والقروف) فى الصحاح كذب قد يكون بمعنى وجب والقرطف القطيفة والقرف بالفتح وعاء من جلد يدبغ بالقرفة وهى قشور الرمان ويجعل فيه الخلع وهو لحم يطبخ بتوابل فيفرغ فيه أى عليكم بالقراطف والقروف فاغتنموها اه (قوله فوالله لايظلنى سقف بيت من الضح) فى الصحاح الضح الشمس وفى الحديث لايقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان اه (وفتلا منه فى الذروة والغارب) فى الصحاح مازال فلان يفتل من فلان فى الذروة والغارب أى يدور من وراء خديعته

تُطِعهُما إِلَيَّ مَرجِعُكُم فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدخِلَنَّهُم فِي الصَّالِحِينَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصرٌ مِن رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُم أَوَلَيسَ اللَّهُ بِأَعلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ العَالَمِينَ ۞ وَلَيَعلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعلَمَنَّ المُنَافِقِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحمِل خَطَايَاكُم وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِن خَطَايَاهُم مِن شَيءٍ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ ۞ وَلَيَحمِلُنَّ أَثقَالَهُم وَأَثقَالًا مَعَ أَثقَالِهِم وَلَيُسأَلُنَّ يَومَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفتَرُونَ ۞ وَلَقَد أَرسَلنَا

كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به إلى أمه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت (فى الصالحين) فى جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى أنبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام «وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين» وقال فى إبراهيم عليه السلام «وإنه فى الآخرة لمن الصالحين» أو فى مدخل الصالحين وهى الجنة وهذا نحو قوله تعالى «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم» الآية هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا مسهم أذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا ۞ وإذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا (إنا كنا معكم) أى مشايعين لكم فى دينكم ثابتين عليه ثباتكم ما قدر أحد أن يفتننا فأعطونا نصيبنا من المغنم ۞ ثم أخبر سبحانه أنه أعلم (بما فى صدور العالمين) من العالمين بما فى صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام ۞ أمروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران فى الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالإتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فإن عسى كان ذلك فإنا نتحمل عنكم الإثم وترى فى المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا وإثمه فى عنقى وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع اليه بعض أهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هى قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله إياك وهؤلاء فإنهم قطاع الطريق فى المأمن ۞ (فإن قلت) كيف سماهم كاذبين وإنما ضمنوا شيئا علم الله أنهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لأنه فى الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشىء لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم إلى أن يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشىء وفى قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أى أثقال أنفسهم (وأثقالا) يعنى أثقالا

۞ قوله تعالى «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء إنهم لكاذبون» (قال وبعض المتسمين بالإسلام إذا أراد أن يشجع صاحبه على ذنب قال له افعل هذا وإثمه فى عنقى ومنه ما يحكى أن رجلا رفع إلى المنصور حوائجه فقضاها وما هى فقال يا أمير المومنين بقيت لى إليك حاجة هى العظمى قال وما هى قال شفاعتك فى المحشر فقال عمرو يا أمير المؤمنين إياك وهؤلاء فهم قطاع الطريق فى المأمن) قال أحمد: عمرو بن عبيد أول القدرية المنكرين للشفاعة فاحذره وليست إلا آية مطابقة للحكاية ولكن الزمخشرى يبنى على أنه لا فرق بين اعتقاد الشفاعة واعتقاد أن الكفار يحملون خطايا أتباعهم فلذلك ساقهما مساقا واحداً نعوذ بالله من ذلك ۞ وفى قوله تعالى

نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ إِنَّمَا

أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم (وليسئلن) سؤال تقريع (عما كانوا يفترون) أي يختلقون من الأكاذيب والأباطيل ۞ وقرئ من خطيآتهم ۞ كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ۞ (فإن قلت) هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة (قلت) ما أورده الله أحكم لأنه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره (فإن قلت) فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام (قلت) لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك و(الطوفان) ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج ۞ وغم طوفان الظلام الأثأبا ۞ (أصحاب السفينة) كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح عليه السلام سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة والضمير في (وجعلناها) للسفينة أو للحادثة والقصة ۞ نصب (إبراهيم) بإضمار اذكر وأبدل عنه (إذ) بدل الاشتمال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحا وإذ ظرف لأرسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لأن يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم النخعي وأبو حنيفة رحمهما الله وإبراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين إبراهيم (إن كنتم تعلمون) يعني إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم أو إن نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ إفكا فيه وجهان أن يكون مصدرا نحو كذب ولعب والإفك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون صفة على فعل أي خلقا إفكا أي ذا إفك وباطل واختلافهم الإفك تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله أو شفعاء اليه أو سمى الأصنام إفكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للإفك (فإن قلت) لم نكر الرزق ثم عرفه (قلت) لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرزاق وحده

إنهم لكاذبون نكتة حسنة يستدل بها على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر فإن من الناس من أنكره والتزم تخريج جميع ما ورد في ذلك على أصل الأمر ولم يتم له ذلك في هذه الآية لأن الله تعالى أردف قولهم ولنحمل خطاياكم على صيغة الأمر بقوله إنهم لكاذبون والتكذيب إنما يتطرق إلى الإخبار ۞ قوله تعالى فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما (قال عدل عن تسعمائة وخمسين لأنه يحتمل فيه إطلاق العدد على أكثره بخلاف مجيئه مع الاستثناء) قال أحمد لأن الاستثناء استدراك ورجوع على الجملة بالتنقيص تحريرا للعدد فلا يحتمل المبالغة لأنها لا يجوز معها العدد عاد كلامه (قال وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح وكابده من طول المصابرة تسلية له عليه السلام فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع على الغرض قال وإنما خالف بين اللفظين فذكر في الأول السنة وفي الثاني العام تجنبا للتكرار الذي لا يحمد إلا لقصد تفخيم أو تعظيم) قال أحمد ولو نخم المستثنى

(قوله وغم طوفان الظلام الأثأبا) في الصحاح الأثأب شجر

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

لا يرزق غيره (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه وإن تكذبونى فلا تضرونى بتكذيبهم فإن الرسل قبلى قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وإنما ضروا أنفسهم حيث حل بهم ماحل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وإن كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الأنبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التى بعدها إلى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها (فإن قلت) إذا كانت من قول إبراهيم فما المراد بالأمم قبله (قلت) قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة فى معنى أمم جمة مكذبة ولقد عاش إدريس ألف سنة فى قومه إلى أن رفع إلى السماء وآمن به ألف إنسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب ۞ (فإن قلت) فما تصنع بقوله قل سيروا فى الأرض (قلت) هى حكاية كلام حكاه إبراهيم عليه السلام لقومه كما يحكى رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج فى أكثر القرآن (فإن قلت) فإذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطهما بين طرفى قصة إبراهيم والجملة. أو الجملة الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله (قلت) إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو مامنى به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله وإن تكذبوا على معنى أنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه ۞ قرئ يروا بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر فى قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء. ونحوه قولك مازلت أوثر فلانا وأستخلفه على من أخلفه (فإن قلت) هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك وأستخلفه معطوف على جملة قوله مازلت أوثر فلانا (ذلك) يرجع إلى ما يرجع إليه هو فى قوله وهو أهون عليه من معنى يعيد دل بقوله

لعاد ذلك يبعض تفخيم المستثنى منه وتكبيره عند السامع والله أعلم ۞ قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده (قال فيه يعيده ليس معطوفا على يبدئ وإنما هو إخبار على حياله كما وقع كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة كقولك مازلت أوثر فلانا وأستخلفه (بعدى) قال أحمد وقد تقدم له عند قوله تعالى أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده أنه معطوف وصحح العطف وإن كانوا ينكرون الإعادة لأن الاعتراف بها لازم لهم وقد أبى ههنا جعله معطوفا فالفرق والله أعلم أنه ههنا لو عطف الإعادة على البداءة لدخلت فى الرؤية الماضية وهى لم تقع بعد ولا كذلك فى آية النمل ولقائل أن يقول هى وإن لم تقع إلا أنها بإخبار الله تعالى بوقوعها كالواقعة المرئية فعوملت معاملة ماروئى وشوهد

(قوله كان ممنوا بنحو مامنى به) أى مبتلى فى الصحاح منوته ومنيته إذا ابتليته (قوله وهو كما ترى اعتراض واقع) لعله واقع موقعه

فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۞ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞

(النشأة الآخرة) على أنهما نشأتان وإن كل واحد منهما إنشاء أى ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود لاتفاوت بينهما إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاء كالرأفة والرآفة (فإن قلت) مامعنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه مبتدا فى قوله ثم الله ينشىء النشأة الآخرة بعد إضماره فى قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة (قلت) الكلام معهم كان واقعاً فى الإعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم فى الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء فإذا كان الله الذى لايعجزه شىء هو الذى لم يعجزه الإبداء فهو الذى وجب أن لاتعجزه الإعادة فكأنه قال ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الأولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين فى مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق إذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب (تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لاتفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه (فى الأرض) الفسيحة (ولا فى السماء) التى هى أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . وقيل ولا من فى السماء كما قال حسان رضى الله عنه :

أمن يهجو رسول الله منكم ۞ ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل أن يراد لاتعجزونه كيفما هبطتم فى مهاوى الأرض وأعماقها أو علوتم فى البروج والقلاع الذاهبة فى السماء كقوله تعالى ولو كنتم فى بروج مشيدة أو لاتعجزون أمره الجارى فى السماء والأرض أن يجرى عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء (بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث (يئسوا من رحمتى) وعيد أى ييأسون يوم القيامة كقوله : ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون . أو هو وصف لحالهم لأن المؤمن إنما يكون راجيا خاشيا فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة رضى الله عنه أن الله ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يئسوا من رحمتى وقال إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فينبغى للمؤمن أن لاييأس من روح الله ولا من رحمته وأن لايأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن أن يكون راجيا لله عزوجل خائفا ۞ قرئ (جواب قومه) بالنصب والرفع (قالوا) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون

إلا أن جعله خبراً ثانياً أوضح والله أعلم ۞ قوله تعالى قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة (قال إن قلت ماوجه الإفصاح باسمه تعالى مع النشأة الآخرة بعد إضماره فى البداءة أولا قلت لأن النشأة الآخرة هى المقصودة وفيها كانت تصطك الركب فكانت خليقة بإبراز اسمه تعالى تحقيقاً لنسبة الإعادة إلى من نسبت إليه الأولى) قال أحمد والأصل الإظهار ثم الإضمار ويليه لقصد التفخيم الإظهار بعد الإظهار ويليه وهو أفخم الثلاثة الإظهار بعد الإضمار كما فى الآية والله أعلم

(قوله ومتعلق المشيئتين مفسر مبين فى مواضع من القرآن) تفسيره بما يأتى مبنى على أنه تعالى يجب عليه تعذيب الكافر والفاسق إذا لم يتوبا وإثابة المعصوم والتائب وهو مذهب المعتزلة ولا يجب عليه تعالى شىء عند أهل السنة فالمشيئة فى الآية على إطلاقها (قوله وقيل ولا من فى السماء) عبارة الخازن ولا من فى السماء بمعجز (قوله وعقابه صفة المؤمن) لعله لأن صفة المؤمن الخ

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى الْءَاخِرَةِ لَمِنَ الصَّـٰلِحِينَ ۞ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَـٰلَمِينَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ائْتِنَا

راضين فكانوا جميعا فى حكم القاتلين ۞ وروى أنه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار نعنى يوم ألقى إبراهيم فى النار وذلك لذهاب حرها ۞ قرئ على النصب بغير إضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانياً كقوله اتخذ إلهه هواه أى اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله وفى الرفع وجهان أن يكون خبراً لأنّ على أن ما موصولة وأن يكون خبر مبتدإ محذوف والمعنى أن الأوثان مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أوثانا إنما مودة بينكم فى الحياة الدنيا أى إنما تتوادون عليها أو تودونها فى الحياة الدنيا (ثم يوم القيامة) يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادى يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والأصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضداً ۞ كان لوط ابن أخت إبراهيم عليهما السلام وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه (وقال) يعنى إبراهيم (إنى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبى هجرة ولإبراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (إلى ربى) إلى حيث أمرنى بالهجرة إليه (إنه هو العزيز) الذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى إلا بما هو مصلحتى (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه ۞ (فإن قلت) ما بال إسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر إسحق وعقبه (قلت) قد دلّ عليه فى قوله وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة أمره وعلو قدره ۞ (فإن قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الأربعة التى هى التوراة والزبور والإنجيل والقرآن (ولوطا) معطوف على إبراهيم أو على ما عطف عليه و(الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح و(ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل له لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازاً منها فى طباعهم لإفراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينزل ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط ۞ وقرئ إنكم بغير استفهام فى الأول دون الثانى قال أبو عبيد وجدته فى الإمام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثانى بحرفين الياء والنون ۞ وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الأنفس وأخذ الأموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل بإتيان ما ليس بحرث و(المنكر) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الأزرار والسباب والفحش فى المزاح وعن عائشة رضى الله عنها كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مربهم وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها ولذلك

(قوله كانوا يتحابقون وقيل السخرية) فى الصحاح الحبق بالكسر الردام وفيه أيضا الردام بالضم الحبق اه وهو ضرور

يَعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۞ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۞ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۞ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

جاء من خرق جلباب الحياء فلاغيبة له ولايقال للمجلس ناد إلامادام فيه أهله فإذا قاموا عنهلم يبق ناديا (إن كنت من الصادقين) فيما تعدناه من نزول العذاب ۞ كانوا يفسدون الناس بحملهم على ماكانوا عليه من المعاصى والفواحش طوعا وكرها ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين فى دعائه (بالبشرى) هى البشارة بالولد والنافلة وهما إسحق ويعقوب ۞ وإضافة مهلكو إضافة تخفيف لاتعريف والمعنى لاستقبال والقرية سدوم التى قيل فيها أجور من قاضى سدوم (كانوا ظالمين) معناه أن الظلم قداستمر منهم إيجاده فى الأيام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم (إن فيها لوطا) ليس إخبارألهم بكونه فيها وإنما هو جدال فى شأنه لأنهم لما عللوا إهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأن فيها من هو برىء من الظلم وأراد بالجدال إظهار الشفقة عليهم ومايجب المؤمن من التحزن لأخيه والتشمر فى نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أويلحقه ضرر قال قتادة لايرى المؤمن ألا يحوط المؤمن ألا ترى إلى جوابهم بأنهم أعلم منه (بمن فيها) يعنون نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وأنه لايستأهل مايستأهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب ۞ وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك (أن) صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر فى وقتين متجاورين لافاصل بينهما كأنهما وجدا فى جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته وقدجعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا إذاكان مطيقا له والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال مالا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا فى العجز والقدرة ۞ الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس إذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب . وقرئ منزلون مخففا ومشددا (منها) من القرية (آية بينة) هى آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الأسود على وجه الأرض وقيل الخبر عما صنع بهم (لقوم) متعلق بتركنا أوببينة (وارجوا) وافعلوا ماترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط مايسوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف ۞ والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام لأن القلوب رجفت لها (فى دارهم) فى بلدهم وأرضهم أوفى ديارهم فاكتفى بالواحد لأنه لايلبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا)

فلينظر حله ثم رأيت فيه فى مادة ضرط الضراط الردام وقد ضرط يضرط ضرطا بكسر الراء مثال حبق يحبق حبقا اه فالتحابق المضارطة كما عبر النسفى (قوله فاجأته المساءة من غيرريث) أى بطء

أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ۞ وقرون وفرعون وهمن ولقد جاءهم موسى بالبينت فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سبقين ۞ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ۞ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ۞ إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شىء وهو العزيز الحكيم ۞ وتلك الأمثل نضربها للناس وما يعقلها إلا العلمون ۞ خلق الله السموت والأرض بالحق إن فى ذلك لآية للمؤمنين ۞

منصوب بإضمار أهلكنا لأنّ قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لأنه فى معنى الإهلاك (وقد تبين لكم) ذلك يعنى ما وصفه من إهلاكهم (من) جهة (مساكنهم) إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها فى أسفارهم فيبصرونها (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أنّ العذاب نازل بهم لأنّ الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل عليهم السلام ولكنهم لجوا حتى هلكوا (سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه ۞ الحاصب لقوم لوط وهى ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم . والصيحة لمدين وثمود ، والخسف لقارون ، والغرق لقوم نوح وفرعون ۞ الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمداً فى دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس فى الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) (فإن قلت) ما معنى قوله (لو كانوا يعلمون) وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت (قلت) معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأنّ أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه إذا صحّ تشبيه ما اعتمدوه فى دينهم ببيت العنكبوت وقد صحّ أنّ أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أنّ دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وإنّ أوهن ما يعتمد عليه فى الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك الذى يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذى يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتاً بالإضافة إلى رجل يبنى بيتاً بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أنّ أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون ۞ قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا (وهو العزيز الحكيم) فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشىء لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شىء الحكيم الذى لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وتدبير ۞ كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إنّ ربّ محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها إلا العالمون) أى لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم لأنّ الأمثال والتشبيهات إنما هى الطرق إلى المعانى المحتجبة فى الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصوّرها للأفهام كما صوّر هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (بالحق) أى بالغرض الصحيح الذى هو حق لا باطل وهو أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله (إنّ فى ذلك لآية للمؤمنين) ونحوه قوله تعالى « وما خلقنا السماء

قوله تعالى « خلق الله السموات والأرض بالحق » (قال فيه أى بالغرض الصحيح) قال أحمد لفظة قدرية ومعتقد ردىء

(قوله قد بين لهم على ألسنة الرسل) لعله قد بين وقد يعبر بالمضارع لأنّ الكلام على سبيل التجويز

اتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا أَهْلَ الْكِتَٰبِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوٓا ءَامَنَّا بِالَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا الْكَٰفِرُونَ ۞ وَمَا

والأرض وما بينهما باطلا » ثم قال ذلك ظن الذين كفروا ۞ الصلاة تكون لطفاً فى ترك المعاصى فكأنها ناهية عنها (فإن قلت) كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته (قلت) الصلاة التى هى الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقياً لقوله تعالى « إنما يتقبل الله من المتقين » ويصليها خاشعاً بالقلب والجوارح فقد روى عن حاتم كأن رجلى على الصراط والجنة عن يمينى والنار عن يسارى وملك الموت من فوقى وأصلى بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها فهى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهى وبال عليه وقيل من كان مراعياً للصلاة جره ذلك إلى أنه ينتهى عن السيآت يوما ما فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه وروى أن فتى من الأنصار كان يصلى معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال إن المراعى للصلاة لابد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وأيضاً فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضى أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول إن زيداً ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم (ولذكر الله أكبر) يريد وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال « فاسعوا إلى ذكر الله » وإنما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة أكبر لأنها ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذى فى الصلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب (بالتى هى أحسن) بالخصلة التى هى احسن وهى مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالأناة كما قال: ادفع بالتى هى أحسن (إلا الذين ظلموا) فأفرطوا فى الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين فى الذمة المؤدين للجزية إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » ولا مجادلة أشد من السيف ۞ وقوله (قولوا آمنا بالذى أنزل إلينا) من جنس المجادلة بالتى هى أحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقاً لم تكذبوهم ۞ ومثل ذلك الإنزال (أنزلنا إليك الكتاب) أى أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وقيل وكما أنزلنا الكتب إلى من كان قبلك أنزلنا إليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب) هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه (ومن هؤلاء) من أهل مكة وقيل أراد

قد تقدم إنكاره على القدرية ولو كان ما قالوه حقاً من حيث المعنى لوجب اجتناب هذه العبارة التى لا تليق بالأدب والله سبحانه وتعالى أعلم

كُنتَ تَتْلُوا من قَبْلِهِ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۞ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم

بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن فى عهده منهم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلا المتوغلون فى الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه ۞ وأنت أمىّ ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط (إذاً) لو كان شىء من ذلك أى من التلاوة والخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذى نجده فى كتبنا أمىّ لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده (فإن قلت) لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا ليس بالذى نجده فى كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق فى قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارئ كاتب (قلت) سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمىّ بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون فى كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشىء آخر وهو أن سائر الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فمالهم لم يؤمنوا به من الوجه الذى آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام على أن المنزلين ليس بمعجزين وهذا المنزل معجز فإذاهم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمىّ ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمىّ (فإن قلت) ما فائدة قوله بيمينك (قلت) ذكر اليمين وهى الجارحة التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا ألا ترى أنك إذا قلت فى الإثبات رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفى (بل) القرآن (آيات بينات فى صدور) العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظا فى الصدور يتلوه أكثر الأمة ظاهراً بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ إلا من المصاحف ومنه ما جاء فى صفة هذه الأمة صدورهم أناجيلهم (وما يجحد) بآيات الله الواضحة إلا المتوغلون فى الظلم المكابرون ۞ قرئ آية وآيات أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك (إنما الآيات عند الله) ينزل أيتها شاء ولو شاء أن ينزل ما تقترحونه لفعل (وإنما أنا نذير) كلفت الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات وليس لى أن أتخير على الله آياته فأقول أنزل علىّ آية كذا دون آية كذا مع علمى أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك ثم قال (أولم يكفهم) آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحلّ كما تزول كل آية بعد كونها وتكون فى كل مكان دون مكان ۞ إن فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان إلى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة لا تشكر ۞ وتذكرة (لقوم يؤمنون) وقيل أولم يكفهم يعنى اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما فى أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل إن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر إليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرناه (كفى بالله بينى وبينكم شهيداً) أنى قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتمونى بالجحد والتكذيب (يعلم ما فى السموات والأرض) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما تعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون)

(قوله فحين ليس) لعله فحين كان ليس (قوله على أن المنزلين ليسا بمعجزين) لعله المنزلين عليهما

بغتة وهم لا يشعرون ۞ يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكفرين ۞ يوم يغشىهم العذاب من فوقهم
ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ۞ يعبادي الذين ءامنوا إن أرضي وسعة فإيي فاعبدون ۞
كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ۞ والذين ءامنوا وعملوا الصلحت لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري
من تحتها الأنهر خلدين فيها نعم أجر العملين ۞ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ۞ وكأين من دابة

المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين وكقول حسان ۞ فشركما لخيركما الفداء ۞ وروى أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت ۞ كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذى قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فأسقط علينا كسفا من السماء (ولولا أجل) قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا والمراد بالأجل الآخرة لما روى أن الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم (لمحيطة) أى ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب) أو هى محيطة بهم فى الدنيا لأن المعاصى التى توجبها محيطة بهم أو لأنها مآلهم ومرجعهم لامحالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أى يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت و(من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (ونقول) قرئ بالنون والياء (ما كنتم تعملون) أى جزاءه ۞ معنى الآية أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمرى أن البقاع تتفاوت فى ذلك التفاوت الكثير وقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا ودارو أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر الدينى فى الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ماسهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد وقيل هى فى المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وإنما كان ذلك لأن أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهرانى الكفرة (فإياى فاعبدون) فى المتكلم نحو إياه ضربته فى الغائب وإياك عضتك فى المخاطب والتقدير فإياى فاعبدوا فاعبدون (فإن قلت) مامعنى الفاء فى فاعبدون وتقديم المفعول (قلت) الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضى واسعة فإن لم تخلصوا العبادة فى أرض فاخلصوها لى فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص ۞ لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد وإن شسعت أتبعه قوله (كل نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه إنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده (لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة) علالى وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للإقامة يقال ثوى فى المنزل وأثوى هو وأثوى غيره وثوى غير متعد فإذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته والوجه فى تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما إجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وإيصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم ۞ وقرأ يحيى ابن وثاب فنعم بزيادة الفاء (الذين صبروا) على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن

(قوله أوفق البلاد وإن شسعت) أى بعدت (قوله أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم) أى المحدد وهو الغرف

لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞

والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى ولم يتوكلوا فى جميع ذلك إلا على الله ۞ لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليست لى فيها معيشة فنزلت ۞ والدابة كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل (لاتحمل رزقها) لاتطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها وإياكم) أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التى لاتحمل وعن الحسن لاتحمل رزقها لاتدخره إنما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شىء يخبأ إلا الإنسان والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر فى حضنيه ويقال للعقعق مخابىء إلا أنه ينساها (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والضيعة (العليم) بما فى ضمائركم ۞ الضمير فى (سألتهم) لأهل مكة (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لايشركوا به مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض ۞ قدر الرزق وقتره بمعنى إذا ضيقه (فإن قلت) الذى رجع اليه الضمير فى قوله (ويقدر له) هو من يشاء فكأن بسط الرزق وقدره جعلا لواحد (قلت) يحتمل الوجهين جميعاً أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأنّ من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة (إن الله بكل شىء عليم) يعلم مايصلح العباد ومايفسدهم ۞ استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه ممن أقر بنحو ماأقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الأنداد والشركاء عنه ولم يكن إقراراً عاطلا كاقرار المشركين وعلى أنهم أقروا بماهو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال (بل أكثرهم لايعقلون) مايقولون ومافيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لايعقلون ماتريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم (هذه) فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها وكيف لايصغرها وهى لاتزن عنده جناح بعوضة ۞ يريد ماهى لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) أى ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لاموت فيها فكأنها فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واواً كما قالوا حيوة فى اسم رجل وبه سمى مافيه حياة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهى مافى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وماأشبه ذلك والحياة حركة كما أنّ الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة فى هذا الموضع المقتضى للبالغة (لوكانوا يعلمون) فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها ۞ (فإن قلت) بم اتصل قوله فإذا ركبوا (قلت) بمحذوف دلّ عليه ماوصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على

۞ قوله تعالى وإن الدار الآخرة لهى الحيوان (قال إنما عدل عن الحياة إلى هذا البناء تنبيها على تعظيم حياة الآخرة ودوامها) قال أحمد والذى يخص هذا البناء به إفادة مالايخلو من الحركة كالنزوان والجولان والحيوان من ذلك والله أعلم

(قوله قالوا اشتر من الموتان) الذى فى الصحاح اشتر الموتان ولاتشتر الحيوان أى اشتر الأرض والدور ولا تشتر الرقيق والدواب اه (قوله كالنزوان والنغصان واللهبان) فى الصحاح اللهبان بالتحريك اتقاد النار

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ۝ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝

ماوصفوا به من الشرك والعناد (فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لايذكرون إلا الله ولايدعون معه إلها آخر وفى تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم (فلما نجاهم إلى البر) وآمنوا عادوا إلى حال الشرك ۝ واللام فى (ليكفروا) محتملة أن تكون لام كى وكذلك فى (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لاغير على خلاف ماهو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله فى إنجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع والتلذذ وأن تكون لام الأمر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ماشئتم إنه بما تعملون بصير (فإن قلت) كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ماشاؤا وهوناه عن ذلك ومتوعد عليه (قلت) هو مجاز عن الخذلان والتخلية وإن ذلك الأمر متسخط إلى غاية ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الأمر خطأ وأنه يؤدى إلى ضرر عظيم فتبالغ فى نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم حردت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ماشئت فلاتريد بهذا حقيقة الأمر وكيف والآمر بالشىء مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فإذ قد أبيت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ماشئت وتبعث عليه ليتبين لك إذا فعلت صحة رأى الناصح وفساد رأيك ۝ كانت العرب حول مكة يغزوا بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة قارون آمنون فيها لايغزون ولايغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذى هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التى لايقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم ۝ افتراؤهم على الله كذبا زعمهم إن لله شريكا ۝ وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفى قوله (لما جاءه) تسفيه لهم يعنى لم يتلعثموا فى تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المثبتون فى الأمور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون إلى أن يصح لهم صدقه أو كذبه (أليس) تقرير لثوائهم فى جهنم كقوله ۝ ألستم خير من ركب المطايا ۝ قال بعضهم ولو كان استفهاما ماأعطاه الخليفة مائة من الإبل وحقيقته أن الهمزة همزة الإنكار دخلت على النفى فرجع إلى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثوون فى جهنم وألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثانى ألم يصح عندهم أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة ۝ أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل مايجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فينا) فى حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً (لنهدينهم سبلنا) لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن أبى سليمان الدارانى والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى مالم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لايعلم وقيل إن الذى نرى من جهلنا بما لانعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم (لمع المحسنين) لناصرهم ومعينهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

(قوله حردت عليهم) أى غضبت أفاده الصحاح

ســـورة الروم مـكية

إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞

﴿سورة الروم ستون آية مكية إلا قوله فسبحان الله﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ القراءة المشهورة الكثيرة (غلبت) بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والأرض أرض العرب لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام أو أراد أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه أى فى أدنى أرضهم إلى عدوهم قال مجاهد هى أرض الجزيرة وهى أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس رضى الله عنهما الأردن وفلسطين وقرئ فى أدانى الأرض والبضع مابين الثلاث إلى العشر عن الأصمعى وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم النصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه لايقرر الله أعينكم فوالله لتظهرنّ الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف كذبت ياأبافصيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث إلى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذى لايعلمه إلا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون فى بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون فى جهاد الروم وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهى فى إحداهما إضافة المصدر إلى المفعول وفى الثانية إضافته إلى الفاعل ومثالها محرم عليكم إخراجهم ولن يخلف الله وعده (فإن قلت) كيف صحت المناحبة وإنما هى قمار (قلت) عن قتادة رحمه الله أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبى حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة فى دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبى بن خلف (من قبل ومن بعد) أى فى أول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ماوعده الله عزّ وجل من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبر به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنه ولى

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۞ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى

بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفى ذلك قوة الإسلام وعن أبى سعيد الخدرى وافق ذلك يوم بدر وفى هذا اليوم نصر المؤمنين (وهو العزيز الرحيم) بنصر عليكم تارة وينصركم أخرى (وعد الله) مصدر مؤكد كقولك لك على ألف درهم عرفا لأنّ معناه أعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعداً لأنّ ماسبقه فى معنى وعد ۞ ذمهم الله عزّ وجل بأنهم عقلاء فى أمور الدنيا بله فى أمر الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بأصبعه فيعلم أردىء هو أم جيد وقوله (يعلمون) بدل من قوله لايعلمون وفى هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لافرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لايتجاوز الدنيا وقوله (ظاهرا من الحيوة الدنيا) يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطنا فظاهرها مايعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفى تنكير الظاهر أنهم لايعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة الظواهر ۞ وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ و(غافلون) خبره والجملة خبر هم الأولى وأن يكون تكريراً للأولى وغافلون خبر الأولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومعلمها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع (فى أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يحدثوا التفكر فى أنفسهم أى فى قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لايكون إلا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده فى قلبك وأضمره فى نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر فى الأمر وأجال فيه فكره و(ما خلق) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لأنّ فى الكلام دليلا عليه (إلا بالحق وأجل مسمى) أى ماخلقهما باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولاتبقى خالدة وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لابد لها من أن تنتهى إليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثا ۞ والباء فى قوله إلا بالحق مثلها فى قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ماخلقها إلا وهى ملتبسة بالحق مقترنة به (فإن قلت) إذا جعلت فى أنفسهم صلة للتفكر فما معناه (قلت) معناه أولم يتفكروا فى أنفسهم التى هى أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ماعداها فتدبروا ماأودعها الله ظاهراً وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لابد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذى دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على

﴿القول فى سورة الروم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ولكن أكثر الناس لايعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا (قال) فيه يعلمون بدل من الأول وفى البدل نكتة وهى الإشعار بأنه لافرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين العلم بظاهر الدنيا حتى كأنهما شىء واحد فأبدل أحدهما من الآخر وفائدة تنكير الظاهر أنهم لايعلمون إلا ظاهراً واحدا من جملة ظواهرها (قال) أحمد وفى التنكير تقليل لمعلومهم وتقليله يقربه من النفى حتى يطابق المبدل منه وروى عن الحسن أنه قال فى تلاوته هذه الآية بلغ من صدق أحدهم فى ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار بأصبعه فيعلم أجيد هو أم ردىء

(قوله وفل هؤلاء شوكة هؤلاء) أى كسر أفاده الصحاح

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۞ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ۞ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ

الحكمة والتدبير وأنه لابدلها من الانتهاء إلى ذلك الوقت ۞ والمراد بلقاء ربهم الأجل المسمى (أولم يسيروا) تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض) وحرثوها قال الله تعالى «لاذلول تثير الأرض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمى ثوراً لإثارته الأرض وبقرة لأنها تبقرها أى تشقها (وعمروها) يعنى أولئك المدمرون (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل وادى غيرذى زرع مالهم إثارة الأرض أصلا ولاعمارة لها رأسا فما هو إلا تهكم بهم وبضعف حالهم فى دنياهم لأن معظم مايستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضاً ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أى عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله «أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وإن كان هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدر ۞ فما كان تدميره إياهم ظلماً لهم لأن حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم ۞ قرئ عاقبة بالنصب والرفع و (السوأى) تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن والمعنى أنهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى جهنم التى أعدت للكافرين و (أن كذبوا) بمعنى لأن كذبوا ويجوز أن يكون بمعنى أى لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر وهو أن يكون أساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التى هى أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو إرادة الإبهام (ثم إليه ترجعون) أى إلى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء الإبلاس أى يبقى بائساً ساكناً متحيراً يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس وييئس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لاترغو ۞ وقرئ يبلس بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته (من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون بإلهيتهم ويجحدونها أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم ۞ وكتبوا شفعواء فى المصحف بواو قبل الألف كما كتب علمواء بنى إسرائيل وكذلك كتبت السوأى بألف قبل الياء إثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها ۞ الضمير فى (يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة مابعده عليه وعن الحسن رضى الله عنه هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء فى عليين وهؤلاء فى أسفل السافلين وعن قتادة رضى الله عنه فرقة لا اجتماع بعدها (فى روضة) فى بستان وهى الجنة والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفى أمثالهم أحسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة (يحبرون) يسرون يقال حبره إذا سرّه سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه أثره

(قوله ويتباهون به أمر الدهقنة) أى الزراعة (قوله إذا لم ينبس) أى لم يتكلم أفاده الصحاح

الْآخِرَةِ فَأُولَـٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ

ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد رضى الله عنه يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبى بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم أعرابى فقال يارسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا أعرابى إن فى الجنة لنهراً حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروى إن فى الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع فى تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا (محضرون) لايغيبون عنه ولايخفف عنهم كقوله وماهم بخارجين منها لايفتر عنهم لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجى من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن عباس رضى الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وتلا هذه الآية (تمسون) صلاتا المغرب والعشاء (وتصبحون) صلاة الفجر (وعشياً) صلاة العصر و (تظهرون) صلاة الظهر وقوله وعشياً متصل بقوله حين تمسون وقوله « وله الحمد فى السموات والأرض » اعتراض بينهما ومعناه إن على المميزين كلهم من أهل السموات والأرض أن يحمدوه (فإن قلت) لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أن هذه الآية مدنية (قلت) لأنه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى غير وقت معلوم والقول الأكثر أن الخمس إنما فرضت بمكة وعن عائشة رضى الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون أدرك مافاته فى يومه ومن قالها حين يمسى أدرك مافاته فى ليلته وفى قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه (الحى من الميت) الطائر من البيضة و(الميت من الحى) البيضة من الطائر * وإحياء الأرض إخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى أن الإبداء والإعادة متساويان فى قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من الحى وإخراج الحى من الميت وإحياء الميت وإماتة الحى وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء (خلقكم من تراب) لأنه خلق أصلهم منه و (إذا) للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين فى الأرض كقوله وبث منهما رجالا كثيراً ونساء (من أنفسكم أزواجا) لأن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الألف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر (وجعل بينكم) التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولاسبب

(قوله وقرئ الميت بالتشديد) يفيد أن القراءة المشهورة بالتخفيف

خلق السموت والأرض واختلف ألسنتكم وألونكم إن فى ذلك لآيت للعلمين ◦ ومن آيته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيت لقوم يسمعون ◦ ومن آيته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحي به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيت لقوم يعقلون ◦ ومن آيته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ◦ وله من فى السموت والأرض كل

يوجب التعاطف من قرابة أو رحم وعن الحسن رضى الله عنه المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ◦ ويقال سكن اليه إذا مال إليه كقولهم انقطع إليه واطمأن إليه ومنه السكن وهو الألف المسكون إليه فعل بمعنى مفعول وقيل إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرك من قبل الشيطان ◦ الألسنة اللغات أو أجناس النطق وأشكاله خالف عز وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان فى الحلية فيعروك الخطأ فى التمييز بينهما وتعرف حكمة الله فى المخالفة بين الحلى وفى ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من أصل فذوهم على الكثرة التى لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون ◦ وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها إلا العالمون ◦ هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشىء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد ويجوز أن يراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الأول لتكرره فى القرآن وأسد المعانى ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية ◦ فى (يريكم) وجهان إضمار أن وإنزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدى خير من أن تراه وقول القائل: وقالوا ماتشاء فقلت ألهو ◦ إلى الإصباح آثر ذى أثير (خوفا) من الصاعقة أو من الإخلاف (وطمعا) فى الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له (فإن قلت) من حق المفعول له أن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن المفعولين فاعلون فى المعنى لأنهم راؤن فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثانى أن يكون على تقدير حذف المضاف) أى إرادة خوف وإرادة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أى خائفين وطامعين ◦ وقرئ ينزل بالتشديد (ومن آياته قيام السموات والأرض واستمساكهما بغير عمد (بأمره) أى بقوله كونا قائمين والمراد بإقامته لهما إرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله (إذا دعاكم) بمنزلة قوله

قوله تعالى «ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعاً» (قال فإن قلت أينصب خوفا وطمعا مفعولا لها وليسا فعلى فاعل الفعل المعلل فما وجه ذلك قلت المفعولون هنا فاعلون لأنهم راؤن فتقديره يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا أو على حذف مضاف تقديره إرادة خوفكم وطمعكم قال أحمد الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وآثار قدرته وحينئذ يلزم اجتماع شرائط النصب فيهما وهى كونهما مصدرين ومقارنين فى الوجود والفاعل الخالق واحد فلا بد من التنبيه على تخريج النصب على غير هذا الوجه فنقول معنى قول النحاة فى المفعول له لا بد وأن يكون فعل الفاعل أى ولا بد أن يكون الفاعل متصفا به مثاله إذا قلت جئتك إكراما لك فقد وصفت نفسك بالإكرام فقلت فى المعنى جئتك مكرما لك والله تعالى وإن خلق الخوف والطمع لعباده إلا أنه مقدس عن الاتصاف بهما فمن ثم احتيج إلى تأويل النصب على المذهبين جميعاً والله أعلم

(قوله وإن الفرك من قبل الشيطان) فى الصحاح الفرك بالكسر البغض (قوله وقرئ ينزل بالتشديد) يفيد أن المشهور بالتخفيف

لَهُ قَانِتُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

يريكم فى إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والأرض ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة ياأهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعى المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا دعوة فكأنما ۞ دعوت به ابن الطود أو هو أسرع
يريد بابن الطود الصدى أو الحجر إذا تدهدى وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول ياأهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ۞ قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيداً من أعلى الجبل فنزل علىّ ودعوته من أسفل الوادى فطلع إلىّ (فإن قلت) بم تعلق (من الأرض) أبالفعل أم بالمصدر (قلت) هيهات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ۞ (فإن قلت) ما الفرق بين إذا وإذا (قلت) الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهى تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط ۞ وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها (قانتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو أهون عليه) فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شىء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها وتعتذرون للصانع إذا خطئ فى بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرق وتسمون الماهر فى صناعته معاودا تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه (فإن قلت) لم ذكر الضمير فى قوله وهو أهون عليه والمراد به الإعادة (قلت) معناه وأن يعيده أهون عليه (فإن قلت) لم أخرت الصلة فى قوله وهو أهون عليه وقدمت فى قوله هو علىّ هين (قلت) هناك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علىّ هين وإن كان مستصعبا عندكم أن يولد بين همّ وعاقر وأما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والأمر مبنى على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى (فإن قلت) ما بال الإعادة استعظمت فى قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك (قلت) الإعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء وقيل الضمير فى عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الإنشاء

۞ قوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون الآية (قال إن قلت ما بال الإعادة استعظمت فى قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض قلت الإعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء) قال أحمد: إنما يلتى فى السؤال تعظيم الإعادة من عطفها بثم إيذانا بتغاير مرتبتها وعلو شأنها وقوله فى الجواب إنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء لا يخلص فإن الإعادة ذكرت ههنا عقيب قيام السموات والأرض بأمره وقيامهما ابتداء وإنشاء أعظم من الإعادة فيلزم تعظيم الإعادة بالنسبة إلى ما عطف عليه عن الإنشاء ويعود الإشكال والخلاص والله أعلم جعل ثم على بابها لتراخى الزمان لا لتراخى المراتب وإن سلم أنها لتراخى المراتب فعلى أن تكون مرتبة المعطوف عليه العليا ومرتبة المعطوف هى الدنيا وذلك نادر فى مجيئها لتراخى المراتب فإن المعطوف حينئذ فى أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه والله أعلم ۞ قوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (قال) إن قلت لم أخرت الصلة ههنا وقد قدمت فى قوله تعالى هو علىّ هين قلت لأن المقصود مما نحن فيه خلاف المقصد هناك فإنه اختصاص الله تعالى بالقدرة على إيلادهم والعاقر وأما المقصد هنا فلا معنى للاختصاص فيه كيف والأمر مبنى على ما يعتقدونه فى الشاهد من أن الإعادة أسهل من الابتداء فالاختصاص بغير المعنى

(قوله أن يولد بين همّ وعاقر) فى الصحاح الهم بالكسر الشيخ الفانى

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم

لأن تكوينه فى حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل تعبا وكبدا من أن يتنقل فى أحوال ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحد وقيل الأهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذى يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والإعادة من قبيل الواجب الذى لابد له من فعله لأنها لجزاء الأعمال وجزاؤها واجب والأفعال إما محال والمحال ممتنع أصلا خارج عن المقدور وأما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لأن الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الإحالة وإما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله وإما واجب لابد من فعله ولا سبيل إلى الإخلال به فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع وأقربها من الحصول فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الأفعال من الامتناع وإذا كانت أبعدها من الامتناع كانت أدخلها فى التأتى والتسهل فكانت أهون منها وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء (وله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى الذى ليس لغيره مثله قد عرف به ۞ ووصف فى السموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذى لا يعجز عن شىء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أى القاهر لكل مقدور الحكيم الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا إله إلا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى فى السموات والأرض أى قوله تعالى وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الأول ۞ (فإن قلت) أى فرق بين من الأولى والثانية والثالثة فى قوله تعالى من أنفسكم مما ملكت أيمانكم من شركاء (قلت) الأولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شىء منكم وهى أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد ۞ تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) أى مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات)

(قال أحمد) كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب التبر لا بالحبر وإنما يليق الاختصاص من تقديم ما حقه أن يؤخر وقد علمت مذهبه فى مثل ذلك ۞ عاد كلامه (قال) فى تقرير معنى قوله وهو أهون عليه الأفعال إما ممتنع عقلا لذاته وإما ممتنع لصارف يصرف الحكيم عن فعله وإما تفضل يتخير الحكيم فيه بين أن يفعل وأن لا. وإما واجب على الحكيم أن يفعله فالإنشاء الأول من قبيل التفضل . وأما الإعادة فواجبة على الله تعالى لأجل الجزاء فلما كانت واجبة كانت أبعد الأفعال عن الممتنع فلذلك وصفت بالتسهيل وكانت أهون من الإنشاء (قال أحمد) لقد ضل وصد عن السبيل فلا نوافقه ولا نرافقه والحق أن لا واجب على الله تعالى وكل ما ذكره فى هذا الفصل نزغات قدرية على أنها أيضا غير مستقيمة على أصولهم المجتثة فإن مقتضاها وجوب الإنشاء فى الحكمة إذ لولا مصلحة اقتضت الإنشاء لما وقع وتلك المصلحة توجب متعلقها فقد وضح أن المصنف لا إلى معالى السنة رقى ولا فى حضيض الاعتزال بقى فلله العصمة

(قوله وجزاؤها واجب والأفعال) هذا عند المعتزلة ولا يجب على الله شىء عند أهل السنة كما تقدم فى محله
(قوله فكانت أهون منها) أى من بقية الأفعال

بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ۞ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۞ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ۞ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ

أى نبينها لأن التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألاترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة (الذين ظلموا) أى أشركوا كقوله تعالى إنّ الشرك لظلم عظيم (بغير علم) أى اتبعوا أهواءهم جاهلين لأنّ العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه وأما الجاهل فهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شىء (من أضلّ الله) من خذله ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لالطف له فمن يقدر على هداية مثله . قوله (ومالهم من ناصرين) دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فإنّ من اهتم بالشىء عقد عليه طرفه وسدّد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أى الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولاتكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة ألاترى إلى قوله لاتبديل لخلق الله والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى وقوله عليه السلام ، كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواهما اللذان يهودانه وينصرانه ، (لاتبديل لخلق الله) أى ماينبغى أن تبدل تلك الفطرة أو تغير (فإن قلت) لم وحد الخطاب أولا ثم جمع (قلت) خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص (من الذين) بدل من المشركين (فارقوا دينهم) تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم بالتشديد أى جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايع إمامها الذى أضلها (كل حزب) منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقاً ويجوز أن يكون من الذين منقطعاً مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله ۞ وكل خليل غير هاضم نفسه ۞ الضر الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك ۞ والرحمة الخلاص من الشدة واللام فى (ليكفروا) مجاز مثلها فى ليكون لهم عدوا (فتمتعوا) نظير اعملوا ماشئتم (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا ۞ السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته ۞ وما فى (بما كانوا) مصدرية أى بكونهم بالله يشركون ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها ومعناه فهو يتكلم بالأمر الذى بسببه يشركون ويحتمل أن

(قوله من أضل الله من خذله) تأويل الإضلال بذلك مبنى على أنه تعالى لايخلق الشر وهو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه يخلق الشر كالخير فالآية على ظاهرها (قوله فاجتالتهم الشياطين) أدارتهم أفاده الصحاح

رحمةً فرحوا بها وإن تصبهم سيئةٌ بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ۝ أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ۝ فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ۝ وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ۝ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحنه وتعالى عما يشركون ۝ ظهر الفساد

يكون المعنى أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون (وإذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من مطر أوسعة أوصحة (فرحوا بها وإن تصبهم سيئة) أى بلاء من جدب أوضيق أومرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ۝ ثم أنكر عليهم بأنهم قدعلموا أنه هو الباسط القابض فمالهم يقنطون من رحمته ومالهم لايرجعون إليه تائبين من المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمته

۝ حق ذى القربى صلة الرحم ۝ وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقداحتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فى وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى رحمه الله لانفقة بالقرابة إلاعلى الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لأنه لاولاد بينهم (فإن قلت) كيف تعلق قوله (فآت ذا القربى) بماقبله حتى جيء بالفاء (قلت) لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر مايجب أن يفعل ومايجب أن يترك (يريدون وجه الله) يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أوجهته وجانبه أى يقصدون بمعروفهم إياه خالصا وحقه كقوله تعالى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى أويقصدون جهة التقرب إلى الله لاجهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة ۝ هذه الآية فى معنى قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد وماأعطيتم أكلة الربا (من ربا ليربو فى) أموالهم ليزيد ويزكو فى أموالهم فلا يزكو عند الله ولايبارك فيه (وما آتيتم من زكاة) أى صدقة تبتغون به وجهه خالصا لاتطلبون به مكافأة ولارياء وسمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الإضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت فى ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد أن يهب الرجل للرجل أويهدى له ليعوضه أكثر مما وهب أوأهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لايثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أويجر منفعة والذى ليس بحرام أن يستدعى بهبته أوبهديته أكثر منها وفى الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وماأتيتم من ربا بمعنى وماغشيتموه أورهقتموه من إعطاء ربا وقرئ لتربوا أى لتزيدوا فى أموالهم كقوله تعالى «ويربى الصدقات» أى يزيدها وقوله تعالى «فأولئك هم المضعفون» التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون والمعنى المضعفون به لأنه لابد من ضمير يرجع إلى ما. ووجه آخر وهو أن يكون تقديره فمؤتوه أولئك هم المضعفون والحذف لمافى الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذا والأول أملأ بالفائدة (الله) مبتدأ وخبره (الذى خلقكم) أى الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصة التى لايقدر على شىء منها أحد غيره ثم قال (هل من شركائكم) الذين اتخذتموهم أندادا له من الأصنام وغيرها (من يفعل) شيأ قط من تلك الأفعال حتى يصح ماذهبتم إليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز أن يكون الذى خلقكم صفة للمبتدإ والخبر هل من شركائكم وقوله (من ذلكم) هو الذى ربط الجملة بالمبتدإ لأن معناه من أفعاله ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم (الفساد فى البر والبحر) نحو الجدب والقحط وقلة الريع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق

فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ۞ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ۞ فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون ۞ من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ۞ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ۞ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات

وإخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شىء وقلة المنافع فى الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس أجدبت الأرض وانقطعت مادة البحر وقالوا إذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التى على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمى الأمصار البحار وقرئ فى البر والبحور (بما كسبت أيدى الناس) بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد فى البر بقتل ابن آدم أخاه وفى البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصباً وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصى بكسب الناس ذلك ۞ (فإن قلت) مامعنى قوله (ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) (قلت) أما على التفسير الأول فظاهر وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها فى الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأما على الثانى فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع فكأنهم إنما أفسدوا وتسببوا لفشو المعاصى فى الأرض لأجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون ۞ ثم أكد تسبب المعاصى لغضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا فى الأرض فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله (كان أكثرهم مشركين) على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن مادونه من المعاصى يكون سبباً لذلك ۞ القيم البليغ الاستقامة الذى لا يتأتى فيه عوج (من الله) إما أن يتعلق بيأتى فيكون المعنى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجىء به ولا رد له من جهته ۞ والمرد مصدر بمعنى الرد (يصدعون) يتصدعون أى يتفرقون كقوله تعالى: ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فعليه كفره) كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لأن من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة (فلأنفسهم يمهدون) أى يسوون لأنفسهم مايسويه لنفسه الذى يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه فى مضجعه ماينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء أو قضض أو بعض مايؤذى الراقد ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم فى المشفق أم فرشت فأنامت وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه (ليجزى) متعلق بيمهدون تعليل له (من فضله) مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لأن الفضل تبع للثواب فلا يكون إلا بعد حصول ماهو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لأن الفضول والفواضل هى الأعطية عند العرب وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح وقوله (إنه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (الرياح) هى الجنوب والشمال والصبا وهى رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحاً ۞ وقد عدد الأغراض فى إرسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاقة الرحمة وهى

(قوله وإخفاق الصيادين) فى الصحاح أخفق الصائد إذا رجع ولم يصطد (قوله ماينبيه عليه وينقص عليه مرقده) أى يرفعه والنتوء الارتفاع والقضض صغار الحصى أفاده الصحاح

وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۞ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ۞ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ۞ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ

نزول المطر وحصول الخصب الذى يتبعه والروح الذى مع هبوب الريح وزكاء الأرض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض وإزالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك (ولتجرى الفلك) فى البحر عند هبوبها ۞ وإنما زاد (بأمره) لأن الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلابدّ من إرساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فأغرقتها (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر ۞ ولتشكروا نعمة الله فيها (فإن قلت) بم يتعلق وليذيقكم (قلت) فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد أخلى الكلام أوّلا عن ذكرهما وقوله (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقاً ومعناه وكان الانتقام منهم حقاً ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم مامن امرئ مسلم يردّ عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يردّ عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى : وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (فيبسطه) متصلا تارة (ويجعله كسفا) أى قطعاً تارة (فترى الودق يخرج من خلاله) فى التارتين جميعاً والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى وفرعها فى السماء ۞ وبإصابة العباد إصابة بلادهم وأراضيهم (من قبله) من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى : فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها . ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك ۞ قرئ أثر وآثار على الوحدة والجمع وقرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيى أى الرحمة (إنّ ذلك) يعنى أنّ ذلك القادر الذى يحيى الأرض بعد موتها هو الذى يحيى الناس بعد موتهم (وهو على كل شىء) من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء (فرأوه) فرأوا أثر رحمة الله لأنّ رحمة الله هى الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأنّ معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمى به ما ينبت ۞ ولئن هى اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط و (لظلوا) جواب القسم سدّ مسدّ الجوابين أعنى جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلنّ ذمّهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل ريحاً فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم فى جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم

(قوله ولا تكون مؤاتية) فى الصحاح آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته والعامة تقول واتيته (قوله إبلاسهم) الإبلاس اليأس من الخير والسكوت والانكسار غما وحزنا أفاده الصحاح

إذا ولوا مدبرين ۝ وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ۝ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ۝ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ۝ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ۝ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ۝ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل

يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التى اصفرّ لها النبات يجوز أن تكون حرورا أو حرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لأنه إذا كان كذلك لم يمطر ۝ قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى فى القراءة لما روى ابن عمر رضى الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأنى من ضعف وقوله (خلقكم من ضعف) كقوله خلق الإنسان من عجل يعنى أن أساس أمركم وما عليه جبلتم وبنيتكم الضعف وخلق الإنسان ضعيفا أى ابتدأناكم فى أول الأمر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأشد ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله تعالى من ماء مهين وهذا الترديد فى الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر (الساعة) القيامة سميت بذلك لأنها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبديهة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة ۝ وأرادوا لبثهم فى الدنيا أو فى القبور أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث وفى الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم أهى أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق فى الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون فى الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة ۝ القائلون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون (فى كتاب الله) فى اللوح أو فى علم الله وقضائه أو فيما كتبه أى أوجبه بحكمته ردّوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه (فإن قلت) ما هذه الفاء وما حقيقتها (قلت) هى التى فى قوله ۝ فقد جئنا خراسانا ۝ وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أى فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك (لا ينفع) قرئ بالياء والتاء (يستعتبون) من قولك استعتبنى فلان فأعتبته أى استرضانى فأرضيته وذلك إذا كنت جانيا عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى إلى قوله:

غضبت تميم أن تقتل عامر ۝ يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضابا ثم قال فأعتبوا أى أزيل غضبهم والغضب فى معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة

(قوله يجوز أن تكون حرورا وحرجفا) فى الصحاح الحرجف الريح الباردة وفيه أيضا صوحته الريح أيبسته (قوله فقد جئنا خراسانا) هو من قوله قالوا: خراسان أقصى ما يراد بنا ۝ ثم القفول فقد جئنا خراسانا (قوله يوم النسار فأعتبوا بالصيلم) ماء لبنى عامر والصيلم الداهية والسيف كذا فى الصحاح

وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۞ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۞

سورة لقمان مكية

إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۞ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ

وطاعة ومثله قوله تعالى ولا يخرجون منها ولاهم يستعتبون (فإن قلت) كيف جعلوا غير مستعتبين فى بعض الآيات وغير معتبين فى بعضها وهو قوله وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين (قلت أمّا كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجانى غير راضين عنه فإن يستعتبوا الله أى يسألوه إزالة ما هم فيه فما هم من المجابين إلى إزالته (ولقد) وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم ومايقولون ومايقال لهم وما لاينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ۞ ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الإلطاف التى ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وإنما يمنعها من علم أنها لاتجدى عليه ولاتغنى عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أنّ الموعظة تلغو ولاتنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين إياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله فى تلك الصفة (فاصبر) على عداوتهم (إنّ وعد الله) بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله (حق) لابدّ من إنجازه والوفاء به ۞ ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لايستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبى إسحق ويعقوب ولا يستحقنك أى لايفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع فى يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية﴾

وهى أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الكتاب الحكيم) ذى الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد المجازى ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفة المشبهة بعد (هدى ورحمة) بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيهما ما فى تلك من معنى الإشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف (للمحسنين) للذين يعملون الحسنات وهى التى ذكرها من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس الألمعي الذى يظن بك الظن ۞ كأن قد رأى وقد سمعا

حكى عن الأصمعى أنه سئل عن الألمعى فأنشده ولم يزد أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال ثم خص منهم القائمين

(قوله ومعنى طبع الله منع الألطاف) أوله بذلك بناء على أنه تعالى لايخلق الشر وهو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه يخلقه كالخير فالآية على ظاهرها (قوله وهم أعرق خلق الله) فى الصحاح أعرق الرجل أى صار عريقا وهو الذى له عرق فى الكرم (قوله قول أوس الألمعى الذى يظن بك) فى الصحاح الألمعى الذكىّ المتوقد قال أوس بن حجر الألمعىّ الخ

الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُولَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

بهذه الثلاث بفضل اعتداد بها ۞ اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعنى و(لهو الحديث) نحو السمر بالأساطير والأحاديث التى لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام ومالا ينبغى من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك وقيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان يتجر إلى فارس فيشترى كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشترى المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم مامن رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب (فإن قلت) مامعنى إضافة اللهو إلى الحديث (قلت) معناه التبيين وهى الإضافة بمعنى من وأن يضاف الشىء إلى ماهو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشترى اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء فى الحديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو منه ۞ وقوله يشترى إمّا من الشراء على ماروى عن النضر من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان وأما من قوله اشتروا الكفر بالإيمان أى استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ (ليضل) بضم الياء وفتحها و (سبيل الله) دين الإسلام أو القرآن (فإن قلت) القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصدّ الناس عن الدخول فى الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح (قلت) فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمدّه فإن المخذول كان شديد الشكيمة فى عداوة الدين وصدّ الناس عنه والثانى أن يوضع ليَضل موضع ليُضل من قبل أنّ مَن أضل كان ضالا لامحالة فدل بالرديف على المردوف ۞ (فإن قلت) مامعنى قوله (بغير علم) (قلت) لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشترى بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أى وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها ۞ وقرئ (ويتخذَها) بالنصب والرفع عطفاً على يشترى أو ليضل والضمير للسبيل لأنها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا (ولى مستكبراً) زامّا لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأساً ۞ تشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن فى أذنيه وقرا) أى ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال (فإن قلت) مامحل الجملتين المصدرتين بكأن (قلت) الأولى حال من مستكبراً والثانية

(قوله وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك) يونانية ومعناه علم الغناء وبغير راء ذات الغناء كذا قيل (قوله وقيل الغناء منفدة للمال) لعله منفدة بالدال المهملة (قوله كقولك صفة خز وباب ساج) لعله محرف وأصله جبة خز ثم رأيت فى الصحاح صفة الدار والسرج واحدة الصفف اهـ فلعل صفة السرج تكون من خز (قوله مستكبراً زامّا لا يعبأ بها) فى الصحاح زم بأنفه أى تكبر فهو زامّ

وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ النَّعِيمِ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۞ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۞ وَإِذْ قَالَ

من لم يسمعها ويجوز أن تكونا استئنافين والأصل فى كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن (وَعْدَ الله حقاً) مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره لأن قوله لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعاً قوله لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذى لايغلبه شىء ولا يعجزه يقدر على الشىء وضده فيعطى النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو (الحكيم) لايشاء إلا ماتوجبه الحكمة والعدل (ترونها) الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح ترانى (فإن قلت) مامحلها من الإعراب (قلت) لامحل لها لأنها مستأنفة أو هى فى محل الجر صفة للعمد أى بغير عمد مرئية يعنى أنه عمدها بعمد لاترى وهى إمساكها بقدرته (هذا) إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته ۞ والخلق بمعنى المخلوق و (الذين من دونه) آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه فأرونى ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال ۞ هو لقمان بن باعورا ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفى إذا كفيت وقيل كان قاضياً فى بنى إسرائيل وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبياً وعن ابن عباس رضى الله عنهما لقمان لم يكن نبياً ولا ملكا ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتق ورضى قوله ووصيته فقص أمره فى القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبى كان نبياً وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطاً وعن مجاهد كان عبداً أسود غليظ الشفتين متشفق القدمين وقيل كان نجاراً وقيل كان راعياً وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه إن كنت ترانى غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق وإن كنت ترانى أسود فقلبى أبيض وروى أن رجلا وقف عليه فى مجلسه فقال ألست الذى ترعى معى فى مكان كذا قال بلى قال مابلغ بك ماأرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى وروى أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود بحق ماسميت حكيما وروى أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب مافيها إذا طابا وأخبث مافيها إذا خبثا وعن سعيد بن المسيب أنه قال لأسود لاتحزن فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان (إن) هى المفسرة لأن إيتاء الحكمة فى معنى القول وقد نبه

﴿القول فى سورة لقمان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى «وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه» الآية (ذكر فى ذلك اختلاف العلماء فى نبوته وذكر أثناء ذلك أنه خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة) قال أحمد وفى هذا بعد بين وذلك أن الحكمة داخلة فى النبوة وقطرة

(قوله غليظ الشفتين متشفق) فى الصحاح الشفق الردىء من الأشياء يقال غطاء مشفق أى مقلل اه والظاهر أنه متشقق بقافين

لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۞ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَنَ بِوَلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

الله سبحانه على أنّ الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر (غنى) غير محتاج إلى الشكر (حميد) حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد ۞ قيل كان اسم ابنه أنعم وقال الكلبي أشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فمازال بهما حتى أسلما (لظلم عظيم) لأنّ التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصوّر أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ۞ أى (حملته) تهن (وهنا على وهن) كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عوداً على بدء وهو فى موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف أى يتزايد ضعفها ويتضاعف لأنّ الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفاً وقرئ وهَناً على وَهَن بالتحريك عن أبى عمر ويقال وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله (أن اشكر) تفسير لوصينا (ماليس لك به علم) أراد بنفى العلم به نفيه أى لاتشرك بى ماليس بشىء يريد الأصنام كقوله تعالى مايدعون من دونه من شىء (معروفا) صحابا أو مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة ومايقتضيه الكرم والمروءة (واتبع سبيل من أناب إلى) يريد واتبع سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما فى الدنيا ثم إلى مرجعك ومرجعهما فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان فى صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الأبوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التى لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما فى الآخرة وروى أنها نزلت فى سعد بن أبى وقاص وأمه وفى القصة أنها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروى أنه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت إلى الكفر (فإن قلت) هذا الكلام كيف وقع فى أثناء وصية لقمان (قلت) هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيداً لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك (فإن قلت) فقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر (قلت) لما وصى بالوالدين ذكر ماتكابده الأم وتعانيه من المشاق والمتاعب فى حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة إيجابا للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً بحقها العظيم مفرداً ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول فى حدائه بنفسه

أحمل أمى وهى الحماله ۞ ترضعنى الدرّة والعلاله ۞ ولا يجازى والد فعاله

(فإن قلت) مامعنى توقيت الفصال بالعامين (قلت) المعنى فى توقيته بهذه المدة أنها الغاية التى لا تتجاوز والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد الأم إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن

من بحرها وأعلى درجات الحكماء تنحط عن أدنى درجات الأنبياء بما لا يقدر قدره وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من النبوة ۞ قوله تعالى وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما (قال معناه ماليس بشىء وعبر بنفى العلم عن نفى المعلوم) قال أحمد هو من باب قوله ۞ على لاحب لا يهتدى بمناره ۞ أى ماليس بإله فيكون لك علم بالآلهية وليس كما ذكره فى قول فرعون ماعلمت لكم من إله غيرى وقد مرّ معناه فيما تقدم ۞ قوله تعالى حملته أمه وهنا على وهن الآية (قال فيه تخصيص حق الأم وهو مطابق لبداية فذكرها فى وجوب البر فى الحديث المأثور) قال أحمد وهذا من قبيل

(قوله حتى شجروا فاها بعود) فى الصحاح شجره بالرمح أى طعنه

تعملون ۞ يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ۞ يا بنى أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ۞ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ۞

أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعى رضى الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهومذهب أبى يوسف ومحمد وأما عند أبى حنيفة رضى الله عنه فمدة الرضاع ثلاثون شهراً وعن أبى حنيفة إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعاً وإن أكل أكلا ضعيفاً لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم ۞ قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الإساءة أو الإحسان أى إن كانت مثلا فى الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت فى العالم العلوى أو السفلى (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (إن الله لطيف) يتوصل علمه إلى كل خفى (خبير) عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وإنما أنث المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال ۞ كما شرقت صدر القناة من الدم ۞ وروى أن ابن لقمان قال له أرأيت الحبة تكون فى مقل البحر أى فى مغاصه يعلمها الله فقال إن الله يعلم أصغر الأشياء فى أخفى الأمكنة لأن الحبة فى الصخرة أخفى منها فى الماء وقيل الصخرة هى التى تحت الأرض وهى السجين يكتب فيها أعمال الكفار ۞ وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن إذا استقر فى وكنته وهى مقره ليلا (واصبر على ما أصابك) يجوز أن يكون عاما فى كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصا بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أذى من يبعثهم إلى الخير وينكر عليهم الشر (إن ذلك) مما عزمه الله من الأمور أى قطعه قطع إيجاب وإلزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل أى لم يقطعه بالنية ألا ترى إلى قوله عليه السلام لمن لم يبيت الصيام ومنه إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك إلا فعلت كذا إذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة فى تركه وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أى مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدرا فى معنى الفاعل أصله من عازمات الأمور من قوله تعالى فإذا عزم الأمر كقولك جد الأمر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأموراً بها فى سائر الأمم وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشأن سابقة القدم على ما سواها موصى بها فى الأديان كلها ۞ تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون ۞ أراد (ولا تمش) تمرح (مرحا) أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز أن يريد ولا تمش لأجل المرح والأشر أى لا يكن غرضك فى المشى البطالة والأشر كما يمشى كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم دينى أو دنيوى ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ۞ والمختال مقابل للماشى مرحا وكذلك

ما يقوله الفقهاء أن اللام من عمل الولد قبل الحلم جله وهو مما يفيد تأكيد حقها والله أعلم ۞ قوله تعالى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة (قال فيه هذا من البديع الذى يسمى التتميم) قال أحمد يعنى أنه تمم خفاءها فى نفسها بخفاء مكانها من الصخرة وهو من واد قولها كأنه علم فى رأسه نار

(قوله للهنة من الاساءة) هن على وزن أخ كلمة كفاية ومعناه شىء ومؤنثه هنة والقماءة الصغر والحقارة كذا فى الصحاح

وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۞ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ

الفخور للصعر خدّه كبراً (واقصد فى مشيك) واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لاتدب دبيب المتماوتين ولاتثب وثيب الشطار قال رسول الله ﷺ سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان إذا مشى أسرع فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ وأقصد بقطع الهمزة أى سدد فى مشيك من أقصد الرامى إذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع منه (أنكر الأصوات) أوحشها من قولك شىء نكر إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل فى الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الأذنين كما يكنى عن الأشياء المستقذرة وقد عد فى مساوى الآداب أن يجرى ذكر الحمار فى مجلس قوم من أولى المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة فى الذم والتهجين وإفراط فى التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان (فإن قلت) لم وحد صوت الحمير ولم يجمع (قلت) ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (مافى السموات) الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (ومافى الأرض) البحار والأنهار والمعادن والدواب ومالا يحصى (وأسبغ) وقرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول فى سلخ صلخ وفى سقر صقر وفى سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته (فإن قلت) ماالنعمة (قلت) كل نفع قصد به الإحسان والله تعالى خالق العالم كله نعمة لأنه إما حيوان وإما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان من حيث أن إيجاده حياً نعمة عليه لأنه لولا إيجاده حياً لما صح منه الانتفاع وكل ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة (فإن قلت) لم كان خلق العالم مقصوداً به الإحسان (قلت) لأنه لايخلقه إلا لغرض وإلا كان عبثاً والعبث لايجوز عليه ولايجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع لأنه غنى غير محتاج إلى المنافع فلم يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه ۞ (فإن قلت) فما معنى الظاهرة والباطنة (قلت) الظاهرة كل مايعلم بالمشاهدة والباطنة مالا يعلم إلا بدليل أولا يعلم أصلا فكم فى بدن الإنسان من نعمة لايعلمها ولا يهتدى إلى العلم بها وقد أكثروا فى ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الإسلام والنصرة على الأعداء والباطنة الإمداد من الملائكة وعن الحسن رضى الله عنه الظاهرة الإسلام والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروى فى دعاء موسى عليه السلام إلهى دلنى على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس ويروى أن أيسر مايعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس ۞ معناه (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أى فى حال

(قوله منه الرجلة فتشبيه الرافعين) أى المشى برجله يعنى وإن أتعبه المشى وعدم الركوب وفى الصحاح الرجل بالتحريك مصدر قولك رجل بالكسر أى بقى راجلا (قوله وفى سالغ صالغ) فى الصحاح سلغت البقرة والشاة إذا أسقطت السن التى خلفت السديس والسلوغ فى ذوات الأظلاف بمنزلة البزول فى ذوات الأخفاف

وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ * وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَا خَلْقُكُمْ

دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب * قرأ على بن أبي طالب رضى الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلم أمرك إلى الله (فإن قلت) ماله عدى بإلى وقد عدى باللام فى قوله بلى من أسلم وجهه لله (قلت) معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أى خالصاً له ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه والتفويض إليه (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (وإلى الله عاقبة الأمور) أى هى صائرة إليه * قرئ يحزنك ويحزنك من حزن وأحزن والذى عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لايهمنك كفر من كفر وكيده للإسلام فإن الله عز وجل دافع كيده فى نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله (إن الله) يعلم مافى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليلا) بدنياهم (ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشىء الذى لايقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (قل الحمد لله) ألزمهم على إقرارهم بأن الذى خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لايعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لايعلمون) إن ذلك يلزمهم وإذا نبهوا عليه لم ينتبهوا (إن الله هو الغنى) عن حمد الحامدين المستحق للحمد وإن لم يحمدوه * قرئ والبحر بالنصب عطفاً على اسم إن وبالرفع عطفاً على محل إن ومعمولها على ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام فى حال كون البحر ممدوداً وفى قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الأول * وقرئ يمده ويمده بالتاء والياء (فإن قلت) كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد (قلت) أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة مداداً فهى تصب فيه مدادها أبداً صباً لاينقطع والمعنى ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى (فإن قلت) زعمت أن قوله والبحر يمده حال فى أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذى الحال (قلت) هو كقوله * وقد اغتدى والطير فى وكناتها * وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التى حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للأرض (فإن قلت) لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذى هو شجر (قلت) أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لايبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد

---

* قوله تعالى «ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ» (قال شبه إلزامهم التعذيب باضطرار المضطر إلى الشىء الذى لايقدر على الانفكاك منه) قال أحمد وتفسير هذا الاضطرار فى الحديث فى أنهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد فيرسل الله عليهم الزمهرير فيكون عليهم كشدة اللهب فيتمنون عود اللهب اضطراراً فهو إخبار عن اضطرار وبأذيال هذه البلاغة تعلق الكندى حيث يقول: يرون الموت قداما وخلفا * فيختارون والموت اضطرار

(قوله ومعمولها على ولو ثبت) لعله على معنى ولو الخ

وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي

بريث أقلاما (فإن قلت) الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله (قلت) معناه إن كلماته لا تفى بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل إن المشركين قالوا إن هذا يعنون الوحى كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل هى مكية وإنما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلوا فيما أنزل عليك إنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شىء (إن الله عزيز) لا يعجزه شىء (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شىء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه (إلا كنفس واحدة) إلا كخلقها وبعثها أى سواء فى قدرته القليل والكثير. الواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك (إن الله سميع بصير) يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر فى حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض فكذلك الخلق والبعث ۝ كل واحد من الشمس والقمر يجرى فى فلكه ويقطعه إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وعن الحسن الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين فى فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته (فإن قلت) يجرى لأجل مسمى ويجرى إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين (قلت) كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجرى إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهى إليه وقولك يجرى لأجل مسمى تريد يجرى لإدراك أجل مسمى تجعل الجرى مختصا بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جرى الشمس مختص بآخر السنة وجرى القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه (ذلك) الذى وصف من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى تدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته وأن من دونه باطل الإلهية (وأن الله هو العلى) الشأن (الكبير) السلطان أو ذلك الذى أوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن إلها غيره باطل وأن الله هو العلى الكبير عن أن يشرك به ۝ قرئ الفلك بضم اللام وكل فُعْل يجوز فيه فُعُل كما يجوز فى كل فعل فعل على مذهب التعويض ۝ وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون (بنعمة الله) بإحسانه ورحمته (صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال إن فى ذلك لآيات لكل مؤمن ۝ يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما ۝ وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (فمنهم مقتصد) متوسط فى الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد فى الإخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله فى البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم إنك لا تمد لنا شبرا من غدر إلا مددنا لك باعا من ختر قال :   وإنك لو رأيت أبا عمير ۝ ملأت يديك من غدر وختر

(قوله إلا بليد الطبع ضيق العطن) فى الصحاح أنه مبرك الإبل عند الماء لتشرب عللا بعد نهل

وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۞

(لايجزى) لا يقضى عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضى المتجازى وفى الحديث فى جذاعة بن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغنى يقال أجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزى فيه لحذف (الغرور) الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم فى المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه الغرة بالله أن يتمادى الرجل فى المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غروراً وجعل الغرور غاراً كما قيل جد جده أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور (فإن قلت) قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه (قلت) الأمر كذلك لأن الجملة الإسمية آكد من الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب فى مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلى فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم فى الآخرة وان يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جىء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد فى لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك ۞ روى أن رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخبرنى عن الساعة متى قيامها وإنى قد ألقيت حباتى فى الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر وأخبرنى عن امرأتى فقد اشتملت مافى بطنها أذكر أم أنثى وإنى علمت ماعملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدى قد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب إياكم والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله فى النار وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدة عمره فرأى فى منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار اليه بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء فى ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله وأن ماطلبت معرفته لا سبيل لك إليه (عنده علم الساعة) أيان مرساها (وينزل الغيث) فى إبانه من غير تقديم ولا تأخير وفى بلد لا يتجاوزه به (ويعلم مافى الأرحام) اذكر أم أنثى أتام ام ناقص وكذلك ماسوى ذلك من الأحوال (وماتدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وماتدرى نفس) أين تموت وربما أقامت

۞ قوله تعالى ياأيها الناس اتقوا ربكم إلى قوله شيئا (قال إن قلت لم أكد الجملة الثانية دون الأولى قلت لأن أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا على الكفر فلما كان إغناء الكافر عن المسلم بعيداً لم يحتج تأكيداً ولما كان إغناء المسلم عن الكافر قد يقع فى الأوهام أكد نفيه (قال أحمد وهذا الجواب تتوقف صحته على أن هذا الخطاب كان خاصا بالموجودين حينئذ والصحيح أنه عام لهم ولكل من ينطلق عليه اسم الناس فالجواب المعتبر والله أعلم أن الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم بوجوب شكره عز وجل وأوجب على الولد أن يكفى والده مايسوءه بحسب نهاية إمكانه قطع ههنا وهم الوالد فى أن يكون الولد فى القيامة يجزيه بحقه عليه ويكفيه مايلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه فى الدنيا ذلك فى حقه فلما كان إجزاء الولد عن الوالد مظنون الوقوع لأن الله حضه عليه فى الدنيا كان جديراً بتأكيد

(قوله وقرئ لا يجزئ لا يغنى) لعله أى لا يغنى (قوله للمؤمنين وعليتهم قبض آبائهم) أى أشرافهم وعظماؤهم وقوله قبض آبائهم لعله قبض آباؤهم على أنه فعل ونائب فاعل والجملة خبر عن عليتهم

سورة السجدة مكية

إلا من آية ١٦ إلى غاية آية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَآ أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۞ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَالَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۞ يُدَبِّرُ

بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها وأقبر فيها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروى أن ملك الموت مرّ على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى إليه تعجبا منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف إن أعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شىء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيث أى بتأنيث كل فى قولهم كلتهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿سورة السجدة مكية وهى ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وإن جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدا محذوف أو هو مبتدأ خبره (لاريب فيه) والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولاريب فيه اعتراض لا محل له والضمير فى فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لاريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله (أم يقولون افتراه) لأن قولهم هذا مفترى إنكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله (بل هو الحق من ربك) وما فيه من تقدير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أوّلا أن تنزيله من رب العالمين وأن ذلك مالا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتراه لأن أم هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكاراً لقولهم وتعجيباً منه لظهور أمره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم فى المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التى لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ماوقع احترازه منه فيردّه بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته (فإن قلت) كيف نفى أن يرتاب فى أنه من الله وقد أثبت ماهو أطم من الريب وهو قولهم افتراه (قلت) معنى لاريب فيه أن لامدخل للريب فى أنه تنزيل الله لأن نافى الريب وبميطه معه لاينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شىء من الريب وأما قولهم افتراه فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه (ما أتاهم من نذير من قبلك) كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشاً لم يبعث الله إليهم رسولا قبل محمد صلى الله

النفى لإزالة هذا الوهم ولا كذلك العكس فهذا جواب كاف شاف للعليل إن شاء الله تعالى

﴿القول فى سورة السجدة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ «قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك» (قال يعنى قريشاً لأنهم لم يبعث لهم نبى قط فإن قلت

ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۞ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۞

عليه وسلم (فإن قلت) فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة (قلت) أما قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها إلا بالرسل فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم فى كل زمان (لعلهم يهتدون) فيه وجهان أن يكون على الترجى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجى من موسى وهرون عليهما السلام وأن يستعار لفظ الترجى للإرادة (فإن قلت) مامعنى قوله (مالكم من دونه من ولىّ ولا شفيع) (قلت) هو على معنيين أحدهما أنكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً أى ناصراً ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم والثانى أن الله وليكم الذى يتولى مصالحكم وشفيعكم أى ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولىّ ولا نصير فإذا خذلكم لم يبق لكم ولىّ ولا نصير (الأمر) المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبراً (من السماء إلى الأرض) ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريده ويرتضيه إلا فى مدّة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصاعدة لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلا ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم يعرج إليه) أى يصير إليه ويثبت عنده ويكتب فى صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة مايرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضاً ليوم آخر وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحى أو رده مع جبريل وذلك فى وقت هو فى الحقيقة ألف سنة لأن المسافة مسيرة ألف سنة فى الهبوط والصعود لأن مابين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لأنه يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة ثم يعرج إليه ذلك الأمر كله أى يصير إليه ليحكم فيه (فى يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة وقرأ ابن أبى عبلة يعرج على البناء للمفعول ۞ وقرئ يعدون بالتاء والياء (أحسن كل شىء) حسنة لأنه ما من شىء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته أى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان ۞ وقرئ خلقه على البدل أى أحسن فقد خلق كل شىء وخلقه على الوصف أى كل شىء خلقه فقد أحسنه ۞ سميت الذرية نسلا لأنها تنسل منه أى تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل و (سواه) قومه كقوله تعالى فى أحسن تقويم ۞ ودلّ بإضافة

إن لم يتقدم بعث نبى إليهم فما قامت عليهم الحجة قلت قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها إلا بالرسل لا سبيل إليه وأما قيامها بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل معهم فى كل زمان) قال أحمد مذهب أهل السنة أنه لا يدرك علم شىء من أحكام الله تعالى التكليفية إلا بالشرع وما ذكره الزمخشرى تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل وقد مجها السمع فلم يبح بها القلم فأعرض

(قوله أى أحسن فقد خلق كل شىء) لعل لفظ فقد مزيد من قلم الناسخ وعبارة النسفى على البدل أى أحسن خلق كل شىء ويمكن أنه ليس مزيداً بل هذا حاصل المعنى على البدل كما أن عكسه الآتى هو حاصل المعنى على الوصف (قوله وتخرج من صلبه ونحوه) لعل قبله سقطا تقديره كما سميت النطفة سلالة لأنها تسل منه، وفى الصحاح النجل النسل ونجله أبوه أى ولده

وقالوا أءذا ضللنا فى الأرض أءنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كفرون ۞ قل يتوفكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ۞ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صلحا إنا موقنون ۞ ولو شئنا لآتينا كل نفس هدىها ولكن حق القول منى لأملأن

الروح إلى ذاته على أنه خلق عجيب لايعلم كنهه إلاهو كقوله ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشىء الذى اختص هو به وبمعرفته (وقالوا) قيل القائل أبى بن خلف ولرضاهم بقوله أسند اليهم جميعاً ۞ وقرئ أئنا وأنا على الاستفهام وتركه (ضللنا) صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميز منه كما يضل الماء فى اللبن أوغبنا (فى الأرض) بالدفن فيها من قوله ۞ وآب مضلوه بعين جلية ۞ وقرأ على وابن عباس رضى الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن رضى الله عنه صللنا من صل اللحم وأصل إذا أنتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهى الأرض (فإن قلت) بم انتصب الظرف فى أئذا أضللنا (قلت) بما يدل عليه إنا لفى خلق جديد وهو نبعث أو يجدد خلقنا ۞ لقاء ربهم هو الوصول إلى العاقبة من تلقى ملك الموت وماوراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء أضرب عنه إلى ماهو أبلغ فى الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون فى العاقبة لابالانشاء وحده ألاترى كيف خوطبوا بتوفى ملك الموت وبالرجوع إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ماذكرنا ۞ والتوفى استيفاء النفس وهى الروح قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس وقال أخرجوا أنفسكم وهو أن يقبض كلها لايترك منها شىء من قولك توفيت حقى من فلان واستوفيته إذا أخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان فى مواضع منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد رضى الله عنه حويت لملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها (ولوترى) يجوز أن يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان أن يراد به التمنى كأنه قال وليتك ترى كقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجى له فى لعلهم يهتدون لأنه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمنى أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزى والغم ليشمت بهم وأن تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمراً فظيعاً أو لرأيت أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما يقول فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت اليه أساء اليك فلاتريد به مخاطبا بعينه فكأنك قلت إن أكرم وإن أحسن إليه ولو وإذ كلاهما للمضى وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به فى تحققه ولايقدر لترى مايتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية وإذا ظرف له ۞ يستغيثون بقولهم (ربنا أبصرنا وسمعنا) فلا يغاثون يعنى أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أوكنا عميا وصما فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) هى الرجعة إلى الدنيا (لآتينا كل نفس هداها) على طريق الالجاء والقسر ولكننا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء ألاترى

عنه حتى يخوض فى حديث غيره وإنما قامت الحجة على العرب بمن تقدم من الرسل إليهم كأبيهم إسماعيل وغيره والمراد بقوله تعالى ما أتاهم من نذير يعنى ذرية العرب فى زمانه عليه الصلاة والسلام إذ لم يبعث إليهم نذير معاصر فلطف الله تعالى بهم وبعث فيهم رسولا منهم

(قوله ولكننا بنينا الأمر على الاختيار) لما أوجب المعتزلة على الله الصلاح قالوا إنه قد شاء الهدى للكل ولكن مشيئة تخيير لامشيئة إجبار فلذا لم يهتد الكل بل البعض ولو شاء مشيئة قسر لاهتدى الكل وأهل السنة لم يوجبوا على الله شيئا وقالوا كل ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن خيراً كان أو شراً واستلزام الإرادة لوقوع المراد لايستلزم القسر والإجبار للعباد لما لهم من الكسب فى أفعالهم وإن كانت فى الحقيقة مخلوقة لله تعالى كما تقرر فى علم التوحيد

جهنم من الجنة والناس أجمعين ۞ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ۞ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ۞ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ۞ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ۞ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ۞ أما الذين آمنوا

إلى ماعقبه به من قوله (فذوقوا بما نسيتم) فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعنى أن الانهماك فى الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال (إنا نسيناكم) على المقابلة أى جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أى تركتم الفكر فى العاقبة فتركناكم من الرحمة وفى استئناف قوله إنا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أى ما أنتم فيه من نكس الرؤس والخزى والغم بسبب نسيان اللقاء ۞ وذوقوا العذاب المخلد فى جهنم بسبب ماعملتم من المعاصى والكبائر الموبقة (إذا ذكروا بها) أى وعظوا سجدوا وتواضعا لله وخشوعا وشكرا على مارزقهم من الاسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله من نسبة القبائح إليه وأثنوا عليه حامدين له (وهم لا يستكبرون) كما يفعل من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله تعالى إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا (تتجافى) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله ﷺ فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن رضى الله عنه أنه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك رضى الله عنه كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ما أخفى لهم) على البناء للمفعول ما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما أخفى لهم وما نخفى لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذى أو بمعنى أى ۞ وقرئ من قرة أعين وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبى مرسل أى نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال (جزاء بما كانوا يعملون) فحسم أطماع المتمنين وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين

۞ (قوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون قال معناه بما كنتم تعملون من الكفر والكبائر الموبقة) قال أحمد قد تمهد عن مذاهب أهل السنة أن المقتضى لاستحقاق الخلود فى العذاب هو الكفر خاصة وأما مادونه من الكبائر فلا يوجب خلودا والمسئلة سمعية وأدلتها من الكتاب والسنة قطعية خلافا للقدرية ۞ قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (قال هذا حسم لأطماع المتمنين) قال أحمد يشير إلى أهل السنة لاعتقادهم أن المؤمن العاصى موعود بالجنة ولا بد من دخوله إياها وفاء بالوعد الصادق وأن أحدا لا يستحق على الله بعمله شيأ فلما وجد قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون اغتنم الفرصة فى الاستشهاد على معتقد القدرية فى أن الأعمال أسباب موجبة للجزاء ولا دليل فى ذلك لمعتقدهم مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن

(قوله والكبائر الموبقة) أى المهلكة (قوله وما بمعنى الذى أو بمعنى أى وقرئ) لعله أى شىء

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا

مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشربله ما أطلعتهم عليه اقرؤا إن شئتم فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم مالاعين رأت ولاأذن سمعت (كان مؤمنا) و(كان فاسقا) محمولان على لفظ من و(لايستون) محمول على المعنى بدليل قوله تعالى (أماالذين آمنوا ۞ وأماالذين فسقوا) ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك حتى إذاخرجوا من عندك و(جنات المأوى) نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال تأوى إليها أرواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد (نزلا) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (فمأواهم النار) أى ملجؤهم ومنزلهم ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أى النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم (العذاب الأدنى) عذاب الدنيا من القتل والأسر ومامحنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد رضى الله عنهما عذاب القبر و(العذاب الأكبر) عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة (لعلهم يرجعون) أى يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وسميت إرادة الرجوع رجوعا كما سميت إرادة القيام قياما فى قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول (فإن قلت) من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيأ كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر (قلت) إرادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فإذا أراد شيأ من

يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة فهذا الحديث يوجب حمل الآية على وجه يجمع بينها وبينه وذلك إما أن تحمل الآية على أن المراد منها قسمة المنازل بينهم فى الجنة فإنه على حسب الأعمال وليس بذاك فإن المذكور فى الآية مجرد دخول الجنة لااقتسام درجاتها وإما أن تحمل وهو الظاهر والله أعلم على أن الله تعالى لما وعد المؤمن جنته ووعده يجب أن يكون حقا وصدقا تعالى وتقدس صارت الأعمال بالوعد كأنها أسباب موجبات فعوملت فى هذه العبارة معاملتها والمقصود من ذلك تأكيد صدق الوعد فى النفوس وتصوره بصورة المستحق بالعمل كالأجرة المستحقة شاهداً على العمل من باب مجاز التشبيه والله أعلم وذكر الزمخشرى الحديث المشهور وهو أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر اقرؤا إن شئتم فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وكان جدى رحمه الله يستحسن أن تقرأ الآية تلو الحديث المذكور بسكون الياء من أخفى ورده إلى المتكلم وهى من القراآت المستفيضة والسبب فى اختيار ذلك مطابقة صدر الحديث وهو أعددت لعبادى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ليكون الكل راجعا إلى الله تعالى مسندا إلى ضمير اسمه عزّ وجل صريحا والله الموفق ۞ قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون (قال) معناه لعلهم يتوبون فإن قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيأ كان وتوبتهم مما لايكون لأنهم لو تابوا لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر قلت إرادة الله تعالى تتعلق بأفعاله وأفعال عباده

(قوله ولا خطر على قلب بشر بله ما) فى الصحاح بله كلمة مبنية على الفتح مثل كيف ومعناها دع كما أجازه الأخفش فى قول كعب بن مالك تذر الجماجم ضاحيا هاماتها ۞ بله الأكف كأنها لم تخلق ويقال معناها سوى وفى الحديث أعددت لعبادى الخ (قوله وما محنوا به من السنة) أى المجدبة أو المراد بها الجدب كما يؤخذ من الصحاح

إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ

أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعى وأما أفعال عباده فإما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون إليها بقسره وإلجائه فإن أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك فى اقتداره كما لا يقدح فى اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لأنّ اختياره لا يتعلق بقدرتك وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروى فى نزولها أنه شجر بين على بن أبى طالب رضى الله عنه والوليد ابن عقبة بن أبى معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبى أنا أشبّ منك شبابا وأجلد منك جلداً وأذرب منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشواً فى الكتيبة فقال له على رضى الله عنه اسكت فإنك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولهما وكل من كان فى مثل حالهما وعن الحسن بن على رضى الله عنهما . أنه قال للوليد كيف تشتم علياً وقد سماه الله مؤمناً فى عشر آيات وسماك فاسقاً ۞ ثم فى قوله (ثم أعرض عنها) للاستبعاد والمعنى أنّ الإعراض عن مثل آيات الله فى وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد فى العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعاداً لتركه الانتهاز ومنه ثم فى بيت الحماسة لا يكشف الغماء إلا ابن حرّة ۞ يرى غمرات الموت ثم يزورها

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدّتها ۞ (فإن قلت) هلا قيل إنا منه منتقمون (قلت) لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دلّ على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة (الكتاب) للجنس والضمير فى (لقائه) له ومعناه إنا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل مالقيناك من الوحى فلا تكن فى شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » ونحو قوله من لقائه قوله « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » وقوله « ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » ۞ وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (هدى) لقومه (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس ويدعونهم إلى مافى التوراة من دين

فإذا أراد شيئاً من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعى وأما أفعال عباده فإما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون إليها بقسره فإن أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك فى اقتداره كما لا يقدح فى اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك الطاعة لك وهو لا يختارها لأنّ اختيارها لا يتعلق بقدرتك فلا يكون فقده عجزاً منك (قال أحمد) هذا الفصل ردىء جداً مفرّع على الإشراك الجلى لا على الإشراك الخفىّ فاعتصم بدليل الوحدانية على ردّه واجتنابه من أصله والله المستعان وإنما جرّه فى تفسير لعلّ إلى الإرادة والحق فى تفسيرها أنها لترجى المخاطبين امتناع الترجى على الله تعالى كذا فسرها سيبويه فيما تقدّم والله أعلم ۞ قوله تعالى « وأما الذين فسقوا فمأواهم النار » (قال سبب نزولها أنه شجر بين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه والوليد ابن عقبة يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبى أنا أشبّ منك شبابا وأجلد جلداً وأذرب لسانا وأحدّ منك سنانا وأشجع جنانا وأملأ حشواً فى الكتيبة فقال له على اسكت فإنك فاسق قال الزمخشرى فنزلت عامة للمؤمنين والكافرين تناولهما معاً) قال أحمد ذكر للسبب المحقق لأنّ المراد بالفاسق وبالذين فسقوا الذين كفروا لأنها نزلت فى

(قوله ومنها لم يقدح ذلك فى اقتداره) أى عدم وقوعها وعدم اختيارهم إياها فهذا على مذهب المعتزلة من أنه قد يريد الشىء ولا يكون ومذهب أهل السنة أنّ كل ماأراده الله كان

يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون * أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مسكنهم إن فى ذلك لأيت أفلا يسمعون * أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعمهم وأنفسهم أفلا يبصرون * ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صدقين * قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمنهم ولا هم ينظرون * فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون *

الله وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل إليك هدى ونوراً ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى عليه السلام ليلة الإسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى عليه السلام الكتاب أى من تلقيه له بالرضا والقبول * وقرئ لما صبروا ولما صبروا أى لصبرهم وعن الحسن رضى الله عنه صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله التوراة هدى لبنى إسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد إسمعيل عليه السلام (يفصل بينهم) يقضى فيميز المحق فى دينه من المبطل * الواو فى (أولم يهد) للعطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف والضمير فى (لهم) لأهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل مادل عليه (كم أهلكنا) لأن كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءنى كم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون و(القرون) عاد وثمود وقوم لوط (يمشون فى مساكنهم) يعنى أهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد (الجرز) الأرض التى جرز نباتها أى قطع إما لعدم الماء وإما لأنه رعى وأزيل ولا يقال للتى لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله (فنخرج به زرعا) وعن ابن عباس رضى الله عنه إنها أرض اليمن وعن مجاهد رضى الله عنه هى أبين * به بالماء (تأكل) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه وقرئ يأكل بالياء * الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون قالوا (متى هذا الفتح) أى فى أى وقت يكون (إن كنتم صادقين) فى أنه كائن و(يوم الفتح) يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رضى الله عنهما يوم فتح مكة (فإن قلت) قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم (قلت) كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكأنى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتم فى إدراك العذاب فلم تنظروا (فإن قلت) فمن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر (قلت) المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق (وانتظر) النصرة عليهم وهلاكهم (إنهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم كقوله تعالى * فتربصوا إنا معكم متربصون * وقرأ ابن السميفع رحمه الله منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعنى أنهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فإن الملائكة فى السماء ينتظرونه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

الوليد وهو كافر حينئذ ثم أدرج فيه المؤمن تعصباً لمذهبه فى وجوب خلود فساق المؤمنين كفساق الكافرين فلم يزل يورد هذه العقائد الفواسد ولقد اتسع الخرق على الراقع

(قوله وهى أبين به بالماء) فى الصحاح أبين اسم رجل نسب إليه عدن فيقال عدن أبين اه فتدبر

سورة الأحزاب مدنية

وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا ۝ مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ

﴿سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ عن زر قال قال لى أبىّ بن كعب رضى الله عنه كم تعدّون سورة الأحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذى يحلف به أبىّ بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبىّ رضى الله عنه أن ذلك من جملة مانسخ من القرآن وأما مايحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض ۝ جعل نداءه بالنبىّ والرسول فى قوله (ياأيها النبىّ اتق الله) ياأيها النبى لم تحرم ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم ياموسى ياعيسى ياداود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله (فإن قلت) إن لم يوقع اسمه فى النداء فقد أوقعه فى الإخبار فى قوله محمد رسول الله وما محمد إلا رسول (قلت) ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والإخبار ألا ترى إلى مالم يقصد به التعليم والتلقين من الأخبار كيف ذكره بنحو ماذكره فى النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يارب . لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة . والله ورسوله أحق أن يرضوه . النبىّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم . إن الله وملائكته يصلون على النبىّ . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبىّ ۝ اتق الله واظب على ماأنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لأن التقوى باب لايبلغ آخره (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لاتساعدهم على شىء ولاتقبل لهم رأيا ولامشورة وجانبهم واحترس منهم فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لايريدون إلا المضارّة والمضادة وروى أنّ النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان يحب إسلام اليهود قريظة والنضير وبنى قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروى أن أباسفيان ابن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم عبدالله بن أبىّ ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد ونبذ الموادعة ولاتطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك وروى أنّ أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلت (إنّ الله كان عليما) بالصواب من الخطإ والمصلحة من المفسدة (حكيما) لايفعل شيئا ولايأمر به إلا بداعى الحكمة (واتبع مايوحى اليك) فى ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك (إنّ الله) الذى يوحى اليك خبير (بما تعملون) فموح اليك مايصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أى بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) وأسند أمرك اليه وكله إلى تدبيره (وكيلا) حافظا موكولا اليه كل أمر ۝ ماجمع الله قلبين فى جوف ولازوجية وأمومة فى امرأة ولابنوة ودعوة فى رجل والمعنى أن الله سبحانه كما لم ير فى حكمته أن يجعل للإنسان قلبين لأنه لايخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل مايفعل بالآخر من أفعال القلوب

فأحدهما فضلة غير محتاج اليها وإما أن يفعل بهذا غير مايفعل بذاك فذلك يؤدى إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا فى حالةواحدة لم ير أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل زوجا له لأن الأم مخدومةمخفوض لها جناح الذل والزوجةمستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لأن البنوة أصالة فى النسب وعراقة فيه والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لاغير ولا يجتمع فى الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيراً وكانت العرب فى جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ماكان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن أسد الفهرى وكان يقول إن لى قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروى أنه انهزم يوم بدر فمر بأبى سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى فى رجله فقال له مافعل الناس فقال هم مابين مقتول وهارب فقال له مابال إحدى نعليك فى رجلك والأخرى فى يدك فقال ماظننت إلا أنهما فى رجلى فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا فى الظهار والتبنى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم الله وقيل سها فى صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت فى أن الواحد يقول نفس تأمرنى ونفس تنهانى * والتنكير فى رجل وإدخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قال ماجعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة فى جوفه * (فإن قلت) أى فائدة فى ذكر الجوف (قلت) الفائدة فيه كالفائدة فى قوله القلوب التى فى الصدور وذلك مايحصل للسامع من زيادة التصور والتجلى للمدلول عليه لأنه إذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان أسرع إلى الإنكار وقرئ اللائى بياء وهمزة مكسورتين واللاءى بياء ساكنة بعد الهمزة * وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من أظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت على كظهر أمى ونحوه فى العبارة عن اللفظ لبى المحرم إذا قال لبيك وأفف الرجل إذا قال أف وأخوات لهن (فإن قلت) فما وجه تعديته وأخواته بمن (قلت) كان الظهار طلاقا عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقه فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها

﴿القول فى سورة الأحزاب﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه (قال) أسد ماذكر فيه من التأويلات أنهم كانوا يدعون لابن خطل قلبين فنفى الله صحة ذلك وقرنه بما كانوا يقولونه من الأقاويل المتناقضة كجعل الأدعياء أبناء والزوجات أمهات قال وهذه الأمور الثلاثة متنافية أما الأول فلأنه يلزم من اجتماع القلبين قيام أحد المعنيين بأحدهما وضده فى الآخر وذلك كالعلم والجهل والأمن والخوف وغير ذلك وأما الثانى فلأن الزوجة فى مقام الامتهان والأم فى محل الإكرام فنافى أن تكون الزوجة أما وأما الثالث فلأن النبوة أصالة وعرافة والدعوة لاصقة عارضة فهما متنافيان وذكر الجوف ليصور به صورة اجتماع القلبين فيه حتى يبارده السامع بالإنكار

(قوله وقرئ اللائى بياء وهمزة مكسورتين) لعل مراده قراءتان إحداهما بياء مكسورة والأخرى بهمزة مكسورة لكن الياء ليست ياء صرفة بل هى همزة مسهلة ينطق بها بين الهمزة والياء . والحاصل أنه قرئ اللائى بياء ساكنة بعد الهمز وقرئ اللاء بهمزة مكسورة من غير ياء وقرئ اللائى بشبه الياء مكسورة وهى الهمزة التى ينطق بها بين بين وقرئ اللاى بياء ساكنة بعد الألف من غير همز فهذه أربع قراآت فى لفظ اللائى أينما كان فى القرآن كما فى شرح الشاطبية

ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۞ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ

حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدى بمن وإلا فآلى فى أصله الذى هو بمعنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه (فإن قلت) مامعنى قولهم أنت على كظهر أمى (قلت) أرادوا أن يقولوا أنت على حرام كبطن أمى فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى ذكره يقارب ذكر الفرج وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لأنه عمود البطن ومنه حديث عمر رضى الله عنه يجىء به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره ووجه آخر وهو أن إتيان المرأة وظهرها إلى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون إذا أتيت المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول فلقصد المطلق منهم إلى التغليظ فى تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم يترك ۞ (فان قلت) الدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولداً فما له جمع على أفعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقى وأتقياء وشقى وأشقياء ولا يكون ذلك فى نحو رمى وسمى (قلت) إن شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء وأسراء والطريق فى مثل ذلك التشبيه اللفظى (ذلكم) النسب هو (قولكم بأفواهكم) هذا ابنى لاغير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقاً ۞ والله عز وجل لايقول إلا ماهو حق ظاهره وباطنه ولايهدى إلا سبيل الحق ۞ ثم قال ماهو الحق وهدى إلى ماهو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لآبائهم) وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين فى القسط والعدل وفى فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة مالايغبى على عالم بطرق النظم ۞ وقرأ قتادة وهو الذى يهدى السبيل وقيل كان الرجل فى الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان ابن فلان (فإن لم تعلموا) لهم آباء تنسبونهم إليهم (فهم إخوانكم فى الدين) وأولياؤكم فى الدين فقولوا هذا أخى وهذا مولاى ويا أخى ويامولاى يريد الأخوة فى الدين والولاية فيه (ماتعمدت) فى محل الجر عطفاً على ما أخطأتم ويجوز أن يكون مرتفعاً على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ماتعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لاإثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهى ولكن الإثم فيما تعمدتموه بعد النهى أو لاإثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يابنى على سبيل الخطإ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين ويجوز أن يراد العفو عن الخطإ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه الصلاة والسلام ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد وقوله عليه الصلاة والسلام وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبنى وعمده (فإن قلت) فإذا وجد التبنى فما حكمه (قلت) إذا كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سناً من المتبنى ثبت نسبه منه وإن كان عبداً له عتق مع ثبوت النسب وإن كان لايولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى وعند صاحبيه لايعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبنى وإن كان عبداً عتق (وكان الله غفوراً رحيما) لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العامد (النبى أولى بالمؤمنين) فى كل شىء من أمور الدين والدنيا (من أنفسهم) ولهذا أطلق ولم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب

(قوله وظهر منها وحسن منها) أى خلا منها أفاده الصحاح (قوله حتى جعله ظهر أمه فلم يترك) لعل هنا سقطا فليحرر ويمكن أن المعنى فلم يترك ذكر الأم (قوله وفى فصل هذه الجمل ووصلها) أى فصل ما فصل منها ووصل ما وصل
(قوله وعن العمد إذا تاب العامد) هذا عند المعتزلة وقد يغفر بمجرد الفضل عند أهل السنة

فى كتاب الله من المؤمنين والمهجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا ٭
وإذ أخذنا من النبيين ميثقهم ومنك ومن نوح وإبرهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثقا غليظا ٭

ووقاه إذا لقحت حرب وأن لايتبعوا ماتدعوهم إليه نفوسهم ولا ماتصرفهم عنه ويتبعوا كل مادعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لأن كل مادعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمى بهم إلى الشقاوة وعذاب النار أو هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبى صلى الله عليه وسلم مامن مؤمن إلا أنا أولى به فى الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وإن ترك دينا أو ضياعا فإلىّ وفى قراءة ابن مسعود النبىّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبى فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنين إخوة لأنّ النبى صلى الله عليه وسلم أبوهم فى الدين (وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهنّ بالأمهات فى بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهنّ واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى « ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا » وهنّ فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لسنا أمهات النساء تعنى أنهنّ إنما كنّ أمهات الرجال لكونهنّ محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أنّ هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهنّ وكذلك لم يثبت لهنّ سائر أحكام الأمهات كان المسلمون فى صدر الإسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهامهم فى الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام وعزّ أهله وجعل التوارث بحق القرابة (فى كتاب الله) فى اللوح أو فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية أو فى آية المواريث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لأولى الأرحام أى الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أى أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة ٭ (فإن قلت) مم استثنى (أن تفعلوا) (قلت) من أعم العام فى معنى النفع والإحسان كما تقول القريب أولى من الأجنبى إلا فى الوصية تريد أنه أحق منه فى كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا فى الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لأنه لاوصية لوارث وعدى تفعلوا بإلى لأنه فى معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين (ذلك) إشارة إلى ماذكر فى الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ماهر آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام ٭ (و)اذكر حين (أخذنا من النبين) جميعا (ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم (ومنك) خصوصا (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى) وإنما فعلنا ذلك (ليسأل) الله

٭ قوله تعالى وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية (قال فيه قدم النبى صلى الله عليه وسلم على نوح لأنهم ذكروا تخصيصا بعد التعميم تفضيلا لهم فقدم أفضل المخصوصين) قال أحمد وليس التقديم فى الذكر بمقتض لذلك ألا ترى إلى قوله بهاليل منهم جعفر وابن أمه ٭ على ومنهم أحمد المتخير فأخر ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ليختم به تشريفا له وإذا ثبت أن التفضيل ليس من لوازم التقديم فيظهر والله أعلم فى سر تقديمه عليه الصلاة والسلام على نوح ومن بعده فى الذكر أنه هو المخاطب من بينهم والمنزل عليه هذا المتلو فكان تقديمه لذلك ثم لما قدم ذكره عليه الصلاة والسلام جرى ذكر الأنبياء صلوات الله عليهم بعده على ترتيب أزمنة وجودهم والله أعلم

(قوله فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا) فى الصحاح حجزة الإزار معقده وحجزة السراويل التى فيها التكة (قوله ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام) فى الصحاح دجا الإسلام أى قوى وألبس كل شىء (قوله لأنه فى معنى تسدوا وتزلوا) فى الصحاح أزللت إليه نعمة أى أسديتها وفى الحديث من أزلت إليه نعمة فليشكرها اه

لِيَسْئَلَ الصَّـدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَـفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ

يوم القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (عن صدقهم) عهدهم وشهادتهم فيشهدلهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا فى قوله أو ليسأل الأنبياء ما الذى أجابتهم به أممهم وتأويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله (فإن قلت) لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده (قلت) هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (فإن قلت) فقد قدم عليه نوح عليه السلام فى الآية التى هى أخت هذه الآية وهى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ثم قدم على غيره (قلت) مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أن الله تعالى إنما أوردها لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الأصيل الذى بعث عليه نوح فى العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء فى العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير (فإن قلت) فماذا أراد بالميثاق الغليظ (قلت) أراد به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الأجرام والمراد عظم الميثاق وجلاله شأنه فى بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا (فإن قلت) علام عطف قوله (وأعد للكافرين) (قلت) على أخذنا من النبيين لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على مادل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (اذكروا) ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق (إذ جاءتكم جنود) وهم الأحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لانقدر أن نذهب إلى الغائط وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الأحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة ابن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لاحرب بينهم إلا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (تعملون) قرئ بالتاء والياء (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة

(قوله هم مشاهيرهم وذراريهم) لعله دراريهم بالدال المهملة والدرارى الكواكب العظام كما أفاده الصحاح (قوله فى ليلة شاتية فأخصرتهم) فى الصحاح الخصر بالتحريك البرد وقد خصر الرجل إذا آلمه البرد فى أطرافه اه فأخصرتهم أوقعتهم فى الخصر أى البرد (قوله فرفعوا فى الآطام) أى الحصون وهو جمع أطم كعنق

الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۞ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۞ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۞ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۞ قُلْ لَنْ

حتى نستاصل محمداً (زاغت الأبصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصاً وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوّها لشدّة الروع ۞ الحنجرة رأس الغلصمة وهى منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدّة الفزع أو الغضب أو الغمّ الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز أن يكون ذلك مثلا فى اضطراب القلوب ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا بألسنتهم فظنّ الأوّلون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأمّا الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظنّ المنافقون أنّ المسلمين يستأصلون وظنّ المؤمنون أنهم يبتلون وقرئ الظنون بغير ألف فى الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة ألف فى الوقف زادوها فى الفاصلة كما زادها فى القافية من قال ۞ أقلى اللوم عاذل والعتابا ۞ وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها فى الوصل أيضاً إجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهنّ كلهنّ فى الإمام بألف ۞ وعن أبى عمرو إشمام زاى زلزلوا ۞ وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أنّ الخوف أزعجهم أشدّ الإزعاج (إلا غروراً) قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لايقدر أن يتبرّز فرقا ماهذا إلاوعد غرور (طائفة منهم) هم أوس بن قيظى ومن وافقه على رأيه وعن السدى عبدالله بن أبىّ وأصحابه ۞ ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة فى ناحية منها (لامقام لكم) قرئ بضم الميم وفتحها أى لاقرار لكم ههنا ولامكان تقيمون فيه أوتقومون (فارجعوا) إلى المدينة أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفاراً وأسلموا محمداً وإلا فليست يثرب لكم بمكان ۞ قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عوراً إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدوّ والسارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا أنّ بيوتهم معرّضة للعدوّ ممكنة للسراق لأنها غير محرّزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لايخافون ذلك وإنما يريدون الفرار (ولو دخلت عليهم) المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التى يفرّون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها والثالث على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة (الفتنة) أى الردّة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين لأتوها لجاؤها وفعلوها ۞ وقرئ لآتوها لأعطوها (وماتلبثوا بها) وما ألبثوا إعطاءها (إلا يسيراً) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيراً فإنّ الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون بإعوار بيوتهم ويتمحلوا ليفرّوا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملؤهم هولا ورعباً وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وماتعللوا بشىء وماذاك إلا لمقتهم الإسلام وشدّة بغضهم لأهله

(قوله أن يتبرّز فرقا) أى خوفا (قوله والثالث على أهاليهم وأولادهم) فى الصحاح انثال عليه الناس من كل وجه أى انصبوا (قوله كما هم لو كبسوا عليهم) فى الصحاح كبسوا دار فلان أغاروا عليها فجأة

يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۞ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ

وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه . عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن إسحق عاهدوا يوم أحد أن لا يفروا بعدما نزل فيهم ما نزل (مسؤلا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به (لا ينفعكم الفرار) مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل ۞ وإن نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا زمانا قليلا وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (فإن قلت) كيف جعلت الرحمة قرينة السوء فى العصمة ولا عصمة إلا من السوء (قلت) معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله متقلداً سيفا ورمحاً أو حمل الثانى على الأول لما فى العصمة من معنى المنع (المعوقين) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون ۞ كانوا يقولون (لإخوانهم) من ساكنى المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم ۞ و (هلم إلينا) أى قربوا أنفسكم إلينا وهى لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمى به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم (إلا قليلا) إلا إتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلا (أشحة عليكم) فى وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف (ينظرون إليك) فى تلك الحالة كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوراً ولواذاً بك فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم إلى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الأولى واجترؤا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب (أشحة) على الحال أو على الذم وقرئ أشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد (فإن قلت) هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط (قلت) لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان وإن لم يواطئه القلب وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدى عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثوراً (فإن قلت) ما معنى قوله (وكان ذلك على الله يسيراً) وكل شىء عليه يسير (قلت) معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط تدعو إليه الدواعى ولا يصرف عنه صارف (يحسبون) أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط (وإن يأت الأحزاب) كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب

(قوله ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس) أى قليلون يشبعهم رأس واحد وهو جمع آكل والالتهام الابتلاع كذا فى الصحاح (قوله مما منوا به هذه الكرة) أى ابتلوا به (قوله لم يقاتلوا إلا تعلة رياء) فى الصحاح علله بالشىء أى لهاه به كما يعلل الصبى بشىء من الطعام يتجزأ به عن اللبن يقال فلان يعلل نفسه بتعلة

يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقتلوا إلا قليلا ۞ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ۞ ولما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمنا وتسليما ۞ من المؤمنين رجال صدقوا ماعهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ۞ ليجزى الله الصدقين

(يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا إلا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفى رواية صاحب الإقليد بدىّ بوزن عدىّ ويساءلون أى يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه ۞ كان عليكم أن تواسوا رسول الله ﷺ بأنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه فى الصبر على الجهاد والثبات فى مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه (فإن قلت) فما حقيقة قوله (لقد كان لكم فى رسول الله إسوة حسنة) وقرئ أسوة بالضم (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه فى نفسه أسوة حسنة أى قدوة وهو المؤتسى أى المقتدى به كما تقول فى البيضة عشرون منا حديدا أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد والثانى أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها أو تتبع وهى المواساة بنفسه (لمن كان يرجوا الله) بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ۞ يرجوا الله واليوم الآخر كقولك رجوت زيدا وفضله أى فضل زيد أو يرجوا أيام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الأمل أو الخوف (وذكر الله كثيرا) وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الأعمال الصالحة والمؤتسى برسول الله ﷺ من كان كذلك ۞ وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه فى قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الأحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله) وأيقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه إن الأحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أى فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك ۞ وهذا إشارة إلى الخطب أو البلاء (إيمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضاياه وأقداره ۞ نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضى الله عنهم (فمنهم من قضى نحبه) يعنى حمزة ومصعبا (ومنهم من ينتظر) يعنى عثمان وطلحة وفى الحديث من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة (فإن قلت) ماقضاء النحب. (قلت) وقع عبارة عن الموت لأن كل حى لابد له من أن يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أى نذره وقوله «فمنهم من قضى نحبه» يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) فما حقيقة قوله : صدقوا ماعاهدوا الله عليه (قلت) يقال صدقنى أخوك وكذبنى إذا قال لك الصدق والكذب وأما المثل صدقنى سن بكره فمعناه صدقنى فى سن بكره بطرح الجار وإيصال الفعل فلا يخلو ماعاهدوا الله عليه إما أن يكون بمنزلة السن فى طرح الجار وإما أن يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفى بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا (ومابدلوا) العهد ولاغيروه لاالمستشهد ولامن ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب جعل

(قوله فى مرحى الحرب) أى مكان إدارة رحاها أفاده الصحاح
(قوله وقرئ أسوة بالضم) يفيد أن قراءة الكسر هى المشهورة

بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۞ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۞ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ

المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا فى طلبهما والسعى لتحصيلهما ۞ ويعذبهم (إن شاء) إذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) إذا تابوا (ورد الله الذين كفروا) الأحزاب (بغيظهم) مغيظين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب ويجوز أن تكون الثانية بيانا للأولى أو استئنافا (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وأنزل الذين) ظاهروا الأحزاب من أهل الكتاب (من صياصيهم) من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبى صيصية ولشوكة الديك وهى مخلبه التى فى ساقه لأنه يتحصن بها . روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ماهذا ياجبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يارسول الله إن الملائكة لم تضع السلاح إن الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة وأنا عامد اليهم فإن الله داقهم دق البيض على الصفا وإنهم لكم طعمة فأذن فى الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلى العصر إلا فى بنى قريظة فما صلى كثير من الناس العصر إلا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق فى سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير ۞ وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين ۞ وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقالت الأنصار فى ذلك فقال إنكم فى منازلكم وقال عمر رضى الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا إنما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله (وأرضا لم تطؤها) عن الحسن رضى الله عنه فارس والروم وعن قتادة رضى الله عنه كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل رضى الله عنه هى خيبر وعن عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم ۞ أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاير ن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضى الله عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج روى أنه قال لعائشة إنى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفى هذا أستأمر أبوى فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وروى أنها قالت لاتخبر أزواجك أنى اخترتك فقال إنما بعثنى الله مبلغا ولم يبعثنى متعنتا (فان قلت)

(قوله من فوق سبعة أرقعة) فى الصحاح الرقيع سماء الدنيا وكذلك سائر السموات وفى الحديث من فوق سبعة أرقعة على لفظ التذكير كأنه ذهب إلى السقف

الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ

ماحكم التخيير فى الطلاق (قلت) إذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسى أو قال اختارى نفسك فقالت اخترت لابد من ذكر النفس فى قول المخير أو المخيرة وقعت طلقة بائنة عند أبى حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك فى المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض واعتبر الشافعى اختيارها على الفور وهى عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهرى رضى الله عنهم أمرها بيدها فى ذلك المجلس وفى غيره وإذا اختارت زوجها لم يقع شىء بإجماع فقهاء الأمصار وعن عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد طلاقا وروى أفكان طلاقا وعن علىّ رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه أيضاً أنها إن اختارت زوجها فليس بشىء ﴿ أصل تعال أن يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المستوطئ ثم كثر حتى استوت فى استعماله الأمكنة ومعنى تعالين أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد أمرين ولم يرد نهوضهن اليه نفسهنّ كما تقول أقبل يخاصمنى وذهب يكلمنى وقام يهددنى (أمتعكنّ) أعطكنّ متعة الطلاق (فإن قلت) المتعة فى الطلاق واجبة أم لا (قلت) المطلقة التى لم يدخل بها ولم يفرض لها فى العقد متعتها واجبة عند أبى حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهرى رضى الله عنه متعتان إحداهما يقضى بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد مايفرض ويدخل وخاصمت امرأة إلى شريح فى المتعة فقال متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير رضى عنه المتعة حق مفروض وعن الحسن رضى الله عنه لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والإقتار إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها (فإن قلت) ماوجه قراءة من قرأ أمتعكنّ وأسرحكنّ بالرفع (قلت) وجهه الاستئناف (سراحا جميلا) من غير ضرار طلاقا بالسنة (منكنّ) للبيان لاللتبعيض ﴿ الفاحشة السيئة البليغة فى القبح وهى الكبيرة ﴿ والمبنية الظاهرة فحشها والمراد كل مااقترفن من الكبائر وقيل هى عصيانهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهنّ وطلبهن منه مايشقّ عليه أو مايضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر فى حديث الإفك وإنما ضوعف عذابهنّ لأن ماقبح من سائر النساء كان أقبح منهنّ وأقبح لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصى من المعصى وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبى صلى الله عليه وسلم ولا على أحد منهنّ مثل ماالله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحاً فمتى ازداد قبحاً ازداد عقابه شدّة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصى العالم أشد منه للعاصى الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذلك فضل حدّ الأحرار على حد العبيد حتى أن أبا حنيفة وأصحابه لايرون الرجم على الكافر (وكان ذلك على الله يسيرا) إيذان بأن كونهن نساء النبى صلى الله عليه وسلم ليس بمغن عنهن شيئاً وكيف يغنى عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعياً إلى تشديد الأمر عليهنّ غير صارف عنه ﴿ قرئ يأت بالتاء والياء ﴿ مبنية بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وإنما ضوعف أجرهنّ رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق ولطلبهنّ طيب المعاشرة والقناعة وتوفرهنّ على عبادة الله والتقوى ﴿ أحد فى الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع فى

وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۞ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۞ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ

النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وماوراءه ۞ ومعنى قوله (لستن كأحد من النساء) لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أى إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم فى أنهم على الحق المبين (إن اتقيتن) إن أردتن التقوى وإن كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) فلا تجبن بقولكن خاضعاً أى لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفاً على محل فعل النهى على أنهن نهين عن الخضوع بالقول ونهى المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لاتخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها وإسناد الفعل إلى ضمير القول أى فيطمع القول المريب (قولا معروفا) بعيداً من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث أو قولا حسنا مع كونه خشنا ۞ وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقاراً أو من قر يقر حذفت الأولى من رائى أقررن ونقلت كسرتها إلى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها وأصله أقررن فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ماقبلها كقولك ظلن وذكر أبو الفتح الهمدانى فى كتاب التبيان وجها آخر قال قاريقا إذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها لاترى إلى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة و(الجاهلية الأولى) هى القديمة التى يقال لها الجاهلية الجهلاء وهى الزمن الذى ولد فيه إبراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل مابين آدم ونوح وقيل بين إدريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الأخرى مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الإسلام فكأن المعنى ولاتحدثن بالتبرج جاهلية فى الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى الدرداء رضى الله عنه إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم إسلام فقال بل جاهلية كفر ۞ أمرهن أمراً خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاما فى جميع الطاعات لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من أعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه إلى ماوراءهما ثم بين أنه إنما نهاهن وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى ۞ واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لأن عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث

۞ قوله تعالى لستن كأحد من النساء (قال فيه معناه لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أى إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل والسابقة ومثله ولم يفرقوا بين أحد منهم) قال أحمد إنما بعثه على جعل التفضيل بين نساء النبى عليه الصلاة والسلام وبين جماعات النساء لا آحادهن أن يطابق بين المتفاضلين لأن الأول جماعة وقد كان مستغنيا عن ذلك بحمل الكلام على واحدة ويكون المعنى أبلغ والتقدير ليست واحدة منكن كأحد من النساء أى كواحدة من النساء ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة ولا يلزم ذلك فى العكس فتأمله والله أعلم وجاء التفضيل ههنا كمجيئه فى قوله تعالى أفمن يخلق كمن لايخلق وقوله وليس الذكر كالأنثى فى تقديم الأفضل عند التفضيل وقدمضت فى ذلك نكتة حسنة والله الموفق

(قوله إن أردتن التقوى وإن كنتن متقيات) لعله أو إن كعبارة النسفى (قوله إلى قول عضل والديش اجتمعوا) فى الصحاح عضل قبيلة وهو عضل بن الهون بن خزيمة أخو الديش وهما القارة وفيه أيضا الديش بن الهون بن خزيمة وربما قالوه بفتح الدال وهو أحد القارة والآخر عضل بن الهون يقال لهما جميعاً القارة

وَءَاتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۞ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۞ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَٰتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْقَٰنِتَٰتِ وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَٰتِ وَالصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰبِرَٰتِ وَالْخَٰشِعِينَ وَالْخَٰشِعَٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَٰتِ وَالصَّٰٓئِمِينَ وَالصَّٰٓئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ

بدنه بالأرجاس وأما المحسنات فالعرض معها نقى مصون كالثوب الطاهر وفى هذه الاستعارة ماينفر أولى الباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به و (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفى هذا دليل بين على أنّ نساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته ۞ ثم ذكرهن أنّ بيوتهن مهابط الوحى وأمرهن أن لاينسين مايتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوّة لأنه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع (إن الله كان لطيفاً خبيراً) حين علم ماينفعكم ويصلحكم فى دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لنبوّته ومن يصلح لأن يكونوا أهل بيته أوحيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين يروى أنّ أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يارسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير فما فينا خير أنذكر به إنا نخاف أن لاتقبل منا طاعة وقيل السائلة أم سلمة وروى أنه لما نزل فى نساء النبي صلى الله عليه وسلم مانزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شىء فنزلت والمسلم الداخل فى السلم بعد الحرب المنقاد الذى لايعاند أو المفوّض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذى يصدق فى نيته وقوله وعمله ۞ والصابر الذى يصبر على الطاعات وعن المعاصى ۞ والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذى إذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله ۞ والمتصدق الذى يزكى ماله ولايخل بالنوافل وقيل من تصدق فى أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ۞ ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين ۞ والذاكر الله كثيراً من لايكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ۞ والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لأنّ الظاهر يدل عليه (فإن قلت) أى فرق بين العطفين أعنى عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين (قلت) العطف الأوّل نحو قوله تعالى ثيبات وأبكارا فى أنهما جنسان مختلفان إذا اشتركا فى حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما وأما العطف الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكأن معناه أنّ الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أعدّ الله لهم) ۞ خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت فقال رضينا يارسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل هى أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط وهى أوّل من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوّجها زيدا فسخطت هى وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوّجنا عبده والمعنى وماصح لرجل ولا امرأة من المؤمنين (إذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله أو لأنّ قضاء رسول الله هو قضاء الله (أمراً) من الأمور ۞ أن يختاروا من أمرهم ماشاؤا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره (فإن قلت) كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ماجاءنى من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا (قلت) نعم ولكنهما وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة

أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً * وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق

فرجع الضمير على المعنى لاعلى اللفظ * وقرئ يكون بالتاء والياء و (الخيرة) مايتخير (للذى أنعم الله عليه) بالإسلام الذى هو أجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه (وأنعمت عليه) بماوفقك الله فيه فهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعنى زينب بنت جحش رضى الله عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفوا عنها قبل ذلك لاتريدها ولوأرادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شىء قال لاوالله مارأيت منها إلاخيرا ولكنها تتعظم علىّ لشرفها وتؤذينى فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلمااعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأجد أحداً أوثق فى نفسى منك أخطب على زينب قال زيد فانطلقت فإذاهى تخمر عجينتها فلمارأيتها عظمت فى صدرى حتى ماأستطيع أن أنظر إليها حين علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يازينب أبشرى إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ماأنابصانعة شيئاحتى أوامر ربى فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن زوجنا كها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وماأولم على امرأة من نسائه ماأولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (فإن قلت) ماأراد بقوله (واتق الله) (قلت) أراد واتق الله فلاتطلقها وقصد نهى تنزيه لاتحريم لأنّ الأولى أن لايطلق وقيل أراد واتق الله فلاتذمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج (فإن قلت) ماالذى أخفى فى نفسه (قلت) تعلق قلبه بها وقيل مودّة مفارقة زيد إياها وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها لأنّ الله قدأعلمه بذلك وعن عائشة رضى الله عنها لوكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه لكتم هذه الآية (فإن قلت) فماذا أراد الله منه أن يقوله حين قال له زيد أريد مفارقتها وكان من الهجنة أن يقول له افعل فإنى أريد نكاحها (قلت) كأن الذى أراد منه عزّ وجل أن يصمت عند ذلك أو يقول له أنت أعلم بشأنك حتى لايخالف سرّه فى ذلك علانيته لأنّ الله يريد من الأنبياء تساوى الظاهر والباطن والتصلب فى الأمور والتجاوب فى الأحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء فى حديث إرادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبدالله بن أبى سرح واعتراض عثمان بشفاعته له أنّ عمر قال له لقد كان عينى إلى عينك هل تشير إلىّ فأقتله فقال إنّ الأنبياء لاتومض ظاهرهم وباطنهم واحد * (فإن قلت) كيف عاتبه الله فى ستر ما استهجن التصريح ولايستهجن النبىّ صلى الله عليه وسلم التصريح بشىء إلا والشىء فى نفسه مستهجن وقالة الناس لاتتعلق إلا بما يستقبح فى العقول والعادات وماله لم يعاتبه فى نفس الأمر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع إلى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن تعلق الهجنة به ومايعرضه للقالة (قلت) كم من شىء يتحفظ منه الإنسان ويستحيى من اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه مباح متسع وحلال مطلق لامقال فيه ولاعيب عند الله وربما كان الدخول فى ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات يعظم أثرها فى الدين ويجل ثوابها ولولم يتحفظ منه لأطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم إلا من أوتى فضلا وعلما ودينا ونظراً فى حقائق الأمور ولبوبها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا إذا طعموا فى بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين فى مجالسهم لايريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصدّه أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت إنّ ذلكم كان يؤذى النبىّ

(قوله لاتومض) فى الصحاح أومضت المرأة إذاسارقت النظر

أَنْ تَخْشَـٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۞ مَا كَانَ عَلَى النَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۞ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ

فيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وأمرهم أن ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذاك القبيل لأنّ طموح قلب الإنسان إلى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير موصوف بالقبح فى العقل ولا فى الشرع لأنه ليس بفعل الإنسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعى ليس بقبيح أيضاً وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب إليه وهو أقرب منه من زر قميصه أن يواسيه بمفارقتها مع قوّة العلم بأنّ نفس زيد لم تكن من التعلق بها فى شىء بل كانت تجفوا عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكراً عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجناً إذا نزل عنها أن ينكحها الآخر فإنّ المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الأنصار بكل شىء حتى إنّ الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزل عن إحداهما وأنكحها المهاجر وإذا كان الأمر مباحاً من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرّة بزيد ولا بأحد بل كان مستجراً مصالح ناهيك بواحدة منها أنّ بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أماً من أمّهات المسلمين إلى ماذكر الله عزّ وجلّ من المصلحة العامّة فى قوله لكى لايكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنّ وطرا فبالحرى أن يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ فى كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأن لايرضى له إلا اتحاد الضمير والظاهر والثبات فى مواطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وإن كان مرّا ۞ (فإن قلت) الواو فى وتخفى فى نفسك وتخشى الناس والله أحق ماهى (قلت) واو الحال أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفياً فى نفسك إرادة أن لايمسكها وتخفى خاشياً قالة الناس وتخشى الناس حقيقاً فى ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل وإذ تجمع بين قولك أمسك وإخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لاتفعل مثل ذلك ۞ إذا بلغ البالغ حاجته من شىء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) وقراءة أهل البيت زوّجتكها وقيل لجعفر بن محمد رضى الله عنهما أليس تقرأ علىّ غير ذلك فقال لا والذى لا إله إلا هو ماقرأتها على أبى إلا كذلك ولا قرأها الحسن بن على على أبيه إلا كذلك ولا قرأها على بن أبى طالب على النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا كذلك (وكان أمر الله مفعولا) جملة اعتراضية يعنى وكان أمر الله الذى يريد أن يكوّنه مفعولا مكوّنا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفى الحرج عن المؤمنين فى إجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين فى تحريمهنّ عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهنّ ويجوز أن يراد بأمر الله المكوّن لأنه مفعول بكن وهو أمر الله (فرض الله له) قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله تعالى «ما كان على النبى من حرج» كأنه قيل سنّ الله ذلك سنة فى الأنبياء الماضين وهو أن لايحرج عليهم فى الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسرارى وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة وسبعمائة (فى الذين خلوا) فى الأنبياء الذين مضوا (الذين يبلغون) يحتمل وجوه الإعراب الجرّ على الوصف للأنبياء والرفع والنصب على المدح على

(قوله لشقّ عليهم ولكان بعض المقالة) لعله القالة (قوله ومن نفى الحرج عن المؤمنين فى إجراء) لعله فى عدم إجراء ويمكن أنّ المراد الحرج الذى يكون فى الإجراء والتسوية لو حصل ذلك الإجراء

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ

هم الذين يبلغون أو على أعنى الذين يبلغون ۝ وقرئ رسالة الله ۝ قدراً مقدوراً قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ، ووصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح فى قوله تعالى «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» (حسيباً) كافياً للمخاوف أو محاسباً على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أى لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبنى من باب الاختصاص والتقريب لا غير (و) كان (خاتم النبيين) يعنى أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الأنبياء كما يروى أنه قال فى إبراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا (فإن قلت) أما كان أبا للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم (قلت) قد أخرجوا من حكم النفى بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثانى أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم (فإن قلت) أما كان أبا للحسن والحسين (قلت) بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضا من رجاله لا من رجالهم وشىء آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين ۝ قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفاً على أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه أى لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (فإن قلت) كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل فى آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبىء قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته (اذكروا الله) أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك (بكرة وأصيلا) أى فى كافة الأوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروى فى قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والغفلان أعنى اذكروا وسبحوا موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصى والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والإقبال على العبادات فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهى الصلاة فى جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين لأن أداءها أشق ومراعاتها أشد ۝ لما كان من شأن المصلى أن ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنواً عليه وترؤفا كعائد المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أى ترحم عليك وترأف (فإن قلت) قوله (هو الذى يصلى عليكم) إن فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله

۝ قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور الآية (قال إن جعلت يصلى بمعنى يرحم

(قوله قد عاشا إلى أن نيف أحدهما) أى زاد والنيف بالتشديد والتخفيف الزيادة كذا فى الصحاح

وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۞ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۞ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ

(وملائكته) وما معنى صلاتهم (قلت) هى قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قوله حياك الله أى أحياك وأبقاك وحييتك أى دعوت لك بأن يحييك الله لأنك لاتكالك على إجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أى ادعوا الله بأن يصلى عليه والمعنى هو الذى يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (ليخرجكم) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة ويروى أنه لما نزل قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبيّ قال أبو بكر رضى الله عنه ماخصك الله يارسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزلت (تحيتهم) من إضافة المصدر إلى المفعول أى يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا كاللقاء على مافسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والأجر الكريم الجنة (شاهدا) على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم (فإن قلت) وكيف كان شاهدا وقت الإرسال وإنما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها (قلت هى) حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أى مقدرا به الصيد غدا (فإن قلت) قد فهم من قوله إنا أرسلناك داعيا أنه مأذون له فى الدعاء فما فائدة قوله (بإذنه) (قلت) لم يرد به حقيقة الإذن وإنما جعل الإذن مستعارا للتسهيل والتيسير لأن الدخول فى حق المالك متعذر فإذا صودف الإذن تسهل وتيسر فلما كان الإذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك إن دعاء أهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر فى غاية الصعوبة والتعذر فقيل بإذنه للإيذان بأن الأمر صعب لايتأتى ولايستطاع إلا إذا سهله الله ويسره ومنه قولهم فى الشحيح أنه غير مأذون له فى الإنفاق أى غير مسهل له الإنفاق لكونه شاقا عليه داخلا فى حكم التعذر ۞ جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار ووصفه بالإنارة لأن من السراج مالا يضئ إذا قل سليطه ودقت فتيلته وفى كلام بعضهم ثلاثة تضنى رسول بطىء وسراج لايضىء ومائدة ينتظر لها من يجىء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف أرسلناك ۞ الفضل مايتفضل به عليهم زيادة على الثواب وإذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من فوقهم للعطايا فضول وفواضل وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الأمم وذلك الفضل من جهة الله وأنه آتاهم مافضلوهم به (ولا تطع الكافرين) معناه الدوام والثبات

فما بال عطف الملائكة عليه فأجاب بأنهم لما كانوا يدعون الله بالرحمة ويستجيب دعاءهم بذلك جعلوا كأنهم فاعلون الرحمة كما تقول حياك الله بمعنى أحياك ثم تقول حييته بمعنى دعوة الله له بالحياة والمقصد بذلك جعل الحياة محققة له كأنك قلت دعوت له بالحياة فاستجيبت الدعوة) قال أحمد كثيرا مايفر الزمخشرى من اعتقاد إرادة الحقيقة والمجاز معا بلفظ واحد وقد التزمه ههنا ولكن جعل الصلاة من الله حقيقة ومن الملائكة مجازاً لأنه حملها على الرحمة وأما غيره فحملها على الدعاء وجعلها من الملائكة حقيقة ومن الله مجازاً والله أعلم

بِاللهِ وَكِيلًا ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ

على ماكان عليه أوالتهييج (أذاهم) يحتمل إضافته إلى الفاعل والمفعول يعنى ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله فى باطنهم أوودع مايؤذونك به ولاتجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى منسوخة بآية السيف (وتوكل على الله) فإنه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل أن يقول وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير والمبشر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لأنه إذا ترك أذاهم فى الحاضر والأذى لابد له من عقاب عاجل أوآجل كانوا منذرين به فى المستقبل والداعى إلى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لأن من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لأن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديراً بأن يكتفى به عن جميع خلقه النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث أنه طريق إليه ونظيره تسميتهم الخمر إثما لأنها سبب فى اقتراف الإثم ونحوه فى علم البيان قول الراجز ۞ أسنمة الآبال فى سحابه ۞ سمى الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن المال وارتفاع أسنمته ولم يرد لفظ النكاح فى كتاب الله إلا فى معنى العقد لأنه فى معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والإتيان ۞ (فإن قلت) لم خص المؤمنات والحكم الذى نطقت به الآية تستوى فيه المؤمنات والكتابيات (قلت) فى اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير لنطفته وأن لاينكح إلا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتى فى سورة المائدة تعليم ماهو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ماهو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات (فإن قلت) مافائدة ثم فى قوله (ثم طلقتموهن) (قلت) فائدته نفى التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهى قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة فى حبالة الزواج ثم يطلقها (فإن قلت) إذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس (قلت) نعم عند أبى حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله (فما لكم عليهن من عدة) دليل على أن العدة حق واجب على النساء للرجال (تعتدونها) تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله وزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففاً أى تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء مافى قوله تعالى ولاتمسكوهن ضرارا لتعتدوا ۞ (فإن قلت) ماهذا التمتيع أواجب أم مندوب إليه (قلت) إن كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند أبى حنيفة إلا لها وحدها دون سائر المطلقات وإن كانت مفروضاً لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع واجب (أجورهن) مهورهن لأن المهر أجر على البضع وإيتاؤها إما إعطاؤها عاجلا وإما فرضها وتسميتها فى العقد (فإن قلت) لم قال اللاتى آتيت أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتى هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات (قلت) قد اختار الله لرسوله الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثر وذلك أن تسمية المهر فى العقد أولى وافضل من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزاً وله أن يماسها وعليه مهر المثل إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف

ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ

وسلتهم وما لايعرف بينهم غيره وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها وخطبه سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ماسبي من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى (مما أفاء الله عليك) لأن فيء الله لايطلق إلا على الطيب دون الخبيث كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء * وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهراً من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم رضي الله عنهن قرئ (إن وهبت) على الشرط وقرأ الحسن رضي الله عنه أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدراً محذوفاً معه الزمان كقولك اجلس مادام زيد جالساً بمعنى وقت دوامه جالساً أو وقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير أن * (فان قلت) مامعنى الشرط الثاني مع الأول (قلت) هو تقييد له شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول الهبة ومابه تتم (فإن قلت) لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى (نفسها للنبي إن أراد النبي) ثم رجع إلى الخطاب (قلت) للإيذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته * واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لايصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعاً لأن اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج إلى دليل وقال أبو الحسن الكرخي إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لايصح لأن الإجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان (خالصة) مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اى خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر الإحلالات الأربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله (قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم وماملكت أيمانهم) بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم مايجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ماهو أولى وأفضل وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم (وكان الله غفوراً) للواقع في الحرج إذا تاب (رحيما) بالتوسعة

(قوله كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال) هذا عند المعتزلة أما أهل السنة فيطلقونه على القسمين

غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۞ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

على عباده * روى أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهنّ شهراً ونزل التخيير فأشفقن أنّ يطلقهنّ فقلن يارسول الله أفرض لنا من نفسك ومالك ماشئت وروى أنّ عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله إنى أرى ربك يسارع فى هواك (ترجى) بهمز وغير همز تؤخر (وتؤوى) تضم يعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها روى أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ماشاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رضى الله عنهن أرجى خمساً وآوى أربعا وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه الا السودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك (ذلك) التفويض إلى مشيئتك (أدنى) إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لأنه إذا سوى بينهن فى الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما للأخرى وعلمن أنّ هذا التفويض من عند الله بوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب (والله يعلم مافى قلوبكم) فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواطئ قلوبهن بتصافى بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومافيه طيب نفسه * وقرئ تقر أعينهن بضم التاء ونصب الأعين وتقر أعينهن على البناء للمفعول (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يتقى ويحذر * كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرأ كلهنّ تأكيداً لهن فى آتيتهن * (لا تحل) وقرئ بالتذكير لأنّ تأنيث الجمع غير حقيقى وإذا جاز بغير فصل فى قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لأنّ التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته منهنّ فلا يحل له أن يتجاوز النصاب (ولا أن تبدل بهنّ ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهنّ أو بعضهن أراد الله لهنّ كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر النبىّ صلى الله عليه وسلم عليهنّ وهى التسع اللاتى مات عنهنّ عائشة بنت أبى بكر حفصة بنت عمر أمّ حبيبة بنت أبى سفيان سودة بنت زمعة أمّ سلمة بنت أبى أمية صفية بنت حيى الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الأسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية رضى الله عنهنّ * من فى (من أزواج) لتأكيد النفى وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتى نص إحلالهن لك من الأجناس الأربعة من الأعرابيات والغرائب أومن الكتابيات أومن الإماء بالنكاح وقيل فى تحريم التبدل هو من البدل الذى كان فى الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلنى بامرأتك وأبادلك بامرأتى فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى أنّ عيينة بن حصن دخل على النبىّ صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة عن غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعيينة أين الاستئذان قال يارسول الله ما استئذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة

(قوله فقصر النبىّ صلى الله عليه وسلم عليهنّ وهى التسع) لعله وهن

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَـٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

إلى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلاأنزل لك عن أحسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قدحرم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضى الله عنها من هذا يارسول الله قال أحمق مطاع وأنه على ماترين لسيد قومه وعن عائشة رضى الله عنها مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعنى أن الآية قدنسخت ولايخلو نسخها إماأن يكون بالسنة وإمابقوله تعالى إنا أحللنالك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (ولوأعجبك) فى موضع الحال من الفاعل وهو الضمير فى تبدل لامن المفعول الذىهو منأزواج لأنه موغل فىالتنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن وقيل هى أسماء بنتعنيس الخثعميةامرأة جعفر بنأبى طالب والمراد أنها ممنأعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الإماء (رقيبا) حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطى حلاله إلى حرامه (أن يؤذنلكم) فى معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم و(غير ناظرين) حال من لاتدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لاتدخلوا بيوت النبى صلى الله عليه وسلم إلاوقت الإذن ولا تدخلوها إلاغير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لاتدخلوا ياهؤلاء المتحينون للطعام إلاأن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبى صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤذنله إذنا خاصا وهو الإذن إلى الطعام فحسب وعن ابن أبى عبلة أنه قرأ غير ناظرين مجروراً صفة لطعام وليس بالوجه لأنه جرى على غير ماهوله فمن حق ضمير ماهو له أن يبرز إلى اللفظ فيقال غير ناظرين إناه أنتم كقولك هند زيد ضاربته هى * وإنى الطعام إدراكه يقال أنىالطعام إنى كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم آن بالغ إناه وقيل إناه وقته أى غيرناظرين وقتالطعام وساعةأكله وروىأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخلفوج إلىأن قال يارسول الله دعوت حتى ماأجدأحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرقالناس وبقى ثلاثةنفر يتحدثون فأطالوافقام رسولالله صلى اللهعليه وسلم ليخرجوا فانطلق إلى حجرةعائشة رضىاللهعنها فقالالسلام عليكمأهل البيتفقالوا عليكالسلام يارسولالله كيف وجدتأهلك وطاف بالحجرات فسلمعليهن ودعونله ورجعفإذا الثلاثةجلوس يتحدثون وكان رسولالله صلىاللهعليهوسلم شديدالحياءفتولى فلمارأوهمتوليا خرجوافرجع ونزلت (ولامستأنسين لحديث) نهواعن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضه ببعض لأجل حديث يحدثه به أوعن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هومنصوب علىولاتدخلوها مستأنسين * لابد فىقوله(فيستحيى منكم) من تقدير المضاف أىمن إخراجكم بدليل قولهوالله لايستحيى منالحق يعنىأن إخراجكم حق ماينبغى أنيستحيا منه * ولما كان الحياء مما يمنع الحى من بعض الأفعال قيل (لايستحيى من الحق) بمعنى لايمتنع منه ولا يتركه ترك الحى منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضى الله عنها حسبك فى الثقلاء أنالله تعالى لم يحتملهم وقالفإذا طعمتم فانتشروا وقرئ لايستحى بياء واحدة * الضمير فى (سألتموهن) لنساء النبى صلىالله عليه وسلم ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن (متاعا) حاجة (فاسألوهن) المتاع قيل إن عمر رضىالله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه وكان يقول لوأطاع فيكن مارأتكن عينى وقال يارسولالله يدخلعليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروى أنه مر عليهن وهن مع النساء فى المسجد فقال لئن

وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ۝ إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

احتجبتن فإن لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب رضى الله عنها يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فلم يلبسوا إلا يسيرا حتى نزلت وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم (وما كان لكم) وما صح لكم إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعده ۝ وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فإن نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلى منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلى نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثانى فى هدم الثلاثى مما يجرى مجرى العقوبة فصين رسول الله ﷺ عما يلاحظ ذلك (إن تبدوا شيئا) من نكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فإن الله) يعلم ذلك فيعاقبكم به وإنما جاء به على أثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أونحن أيضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت (لا جناح عليهن) أى لا إثم عليهن فى أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق وإسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لأنهما يصفانها لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم ۝ ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفى هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل (واتقين الله) فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى فى حفظهما وليكن عملكن فى الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن (إن الله كان على كل شىء) من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه (شهيدا) لا يتفاوت فى علمه الأحوال ۝ قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل إن واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه (صلوا عليه وسلموا) أى قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم (فإن قلت) الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب إليها (قلت) بل واجبة وقد اختلفوا فى حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره وفى الحديث من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله ويروى أنه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبى فقال صلى الله عليه وسلم هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم به إن الله وكل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب فى كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك

(قوله لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا) فى الصحاح فلان مستهتر بالشراب أى مولع به لا يبالى ما قيل فيه

تَسْلِيمًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ۞ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۞

فى كل دعاء فى أوله و خره ومنهم من أوجبها فى العمر مرة وكذا قال فى إظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الأخبار (فإن قلت) فالصلاة عليه فى الصلاة أهى شرط فى جوازها أم لا (قلت) أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطا وعن إبراهيم النخعى كانوا يكتفون عن ذلك يعنى الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبىّ وأمّا الشافعى رحمه الله فقد جعلها شرطا (فإن قلت) فما تقول فى الصلاة على غيره (قلت) القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وقوله تعالى وصل عليهم إنّ صلاتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهمّ صلّ على آل أبى أوفى ولكن للعلماء تفصيلا فى ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبى وآله فلا كلام فيها وأمّا إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأنّ ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه يؤدى إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم (يؤذون الله ورسوله) فيه وجهان أحدهما أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصى وإنكار النبوّة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل المجاز وإنما جعلته مجازاً فيهما جميعا وحقيقة الإيذاء صحيحة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثانى أن يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فى أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون فى أسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه «شتمنى ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمنى وآذانى ولم ينبغ له أن يؤذينى فأمّا شتمه إياى فقوله إنى اتخذت ولداً وأمّا أذاه فقوله إنّ الله لا يعيدنى بعد أن بدأنى وعن عكرمة فعل أصحاب التصاوير الذين يرمون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل فى أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشجّ وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه فى نكاح صفية بنت حيي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأنّ أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبداً وأمّا أذى المؤمنين والمؤمنات فنه ومنه ومعنى (بغير ما اكتسبوا) بغير جناية واستحقاق للأذى وقيل نزلت فى ناس من المنافقين يؤذون عليا رضى الله عنه ويسمعونه وقيل فى الذين أفكوا على عائشة رضى الله عنها وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهنّ كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذى كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكرى الحوانيت إلا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند كرّ الحول ۞ الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس رضى الله عنهما الرداء الذى يستر من فوق إلى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زبيد ۞ مجلبب من سواد الليل جلبابا ۞ ومعنى (يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ) يرخينها عليهنّ ويغطين بها وجوههنّ وأعطافهنّ يقال إذا زال الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كنّ فى أوّل الإسلام على هجيراهنّ فى الجاهلية متبذلات تبرز المرأة فى درع وخمار فصل بين الحرّة والأمة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضى حوائجهنّ فى النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرّة بعلة الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهنّ عن زى الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن) أى أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن (فإن

(قوله فكيف وكان ابن عوف لا يكرى) عبارة النسفى فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات

لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۞ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۞ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۞ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۞ إِنَّ اللَّهَ

قلت) مامعنى من فى من جلابيبهن (قلت) هو للتبعيض إلا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلببن ببعض مالهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة فى درع وخمار كالأمة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا فى بيتها والثانى أن ترخى المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلمانى عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدى أن تغطى إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين وعن الكسائى يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإدناء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل (الذين فى قلوبهم مرض) قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض (والمرجفون) ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدكم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التى تسوءهم وتنوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها (إلا) زمنا (قليلا) ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أى لا يجاورونك إلا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر فى قوله إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل فى قليلا هو منصوب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين (فإن قلت) ما موقع لا يجاورونك (قلت) لا يجاورونك عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك (فإن قلت) أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك (قلت) لو جعل الثانى مسببا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الأول وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه (سنة الله) فى موضع مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعنى كما قتل أهل بدر وأسروا ۞ كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عمى وقتها فى التوراة وفى كل كتاب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين (قريبا) شيئا قريبا أو لأن الساعة فى معنى اليوم أو فى زمان قريب ۞ السعير النار المسعورة

۞ قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (قال فيه المراد بقوله تعالى إلا قليلا ريثما يلتقطون عيالاتهم وأنفسهم لا غير) قال أحمد وفيها إشارة إلى أن من توجه عليه إخلاء منزل مملوك للغير بوجه شرعى يمهل ريثما ينتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد والله أعلم

(قوله لما سلف منهن من التفريط مع التوبة) هذا عند المعتزلة أو بمجرد الفضل عند أهل السنة (قوله الأفاعيل التى تسوءهم وتنوءهم) فى الصحاح يقال له عندى ما ساءه وناءه أى أثقله وما يسوءه وينوءه وقال بعضهم أراد ساءه وأناءه وإنما قال ناءه وهو لا يتعدى لأجل ساءه ليزدوج الكلام

لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا ۝ خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ۝ يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ۝ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ۝ ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ۝ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ۝ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ۝ يصلح لكم

الشديدة الإيقاد ۝ وقرئ تقلب على البناء المفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب أى نقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها فى الجهات كما ترى البضعة تدور فى القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها فى النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو أذكر وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا ۝ وقرئ سادتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم ۝ يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف ۝ وقرئ كثيرا تكثيرا لإعداد اللعائن وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه (ضعفين) ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شىء من ذلك (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قيل نزلت فى شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل فى أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم إياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل قرفوه بعيب فى جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه برىء منه (وجيها) ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة وكان عبدالله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ فى شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة أوجه لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذى العرش مكين وهذه ليست كذلك (فإن قلت) قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لأن ما إما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح للبراءة منه (قلت) المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول (قولا سديدا) قاصدا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل فى القول والبعث على أن يسد قولهم فى كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله فى حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وقيل إصلاح الأعمال التوفيق فى المجىء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتى قبلها بنيت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الأمر باتقاء الله تعالى فى حفظ اللسان ليترادف عليهم النهى والأمر مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الأمر الوعد البليغ

(قوله على أن الفعل للسعير) يعنى ووجوههم بالنصب (قوله وقيل قرفوه بعيب) فى الصحاح قرفت الرجل أى عبته ويقال هو يقرف بكذا أى يرمى به ويتهم (قوله ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة) فى الصحاح صار هذا الأمر سبة عليه بالضم أى عارا (قوله على أن يسد قولهم) فى الصحاح سد قوله يسد بالكسر أى صار سديدا

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه ﴿ لما قال (ومن يطع الله ورسوله) وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله (إنا عرضنا الأمانة) وهو يريد بالأمانة الطاعة فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التى تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجاداً وتكويناً وتسوية على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها مجاز ﴿ وأما حمل الأمانة فمن قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولى عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصراً يريدون أنه يبذل النصرة له ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

أخوك الذى لا تملك الحس نفسه ﴿ وترفض عند المحفظات الكتائف

أى لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما فى يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق أخيك لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى أخيه ولم يؤده وإذا أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين إلا أن يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها ﴿ ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها والثانى أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته (إنه كان ظلوما جهولا) حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج وكم وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن فى الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصور أثر السمن فيه تصويراً هو أوقع فى نفس السامع وهى به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها (فإن قلت) قد علم وجه التمثيل فى قولهم للذى لا يثبت على رأى واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله فى تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضى على أحدهما بحال من يتردد فى ذهابه فلا يجمع رجليه للمضى فى وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شىء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما فى هذه الآية فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال فى نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئا والمشبه به غير معقول (قلت) الممثل به فى الآية وفى قولهم لو قيل للشحم

(قوله وترفض عند المحفظات الكتائف) أى تتفرق وتذهب والمحفظات المغضبات والكتائف جمع كتيفة وهى السخيمة والحقد يقول هو الذى إذا آنك مظلوما رق لك وذهب حقده كذا فى الصحاح (قوله ثم خاس بضمانه فيها) فى الصحاح خاس به يخيس ويخوس أى غدر به يقال خاس بالعهد إذا نكث

سـورة سبإ مكية

إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۞ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ

أين تذهب وفى نظائره مفروض والمفروضات تتخيل فى الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف فى صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها ۞ واللام فى ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الامانة كما أن التأديب فى ضربته للتأديب نتيجة الضرب ۞ وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافى كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله أعلم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطى الأمان من عذاب القبر

﴿ سورة سبأ مكية وهى اربع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ مافى السموات والأرض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال (الحمد لله) ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد أخاك الذى كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال (وله الحمد فى الآخرة) علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب (فإن قلت) ما الفرق بين الحمدين (قلت) أما الحمد فى الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهى الثواب وأما الحمد فى الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته (الخبير) بكل كائن يكون ۞ ثم ذكر مما يحيط به علما (ما يلج فى الأرض) من الغيث كقوله فسلكه ينابيع فى الأرض ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هى له كفات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك (وما ينزل من السماء) من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو) مع كثرة نعمه وسبوغ فضله (الرحيم الغفور) للمفرطين فى أداء مواجب شكرها ۞ وقرأ

﴿ القول فى سورة سبأ ﴾

۞ قوله تعالى الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة (قال فيه الحمد الأول واجب لأنه على نعمة متفضل بها والثانى ليس بواجب لأنه على نعمة واجبة على المنعم) قال أحمد والحق فى الفرق بين الحمدين أن الأول عبادة مكلف بها والثانى غير مكلف به ولا متكلف وإنما هو فى النشأة الثانية كالجبليات فى النشأة الأولى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وإلا فالنعمة الأولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده لا عن استحقاق والله الموفق

(قوله ويتوب) أى بالرفع كما فى النسفى (قوله نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها) مبنى على مذهب المعتزلة أما أهل السنة فلا يوجبون على الله شيئا ولا يجب الحمد فى الآخرة لأنها ليست دار تكليف (قوله كما يلتذ من به العطاش البارد) فى الصحاح العطاش داء يصيب الإنسان يشرب الماء فلا يروى

الغفور ۞ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ۞ ليجزى الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ۞ والذين سعوا في ءاياتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ۞ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد ۞

على بن أبي طالب رضى الله عنه نتزل بالنون والتشديد ۞ قولهم (لا تأتينا والساعة) نفى للبعث وإنكار لمجيء الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد ۞ أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمى إمداداً بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزى لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أعلى كعباً وأبين فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ (فإن قلت) هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى (قلت) نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة إلى القلب إذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات واندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئاً واضحاً (فإن قلت) الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه (قلت) هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهي قوله ليجزى فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزى متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له ۞ قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أي ليأتينكم أمره كما قال تعالى هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي أمر ربك ۞ وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر في الزاي من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس (مثقال ذرة) مقدار أصغر نملة (ذلك) إشارة إلى مثقال ذرة ۞ وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله (فإن قلت) هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر (قلت) يأبى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطوراً في اللوح

۞ وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر ۞ وعن قتادة الرجز سوء العذاب (ويرى) في موضع الرفع أي ويعلم أولوا العلم يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبدالله بن سلام رضى الله عنهما ۞ الذي أنزل إليك الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزى أي وليعلم

(قوله وركب في الغرائز وجوب الجزاء) هذا مقتضى الحكمة وإن لم يجب على الله تعالى شيء عند أهل السنة فتدبر

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۞ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ

أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه فى الإيقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما (الذين كفروا) قريش قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديداً بعد أن تكونوا رفاتا وترابا . ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أى يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد ۞ أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ۞ ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون فى شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار فيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون وأشده إطباقا على عقولهم جعل وقوعهم فى العذاب رسيلا لوقوعهم فى الضلال كأنهما كائنان فى وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما فى الحقيقة مقترنان ۞ وقرأ زيد بن علىّ رضى الله عنه ينبيكم (فإن قلت) فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب

ألم تعلم مسرحى القوافى ۞ فلا عيا بهن ولا اجتلابا

فهل يجوز أن يكون مكانا (قلت) نعم ومعناه ما حصل من الأموات فى بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح ۞ (فإن قلت) ما العامل فى إذا (قلت) ما دلّ عليه إنكم لفى خلق جديد وقد سبق نظيره ۞ (فإن قلت) الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول (قلت) هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقلّ فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده إذا قطعه وقالوا هو الذى جده الناسج الساعة فى الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهى عند البصريين كقوله تعالى إنّ رحمة الله قريب ونحو ذلك (فإن قلت) لم أسقطت الهمزة فى قوله افترى دون قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل (قلت) القياس الطرح ولكن أمراً اضطرهم إلى ترك إسقاطها فى نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام (فإن قلت) ما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الإسناد المجازى لأنّ البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعداً كان أضل (فإن قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوراً علما فى قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعاً عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول فى أمر مجهول (قلت) كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلى ببعض الأحاجى التى يتحاجى بها للضحك والتلهى متجاهلين به وبأمره ۞ أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجلّ ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفاً لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة (إنّ فى ذلك) النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله (لآية) ودلالة (لكل عبد منيب) وهو الراجع إلى ربه المطيع له لأنّ المنيب لا يخلو من النظر فى آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به ۞ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله كذبا وبالنون

(قوله ولهذا قالوا ملحفة جديد) أى العرب

سَبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ

لقوله ولقد آتينا وكسفاً بفتح السين وسكونه ۞ وقرأ الكسائى يخسف بهم بالإدغام وليست بقوية (ياجبال) إمّا أن يكون بدلا من فضلا وإمّا من آتينا بتقدير قولنا ياجبال أوقلنا ياجبال وقرئ أوبى وأوبى من التأويب والأوب أى رجعى معه التسبيح أو راجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام فى الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وقرئ والطير رفعاً ونصباً عطفاً على لفظ الجبال ومحلها وجوّزوا أن ينتصب مفعولا معه وأن يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير (فإن قلت) أى فرق بين النظم وبين أن يقال « وآتينا داود منا فضلا » تأويب الجبال معه والطير (قلت) كم بينهما ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التى لا تخفى من الدلالة على عزّة الربوبية وكبرياء الإلهية حيث جعلت الجبال منزّلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا إشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته (وألنا له الحديد) وجعلناه له ليناً كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد فى يده لما أوتى من شدّة القوة وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو أوّل من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدّق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بنى إسرائيل متنكراً فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له مايستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر) لاتجعل المسامير دقاقافتقلق ولاغلاظاً فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله (و) سخرنا (لسليمان الريح) فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع (غدوّها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رضى الله عنه كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوباً فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنياً وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام إن شاء الله . القطر النحاس المذاب من القطران (فإن قلت) ماذا أراد بعين القطر (قلت) أراد بها معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آ ل إليه كما قال إنى أرانى أعصر خمراً وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (بإذن ربه) بأمره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل (عن أمرنا) الذى أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه ۞ وعذاب السعير عذاب الآخرة . عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن السدى : كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لايراه الجنى ۞ المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لأنه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هى المساجد ۞ والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم (فإن قلت) كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير (قلت) هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل

(قوله بأصدائها) جمع صدى وهو الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها كذا فى الصحاح
(قوله ولكنه أساله كما ألان الحديد) لعله أساله له

السَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ

كالظلم والكذب وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرما ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لأن التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصور محذوفة الرؤس وروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما والجوابى الحياض الكبار قال : تروح على آل المحلق جفنة ۝ كجابية السيح العراقى تفهق

لأن الماء يجبى فيها أى يجمع جعل الفعل لها مجازاً وهى من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع (راسيات) ثابتات على الأثافى لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود) حكاية ما قيل لآل داود وانتصب (شكراً) على أنه مفعول له أى اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أى شاكرين أو على تقدير اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث أن العمل للمنعم شكر له ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه أنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا على طريق المشاكلة (والشكور) المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافا وكدحا وأكثر أوقاته وعن ابن عباس رضى الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وعن السدى من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل إنى سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكور فأنا أدعوه أن يجعلنى من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر ۝ قرئ فلما قضى عليه الموت ودابة الأرض الأرضة وهى الدويبة التى يقال لها السرفة والأرض فعلها فأضيفت إليه يقال أرضت الخشبة أرضاً إذا أكلتها الأرضة ۝ وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا والمنسأة العصا لأنه ينسأ بها أى يطرد ويؤخر ۝ وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسى ومنساءته على مفعالة كما يقال فى الميضأة ميضاءة ومن سأته أى من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ أكلت منسأته (تبينت الجن) من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى ۝ و (أن) مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له فى المعنى أى ظهر أن الجن (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب) أو علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون فى ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وإنما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعى الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين فى المعنى هو أن مع ما فى صلتها لأنه بدل وفى قراءة أبيّ تبينت الإنس وعن الضحاك

(قوله كجابية السيح العراقى تفهق) أى الماء الجارى على وجه الأرض وفهق الإناء إذا امتلأ حتى يتصبب كذا فى الصحاح (قوله سميت بسأة القوس) فى الصحاح سية القوس ما عطف من طرفيها وكان رؤبة يهمز سية القوس وسائر العرب لا يهمزونها (قوله كقولهم قحة وقحة) كسعة وكدة بمعنى الوقاحة وهى الصلابة (قوله بمدعى الباطل إذا دحضت حجته) فى الصحاح بطلت

جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۞ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

تباينت الإنس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير فى كانوا للجن فى قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أى علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب مالبثوا وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه تبينت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب روى أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكف فى مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصبح إلا رأى فى محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لأى شىء أنت فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلا كى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له وقال اللهم عم عن الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الإنس أنهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت إذا أمرت بى فأعلمنى فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكىء عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه فى صلاته إلا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فإذا سليمان قد خرّ ميتاً ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها فى يوم وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قدمات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حياً فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا فى العذاب سنة وروى أنّ داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقى من عمره سنة سأل أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب روى أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنوا منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه ۞ قرئ (لسبأ) بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفا ۞ ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم و(جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدإ محذوف تقديره الآية جنتان وفى الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح (فإن قلت) مامعنى كونهما آية (قلت) لم نجعل الجنتين فى أنفسهما آية وإنما جعل قصتهما وأنّ أهلها أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والأثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن تجعلهما آية أى علامة دالة على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره (فإن قلت) كيف عظم الله جنتى أهل سبأ وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ماشئت (قلت) لم يرد بستانين اثنين فحسب وإنما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب (كلوا من رزق ربكم) إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم (واشكروا له) أتبعه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) يعنى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجرة فيمتلىء المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن

(قوله وكل واحد من الجماعتين فى تقاربهما) لعله كل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامنها كأنها جنة واحدة وهذه عبارة النسفى

سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۞ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۞ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ

ثعلب معناه اسكن واعبد (العرم) الجرذ الذى نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد مابين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا على مقدار مايحتاجون اليه فى سقيهم فلما طغوا قيل بعث الله اليهم ثلاثةعشر نبيا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا مانعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التى عقدوها سكراً وقيل العرم اسم الوادى وقيل العرم المطر الشديد ۞ وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ۞ وقرئ أكل بالضم والسكون وبالتنوين والإضافة والأكل الثمر ۞ والخمط شجر الأراك وعن أبى عبيدة كل شجر ذى شوك وقال الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لايمكن أكله ۞ والأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عوداً ووجه من نون أن أصله ذواتى أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده فلأن أكل الخمط فى معنى البرير كأنه قيل ذواتى برير والأثل والسدر معطوفان على أكل لاعلى خمط لأن الأثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيئاً بالنصب عطفاً على جنتين وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لأنه أكرم مابدلوا ۞ وقرئ وهل يجازى وهل نجازى بالنون وهل يجازى والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لايستحقه إلا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيآته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ماعمله من السوء ووجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة فى معنى المعاقبة وأخرى فى معنى الإثابة فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى إلا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى إلا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لأنه لم يرد الجزاء العام وإنما أراد الخاص وهو العقاب بل لايجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن مايتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذى لايجوز غيره ماجاء عليه كلام الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (القرى التى باركنا فيها) وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لأعين الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم (وقدرنا فيها السير) قيل كان الغادى منهم يقيل فى قرية والرائح يبيت فى قرية إلى أن يبلغ الشام لايخاف جوعا ولا عطشا ولا عدواً ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه (فإن قلت) مامعنى قوله (ليالى وأياما) (قلت) معناه سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لايختلف باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين لاتخافون وإن تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالى أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم فى

(قوله العرم الجرذ) فى الصحاح الجرذ ضرب من الفار وفيه سكرت النهر سكرا إذا سددته (قوله سلط الله على سدهم الخلد فنقبه) فى الصحاح الخلد ضرب من الجرذان أعمى وفيه الكدس بالضم واحد أكداس الطعام (قوله والمراد المسناة التى عقدوها) فى الصحاح المسناة العرم وفيه العرم المسناة وفى ذلك دور (قوله فلأن أكل الخمط فى معنى البرير) فى الصحاح البرير ثمر الأراك

كل ممزق إن فى ذلك لآيت لكل صبار شكور ۞ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ۞ وما كان له عليهم من سلطن إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ ۞ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموت ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ۞ ولا تنفع الشفعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم

كل حين وزمان لا تلقون فيها إلا الآمن قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء ۞ بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد كان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشأم مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الآزواد فعجل الله لهم الإجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجرون على ربهم ويتحازنون عليه (أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم وفرقناهم تفريقاً اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدى سبا وتفرقوا أيادى سبا قال كثير بن أيادى سبا يا عزما كنت بعدكم ۞ فلم يحل بالعينين بعدك منظر لحق غسان بالشأم وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان (صبار) عن المعاصى (شكور) للنعم ۞ قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع إبليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق فى ظنه أو صدق يظن ظناً نحو فعلته جهدك وبنصب إبليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصادق حين خيله إغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن إبليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة فى صدق كقوله صدقت فيهم ظنونى ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لأضلنهم لأغوينهم وقيل ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ۞ والضمير فى عليهم واتبعوه إما لأهل سبأ أو لبنى آدم ۞ وقلل المؤمنين بقوله (إلا فريقا) لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار كما قال لأحتنكن ذريته إلا قليلا ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم ۞ وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (حفيظ) محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان (قل) لمشركى قومك (ادعوا الذين) عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا إليهم فيما يعروكم كما تلتجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضر (فى السموات ولا فى الأرض وما لهم) فى هذين الجنسين من شركة فى الخلق ولا فى الملك كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، وماله منهم من عون يعين على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (فإن قلت) أين مفعولا زعم (قلت) أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول وأما الثانى فلا يخلو إما أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو محذوفا فلا يصح الأول لأن قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثانى لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما

(قوله وبشموا من طيب العيش) بشموا أى سئموا أفاده الصحاح (قوله كأنهم كانوا يتشاجرون) فى الصحاح الشجو الهم والحزن

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۞ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا

هو حجة عليه وبما لو قالوه قالوا ماهو حق وتوحيد فبقى أن يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع إلى الموصول كما حذف فى قوله أهذا الذى بعث الله رسولا استخفافا فالطول الموصول لصلته وحذف آلهة لأنه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوما فإذا مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين ۞ تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أن يكون على أحد هذين الوجهين أى لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له أى لشفيعه أو هى اللام الثانية فى قولك أذن لزيد لعمرو أى لأجله وكأنه قيل إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (فإن قلت) بما اتصل قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم) ولأى شىء وقعت حتى غاية (قلت) بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظاراً للإذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملى من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دلّ عليه قوله عز وجلّ رب السموات والأرض ومابينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا لمن أذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى إذا فزع عن قلوبهم أى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى إطلاق الإذن ۞ تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أى القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فإذا أذن لمن أذن أن يشفع فزعته الشفاعة وقرئ أذن له أى أذن له الله وأذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ أى نفى الوجل عنها وأفنى من قولهم فرغ الزاد إذا لم يبق منه شىء ثم ترك ذكر الوجل وأسند إلى الجار والمجرور كما تقول دفع إلىّ زيد إذا علم ما المدفوع وقد تخفف وأصله فرغ الوجل عنها أى انتفى عنه وفنى ثم حذف الفاعل وأسند إلى الجار والمجرور وقرأ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبى علقمة أنه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما أفاق قال مالكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع أى مقوله الحق (وهو العلى الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى ۞ أمره بأن يقررهم بقوله (من يرزقكم) ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذى تمكن فى صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى إلى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق إلا الضلال فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عناداً وضراراً وحذاراً من إلزام الحجة ونحوه قوله عزّ وجلّ قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ۞ وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذى إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم

(قوله أنه هاج به المرار) فى الصحاح المرار بضم الميم شجر مر إذا أكلت منه الإبل قلصت عنه مشافرها ومنه بنو آكل المرار وهم قوم من العرب

أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۞ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ

لم يتقاصر عنه (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ومعناه وإنّ أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذى لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفى درجة بعد تقدّمه ماقدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أنضل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قله شغب الخصم وفلّ شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه علم الله الصادق منى ومنك وإن أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء ۞ فشركما لخيركما الفداء

(فإن قلت) كيف خولف بين حرفى الجز الداخلين على الحق والضلال (قلت) لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لايدرى أين يتوجه وفى قراءة أبىّ وإنا أو إياكم إما على هدى أو فى ضلال مبين ۞ هذا أدخل فى الإنصاف وأبلغ فيه من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين وإن أراد بالإجرام الصغائر والزلات التى لايخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام ۞ وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار ۞ (فإن قلت) مامعنى قوله (أرونى) وكان يراهم ويعرفهم (قلت) أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم فى إلحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه

۞ قوله تعالى وإنا وإياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين (قال) لما ألزمهم الحجة فى قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير، وهلم جرا إلى الآية المذكورة وهذا الإلزام إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه أمره أن يقول وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ومعناه أنّ أحد الفريقين من الموحدين الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذى لايوصف بالقدرة على ذرة لعلى أحد الأمرين من الهدى أو الضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موافق أو مخالف قال للمخاطب به قد أنصفك صاحبك والتعريض أنضل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه الله يعلم الصادق منى ومنك وإن أحدنا لكاذب ومنه قول حسان: أتهجوه ولست له بكفء ۞ فشركما لخيركما الفداء (قال أحمد) وهذا تفسير مهذب وافتنان مستعذب رددته على سمعى فزاد رونقاً بالترديد واستعاده الخاطر كأنى بطىء الفهم حين يفيد ولا ينبغى أن ينكر بعد ذلك على الطريقة التى أكثر تعاطيها متأخرو الفقهاء فى مجادلاتهم ومحاوراتهم وذلك قولهم أحد الأمرين لازم على الإبهام فهذا المسلك من هذا الوادى غير بعيد فتأمله والله الموفق ۞ قوله تعالى قل لاتسألون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (قال وهذا القول أدخل فى الإنصاف من الأول حيث أسند الإجرام إلى النفس وأراد به الزلات والصغائر التى لايخلوا عنها مؤمن وأسند العمل إلى المخاطبين وأراد به الكفر والمعاصى والكبائر) قال أحمد فعبر عن الهفوات بما يعبر به عن العظائم وعن العظائم بما يعبر به عن الهفوات التزاما للإنصاف وزيادة على ذلك أنه ذكر الإجرام المنسوب إلى النفس بصيغة الماضى الذى يعطى تحقيق المعنى وعن العمل المنسوب إلى الخصم بما لايعطى ذلك والله أعلم

(قوله ولكن التعريض والتورية أفضل) فى الصحاح ناضله راماه يقال ناضلت فلانا فنضلته إذا غلبته اه فالأنضل الأشد رميا فلذا عدى بإلى (قوله وفل شوكته) أى كسرها

الحكيم ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرءان ولا بالذى بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴿ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ﴾ وقال الذين

والإشراك به و (كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وإن لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده أو ضمير الشان كما فى قوله تعالى قل هو الله أحد (إلا كافة للناس) إلا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس فى الإنذار والإبلاغ فجعلها حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه فى الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه أن يجعل اللام بمعنى إلى لأنه لا يستوى له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثانى فلا بد له من ارتكاب الخطأين ﴿ قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم (فإن قلت) فما تأويل من أضافه إلى يوم أو نصب يوما (قلت) أما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم بإضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعنى يوما أو أريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعنى التعظيم (فإن قلت) كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم (قلت) ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجىء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجؤهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه ﴿ الذى بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل فى الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذى بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى وأن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة ﴿ ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم فى الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أو للمخاطب (ولو ترى) فى الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجيب فحذف الجواب ﴿ والمستضعفون هم الأتباع ﴿ والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون ﴿ أولى الاسم أعنى نحن حرف الإنكار لأن الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين (بعد إذ جاءكم) بعد أن صممتم على الدخول فى الإيمان وصحت نياتكم فى اختياره بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا (فإن قلت) إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت إذ مضافا اليها (قلت) قد اتسع

(قوله لرأيت العجيب) لعله العجب كعبارة النسفى

استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا
الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ۞ وما
أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ۞ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا
وما نحن بمعذبين ۞ قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۞ وما
أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما

فى الزمان ما لم يتسع فى غيره فأضيف اليها الزمان كما أضيف إلى الجمل فى قولك جئتك بعد إذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحجاج أمير وحين خرج زيد لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب فى كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل والنهار) فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم فى الليل والنهار فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر اليه أوجعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرون الإغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه (فإن قلت) ما وجه الرفع والنصب (قلت) هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار (فإن قلت) لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا (قلت) لأن الذين استضعفوا أمر ولا كلامهم فجىء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جىء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول (فإن قلت) من صاحب الضمير فى (وأسروا) قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون فى قوله إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة أظهروها وهو من الأضداد ۞ هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة والمفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لولم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا (وما نحن بمعذبين) أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم فى الدنيا ۞ وقد أبطل الله تعالى حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذى مبناه على الاستحقاق ۞ وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه ۞ وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف ۞ أرادوما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتى تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث ويجوز أن يكون التى هى التقوى وهى المقربة عند الله زلفى وحدها أى ليست

(قوله مما منى به من قومه) أى ابتلى به (قوله والمفاخرة وزخارفها) لعله بالدنيا وزخارفها

عملوا وهم فى الغرفت ءامنون ۞ والذين يسعون فى ءايتنا معجزين أولـئك فى العذاب محضرون ۞ قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشـاء من عباده ويقدر له ومـا أنفقتم من شىء فهو يخلفـه وهو خـير الرزقين ۞ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملـئكة أهـؤلاء إياكم كانوا يعبدون ۞ قالوا سبحنك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ۞ فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين

أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب ۞ وقرأ الحسن باللاتى تقربكم لأنها جماعات وقرئ بالذى يقربكم أى بالشىء الذى يقربكم والزلفى والزلفة كالكربى والكربة ومحلها النصب أى تقربكم قربة كقوله تعالى أنبتكم من الأرض نباتا (إلا من آمن) استثناء من كم فى تقربكم والمعنى أن الأموال لاتقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله والأولاد لاتقرب أحداً إلا من علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء (الضعف) من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء قرئ فى الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفى الغرفة (فهو يخلفه) فهو يعوضه لامعوض سواه إما عاجلا بالمـال أو بالقناعة التى هى كنز لاينفد وإما آجلا بالثواب الذى كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هـذا المـال مايقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ماقسم له قليـل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع مافى يده ثم يبق طول عمره فى فقر ولايتأولن وماأنفقتم من شىء فهو يخلفه فإن هذا فى الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه (خير الرازقين) وأعلاهم رب العزة بأن كل مارزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لايجد وواجد لايشتهى ۞ هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر إياك أعنى واسمعى ياجاره ونحوه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مماوجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعبيرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهوانه ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهى مفاعلة من الولى وهو القرب كما أن المعاداة من العدواء وهى البعد والولى يقع على الموالى والموالى جميعا والمعنى أنت الذى نواليه من دونهم إذ لاموالاة بيننا وبينهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) يريدون الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون فى أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها ۞ وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء ۞ الأمر فى ذلك اليوم لله وحده لايملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التى هى دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتافعون والمراد أنه لاضار ولانافع يومئذ إلا هو وحده ۞ ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) معطوفا على لايملك ۞ الإشارة الأولى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية إلى القرآن

(قوله الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى) فى الصحاح وجد مطلوبه وأوجده الله مطلوبه أى أظفره به وأوجده أى أغناه

(قوله إياك أعنى واسمعى ياجاره) لعله فاسمعى

ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ۞ وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قالوا ماهذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد ءاباؤكم وقالوا ماهذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ۞ وما ءاتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ۞ وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما ءاتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير ۞ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ۞

والثالثة إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو وفى قوله (وقال الذين كفروا) وفى أن لم يقل وقالوا وفى قوله (للحق لما جاءهم) ومافى اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وفى لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه (إن هذا إلاسحر مبين) فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحراً ۞ وما آتيناهم كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا إليهم نذيراً ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لاملة لهم وليس لهم عهد بإنزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين) تقدموهم من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكارى بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرّسونها من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درّس الكتاب ودرس الكتب ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع (فإن قلت) مامعنى (فكذبوا رسلى) وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم (قلت) لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسبباً عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك مابلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه (فكيف كان نكير) أى للمكذبين الأولين فليحذروا من مثله (بواحدة) بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم إما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام الذى لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب فى الأمر والنهوض فيه بالهمة والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى أن تقوموا لوجه الله خالصاً متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً (ثم تتفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كلّ واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لايميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادّة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقرّ عنده من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم والذى أوجب تفرّقهم مثنى وفرادى أنّ الاجتماع مما يشوّش الخواطر ويعمى البصائر

(قوله فكيف كان نكير) وفى النسفى أنّ يعقوب قرأ نكيرى بالياء فى الوصل والوقف

قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۞ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۞ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ

ويمنع من الروية ويخاط القول ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب وأراهم بقوله (ما بصاحبكم من جنة) أن هذا الأمر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والآخرة جميعاً لا يتصدى لادعاء مثله إلا رجلان إما مجنون لا يبالى بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدرى ما الافتضاح ومارقبة العواقب وإما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه وإلا فما يجدى على العاقل دعوى شىء لا بينة له عليه وقد علمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأثقبهم ذهنا وآصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأنزههم نفساً وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين (فإن قلت) ما بصاحبكم بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية (بين يدى عذاب شديد) كقوله عليه الصلاة والسلام بعثت فى نسم الساعة (فهو لكم) جزاء الشرط الذى هو قوله ما سألتكم من أجر تقديره أى شىء سألتكم من أجر فهو لكم كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما نفى مسألة الأجر أساكما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتنى شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً ولكنه يريد به البت لتعليقه الأخذ بما لم يكن والثانى أن يريد بالأجر ما أراد فى قوله تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وفى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى لأن اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة فى القرابة لأن القرابة قد انتظمته وإياهم (على كل شىء شهيد) حفيظ مهيمن يعلم أنى لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع منكم فى شىء ۞ القذف والرمى تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الإلقاء ومنه قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب أن اقذفيه فى التابوت ومعنى (يقذف بالحق) يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويزهقه (علام الغيوب) رفع محمول على محل إن واسمها أو على المستكن فى يقذف أو هو خبر مبتدإ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أو على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الأمر الذى غاب وخفى جداً ۞ والحى إما أن يبدئ فعلا أو يعيد فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا فى الهلاك ومنه قول عبيد :

أقفر من أهله عبيد ۞ فاليوم لا يبدى ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى «جاء الحق وزهق الباطل» وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ۞ والحق القرآن وقيل الإسلام وقيل السيف وقيل الباطل إبليس لعنه الله أى ما ينشئ خلقاً ولا يعيده ۞ المنشئ والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدئ لأهله خيراً ولا يعيده أى لا ينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال الزجاج أى شىء ينشئ إبليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك قرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرها وضللت أضل بكسرها مع

(قوله بعثت فى نسم الساعة) فى الصحاح نسم الريح أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد ومنه الحديث بعثت فى نسم الساعة أى حين ابتدأت وأقبلت أوائلها والنسم أيضا جمع نسمة وهى النفس (قوله القذف والرمى تزجية السهم) فى الصحاح زجيت الشىء تزجية إذا دفعته برفق (قوله فجعل يطعنه بعود نبعة) لعله معه كعبارة النسفى

اهتديت فبما يوحى إلى ربى إنه سميع قريب ۞ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ۞ وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ۞ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ۞ وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا فى شك مريب ۞

فتحها وهما لغتان نحو ظللت أظل وظللت أظل وقرئ إضل بكسر الهمزة مع فتح العين (فإن قلت) أين التقابل بين قوله فإنما أضل على نفسى وقوله فبما يوحى إلى ربى وإنما كان يستقيم أن يقال فإنما أضل على نفسى وإن اهتديت فإنما أهتدى لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها أو يقال فإنما أضل بنفسى (قلت) هما متقابلان من جهة المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (إنه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شىء (ولو ترى) جوابه محذوف يعنى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو وإذ والأفعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله فى المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء خسف بهم (فلا فوت) فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت ۞ والأخذ من مكان قريب من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القليب أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم (فإن قلت) علام عطف قوله وأخذوا (قلت) فيه وجهان العطف على فزعوا أى فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا وقرئ وأخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك أخذ (آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة ۞ والتناوش والتناول أخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشىء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا فى الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم فى ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين إيمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشىء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت فى أجؤه وأدؤر وعن أبى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت

۞ تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى ۞ أى أخيرا (ويقذفون) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون (بالغيب) ويأتون به (من مكان بعيد) وهو قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفى لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شىء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شىء من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول أى يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم إياه وإن شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشىء الغائب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة

(قوله أن يتناول الشىء من غلوة) فى الصحاح غلوت بالسهم غلوا إذا رميت به أبعد ما تقدر عليه والغلوة الغاية مقدار رمية وفيه يقال بينهما قيس رمح وقاس رمح أى قدر رمح (قوله ومنه البيت تمنى نئيشا) تمام البيت: وقد حدثت بعد الأمور أمور

سورة فاطر مكية

وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُولِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ

والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (مايشتهون) من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا (بأشياعهم) بأشباههم من كفرة الأمم ومن كان مذهبه مذهبهم (مريب) إما من أرابه إذا أوقعه فى الريبة والتهمة أو من أراب الرجل إذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز إلا أن بينهما فريقا وهو أن المريب من الأول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الأعيان إلى المعنى والمريب من الثانى منقول من صاحب الشك إلى الشك كما تقول شعر شاعر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى مافاطر السموات والأرض حتى اختصم إلىّ أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقرئ الذى فطر السموات والأرض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح (رسلا) بضم السين وسكونها (أولى أجنحة) أصحاب أجنحة وأولو اسم جمع لذا وكما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى المتمكنة المخاض والخفة (مثنى وثلاث ورباع) صفات لأجنحة وإنما لم تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير إلى غير تكرير وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى أن الملائكة خلقاً أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد فى الخلق مايشاء) أى يزيد فى خلق الأجنحة وفى غيره ماتقتضيه مشيئته وحكمته والأصل الجناحان لأنهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه (فإن قلت) قياس الشفع من الأجنحة أن يكون فى كل شقّ نصفه فما صورة الثلاثة (قلت) لعل الثالث يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فقد مر بى فى بعض الكتب أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما فى الأمر من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أنه سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له فى صورته فقال إنك لن تطيق ذلك قال إنى أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة فأتاه جبريل فى صورته فغشى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله حتى يعود مثل

(قوله والمعنى أن الملائكة خلقا) لعله متنوعة خلقا الخ

لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ

الوصع وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة فى العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الأعضاء وقوة فى البطش وحصافة فى العقل وجزالة فى الرأى وجراءة فى القلب وسماحة فى النفس وذلاقة فى اللسان ولباقة فى التكلم وحسن تأن فى مزاولة الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ۞ استعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لافاتح له يعنى أى شىء يطلق الله من رحمة أى من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التى لا يحاط بعددها ۞ وتنكير الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قال من آية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها وأى شىء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه ۞ (فإن قلت) لم أنث الضمير أولا ثم ذكر آخراً وهو راجع فى الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط (قلت) هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثانى فترك على أصل التذكير ۞ وقرئ فلا مرسل لها (فإن قلت) لابد للثانى من تفسير فما تفسيره (قلت) يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول ولكنه ترك لدلالته عليه وأن يكون مطلقاً فى كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وإنما فسر الأول دون الثانى للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه (فان قلت) فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس رضى الله عنهما (قلت) إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذى أراده ابن عباس رضى الله عنهما إن قاله فمقبول وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصى تاب وإن لم يشأ لم يتب فمردود لأن الله تعالى يشاء التوبة أبداً ولا يجوز عليه أن لا يشاءها (من بعده) من بعد إمساكه كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله فبأى حديث بعد الله أى من بعد هدايته وبعد آياته (وهو العزيز) الغالب القادر على الإرسال والإمساك (الحكيم) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة إرساله وإمساكه ۞ ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به القلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادى عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون فى نعمة الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد يا أهل مكة أذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية ۞ وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء ۞ (فإن قلت) ما محل (يرزقكم) (قلت) يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق بإضمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيراً له أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق

۞(القول فى سورة الملائكة) ۞ (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم الآية (قال فيه إن قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل إذا جعلته تفسيرا وجعلت

(قوله مثل الوصع وهو العصفور) فى الصحاح الوصع طائر أصغر من العصفور (قوله وحصافة) أى إحكام أفاده الصحاح (قوله وذلاقة) أى حدة وطلاقة أفاده الصحاح (قوله ولباقة فى التكلم) أى حذق أفاده الصحاح (قوله يشاء التوبة أبداً) هذا وما بعده على مذهب المعتزلة من أنه تعالى يجب عليه الصلاح للعبد وعند أهل السنة لا يجب عليه شىء فالكلام على ظاهره ورده مردود (قوله وحفظها من الكفران والغمط) أى الاحتقار أفاده الصحاح

رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ۞ الَّذِينَ

غيرالله (فإن قلت) هل فيه دليل على أنّ الخالق لايطلق على غير الله تعالى((قلت) نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق والرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات (لاإله إلاهو) جملة مفصولة لامحل لها مثل يرزقكم فى الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لأنّ قولك هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلاذلك الخالق غير مستقيم لأنّ قولك هل من خالق سوى الله إثبات لله فلوذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفى بعد الإثبات (فأنى تؤفكون)فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك ۞ نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له فى الأنبياء قبله أسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه ۞ وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها (فإن قلت) ماوجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له (قلت) معناه وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعنى بالتكذيب عن التأسى (فإن قلت) مامعنى التنكير فى رسل (قلت) معناه فقد كذبت رسل أى رسل ذوو عدد كثير وأولوا آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة ۞ وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب (فلا تغرنكم) فلا تخدعنكم (الدنيا) ولايذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله (ولايغرنكم بالله الغرور) لايقولون لكم اعملوا ماشئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لأنّ ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أوجمع غار كقاعد وقعود أخبرنا الله عزوجل

من خالق مرفوع المحل بفعل يدل عليه هذا كأنه قيل هل يرزقكم خالق غير الله أوجعلت يرزقكم كلامامبتدأ) قال أحمد والوجه المؤخر أوجهها ۞ عاد كلامه (قال) فإن قلت هل فيه دليل على أنّ الخالق لايطلق على غير الله تعالى قلت نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأمّا على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السموات والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على نفيه مطلقا (قال أحمد) القدرية إذا قرعت هذه الآية أسماعهم قالوا بجرأة على الله تعالى نعم ثم خالق غير الله لأنّ كل أحد عندهم يخلق فعل نفسه فلهذا رأيت الزمخشرى وسع الدائرة وجلب الوجوه الشاردة النافرة وجعل الوجهين يطابقان معتقده فى إثبات خالق غير الله ووجها هو الحق والظاهر وأخره فى الذكر تأسيا له والذى يحقق الوجه الثالث وأنه هو المراد أن الآية خوطب بها قوم على أنهم مشر ون إذا سئلوا عن رازقهم من السموات والأرض قالوا الله فقرروا بذلك وقرعوا به إقامة للحجة عليهم بإقرارهم ولو كان على غير هذا الوجه قيد لكان مفهومه إثبات خالق غير الله لكنه لايرزق وهؤلاء الكفرة قد تبرؤا عن ذلك فلا وجه لتقريعهم بما يلائم قولهم هذا ترجح الوجه الثالث من حيث مقصود سياق الآية وأمّا من حيث النظم اللفظى فلأنّ الجملتين اللتين هما قوله يرزقكم وقوله لاإله إلاهو سيقتا سياقا واحدا والثانية مفصولة اتفاقا مما تقدم فكذلك وزينتها ۞ قوله تعالى ياأيها الناس إنّ وعدالله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا الآية (قال معناه ولايقولن لكم الشيطان اعملوا ماشئتم فإنّ الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة) قال أحمد هو يعرض بأهل السنة فى اعتقادهم جواز مغفرة الكبائر للموحد وإن لم يكن توبة وهذا لايناقض صدق وعده تعالى لأنّ الله تعالى حيث توعد على الكبائر قرن الوعد بالمشيئة فى مثل قوله لهم إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فهم إذا مصدقون بوعد الله تعالى موقنون به على حسب ما ورد

كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۞ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلا كنا فوعظنا عزوجل بأنه كما علمتم عدوكم الذى لاعدو أعرق فى العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لاعلم له بحاله (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا مايدل على معاداته ومناصبته فى سركم وجهركم ۞ ثم لخص سرّ أمره وخطأ من اتبعه بأنّ غرضه الذى يؤمّه فى دعوة شيعته ومتبعى خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة والأمانى الكاذبة فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما ۞ لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) يعنى أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فإنّ الله يضلّ من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ومعنى تزيين العمل والإضلال واحد وهو أن يكون العاصى على صفة لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم فى الضلال ويطلق آمر النهى ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبى نواس

اسقنى حتى ترانى ۞ حسناً عند القبيح

وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإنّ على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقى بالا إلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى فى خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج أنّ المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإنّ الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ۞ عليه حسرات مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حباً ومات عليه حزناً أوهو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأنّ المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى ۞ حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدوراً أى لم يبق إلا كلاكلها وصدورها ومنه قوله

فعلى أثرهم تساقط نفسى ۞ حسرات وذكرهم لى سقام

وقرئ فلا تذهب نفسك (إنّ الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم وقرئ أرسل الريح (فإن قلت) لم جاء فتثير على المضارعة دون ماقبله ومابعده (قلت) ليحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أوتهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا

بأنى قد لقيت الغول تهوى ۞ بسهب كالصحيفة صحصحان

(قوله وقشر اللحاء) فى الصحاح اللحاء ممدود قشر الشجر (قوله لحمهنّ مع السرى ۞ حتى ذهبن كلاكلا) فى الصحاح سريت سرى إذا سرت ليلا وفيه الكلكل والكلكال الصدر اه فالعطف تفسير (قوله قد لقيت الغول تهوى ۞ بسهب) فى الصحاح السهب الفلاة والصحصحان المكان المستوى والجران مقدم العنق

كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ۞ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ

فأضربها بلا دهش فخرت ۞ صريعاً لليدين وللجران

لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه والكاف فى (كذلك) فى محل الرفع أى مثل إحياء الموات نشور الأموات وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بوادى أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضراً قال نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته فى خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق ۞ كان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله (فلله العزة جميعا) موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لأن الشىء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعاً أن العزة كلها مختصة بالله : عزة الدنيا وعزة الآخرة ۞ ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والكلم الطيب لا إله إلا الله . عن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال عز وجل إن كتاب الأبرار لفى عليين إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذى يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبى صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفى الحديث لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا يقبل قولا ولا عملا إلا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية إلا بإصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد والمصعد هو الرجل أى يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل ۞ (فإن قلت) مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب (السيئات) (قلت) هذه صفة للمصدر أو لما فى حكمه كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيئات أو أصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا فى دار الندوة وتداوروا الرأى فى إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم أما إثباته أو قتله أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك (ومكر أولئك هو يبور) يعنى ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور أى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعاً

(قوله ثم مررت به يهتز خضراً) فى الخازن يهتز

جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ

وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولايحيق المكر السيء إلا بأهله (أزواجا) أصنافا أوذكرانا وإناثا كقوله تعالى أويزوجهم ذكرانا وإناثا وعن قتادة رضى الله عنه زوج بعضهم بعضا (بعلمه) فى موضع الحال أى إلا معلومة له ۞ (فإن قلت) مامعنى قوله ومايعمر من معمر (قلت) معناه ومايعمر من أحد وإنما سماه معمراً بما هو صائر اليه (فإن قلت) الإنسان إما معمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره فإما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله (ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره) (قلت) هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله بأفهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لايلتبس عليهم إحالة الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لايثيب الله عبداً ولايعاقبه إلا بحق وماتنعمت بلدا ولااجتويته إلاقل فيه ثوائى وفيه تأويل آخر وهو أنه لايطول عمر إنسان ولايقصر إلا فى كتاب وصورته أن يكتب فى اللوح إن حج فلان أوغزا فعمره أربعون سنة وإن حج وغزا فعمره ستون سنة فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعون فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو الستون واليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله إن الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الأعمار وعن كعب أنه قال حين طعن عمر رضى الله عنه لو أن عمر دعا الله لأخر فى أجله فقيل لكعب أليس قد قال الله إذا جاء أجلهم فلايستأخرون ساعة ولايستقدمون قال فقد قال الله ومايعمر من معمر وقد استفاض على الألسنة أطال الله بقاءك وفسح فى مدتك وما أشبهه وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب فى أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتى على آخره وعن قتادة رضى الله عنه المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضى الله عنهما ويجوز أن يراد بكتاب الله علم الله أو صحيفة الإنسان وقرئ ولاينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه (ومن كل) اى ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية) وهى اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لأنها تمخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره (من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه ۞ وحرف الرجاء مستعار لمعنى الإرادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا ۞ والفرات الذى يكسر العطش ۞ والسائغ المرئ السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل ۞ والأجاج الذى يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » ثم قال « وإن من الحجارة لما يتفجر منه

(قوله ولااجتويته إلاقل فيه ثوائى) أى كرهت المقام به كذا فى الصحاح

الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۞ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۞ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا

الأنهار وإنّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإنّ منها لما يهبط من خشية الله (ذلكم) مبتدأ و(الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أوالله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأةواقعة فى قران قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) ويجوز فى حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أنّ المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة الملتفة عليها إن ندعوا الأوثان (لايسمعوا دعاءكم) لأنهم جماد (ولوسمعوا) على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) لأنهم لايدعون ماتدعونلهم من الإلهية ويتبرؤن منها وقيل مانفعوكم (يكفرون بشركم ولا ينبئك مثل خبير) ولايخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به ويريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أنّ هذا الذى أخبرتكم به منحال الأوثان هو الحق لأنى خبير بما أخبرت به وقرئ يدعون بالياء والتاء (فإن قلت) لم عرف الفقراء (قلت) قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأنّ الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف فى قوله وخلق الإنسان ضعيفا وقال سبحانه وتعالى الله الذى خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء (فإن قلت) قدقوبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد (قلت) لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غنى نافعا بغناه إلاإذا كان الغنى جواداً منعما فإذاجاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على أنه الغنى النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه الحميد على ألسنة مؤمنيهم (بعزيز) بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضى الله عنهما يخلق بعدكم من يعبده لايشرك به شيأ ۞ الوزر والوقر أخوان ووزر الشىء إذا حمله ۞ والوازرة صفة للنفس والمعنى أنّ كل نفس يوم القيامة لاتحمل إلا وزرها الذى اقترفته لاتؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولى بالولى والجار بالجار (فإن قلت) هلاقيل ولاتزر نفس وزر أخرى ولم قيل وازرة (قلت) لأنّ المعنى أنّ النفوس الوازرات لاترى منهنّ واحدة إلاحاملةوزرها لاوزر غيرها (فإن قلت) كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (قلت) تلك الآية فى الضالين المضلين وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم مافيها شىء من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى فى قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وماهم بحاملين منخطاياهم منشىء (فإن قلت) ما الفرق بين معنى قوله (ولاتزر وازرة وزر أخرى) وبين معنى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شىء) (قلت) الأول فى الدلالة على عدل الله تعالى فى حكمه وأنه تعالى لايؤاخذ نفسابغيرذنبها والثانى فى أن لاغياث يومئذ لمن استغاث حتى أنّ نفسا قدأثقلتها الأوزار وبهظتها لودعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وإن كان المدعوّ بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ (فإن قلت) إلام أسند كان فى (ولوكان ذاقربى) (قلت) إلى المدعوّ المفهوم من قوله وإن تدع مثقلة (فإن قلت) فلم ترك ذكر المدعوّ (قلت)

(قوله مانفعوكم يكفرون بشركم) كأن تفسيره قد سقط وفى النسفى يكفرون بشرككم بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون ولاينبئك الخ

الصَّلوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۞ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۞ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۞ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۞ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۞ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۞

ليعمّ ويشمل كل مدعو (فإن قلت) كيف استقام إضمار العام ولايصح أن يكون العام ذا قربى للمثقلة (قلت) هو من العموم الكائن على طريق البدل (فإن قلت) ماتقول فيمن قرأ ولو كان ذوقربى على كان التامة كقوله تعالى وإن كان ذوعسرة (قلت) نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لأنّ المعنى على أن المثقلة إن دعت أحداً إلى حملها لايحمل منه شيء وإن كان مدعوها ذاقربى وهو معنى صحيح ملتئم ولوقلت ولو وجد ذوقربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أنّ ههنا ماساغ أن يستتر له ضمير فى الفعل بخلاف ما أوردته (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائباً عنهم وقيل بالغيب فى السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فكانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله ۞ وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوها مناراً منصوبا وعلما مرفوعا يعنى إنما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم (ومن تزكى) ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة التزكى (وإلى الله المصير) وعد المتزكين بالثواب (فإن قلت) كيف اتصل قوله إنما تنذر بما قبله (قلت) لما غضب عليهم فى قوله إن يشأ يذهبكم أتبعه الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها ثم قال إنما تنذر كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل إنما تنذر أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم (الأعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما أو للصنم والله عزّ وجلّ ۞ والظلمات والنور والظلّ والحرور مثلا للحق والباطل ومايؤديان إليه من الثواب والعقاب ۞ والأحياء والأموات مثل الذين دخلوا فى الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر ۞ والحرور السموم إلا أنّ السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل خاصة (فإن قلت) لا المقرونة بواو العطف ماهى (قلت) إذا وقعت الواو فى النفى قرنت بها لتأكيد معنى النفى (فإن قلت) هل من فرق بين هذه الواوات (قلت) بعضها ضمت شفعاً إلى شفع وبعضها وتراً إلى وتر (إنّ الله يسمع من يشاء) يعنى أنه قد علم من يدخل فى الإسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى الذى قد علم أنّ الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لاتنفع فيه وأما أنت فخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص وتتهالك على إسلام قوم من المخذولين ومثلك فى ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين وينذر وذلك مالا سبيل إليه ثم قال (إن أنت إلا نذير) أى ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع وإن كان من المصرين فلاعليك ويحتمل أنّ الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدى المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والإلجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلاحيلة لك فى المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى (بالحق) حال من أحد الضميرين يعنى محقاً أو محقين أو صفة للمصدر أى إرسالا مصحوبا بالحق أو صلة لبشير ونذير على بشيراً بالوعد الحق ونذيراً بالوعيد الحق ۞ والأمة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لأهل كل عصر أمة وفى حدود المتكلمين الأمة هم المصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث إليهم وهم الذين يعتبر إجماعهم والمراد ههنا أهل العصر (فإن قلت) كم من أمة فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولم يخل فيها نذير (قلت) إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير فى آخر الآية بعد ذكرهما (قلت) لما كانت النذارة

(قوله وخرج من اتساقه والتئامه) أى انتظامه

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَٰبِ الْمُنِيرِ ۞ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَآبِّ وَالْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰٓؤُا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ

مشفوعة بالبشارة لامحالة دلّ ذكرها على ذكرها لاسيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما (بالبينات) بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات (وبالزبر) وبالصحف (وبالكتاب المنير) نحو التوراة والإنجيل والزبور . لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسناداً مطلقاً وإن كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد: الخطط والطرائق قال لبيد * أومذهب جدد على ألواحه * ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه (وغرابيب) معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ماهو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة رضي الله عنه هي الجبال الطوال السود (فإن قلت) الغربيب تأكيد للأسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك (قلت) وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعاً ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله تعالى ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفاً ألوانها (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول أبي ذؤيب يصف حمار وحش * جون السراة له جدائد أربع * وروى عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففاً ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضألين لأن كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله (كذلك) أي كاختلاف الثمرات والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً ومن كان علمه به أقل كان آمن وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علماً أن يخشى وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه (فإن قلت) هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو أخر (قلت) لابد من ذلك فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله تعالى «ولا يخشون أحداً إلا الله» وهما معنيان مختلفان (فإن قلت) ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله (قلت) لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (إنما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق

(قوله ماهو على لون واحد غرابيب) لعله غربيب (قوله أصفر فاقع وأبيض يقق) بفتح القاف الأولى وحكى كسرها أفاده الصحاح

وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۞ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۞ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۞

معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة (قلت) الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده (إن الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يخشى (يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي رحمه الله يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي رحمه الله هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون (يرجون) خبر إن والتجارة طلب الثواب بالطاعة و (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده (أجورهم) وهي ما استحقوه من الثواب (ويزيدهم) من التفضل عن المستحق وإن شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وأنفقوا راجين ليوفيهم أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر إن قوله (إنه غفور شكور) على معنى غفور لهم شكور لأعمالهم والشكر مجاز عن الإثابة (الكتاب) القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض (مصدقا) حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (لخبير بصير) يعني أنه خبرك وأبصر أحوالك فرآك أهلا لأن يوحى إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ۞ (فإن قلت) ما معنى قوله (ثم أورثنا الكتاب) (قلت) فيه وجهان أحدهما إنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثنا من بعدك أي حكمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله ۞ ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني أنه قدم إرساله في كل أمة رسولا وأنهم كذبوا برسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال إن الذين يتلون كتاب الله فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم واعترض بقوله والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أي من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الملة الحنيفية (فإن قلت) فكيف جعلت (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك (قلت) لما كان السبب في نيل الثواب نزل

۞ قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله (قال يعني بالمصطفين أمة محمد عليه الصلاة والسلام ثم قسمتهم الآية إلى ظالم لنفسه وهو المرجأ لأمر الله وإلى مقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وإلى سابق ثم قال الزمخشري فإن قلت كيف جعل الجنات بدلا من الفضل الكبير وذلك

(قوله ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله) أي تروج أفاده الصحاح

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ

منزلة لمسبب كأنه هو الثواب فأبدلت عنه جنات عدن وفى اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين مافيه منوجوب الحذر فليحذر المقتصد وليملك الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولايغترا بما رواه عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفورله فإن شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى «عسى الله أن يتوب عليهم» وقوله «إما يعذبهم وإما يتوب عليهم» ولقد نطق القرآن بذلك فى مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع ۞ وقرئ سباق ومعنى بإذن الله بتيسيره وتوفيقه (فإن قلت) لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق (قلت) للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة اليهم والسابقين أقل من القليل ۞ وقرئ جنة عدن على الإفراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر أى يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول ۞ ويحلون من حليت المرأة فهى حال (ولؤلؤا) معطوف على محل من أساور ومن داخلة للتبعيض أى يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب فى صفاء اللؤلؤ وقرئ ولولوا بتخفيف الهمزة الأولى ۞ وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضى الله عنهما حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى محشرهم ولا فى مسيرهم وكأنى بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ۞ وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات ۞ المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذى هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالتبرع ۞ وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم مايلغب منه أى لانتكلف عملا يلغبنا أومصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت (فإن قلت)

فى تتمة الآية فى قوله ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها. قلت لأن الإشارة بالفضل إلى السبق بالخيرات وهو السبب فى الجنات ونيل الثواب فأقام السبب مقام المسبب وفى اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين مايوجب الحذر فليحذر المقتصد وليملك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح ولايغتر بما رواه عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفورله فإن شرط ذلك صحة التوبة فلا يعلل نفسه بالخدع) قال أحمد وقد صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله ثم قسمتهم إلى الظالم والمقتصد السابق ليلزم اندراج الظالم لنفسه من الموحدين فى المصطفين وإنه لمنهم وأى نعمة أتم وأعظم من اصطفائه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع فما بال المصنف يطنب فى التسوية بين الموحد المصطفى والكافر المجترى وقوله جنات عدن يدخلونها الضمير فيه راجع إلى المصطفين عموما والجنات جزاؤهم على توحيدهم جميعا وإعرابها جنات مبتدأ ويدخلونها الخبر وقوله يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير إلى آخر الآية خبر بعد خبر وخبر على خبر والله المستعان

(قوله فإن شرط ذلك صحة التوبة) هذا عند المعتزلة أما أهل السنة فيجوزون الغفران بمجرد الفضل (قوله أوصفة للمصدر كأنه) لعله كأنه قال

مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۞ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۞ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي

ماالفرق بين النصب واللغوب (قلت) النصب التعب والمشقة التى تصيب المنتصب للأمر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة (فيموتوا) جواب النفى ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفاً على يقضى وإدخالا له فى حكم النفى أى لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزى) وقرئ يجازى ونجزى (كل كفور) بالنون (يصطرخون) يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال ۞ كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها ۞ واستعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ۞ (فان قلت) هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به فى قوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا ۞ وما فائدة زيادة (غير الذى كنا نعمل) على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذى عملوه (قلت) فائدة زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم فى الكفر وركوب المعاصى ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نحسبه صالحا فنعمله (أولم نعمركم) توبيخ من الله يعنى فنقول لهم ۞ وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ فى المتطاول أعظم وعن النبى صلى الله عليه وسلم العمر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد بين العشرين إلى الستين وقيل ثمانى عشر وسبع عشر و (النذير) الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب ۞ وقرئ وجاءتكم النذر (فإن قلت) علام عطف وجاءكم النذير (قلت) على معنى أو لم نعمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (إنه عليم بذات الصدور) كالتعليل لأنه إذا علم مافى الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات الصدور: مضمراتها وهى تأنيث ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغنى عن ذا إنائك أجمعا ۞ المعنى مافى بطنها من الحبل وما فى إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء ألا ترى إلى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهى معها وذو موضوع لمعنى الصحبة ۞ يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاءه فى أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على مافيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذى ليس وراءه خزى وصغار وخسار الآخرة الذى ما بقى بعده خسار والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتى لكونه ممقوتا فى كل قلب وهو خطاب الناس وقيل خطاب لمن بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغى أن تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما أن ذلك حكم من قبلكم (أرونى) بدل من أرأيتم لأن المعنى أرأيتم أخبرونى كأنه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الإلهية والشركة أرونى أى جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله

(قوله ونجزى كل كفور بالنون) ونصب كل فى هذه القراءة ورفعه فيما قبلها (قوله ولأنهم كانوا يحسبون) لعله أو لأنهم كانوا (قوله وغمط هذه النعمة) أى واحتقر

مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۞ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا

أم لهم مع الله شركة فى خلق السموات أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير فى آتيناهم للمشركين كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله بل إن يعد بعضهم وهم الرؤساء (بعضاً) وهم الأتباع (إلا غرورا) وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات (أن تزولا) كراهة أن تزولا أو يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك منع (إنه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هداً لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض ۞ وقرئ ولو زالتا وإن أمسكهما جواب القسم فى ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفى والثانية للابتداء ۞ من بعده من بعد إمساكه وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول إن السموات على منكب ملك قال كذب كعب أما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية ۞ بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقال لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه ۞ وفى (إحدى الأمم) وجهان أحدهما من بعض الأمم ومن واحدة من الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم والثانى من الأمة التى يقال لها إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة (مازادهم) إسناد مجازى لأنه هو السبب فى أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى فزادهم رجسا إلى رجسهم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول له على معنى مازادهم إلا أن نفروا استكبارا وعلوا (فى الأرض) أو حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ۞ ويجوز أن يكون (ومكر السيئ) معطوفا على نفورا (فإن قلت) فما وجه قوله ومكر السيئ (قلت) أصله وأن مكروا السيئ أى المكر السيئ ثم ومكر السيئ ثم مكر السيئ والدليل عليه قوله تعالى (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيء أى لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فإن الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم وعن كعب أنه قال لابن عباس رضى الله عنهما قرأت فى التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك فى كتاب الله وقرأ الآية وفى أمثال العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيْ بإسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا (سنت الأولين) إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين أن عادته التى هى الانتقام من مكذبى الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أى لا يغيرها وأن ذلك مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسايرهم ومتاجرهم فى رحلهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار

(قوله من حفر مغواة وقع فيها) فى الصحاح وقع الناس فى أغوية أى فى داهية والمغويات بفتح الواو مشددة جمع المغواة وهى حفرة كالزبية يقال من حفر مغواة وقع فيها والزبيه حفرة تحفر للأسد اه أى لصيد الأسد

فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا ۞ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا ۞

﴿سورة يس مكية : إلا آية ٤٥ فمدنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ يس ۞ والقرءان الحكيم ۞ إنك لمن المرسلين ۞ على صراط مستقيم ۞ تنزيل العزيز الرحيم ۞ لتنذر قوما ما أنذر ءاباؤهم فهم غافلون ۞ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ۞

الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (ليعجزه) ليسبقه ويفوته (بما كسبوا) بما اقترفوا من معاصيهم (على ظهرها) على ظهر الأرض (من دابة) من نسمة تدب عليها يريد بنى آدم وقيل ماترك بنى آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب فى جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن أنس أن الضب ليموت هزلا فى جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شىء (إلى أجل مسمى) إلى يوم القيامة (كان بعباده بصيرا) وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت

﴿سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قرئ يس بالفتح كأين وكيف أو بالنصب على اتل يس وبالكسر على الأصل كجير وبالرفع على هذه يس أو بالضم كحيث وفخمت الألف وأميلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا إنسان فى لغة طيء والله أعلم بصحته وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا فى القسم م الله أيمن الله (الحكيم) ذى الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحى أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين (فإن قلت) أى حاجة إليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونوا إلا على صراط مستقيم (قلت) ليس الغرض بذكره ماذهبت إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وإنما الغرض وصفه ووصف ماجاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين فى نظام واحد كأنه قال إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضا فإن التنكير فيه دال على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنهه وصفه قرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على أعنى وبالجر على البدل من القرآن (قوما ما أنذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من

۞ (القول فى سورة يس) ۞ (بسم الله الرحمن الرحيم) يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم (قال فيه إن قلت ماسر قوله على صراط مستقيم وقد علم بكونه من المرسلين أنه كذلك وأجاب بأن الغرض وصفه ووصف ماجاء به فجاء بالوصفين فى نظام واحد فكأنه قال إنك لمن المرسلين على طريق ثابت قال وأيضا فى تنكير الصراط أنه مخصوص من بين الصرط المستقيمة بصراط لا يكتنه وصفه انتهى كلامه) قال أحمد قد تقدم فى مواضع أن التنكير قد يفيد تفخيما وتعظيما وهذا منه ۞ قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قال فيه أنه على الوصف كقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير قال وقد فسر ما أنذر آباؤهم على إثبات

(قوله قرئ يس بالفتح) يفيد أن السكون قراءة الجمهور والحركات قراآت لبعضهم فالفتح بناء أو نصب والكسر بناء فقط فتدبر (قوله وأخفيت الألف وأميلت) يعنى قرأ الجمهور بالتفخيم وقرأ بعضهم بالإمالة كما فى النسفى

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

نذير وقد فسر ماأنذر آباؤهم على إثبات الإنذار ووجه ذلك أن تجعل مامصدرية لتنذر قوما أنذار آباؤهم أو موصولة ومنصوبة على المفعول الثانى لتنذر قوما ماأنذره آباؤهم من العذاب كقوله تعالى إنا أنذرناكم عذابا قريباً (فإن قلت) أى فرق بين تعلق قوله (فهم غافلون) على التفسيرين (قلت) هو على الأول متعلق بالنفى أى لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم نذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثانى بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل (فإن قلت) كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما فى الآى الأخر (قلت) لامناقضة لأن الآى فى نفى إنذارهم لا فى نفى إنذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد إسمعيل وكانت النذارة فيهم (فإن قلت) ففى أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به (قلت) أريد آباؤهم الأدنون دون الأباعد (القول) قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعنى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ۝ ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لاسبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لايلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لايبصرون ماقدامهم ولاماخلفهم فى أن لاتأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله ۝ (فإن قلت) مامعنى قوله (فهى إلى الأذقان) (قلت) معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة اليها وذلك أن

الإنذار على أن مامصدرية أو موصولة قال والفرق بين موقع الفاء على التفسيرين أنها على الأول متعلقة بالنفى معنى جوابا له والمعنى أن نفى إنذارهم هو السبب فى غفلتهم وعلى الثانى بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل انتهى) قلت يعنى أنها على التفسير الثانى تفهم أن غفلتهم سبب فى إنذارهم قال فإن قلت كيف يكونون منذرين على هذا التفسير غير منذرين فى قوله ما أتاهم من نذير من قبلك وأجاب بأن الآية لنفى إنذارهم لا لنفى إنذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد إسمعيل وقد كانت النذارة فيهم ۝ قال فما تصنع بأحد التفسيرين الذى مقتضاه أن آباءهم لم ينذروا وهو التفسير الأولى فى هذه الآية مع التفسير الثانى ومقتضاه أنهم أنذروا ۝ وأجاب بأن آباءهم الأباعد هم المنذرون لا آباؤهم الأدنون قال ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنهم لايرعوون ولا يرجعون بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لايلتفتون إلى الحق ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لايبصرون ماقدامهم ولا ماخلفهم قال والضمير للأغلال لأن طوق الغل يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقه فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحاً انتهى كلامه (قلت) إذا فرقت هذا التشبيه كان تصميمهم على الكفر مشبها بالأغلال وكان استكبارهم عن قبول الحق وعن الخضوع والتواضع لاستماعه مشبهاً بالإقماح لأن المقمح لايطأطئ رأسه وقوله فهى إلى الأذقان تتمة للزوم الإقماح لهم وكان عدم الفكر فى القرون الخالية مشبها بسد من خلفهم وعدم النظر فى العواقب المستقبلة مشبهاً بسد من قدامهم ۝ قال فإن قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدى وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدى ۝ وأجاب بأن الوجه هو الأول واستدل على هذا التفسير الثانى بقولهم فهم مقمحون لأنه جعل الإقماح نتيجة قوله فهى إلى الأذقان ولو كان الضمير للأيدى لم يكن معنى التسبب فى الإقماح ظاهراً أو ترك الحق الأبلج للباطل اللجلاج انتهى كلامه (قلت) ويحتمل أن تكون الفاء للتعقيب كالفاء الأولى فى قوله فهى إلى الأذقان أو للتسبب ولا شك أن ضغط اليد مع العنق فى الغل يوجب الإقماح فإن اليد والعياذ بالله تعالى تبقى ممسكة بالغل تحت الذقن دافعة بها ومانعة من وطأتها ويكون التشبيه أتم على هذا التفسير فإن اليد متى كانت مرسلة مخلاة كان للمغلول بعض الفرج بإطلاقها ولعله يتحيل بها على فكاك الغل ولا كذلك إذا كانت مغلولة فيضاف إلى ماذكرناه من التشبيهات المفرقة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم فى الهداية والانخلاع من ربقة

(قوله لتنذر قوما ماأنذره) لعله أى لتنذر قوما بذكر أى وذكر لتنذر مرة ثانية

فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم * إنا نحن نحي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل

طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون ملتقى طرفية تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه يطاطىء رأسه ويوطىء قذاله فلا يزال مقمحا * والمقمح الذى يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح إذا روى فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لأن الإبل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتحمت السويق (فإن قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدى وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدى (قلت) الوجه ماذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله فهى إلى الأذقان ولوكان الضمير للأيدى لم يكن معنى التسبب فى الإقماح ظاهراً على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذى يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذى يجفو عنه وترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج (فإن قلت) فقد قرأ ابن عباس رضى الله عنهما فى أيديهم وابن مسعود فى أيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدى أو للأيمان (قلت) يأبى ذلك وإن ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت * وقرئ سداً بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى مرئى وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أباجهل حلف لئن رأى محمداً يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع أثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه * (فإن قلت) قد ذكر مادلّ على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله إنما تنذر وإنما كانت تصح هذه التقفية لوكان الإنذار منفياً (قلت) هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهى الإيمان قفى بقوله إنما تنذر على معنى إنما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم (نحي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن إحياؤهم أن نخرجهم من الشرك إلى الإيمان (ونكتب ما) أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وماهلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أوكتاب صنفوه أوحبيس حبسوه أوبناء بنوه من مسجد أورباط أوقنطرة أونحو ذلك أوسيء كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صدّعن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أى قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هى آثار المشائين إلى المساجد وعن جابر أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله

الكفر المقدر عليهم مشبهاً بغل الأيدى فإن اليد آلة الحيلة إلى الخلاص * قوله تعالى إنما تنذر من اتبع الذكر الآية (قال إن قلت قد ذكر مادلّ على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله إنما تنذر وإنما كانت التقفية تصح لوكان الإنذار منفياً وأجاب بأن الأمر كذلك ولكن لما بين أن البغية المرومة بالانذار وهى الإيمان منفية عنهم قفاه بقوله إنما تنذر أى إنما تحصل بغية الإنذار بمن اتبع الذكر انتهى كلامه (قلت) فى السؤال سوء أدب وينبغى أن يقال

(قوله رأس العمود نادراً) أى شاذاً كما يفيده الصحاح (قوله ويوطئ قذالة) فى الصحاح القذال جماع مؤخر الرأس فتدبر (قوله ومنه شهراً قماح) بوزن كتاب وغراب كما نقل عن القاموس وفى الصحاح سميا بذلك لأن الإبل إذا وردت فيهما آذاها برد الماء فقامحت (قوله إلى الباطل اللجلج) أى الذى يردد من غير أن ينفذ أفاده الصحاح

شىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۞ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ

خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتانا فى ديارنا وقال يابنى سلمة بلغنى أنكم تريدون النقلة إلى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فإنما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لوكان الله مغفلا شيئاً لأغفل هذه الآثار التى تعفيها الرياح والإمام اللوح وقرئ ويكتب ماقدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شىء بالرفع (واضرب لهم مثلا) ومثل لهم مثلا من قولهم عندى من هذا الضرب كذا أى من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أى اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثانى بيان للأول ۞ وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية والقرية انطاكية و(المرسلون) رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان ۞ أرسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير ورقى حديثهما إلى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكراً وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغنى أنك حبست رجلين فهل سمعت مايقولانه فقال لاحال الغضب بينى وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شىء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر إن إلهنا لايبصر ولايسمع ولايضر ولاينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إنى أدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ماأنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا (فعززنا) فقوينا يقال المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه إذا غلبه أى فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون (فإن قلت) لم ترك ذكر المفعول به (قلت) لأن الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ماسواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق إليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه ۞ إنما رفع بشر ونصب فى قوله ماهذا بشرا لأن إلا تنقض النفى فلايبقى لما المشبهة بليس شبه فلايبقى له عمل (فإن قلت) لم قيل إنا إليكم مرسلون أولا و(إنا إليكم

وماوجه ذكر الإنذار الثانى فى معرض المخالفة للأول مع أن الأول إثبات والإنذار الثانى كذلك قوله تعالى إنا إليكم مرسلون (قال إن قلت لم أسقط اللام هنا وأثبتها فى الثانية عند قوله ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون قلت الأول ابتداء

(قوله إنما رفع بشر ونصب) عبارة النسفى إنما رفع بشر هنا ونصب الخ

مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۞ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۞ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۞ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۞ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۞ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ

لمرسلون) آخرا (قلت) لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار ۞ وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم (وما علينا إلا البلاغ المبين) أى الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته وإلا فلو قال المدعى والله إنى لصادق فيما أدعى ولم يحضر البينة كان قبيحا (تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منهم نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركى مكة وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة إن أصابنا شيء كان من أجلكم (طائركم معكم) وقرئ طيركم أى سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهى كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن أطيركم أى تطيركم ۞ وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآئن بألف بينهما بمعنى أتطيرون إن ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة يعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وقرئ أن وإن بغير استفهام لمعنى الإخبار أى تطيرتم لأن ذكرتم أو إن ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم وإذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم (بل أنتم قوم مسرفون) فى العصيان ومن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم قوم مسرفون فى ضلالكم متمادون فى غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (رجل يسعى) هو حبيب بن إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام وهو ممن آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبى أحد إلا بعد ظهوره وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا أو أنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومى وقبره فى سوق أنطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: على بن أبى طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون) كلمة جامعة فى الترغيب فيهم أى لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ثم أبرز الكلام فى معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل فى إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) مكان قوله ومالكم لا تعبدون الذى فطركم ألا ترى إلى قوله (وإليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال الذى فطرنى وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولى وأطيعونى فقد نبهتكم على الصحيح الذى لا معدل عنه أن العبادة لا تصح إلا

إخبار والثانى جواب إنكار) قال أحمد أى فلاق توكيده

(قوله ونفرت منهم نفوسهم) لعله منه كعبارة النسفى (قوله وآئن بألف بينهما) الذى فى النسفى أن هذا وماقبله بياء مكسورة بدل الهمزة الثانية (قوله بأرجلهم حتى خرج قصة) فى الصحاح القصب بالضم المتى والمعى واحد الأمعاء

بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ۞ إِنِّى إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۞ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۞ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ۞ يَٰحَسْرَةً عَلَى

لمن منه مبتدؤكم وإليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه إنكم فى هذا الاستحباب لواقعون فى ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذى عقل وتميز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (إنى آمنت بربكم فاسمعون) أى اسمعوا إيمانى تشهدوا لى به ۞ وقرئ إن يردنى الرحمن بضر بمعنى أن يوردنى ضراً أى يجعلنى مورداً للضر ۞ أى لما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق أراد قوله تعالى «بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين» وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها (فإن قلت) كيف مخرج هذا القول فى علم البيان (قلت) مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى نصرة دينه والتسخى لوجهه بروحه فقيل قيل أدخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما وكذلك (قال ياليت قومى يعلمون) مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وإنما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سبباً لاكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول فى الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة وفى حديث مرفوع نصح قومه حياً وميتاً وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه فى غمار الأشرار وأهل البغى والتشمر فى تخليصه والتلطف فى افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم فى أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزاً ولم تعقبه إلا سعادة لأن فى ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والأول أوجه ۞ وقرئ المكرمين (فإن قلت) ما فى قوله تعالى (بما غفر لى ربى) أى الماآت هى (قلت) المصدرية أو الموصولة أى بالذى غفره لى من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية يعنى بأى شىء غفر لى ربى يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل إلى أن قولك بم غفر لى بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزاً يقال قد علمت بما صنعت هذا أى بأى شىء صنعت وبم صنعت المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جنداً من جنود السماء كما فعل يوم بدر أو الخندق (فإن قلت) وما معنى قوله (وما كنا منزلين) (قلت) معناه وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى إهلاك قوم حبيب جنداً من السماء وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى إلى قوله تعالى «فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا» (فإن قلت) فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى «فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، بألف من الملائكة مردفين ، بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بخمسة آلاف من الملائكة مسومين» (قلت) إنما كان يكفى ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمداً صلى الله عليه وسلم بكل شىء على كبار الأنبياء وأولى العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز مالم يوله أحداً فمن ذلك أنه أنزل له جنوداً من السماء وكأنه أشار بقوله : وما أنزلنا وما كنا منزلين : إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التى لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله بغيرك (إن كانت إلا صيحة واحدة) إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة وقرأ أبو جعفر المدنى بالرفع على كان التامة أى ما وقعت

الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۞ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۞ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ

إلا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ماوقع شيء إلا صيحة ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وإن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وبيت ذي الرمة ۞ ومابقيت إلا الضلوع الجراشع ۞ وقرأ ابن مسعود الأزقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي إذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي (خامدون) خمدوا كما تخمد النار فتعود رماداً كما قال لبيد: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ۞ يحور رماداً بعد إذ هو ساطع (ياحسرة على العباد) نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أوهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ماجنوه على أنفسهم ومحنوها به وفرط إنكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ ياحسرتا تعضد هذا الوجه لأن المعنى ياحسرتي وقرئ ياحسرة العباد على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم من حيث أنها موجهة إليهم وياحسرة على العباد على إجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في (كم) لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا إن زيداً لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه و (أنهم إليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وعن الحسن كسر إن على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول أهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له إن قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن إذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه ۞ قرئ لما بالتخفيف على أن ما صلة للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى إلا كالتي في مسألة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وإن نافية ۞ والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف إليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون معذبون (فإن قلت) كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد (قلت) ليس بواحد لأن كلا يفيد معنى الإحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا ۞ القراءة بالميتة على الخفة أشيع لسلسها على اللسان (وأحييناها) استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالأفعال ونحوه ولقد أمر على اللئيم يسبني ، وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم

۞ قوله تعالى « وإن كل لما جميع لدينا محضرون » (قال فيه إن قلت لم أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد وأجاب بأن كلا تفيد الإحاطة حتى لا ينفلت عنهم أحد وجميع تفيد الاجتماع وهو فعيل بمعنى مفعول وبينهما فرق انتهى كلامه) قال أحمد ومن ثم وقع أجمع في التوكيد تابعاً لكل لأنه أخص منه وأزيد معنى ۞ قوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة أحييناها الآية (قال يجوز أن يكون أحييناها صفة للأرض وصح ذلك لأن المراد بالأرض الجنس ولم يقصد بها أرض معينة وأن يكون بيانا لوجه الآية فيها) قال أحمد وغيره من النحاة يمنع وقوع جملة صفة المعرف وإن كان جنسيا وليس الغرض منه معينا ويراعى هذا المانع المطابقة اللفظية في الوصفية ومنه ۞ ولقد أمر على اللئيم يسبني ۞

(قوله ومابقيت إلا الضلوع الجراشع) جمع جرشع وهو العظيم والزواقي هي الديوك لأنهم كانوا يسمرون فإذا صاحت الديكة تفرقوا أفاده الصحاح

يَأْكُلُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنّٰتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۞ سُبْحٰنَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَاهُم مُّظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنٰهُ مَنَازِلَ حَتّٰى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ

بالارتزاق منه صلاح الإنس وإذاقل جاء القحط ووقع الضرّ وإذافقد جاء الهلاك ونزل البلاء ۞ قرئ (وفجرنا) بالتخفيف والتثقيل والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ (ثمره) بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر (و) من (ماعملته أيديهم) من الغرس والسقى والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله يعنى أنّ الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كدّ بنى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها فى حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة

فيها خطوط من بياض وبلق ۞ كأنه فى الجلد توليع البهق

فقيل له فقال أردت كأن ذاك وبلك أن تجعل مانافية على أنّ الثمر خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الأوّل وما عملت من غير راجع وهى فى مصاحف أهل الكوفة كذلك وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير (الأزواج) الأجناس والأصناف (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد مالم يجعل للبشر طريقا إلى العلم به لأنه لاحاجة بهم فى دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود مالا يعلمون وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يسمهم وفى الحديث مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه فأعلمنا بوجوده وإعداده ولم يعلمنا به ماهو ونحوه فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرّة أعين وفى الإعلام بكثرة ماخلق مما علموه ومما جهلوه مادلّ على عظم قدرته واتساع ملكه ۞ سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملق ظله (مظلمون) داخلون فى الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتمنا وأدجينا (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدّر تنتهى إليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لاتعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها أجلها الذى أقر الله عليه أمرها فى جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذى تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة ۞ وقرئ تجرى إلى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لامستقر لها أى لاتزال تجرى لاتستقر وقرئ لامستقر لها على أنّ بمعنى ليس (ذلك) الجرى عن ذلك التقدير والحساب الدقيق الذى تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام فى استنباطه ماهو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم ۞ قرئ والقمر رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل يريد من آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولابدّ فى (قدرناه منازل) من تقدير مضاف لأنه لامعنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره

(قوله فى الحديث مالاعين رأت) وفى الحديث أوله أعددت لعبادى الصالحين كما مرّ فى تفسير السجدة (قوله ومنه سلخ الحية لخرشائها) فى الصحاح الخرشاء مثل الحرباء جلد الحية (قوله أعتمنا وأدجينا لمستقرلها) الوجى وجع فى حافر الفرس أو خف البعير أفاده الصحاح وغيره

منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الأنواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزباني الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس و(عادكالعرجون القديم) وهو عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة أوجه، وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر أو كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول أو أكثر وقرئ سابق النهار على الأصل والمعنى أن الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس أي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وإن جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله (أن تدرك القمر) فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها (فإن قلت) لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق (قلت) لأن الشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك لتباطىء سيرها عن سير القمر والقمر خليقاً بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره (وكل)

---

* قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار (قال) فيه معناه أن كل واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه فيطمس نوره بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى قال فإن قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لأن الشمس بطيئة السير تقطع فلكها في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس لبطئها جديرة بأن توصف بالإدراك والقمر لسرعته جديراً بأن يوصف بالسبق انتهى كلامه (قلت يؤخذ من هذه الآية أن النهار تابع لليل وهو المذهب المعروف للفقهاء وبيانه من الآية أنه جعل الشمس التي هي آية النهار غير مدركة للقمر الذي هو آية الليل وإنما نفى الإدراك لأنه هو الذي يمكن أن يقع وذلك يستدعي تقدم القمر وتبعية الشمس فإنه لا يقال أدرك السابق اللاحق ولكن أدرك اللاحق السابق وبحسب الإمكان توقيع النفي فالليل إذاً متبوع والنهار تابع فإن قيل هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار وقد صرحت الآية بأنه ليس سابقا فالجواب أن هذا مشترك الإلزام وبيانه أن الأقسام المحتملة ثلاثة إما تبعية النهار الليل وهو مذهب الفقهاء أو عكسه وهو المنقول عن طائفة من النحاة أو اجتماعهما فهذا القسم الثالث منفي باتفاق فلم يبق إلا تبعية النهار لليل وعكسه وهذا السؤال وارد عليهما جميعاً لأن من قال إن النهار سابق الليل لزمه أن يكون مقتضى البلاغة أن يقال ولا الليل يدرك النهار فإن المتأخر إذا نفي إدراكه كان أبلغ من نفي سابقه مع أنه يتناءى عن مقتضى قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر تنائيا لا يجمع شمل المعنى باللفظ فإن الله تعالى نفى أن تكون مدركة فضلا عن أن تكون سابقة فإذا أثبت ذلك فالجواب المحقق عنه أن المنفي السبقية الموجبة لتراخي النهار عن الليل وتخلل زمن آخر بينهما وحينئذ يثبت التعاقب وهو مراد الآية وأما سبق أول المتعاقبين للآخر منهما فإنه غير معتبر ألا ترى إلى جواب موسى بقوله هم أولاء على أثري فقد قربهم منه عذراً عن قوله تعالى وما أعجلك عن قومك فكان سهل أمر هذه العجلة بكونهم على أثره فكيف لو كان متقدما هم في عقبه لا يتخلل بينهم وبينه مسافة فذلك لو اتفق لكان سياق الآية يوجب أنه لا يعد عجلة ولا سبقاً فحينئذ يكون القول بسبقية النهار لليل مخالفاً صدر الآية على وجه لا يقبل التأويل فإن بين عدم الإدراك الدال على التأخير والتبعية وبين السبق بونا بعيداً ومخالفا أيضاً لبقية الآية فإنه لو كان الليل تابعاً ومتأخراً لكان أحرى أن يوصف بعدم الإدراك ولا يبلغ به عدم السبق ويكون القول بتقدم الليل على النهار مطابقاً لصدر الآية صريحاً ولعجزها بوجه

(قوله وقرئ العرجون بوزن الفرجون) في الصحاح الفرجون المحسة وقد فرجنت الدابة إذا فرجنتها ومنه قول بعضهم ادفنوني في ثيابي ولا تحسوا عني ترابا أي لا تنغضوه وفيه البترون السندس (قوله في النيرين سلطان) لعله سلطانا

فى فلك يسبحون ۞ وءاية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ۞ وخلقنا لهم من مثله مايركبون ۞ وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون ۞ إلا رحمة منا ومتـعا إلى حين ۞ وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ۞ وما تأتيهم من ءاية من ءايت ربهم إلا كانوا عنها معرضين ۞ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين ءامنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا فى ضلل مبين ۞ ويقولون متى هـذا الوعد إن كنتم صـدقين ۞ ماينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ۞

التنوين فيه عوض عن المضاف إليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والأقمار على ماسبق ذكره (ذريتهم) أولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لأنهن مزارعها وفى الحديث أنه نهى عن قتل الذرارى يعنى النساء (من مثله) من مثل الفلك (مايركبون) من الإبل وهى سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم وأدخل فى التعجيب من قدرته فى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة فى سفينة نوح . ومن مثله من مثل ذلك الفلك مايركبون من السفن والزوارق (لاصريخ) لامغيث أو لا إغاثة يقال أتاهم الصريخ (ولاهم ينقذون) لاينجون من الموت بالغرق (إلا رحمة) إلا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة (إلى حين) إلى أجل يموتون فيه لابد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد أحسن من قال ولم أسلم لكى أبقى ولكن ۞ سلمت من الحمام إلى الحمام

وقرأ الحسن رضى الله عنه نغرقهم (اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم) كقوله تعالى أفلم يروا إلى مابين أيديهم وماخلفهم من السماء والأرض وعن مجاهد ماتقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة مابين أيديكم من الوقائع التى خلت يعنى من مثل الوقائع التى ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب إذا محذوف مدلول عليه بقوله (إلا كانوا عنها معرضين) فكأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة ۞ كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون لوشاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لأعزه ولو شاء لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله لأنهم معطلة لايؤمنون بالصانع وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادراً على إطعامه ولا يشاء إطعامه فنحن أحق بذلك نزلت فى مشركى قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فحرموهم وقالوا لو شاء الله لأطعمكم (إن أنتم إلا فى ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين ۞ قرئ وهم يخصمون بإدغام التاء فى الصاد مع فتح الخاء وكسرها وإتباع الياء الخاء فى الكسر ويختصمون على الأصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم فى أمنهم وغفلتهم عنها لايخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم فى متاجرهم ومعاملاتهم وسائر مايتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى خصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم

من التأويل مناسب لنظم القرآن وثبوت ضده أقرب إلى الحق من حبل وريده والله الموفق للصواب من القول وتسديده ۞ قوله تعالى وإن نشأ نغرقهم فلاصريخ لهم إلى قوله ومتاعا إلى حين (قلت) من هنا أخذ أبو الطيب ۞ ولم أسلم لكى أبقى ولكن ۞ سلمت من الحمام إلى الحمام لانه تعالى أخبر أنهم إن سلموا من موت الغرق فتلك السلامة متاع إلى حين أى إلى أجل يموتون فيه ولابد

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۞ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۞ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۞ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۞ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۞ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۞ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۞

وهم عند أنفسهم يخصمون فى الحجة فى أنهم لايبعثون (فلايستطيعون) أن يوصوا فى شىء من أمورهم (توصية) ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم بل يموتون بحيث تفجؤهم الصيحة ۞ قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو جمع صورة وحركها بعضهم و (الأجداث) القبور وقرئ بالفاء (ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها وهى النفخة الثانية ۞ قرئ ياويلنا ۞ وعن ابن مسعود رضى الله عنه من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه وأهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر و (هـذا) مبتدأ و (ماوعد) خبره وما مصدرية أوموصولة ويجوز أن يكون هـذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدإ محذوف اى هذا وعد الرحمن أى مبتدأ محذوف الخبر أى ماوعد (الرحمن وصدق المرسلون) حق وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ماوعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا (فإن قلت) إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون إذا جعلتها موصولة (قلت) تقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون بمعنى والذى صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقنى سن بكره (فإن قلت) من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا (قلت) معناه بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل إلا انه جىء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت إليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما انذروا به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذى عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث إن هذا هو البعث الأكبر ذو الاهوال و الأفزاع وهو الذى وعده الله فى كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين (إلا صيحة واحدة) قرئت منصوبة ومرفوعة (فاليوم لاتظلم نفس شيئا ۞ إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) حكاية ما يقال لهم فى ذلك اليوم وفى مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له فى النفوس وترغيب فى الحرص عليه وعلى مايثمره فى شغل فى أى شغل وفى شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التى هى دار المتقين ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع فى تلك الملاذ التى أعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصى من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطى الأهوال وتجاوز الأخطار وجواز الصراط ومعاينة مالقى العصاة من العذاب وعن ابن عباس فى افتضاض الأبكار وعنه فى ضرب الأوتار وعن ابن كيسان فى التزاور وقيل فى ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبى هم فى شغل عن أهاليهم من أهل النار لايهمهم أمرهم ولايذكرونهم لأن لايدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم ۞ قرئ فى شغل بضمتين

۞ قوله تعالى فى شغل فاكهون (قلت) هذا مما التنكير فيه للتفخيم كأنه قيل فى شغل أى شغل وكذا قوله تعالى سلام قولا

(قوله والأجداث القبور وقرئ بالفاء) فى الصحاح الجدف القبر وهو إبدال الجدث قال الفراء العرب تعقب بين الفاء والثاء فى اللغة فيقولون جدث وجدف وهى الأجداث والأجداف

سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۞ وَامْتَٰزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ اعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا

وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون ۞ والفاكه والفكه المتنعم والمتلذذ ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهى المزاحة ۞ وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على أنه حال والظرف مستقر (هم) يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيداً للضمير فى شغل وفى فاكهون على أن أزواجهم يشاركنهم فى ذلك الشغل والتفكه والإتكاء على الأرائك تحت الظلال ۞ وقرئ فى ظلل والأريكة السرير فى الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين (يدّعون) يفتعلون من الدعاء أى يدعون به لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ۞ ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علىّ ماشئت بمعنى تمنه على وفلان فى خير ما ادّعى أى فى خير ماتمنى قال الزجاج وهو من الدعاء أى مايدعو به أهل الجنة يأتيهم و(سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من) جهة (رب رحيم) والمعنى أنّ الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة فى تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لايمنعونه قال ابن عباس فالملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل مايدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم مايدعون سالم خالص لاشوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله تعالى ولهم مايدعون سلام أى عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أى لهم مرادهم خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لايرى ولايرى ومعناه أنّ بعضهم يمتاز من بعض ۞ العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ماركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع ۞ وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم ۞ وقرئ إعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز فى حروف مضارعته الكسر إلا فى الياء وأعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهى لغة تميم ومنه قولهم دحا محا (هذا) إشارة إلى ماعهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه مافى قول كثير

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى ۞ لأفقر منى إننى لفقير

أراد إننى لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فىّ وإلا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله (هذا صراط مستقيم) يريد صراط بليغ فى بابه بليغ فى استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض

من رب رحيم ومنه قوله تعالى وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم قال ومعناه لا صراط أقوم منه والتنكير يفيد ذلك لإفادته إياه فى قول كثير عزة ۞ فإن كان يهدى برد أنيابها العلى ۞ لأفقر منى البيت. ولولا ذلك لم يستقم معنى البيت قال ويجوز أن يكون معناه هذا صراط أقل الأحوال فيه أن يعتقد أنه مستقيم كما يقول الرجل لولده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الإعراض عن نصائحه

(قوله كقولهم رجل حدث وحدث) أى حسن الحديث والنطس البالغ فى التطهر والمدقق فى العلم أفاده الصحاح (قوله والأريكة السرير فى الحجلة) بيت العروس يزين بالثياب والستور كذا فى الصحاح (قوله واجتمل إذا شوى) فى الصحاح جملت الشحم أجمله جملا واجتملته إذا أذبته (قوله فى حروف مضارعته الكسر) لعله مضارعه (قوله ومنه قولهم دحا محا) أى دعها معها

تعقلون ﴿ هذه جهنم التى كنتم توعدون ﴿ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ﴿ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ﴿ ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرءان مبين ﴿ لينذر من كان حيا ويحق

الصرط المستقيمة توبيخالهم على العدول عنه والتفادى عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذى يؤدى إلى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذى هو أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد فى الطريق الذى لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذى ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخاله على الإعراض عن نصائحه ﴿ قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه اللغات فى معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفى قراءة على رضى الله عنه جبلا واحدا لاجبال ﴿ يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة إنى لا أجيز علىّ شاهداً إلا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل ﴿ وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك تختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة ﴿ الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا إليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع الذى اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التى ترددوا إليها كثيرا كما كانوا يستبقون إليه ساعين فى متصرفاتهم موضعين فى أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره أو لو شاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين فى الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أو لو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخالفوا الصراط الذى اعتادوا المشى فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعنى أنهم لا يقدرون إلا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا به وضربوا به من المقاصد دون غيرها (على مكانتهم) وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم مسخاً يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا مضىّ ولا رجوع واختلف فى المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم ﴿ وقرئ مضياً بالحركات الثلاث فالمضىّ والمضى كالعتى والعتى والمضىّ كالصبىّ (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال

﴿ قوله تعالى « ومن نعمره ننكسه فى الخلق » (قال) فيه مناسبة لقوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم من حيث أنه استدلال بقدرته على رده إلى أرذل العمر وإلى الضعف بعد القوة كما أنه قادر على طمس أعينهم والله أعلم

(قوله كنت أناضل) أى أجادل (قوله إلى الطريق المهيع) الهيوع الجبن والهيعة الذوبان والسيلان وكل ما أفزعك من صوت كذا فى الصحاح ولعل المراد الذى سهله كثرة سلوكه (قوله فى متصرفاتهم موضعين) فى الصحاح وضع البعير وغيره أسرع من سيره وأوضعه راكبه (قوله فيما ألفوا وضروا به) أى مرنوا

الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا

وبرتقى من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فإذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع فى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز ومن العلم إلى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ماشاء وأراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه وننكسه من التنكيس والإنكاس (أفلا يعقلون) بالياء والتاء * كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروى أن القائل عقبة بن أبى معيط فقيل (وما علمناه الشعر) أى وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر فى شىء وأين هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعانى التى ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فإذاً لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت اللهم إلا أن هذا لفظه عربى كما أن ذاك كذلك (وما ينبغى له) وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أمياً لا يتهدى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وعن الخليل كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له (فإن قلت) فقوله أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقوله هل أنت إلا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

(قلت) ماهو إلا كلام من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه إن جاء موزونا كما يتفق فى كثير من إنشاءات الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعراً ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر وإذا فتشت فى كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع فى أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعراً ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) يعنى ماهو إلا ذكر من الله تعالى يوعظ به الإنس والجن كما قال إن هو إلا ذكر للعالمين وما هو إلا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به إذا علمه (من كان حيا) أى عاقلا متأملا لأن الغافل كالميت أو معلوما منه أنه يؤمن فيحيا بالإيمان (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الإيمان (مما عملت أيدينا) مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التى لا يصح أن يقدر عليها إلا هو وعمل الأيدى استعارة من عمل من يعملون بالأيدى (فهم لها مالكون) أى خلقناها لأجلهم فملكناها إياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون أو فهم لها ضابطون قاهرون من قوله

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير إن نفرا

أى لا أضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل

يصرفه الصبى بكل وجه * ويحبسه عن الخسف الجرير

وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا غير لديه ولا نكير

(قوله وقرئ بكسر الكاف وننكسه) يفيد أن القراءة المشهورة بضم الكاف وهما من النكس (قوله فلا غير لديه ولا نكير) الغير جمع الغيرة بالكسر وهى الدية والغير أيضا الاسم من قولك غيرت الشىء فتغير كذا فى الصحاح والمعنى الثانى هو المراد فى البيت

رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۞ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۞ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۞ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۞ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ

ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ۞ وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم أى ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم (منافع) من الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك (ومشارب) من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها فى قوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب ۞ اتخذوا الآلهة طمعا فى أن يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والأمر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقوداً للنار ۞ وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم فإنا عالمون بما يسرون لك من عداوتهم (وما يعلنون) وإنا مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهمّ ولا يرهقه الحزن (فإن قلت) ما تقول فيمن يقول إن قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن وفى الشعر وفى كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعى وكلاهما تعليل والثانى أن يكون بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إن وفتحها وإنما يدوران على تقديرك فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسراً أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهى عن ذلك مما يوجب شيئاً ألا ترى إلى قوله تعالى فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر ۞ قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادى كفر الإنسان وإفراطه فى جحود النعم وعقوق الأيادى وتوغله فى الخسة وتغلغله فى القحة حيث قرره بأن عنصره الذى خلقه منه هو أخس شىء وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذى هو قناة النجاسة ۞ ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه فى ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهى المكابرة التى لا مطمح وراءها وروى أن جماعة من كفار قريش منهم أبىّ بن خلف الجمحى وأبو جهل والعاصى بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم أبىّ ألا ترون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن اليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله (فإذا هو خصيم مبين) فإذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما فى نفسه فصيح كما قال تعالى أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين (فإن قلت) لم سمى قوله (من يحيى العظام وهى رميم)

(قوله وتغلغله فى القحة) فى الصحاح وقح الرجل قحة ووقاحة إذا صار قليل الحياء (قوله وشرز صفحته لمجادلته الخ) فى الصحاح الشرز الشرس وهو الغلظ والمحك اللجاج

وهى رميم * قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذى جعل لكم من الشجر الأخضر
نارا فإذا أنتم منه توقدون * أوليس الذى خلق السموات والأرض بقدر على أن يخلق مثلهم بلى وهو
الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذى بيده ملكوت كل
شىء وإليه ترجعون *

مثلا (قلت) لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهى إنكار قدرة الله تعالى على إحياء الموتى أو لما فيه من التشبيه لأن ما أنكر
من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا قيل من يحيى العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك بما
يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه فى أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه * والرميم اسم لما بلى من
العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد
بهذه الآية من يثبت الحياة فى العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب
أبى حنيفة فهى عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد
بإحياء العظام فى الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس (وهو بكل خلق عليم) يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه
شىء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها * ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار
من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى بها الأعراض وأكثرها من المرخ
والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار . واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان
يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار بإذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما
ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين * قرئ الأخضر على اللفظ وقرئ
الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم * من قدر على خلق
السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسى أقدر وفى معناه قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر
من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله (أن يخلق مثلهم) يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم فى الصغر والقماءة بالإضافة إلى السموات
والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل المبتدأ وليس به (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات
وقرئ الخالق (إنما أمره) إنما شأنه (إذا أراد شيئا) إذا دعاه داعى حكمة إلى تكوينه ولا صارف (أن يقول له كن)
أن يكونه من غير توقف (فيكون) فيحدث أى فهو كائن موجود لا محالة (فإن قلت) ما حقيقة قوله أن يقول له كن فيكون
(قلت) هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه شىء من المكونات وأنه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر
الآمر المطاع (فإن قلت) فما وجه القراءتين فى فيكون (قلت) أما الرفع فلأنها جملة من مبتدإ وخبر لأن تقديرها فهو يكون
معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن وأما النصب فللعطف على يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شىء مما يجوز على الأجسام
إذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب
إنما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه إلى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الإعادة
(فسبحان) تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (بيده ملكوت كل شىء) هو مالك كل شىء
والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شىء ومملكة كل شىء وملك كل شىء والمعنى واحد
(ترجعون) بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لا أعلم ما روى فى فضائل يس وقراءتها كيف خصت

(قوله مثلهم فى الصغر والقماءة) الصغر والذلة أفاده الصحاح

سورة الصافات مكية

وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝

بذلك فإذا أنه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يس من قرأيس يريد بها وجه الله غفر الله تعالى له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأيس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيبه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه الصلاة والسلام إن فى القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهى سورة يس

﴿سورة والصافات مكية﴾

وهى مائة وإحدى وثمانون آية وقيل واثنتان وثمانون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها فى الصلاة من قوله تعالى وإنا لنحن الصافون أو أجنحتها فى الهواء واقفة منتظرة لأمر الله (فالزاجرات) السحاب سوقا (فالتاليات) الكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل مازجر عن معاصى الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لاتشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه (فإن قلت) ماحكم الفاء إذا جاءت عاطفة فى الصفات (قلت) إما أن تدل على ترتب معانيها فى الوجود كقوله يالهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب

كأنه قيل الذى صبح فغنم فآب وإما على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل وإما على ترتب موصوفاتها فى ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة فى الصفات (فإن قلت) فعلى أى هذه القوانين هى فيما أنت بصدده (قلت) إن وحدت الموصوف

القول فى سورة والصافات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا» الآية (قال) فى تفسيرها المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم والمراد صفهم فى الصلاة وزجرهم السحاب أى سوقهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء والمراد تصافف أقدامهم فى الصلاة وزجرهم بالمواعظ عن المعاصى وتلاوتهم الذكر أو الغزاة يصفون فى الحرب ويزجرون الخيل ولا يشغلهم ذلك عن تلاوة الذكر فإن قلت ماحكم الفاء العاطفة للصفات وأجاب بأنها تقع لثلاثة أوجه إما لتعاقب وقوع الصفات وجودا كقوله يالهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب

أو على ترتبها لتفاوتها من بعض الوجوه كقولك اعمل الأحسن فالأجمل وإما لترتب موصوفاتها كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذا إن وحدت الموصوف كانت الدلالة على ترتب الصفات فى التفاضل وإن ثلثته فهى للدلالة على

رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۞ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۞ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطٰنٍ مَّارِدٍ ۞ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۞ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۞

كانت للدلالة على ترتب الصفات فى التفاضل وإن ثلثة فهى للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها فى الفضل إما أن يكون الفضل للصف ثم الزجر ثم للتلاوة وإما على العكس وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة وإن أجريت الصفة الأولى على الطوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت ترتب الموصوفات فى الفضل أعنى أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك إذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل مايزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فإن الموصوفات مختلفة ۞ وقرئ بإدغام التاء فى الصاد والزاى والذال (رب السموات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف و (المشارق) ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين (فإن قلت) فماذا أراد بقوله «رب المشرقين ورب المغربين» (قلت) أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما (الدنيا) القربى منكم ۞ والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشىء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملها قوله ﴿بزينة الكواكب﴾ فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهى قراءة أبى بكر والأعمش وابن وثاب وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لأن الزينة مبهمة فى الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد مازينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال ويجوز فى نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة (وحفظا) مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا (من كل شيطان) زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا ۞ والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها ۞ الضمير فى (لا يسمعون) لكل شيطان لأنه فى معنى

ترتيب الموصوفات فيه ومعنى توحيدها أن تعتقد أن صنفا مما ذكر فى التفاسير المذكورة جامع للصفات الثلاثة ويجوز أولى الصفات وأفضلها أو على العكس ومعنى تثليثها أن تجعل كل صفة لطائفة ويكون التفاضل بين الطوائف إما على أن الأول هو الأفضل أو على العكس انتهى كلامه (قلت) قد جوز أن يكون ترتيبها فى التفاضل على أن الأول وهو الأفضل وعلى العكس ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صنعة البديع ونحن نبينه فنقول وجه البداءة بالأفضل الاعتناء بالأهم فقدم ووجه عكس هذا الترقى من الأدنى إلى الأعلى ومنه قوله

بهاليل منهم جعفر وابن أمه ۞ على ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال إن هذا إنما ساغ لأن الواو لا تقتضى رتبة فإن هذا غايته أنه عذر وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة وفى هذه الآية دلالة على مذهب سيبويه والخليل فى مثل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى فإنهما يقولان الواو الثانية وما بعدها عواطف وغيرهما يذهب إلى أنها حروف قسم فوقوع الفاء فى هذه الآية موقع الواو والمعنى واحد إلا أن ماتزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة فى مثل هذا السياق للعطف لا للقسم ۞ قوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون (أبطل) أن يكون لا يسمعون صفة لأن الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له

(قوله على ترتب الموصوفات فيه) لعله الصفات (قوله من الطاعة المتملس منها) فى الصحاح يقال انملس من الأمر إذا أفلت منه

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۞ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۞

الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد (فإن قلت) لايسمعون كيف اتصل بما قبله (قلت) لايخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لايسمعون ولا يتسمعون لامعنى له وكذلك الاستئناف لأن سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لايسمعون لم يستقم فبقى أن يكون كلاما منقطعاً مبتدأ اقتصاصاً لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لايقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك ۞ إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب (فان قلت) هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى قولك جئتك أن تكرمنى فبقى أن لايسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما فى قول القائل ألا أيهاذا الزاجرى أحضر الوغى (قلت) كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب (فإن قلت) أى فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه (قلت) المعدّى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك والملأ الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا وقرأ أبو عبدالرحمن السلمى بفتح الدال على قذفا دحورا طروداً أو على أنه قد جاء بمجىء القبول والولوع والواصب الدائم وصب الأمر وصوبا يعنى أنهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعدّ لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع (من) فى محل الرفع بدل من الواو فى لايسمعون أى لايسمع الشياطين إلا الشيطان الذى (خطف الخطفة) وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلهما اختطف ۞ وقرئ فأتبعه وفاتبعه ۞ الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير فهى بمعنى الاستفهام فى

وأبطل أن يكون أصله لئلا يسمعوا لحذف اللام وحذفها كثير ثم حذف أن وأهدر عملها مثل

ألا أيهاذا الزاجرى أحضر الوغى ۞ وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

واستبعد اجتماع هذين الحذفين وإن كان كل واحد منهما بانفراده سائغاً ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصا لما عليه أحوال المسترقة للسمع اه كلامه (قلت) كلا الوجهين مستقيم والجواب عن إشكاله الوارد على الوجه الأول أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه فحال الشيطان حال كونه محفوظا منه هى حاله حال كونه لايسمع وإحدى الحالين لازمة للأخرى فلامانع أن يجتمع الحفظ منه وكونه موصوفا بعدم السماع فى حالة واحدة لا على أن عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسيمه ونظير هذه الآية على هذا التقدير قوله تعالى «وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره» فقوله تعالى مسخرات حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذى هو سخر ومعناه مستقيم لأن تسخيرها يستلزم كونها مسخرة فالحال التى سخرت فيها هى الحال التى كانت فيها مسخرة لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك وما أشار له الزمخشرى فى هذه الآية قريب من هذا التفسير إلا أنه ذكر معه تأويلا آخر كالمستشكل لهذا الوجه فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كممزق وجعل المعنى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعا من التسخير وفيما ذكرناه كفاية ومن هذا النمط ثم أرسلنا رسلنا وهم ما كانوا رسلا إلا بالإرسال وهؤلاء ما كانوا لايسمعون إلا بالحفظ وأما الجواب عن إشكاله الثانى فورد حذفين فى مثل قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا وأصله لئلا تضلوا فحذف اللام ولا جميعا من محليهما

بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۞ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۞ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۞ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۞ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۞ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۞ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۞ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞

أصلها فلذلك قيل (فاستفتهم) أى استخبرهم (أهم أشد خلقا) ولم يقل فقررهم والضمير لمشركى مكة قيل نزلت فى أبى الأشد بن كلدة وكنى بذلك لشدة بطشه وقوته (أم من خلقنا) يريد ماذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولى العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الأشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ماتقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشد خلقا أم الذى خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة وأصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لإنكارهم البعث والنشأة الآخرى وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون ۞ وخلقهم (من طين لازب) إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لأن مايصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده مايتلوه من ذكر إنكارهم البعث وقيل من خلقنا من الأمم الماضية وليس هذا القول بملائم ۞ وقرئ لازب ولاتب والمعنى واحد والثاقب الشديد الإضاءة (بل عجبت) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة (و) هم (يسخرون) منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أى بلغ من عظم آياتى وكثرة خلائقى أنى عجبت منها فكيف بعبادى وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتى أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه (فإن قلت) كيف يجوز العجب على الله تعالى وإنما هو روعة تعترى الإنسان عند استعظامه الشىء والله تعالى لايجوز عليه الروعة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثانى أن يتخيل العجب ويفرض وقد جاء فى الحديث عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله لايعجب من شىء وإنما يعجب من لايعلم فقال إبراهيم النخعى إن شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم يريد عبدالله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يامحمد بل عجبت (وإذا ذكروا) ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشىء لايتعظون به (وإذا رأوا آية) من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يبالغون فى السخرية أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها (وآباؤنا) معطوف على محل (إن) واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والذى جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أو آباؤنا (قل نعم) وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم أى الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى نعم تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فإنما) جواب شرط مقدر تقديره إذا كان ذلك فما (هى إلا زجرة واحدة) وهى لاترجع إلى شىء إنما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه قوله

زجر أبى عروة السباع إذا ۞ أشفق أن يختلطن بالغنم

يريد تصويته بها (فإذاهم) أحياء بصراء (ينظرون) يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) إلى قوله احشروا من كلام الكفرة

(قوله من ألكم وقنوطكم) الأل يأتى بمعنى السرعة والأنين والفساد أفاده الصحاح

احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۞ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۞ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۞ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۞ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۞ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ۞ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ۞ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ۞ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۞ إِنَّا كَذَٰلِكَ

بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون ياويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة و(هذا يوم الفصل) من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة (احشروا) خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض (وأزواجهم) وضرباءهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتى على دينهم (فاهدوهم) فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها ۞ هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك فى الدنيا متعاضدين متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر ۞ وقرئ لاتتناصرون ولاتناصرون بالإدغام ۞ اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر الأمور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا أختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الأعسر معيباً عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين وأراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن فى كل شىء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسىء أن يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل أتاه عن اليمين أى من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأضله وجاء فى بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة (فإن قلت) قولهم أتاه من جهة الخير وناحيته مجاز فى نفسه فكيف جعلت اليمين مجازاً عن المجاز (قلت) من المجاز ماغلب فى الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك أن تجعلها مستعارة للقوة والقهر لأن اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم (بل لم تكونوا مؤمنين) بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين إليه (وما كان لنا عليكم) من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوماً) مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا (قول ربنا إنا لذائقون) يعنى وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل ۞ لقد زعمت هوازن قل مالى ۞
ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لأخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لإقبال المحلف على المحلف (فأغويناكم) فدعوناكم إلى الغى دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغى على الرشد (إنا كنا غاوين) فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا (فإنهم) فإن الأتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة مشتركون فى العذاب كما كانوا مشتركين فى الغواية (إنا) مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم يعنى أن سبب العقوبة هو

(قوله وتيمنوا بالسانح) السانح المار من اليسار إلى اليمين والبارح عكسه أفاده الصحاح

نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۞ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۞ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۞ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۞ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۞ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۞ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۞ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ

الإجرام فمن ارتكبه استوجبها (إنهم كانوا إذ) سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وأبوا إلا الشرك (لشاعر مجنون) يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ۞ ولا ذاكر الله إلا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الأصل لذائقون العذاب (إلا ما كنتم تعملون) إلا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ (إلا عباد الله) ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع ۞ فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله (وهم مكرمون) هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم ۞ التقابل أتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كأساً قال ۞ وكأس شربت على لذة ۞ وعن الأخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء) صفة للكأس (لذة) إما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال : ولذ كطعم الصرخدي تركته ۞ بأرض العدا من خشية الحدثان

يريد النوم ۞ الغول لمن غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده ومنه الغول الذي في تكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم و(ينزفون) على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها إذا لم تترك فيها ماء وفي أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال : لعمري لئن أنزفتموا أو صحوتموا ۞ لبئس الندامى كنتموا آل أبجرا

ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف وينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرزه وأفرده بالذكر (قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم كقوله تعالى عربا ۞

(قوله ولذ كطعم الصرخدي) شراب منسوب إلى صرخد وهو موضع نسب اليه الشهاب كما في الصحاح

(قوله من نزف الشارب) في الصحاح نزفت ماء البئر نزفا إذا نزحته كله ونزفت هي يتعدى ولا يتعدى ونزفت أيضا على ما لم يسم فاعله (قوله من مغص أو صداع أو خمار) في الصحاح الخمار بقية السكر (قوله ولا هم يسكرون) لعله ولا هم عنها يسكرون (قوله كقوله تعالى عربا والعين) أي متحببات إلى أزواجهن كما يأتي .

الطَّرْفِ عِينٌ ۞ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۞ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞

والعين: النجل العيون، شبههنّ ببيض النعام المكنون فى الأداحى وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور (فإن قلت) علام عطف قوله (فأقبل بعضهم على بعض) (قلت) على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات إلا ۞ أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض (يتساءلون) عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا إلا أنه جىء به ماضياً على عادة الله فى أخباره ۞ قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدّقين مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت فى رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله به فى الآخرة خيراً منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئاً (لمدينون) لمجزيون من الدين وهو الجزاء أو لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث: العاقل من دان نفسه (قال) يعنى ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) إلى النار لأريكم ذلك القرين قيل إن فى الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطالعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفأطلع بالتشديد على لفظ الماضى والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط فى اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشىء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله:

۞ هم الفاعلون الخير والآمرونه ۞ أو شبه اسم الفاعل فى ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا فى الشعر (فى سواء الجحيم) فى وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائى وعن أبى عبيدة قال لى عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائى (إن) مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه إن كاد ليضلنا واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك وفى قراءة عبد الله لتغوين (نعمة ربى) هى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الإسلام والبراءة من قرين السوء أو إنعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة (من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك الذى عطفت عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف

۞ قوله تبارك وتعالى يطاف عليهم بكأس من معين إلى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (قال) فيه معناه يتساءلون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب: وما بقيت من اللذات إلا ۞ أحاديث الكرام على المدام

۞ قوله تعالى هل أنتم مطلعون (قال) فاطلع على صيغة المضارع المنصوب قال فى موجب هذه القراءة فإن معناها أنه لا يستبد بأمر دونهم فشرط فى اطلاعه اطلاعهم وذلك من آدب المجالسة

(قوله النجل العيون) فى الصحاح النجل بالتحريك كشف العين والرجل أنجل والعين نجلاء والجمع نجل وفيه مدحى النعامة موضع بيضها وأدحيها موضعها وهو أفعول من دحوت لأنها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه اه والأداحىّ جمعه (قوله كعادة الشرب قال وما بقيت) جمع شارب كالصحب جمع صاحب كذا فى الصحاح

إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ۞ إن هذا لهو الفوز العظيم ۞ لمثل هذا فليعمل العاملون ۞ أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ۞ إنا جعلناها فتنة للظالمين ۞ إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ۞ طلعها كأنه رءوس الشياطين ۞ فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ۞ ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ۞ ثم إن مرجعهم

الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ماشر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت . يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز أن يكون قولهم جميعا وكذلك قوله (إن هذا لهو الفوز العظيم) أى إن هذا الأمر الذى نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريراً لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو مارزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال (أذلك) الرزق (خير نزلا) أى خير حاصلا (أم شجرة الزقوم) وأصل النزل الفضل والريع فى الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشىء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك أن تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلا والنزل مايقال للنازل بالمكان من الرزق ومنه إنزال الجند لإرزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الأول أن للرزق المعلوم نزلا ولشجر الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم أنه لاخير فى شجر الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ماأدى إلى الرزق المعلوم واختار الكافرون ماأدى إلى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم (فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة (فى أصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها ۞ والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها إما استعارة لفظية أو معنوية وشبه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لايخلطه خير فيقولون فى القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان وإذا صوره المصورون جاؤا بصورته على أقبح مايقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا فى الملك أنه خير محض لاشر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ماهذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلى وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل إن شجراً يقال له الأستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وماسمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين إلاقصدا إلى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا ثالثا يشبه به (منها) من الشجرة أى من طلعها (فمالئون) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد أو يقسرون على أكلها وإن كرهوها ليكون بابا من العذاب فإذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق أو صديد شوبه أى مزاجه (من حميم) يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم مايشاب به والأول تسمية بالمصدر (فإن قلت) مامعنى حرف التراخى فى قوله ثم إن لهم عليها لشوبا وفى قوله (ثم إن مرجعهم) (قلت) فى الأول وجهان أحدهما أنهم يملؤن البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ملى تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ماهو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم والثانى أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع فجاء بثم للدلالة على تراخى حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته فى الزيادة عليه ومعنى الثانى أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى

(قوله مايقال للنازل بالمكان) لعله مايقام كعبارة النسفى (قوله لساكن الدار السكن) فى الصحاح السكن كل ماسكنت اليه

لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۞ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۞ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۞ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۞ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۞ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۞ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ

دركاتهم ومعنى التراخي فى ذلك بين وقرئ ثم إن منقلبهم ثم إن مصيرهم ثم إن منفذهم إلى الجحيم علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم إياهم على الضلال وترك اتباع الدليل والإهراع الإسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل إسراع فيه شبه بالرعدة (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (إلا عباد الله) الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم لله أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ۞ لما ذكر إرسال المنذرين فى الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعائه إياه حين آيس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى إنا أجبناه أحسن الإجابة وأوصلها إلى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والإنتقام منهم بأبلغ مايكون (هم الباقين) هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم فقد روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير ولده أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين) من الأمم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فإن قلت) فما معنى قوله (فى العالمين) (قلت) معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعاً وأن لايخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم ۞ علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنة من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسناً ثم علل كونه محسناً بأنه كان عبداً مؤمنا ليريك جلالة محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك فى تحصيله والازدياد منه (من شيعته) ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت شرائعهما أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق فى أكثر الأشياء وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة ۞ (فإن قلت) بم تعلق الظرف (قلت) بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر (بقلب سليم) من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لأنه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها (فإن قلت) مامعنى المجيء بقلبه ربه (قلت) معناه أنه أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك (أإفكا) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكا وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل فى شركهم ويجوز أن يكون إفكا مفعولا يعنى أتريدون به إفكا ثم فسر الإفك بقوله آلهة من دون الله على أنها

تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا

إفك فى أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) بمن هو الحقيق بالعبادة لأن من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام والمعنى أنهم لا يقدر فوهم ولا ظن مايصد عن عبادته أو فما ظنكم به أى شىء وهو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أنداداً أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره (فى النجوم) فى علم النجوم أو فى كتابها أو فى أحكامها وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه فقال حبيب أنظر إليه ومحتاج أنظر له وكتاب أنظر فيه ، كان القوم نجامين فأوهمهم أنه استدل بأمارة فى علم النجوم على أنه يسقم (فقال إنى سقيم) إنى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه فى بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام مافعل (فإن قلت) كيف جاز له أن يكذب (قلت) قد جوزه بعض الناس فى المكيدة فى الحرب والتقية وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض وورى والذى قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام ولقد نوى به أن من فى عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهداً * ليصحنى فإذا السلامة داء

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابى أصحيح من الموت فى عنقه وقيل أراد : إنى سقيم النفس لكفركم (فراغ إلى آلهتهم) فذهب إليها فى خفية من روغة الثعلب ، إلى آلهتهم : إلى أصنامهم : التى هى فى زعمهم آلهة كقوله تعالى أين شركائى (ألا تأكلون مالكم لا تنطقون) استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها (فراغ عليهم) فأقبل عليهم مستخفياً كأنه قال فضربهم (ضربا) لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقاً وسفقاً ومعناهما الضرب ومعنى ضربا (باليمين) ضربا شديداً قويا لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم (يزفون) يسرعون من زفيف النعام ويزفون من أزف إذا دخل فى الزفيف أومن أزفه إذا حمله على الزفيف أى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول أى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم إليه (فإن قلت) بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا إليه متبادرين ليكفوه ويوقعوه به وذكر ثم إنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا إبراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففى أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها وفى الآخر أنهم استدلوا بذمه على أنه الكاسر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نفراً منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم إلى بيت الأصنام ليأكلوا الطعام الذى وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثانى أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على أعين الناس (والله خلقكم وما تعملون) يعنى خلقكم

(قوله من زفاه إذا حداه) أى ساقه أفاده الصحاح (قوله فلما رجع الجمهور والعلية) أى العظماء

وخلق ماتعملونه من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهنّ أى فطر الأصنام (فإن قلت) كيف يكون الشىء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعاً (قلت) هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسى وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوى التشكيل الذى يريدونه (فإن قلت) فما أنكرت أن تكون مامصدرية لاموصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة (قلت) أقرب مايبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهراً وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعاً خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصوّر نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشىء آخر وهو أن قوله ماتعملون ترجمة عن قوله ماتنحتون وما فى ماتنحتون موصولة لامقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر فى علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن (فإن قلت) اجعلها موصولة حتى لا يلزمنى ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم (قلت) بل الإلزامان فى عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك فى إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا فإنك قاطع بذلك الوصلة

قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون (قال) فيه يعنى خلقكم وما تعملون من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهنّ فإن قلت كيف يكون الشىء الواحد مخلوقا لله تعالى معمولا لهم * وأجاب بأن هذا كما يقال عمل النجار الباب فالمراد عمل شكله لاجوهره وكذلك الأصنام جواهرها مخلوقة لله تعالى وأشكالها وصورها معمولة لهم * فان قلت مامنعك أن تكون مامصدرية لاموصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة * وأجاب بأن أقرب مايبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بالحجج العقلية أن معنى الآية يأباه فإنّ الله تعالى احتج عليهم بأنه خالق العابد والمعبود فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أنّ العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود * قال ولو قلت والله خلقكم وعملكم لم يكن للكلام طباق وشىء آخر وهو أن قوله وماتعملون شرحه فى قوله أتعبدون ماتنحتون ولا مقال فى أنّ ماهذه موصولة فالتفرقة بينهما تعسف وتعصب * قال فإن قلت أجعلها موصولة ومعناها وما تعملونه من أعمالكم وحينئذ توافق الأولى فى أنها موصولة فلا يلزمنى التفرقة بينهما وأجاب فقال بل الإلزامان فى عنقك لايفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فهى واقعة عندك على المصدر الذى هو جوهر الصنم وفى ذلك فك للنظم وتبتير كما لو جعلتها مصدرية اه كلامه (قلت) إذا جاء سيل الله ذهب سيل معقل فنقول يتعين حملها على المصدرية وذلك أنهم لم يعبدوا هذه الأصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة فلو كان كذلك لم يتعاونوا فى تصويرها ولا اختصوا بعبادتهم حجراً دون حجر فدل أنهم إنما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التى هى أثر عملهم ففى الحقيقة أنهم عبدوا عملهم وصلحت الحجة عليهم بأنهم مثله مع أنّ المعبود كسب العابد وعمله فقد ظهر أنّ الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون مامصدرية أوضح قيام وأبلغه فإذا أثبت ذلك فليتبع كلامه بالإبطال أما قوله أنها موصولة وأنّ المراد بعملهم لها عمل أشكالها فمخالف للظاهر فإنه مفتقر إلى حذف مضاف فى موضع اليأس يكون تقديره والله خلقكم وماتعملون

(قوله فإن قلت فما أنكرت) لعله لم أنكرت (قوله كما تقول المجبرة) يريد أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه لاخالق إلا الله فهو الخالق لعمل العبد والمعتزلة يقولون إنّ العبد هو الخالق لعمل نفسه فجعلوا العبد شريكا لله فى الخالقية مع أنهم سموا أنفسهم اهل العدل والتوحيد قالوا لو كان الله هو الخالق لفعل العبد لكان تعذيبه للعبد على المعاصى ظلماً لاعدلا قال أهل السنة يعذبه عليها كما يثيبه على الطاعة لما له فيهما من الكسب والاختيار فلا ظلم لكن المعتزلة لم ينظروا فى التوحيد تمام النظر ولم يتبصروا فى أدلته تمام التبصر (قوله وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم) يكفى فى الاحتجاج أنّ الله هو الخالق لهم ولأعمالهم فى الأصنام وغيرها والأصنام لاتخلق شيئاً بل الانفراد بالخالقية أدل على الانفراد بالإلهية

فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ۞ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ

بين ماتعملون وماتنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الأعيان التي هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية (الجحيم) النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم ۞ والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ماألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا إلى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه ۞ أراد بذهابه إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال إني مهاجر إلى ربي (سيهدين) سيرشدني إلى مافيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا إن معي ربي سيهدين كأن الله وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه أو بناء على عادة الله تعالى معه في هدايته وإرشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (هب لي من الصالحين) هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له إسحاق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هنأه بولده علي أبي الأملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب ۞ وقد انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل مانعت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به إبراهيم في قوله إن إبراهيم لأواه حليم إن إبراهيم لحليم أواه منيب لأن الحادثة شهدت بحلمهما جميعا ۞ فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه (فإن قلت) (معه) بم يتعلق (قلت) لايخلو إما أن يتعلق ببلغ أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معاحد السعي ولا بالسعي لأن صلة المصدر لاتتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشر سنة والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحه الصدر ماجسره على احتمال

شكله وصورته بخلاف توجيه أهل السنة فإنه غير مفتقر إلى حذف البتة ثم إذا جعل المعبود نفس الجوهر فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد مع موافقته على أن جواهر الأصنام ليست من عملهم فما هو من عملهم وهو الشكل ليس معبودا لهم على هذا التأويل وماهو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد وعلى ماقررناه يتضح وأما قوله إن المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ماينحتون ومايعملون فغير صحيح فإن لنا أن نحمل الأولى على أنها مصدرية وأنهم في الحقيقة إنما عبدوا نحتهم لأن هذه الأصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها النحت عبدوها ففي الحقيقة ماعبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم فالمطابقة إذاً حاصلة والإلزام على هذا أبلغ وأمتن ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافحين لقوله والله خلقكم وماتعملون بأن يقولوا لا ولا كرامة ولا يخلق الله مانعمل نحن لأنا إنما عملنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله وكانوا يجدون الذريعة إلى اقتحام الحجة ويأبى الله إلا أن تكون لنا الحجة البالغة ولهم الأكاذيب الفارغة فهذا إلزام بل إلجام لمن خالف السنة وغل بعنقه وعقر بكتفه وضرب على يده حتى يرجع إلى الحق آيبا ويعترف بخطئه تائبا

سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۞

تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم أتى فى المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة فلهذا قال (إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب فى سفينة رأيت فى المنام أنى ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أومن الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل إن الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو إذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له أوف بنذرك (فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة وقرئ ماذا ترى أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول أى ماذا تريك نفسك من الرأى (افعل ما تؤمر) أى ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمرا وقرئ ما تؤمر به (فإن قلت) لم شاوره فى أمر هو حتم من الله (قلت) لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله ولأن المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة فى المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة فى أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك (فإن قلت) لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة (قلت) كما أرى يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له فى المنام من غير وحى إلى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام فى المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لأن الحال إما حال يقظة أو حال منام فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما ۞ يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا إذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا لفلان إذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة فى أسلما أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع أحد جنبيه على الأرض تواضعا على مباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروى أن ذلك كان عند الصخرة التى بمنى وعن الحسن فى الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك فى المنحر الذى ينحر فيه اليوم (فإن قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا فى تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض ورضوان الله الذى ليس وراءه مطلوب وقوله (إنا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس (البلاء المبين) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التى لا محنة أصعب منها ۞ الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به إسمعيل وعن الحسن فدى بوعل أهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الأضاحى وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فإنها

(قوله وقرئ ماذا ترى) لعله بضم التاء وكسر الراء من أراه يريه فليحرر (قوله المغافصة) فى الصحاح غافصت الرجل أى أخذته على غرة (قوله تواضعا على مباشرة الأمر) أى توفقا (قوله بوعل) فى الصحاح الوعل الأروى اه ويقال التيس الجبلى

على الصراط مطايا كم وقيل لأنه وقع فداء عن ولد إبراهيم وروى أنه هرب من إبراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم عليه السلام الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وحكى فى قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه وقال يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا إلى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر فقال له اشدد رباطى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك لا ينتضح عليها شىء من دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقى حتى تجهز علىّ ليكون أهون فإن الموت شديد واقرأ على أمى سلامى وإن رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها فقال إبراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بنىّ على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لأن الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال له كبنى على وجهى فإنك إذا نظرت وجهى رحمتنى وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فإذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل والكبش وإبراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه إلى الأرض جاء الفرج وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة (فإن قلت) من كان الذبيح من ولديه (قلت) قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظى وجماعة من التابعين أنه إسماعيل والحجة فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابى يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر الله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له أفدابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثانى إسماعيل وعن محمد بن كعب القرظى قال كان مجتهد بنى إسرائيل يقول إذا دعا اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل فقال موسى عليه السلام يا رب ما لمجتهد بنى إسرائيل إذا دعا قال اللهم إله إبراهيم وإسمعيل وإسرائيل وأنا بين أظهرهم فقد أسمعتنى كلامك واصطفيتنى برسالتك قال يا موسى لم يحبنى أحد حب إبراهيم قط ولا خير بينى وبين شىء قط إلا اختارنى وأما إسماعيل فإنه جاد بدم نفسه وأما إسرائيل فإنه لم ييأس من روحى فى شدة نزلت به قط يدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبيح قال وبشرناه بإسحاق نبيا وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز هو إسماعيل فقال عمر إن هذا شىء ما كنت أنظر فيه وإنى لأراه كما قلت ثم أرسل إلى يهودى قد أسلم فسأله فقال اليهود لتعلم أنه إسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه أن قرنى الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى أيدى بنى إسماعيل إلى أن احترق البيت وعن الأصمعى قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى أين عزب عنك عقلك ومتى كان إسحاق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه أن الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه إسحاق فى قوله وإسماعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد فى قوله إنه كان صادق الوعد لأنه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به ولأن الله بشره بإسحاق وولده يعقوب فى قوله فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب فلو كان الذبيح إسحق لكان خلفا للوعد فى يعقوب وعن على بن أبى طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين أنه إسحق والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله إبراهيم حين هاجر إلى الشأم بأنه استوهبه ولدا ثم أتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله (فإن قلت) قد أوحى إلى إبراهيم صلوات الله عليه فى المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح

---

* قوله تعالى قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم (قال) فيه فإن قلت قد أوحى إلى إبراهيم فى المنام أن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح * فأجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقة ولكن الله

سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ *

(قلت) قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه وهذا لايقدح فى فعل إبراهيم عليه السلام ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لومضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل فى شىء كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه (فإن قلت) الله تعالى هو المفتدى منه لأنه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه (قلت) الفادى هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدى به وإنما قال وفديناه إسناد للفداء إلى السبب الذى هو الممكن من الفداء بهبته (فإن قلت) فإذا كان ما أتى به إبراهيم من البطح وإمرار الشفرة فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء إنما هو التخليص من الذبح ببدل (قلت) قد علم بمنع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فرى الأوداج وإنهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لاتحصل تلك الحقيقة فى نفس إسمعيل ولكن فى نفس الكبش بدلا منه (فإن قلت) فأى فائدة فى تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ماوجد من إبراهيم مقام الذبح من غير نقصان (قلت) الفائدة فى ذلك أن يوجد مامنع منه فى بدله حتى يكمل منه الوفاء بالنذور وإيجاد المأمور به من كل وجه * (فإن قلت) لم قيل ههنا (كذلك نجزى المحسنين) وفى غيرها من القصص إنا كذلك (قلت) قدسبقه فى هذه القصة إنا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (نبيا) حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين (فإن قلت) فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول، والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فإنه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لامحالة لأن الحال حلية والحلية لاتقوم إلا بالمحلى وهذا المبشر به الذى هو إسحق حين وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لأن المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فإنه لاسبيل

سبحانه منع الشفرة أن تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل إبراهيم ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لومضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل فى شىء كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام عليه انتهى كلامه (قلت) كل ماذكر دندنة حول امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل وتلك قاعدة المعتزلة وأما أهل السنة فيثبتون جوازه لأن التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل فجاز رفعه كالموت وأيضا فكل نسخ كذلك لأن القدرة على الفعل عندنا مقارنة لامتقدمة ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية ووجه الدليل منها أن إبراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل افعل ماتؤمر ونسخ قبل التمكن بدليل العدول إلى الفداء فمن ثم تحوم الزمخشرى على أنه فعل غاية وسعه من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه وإنما امتنعت بأمر من الله تعالى وغرضه بذلك أحد أمرين إما أن يكون الأمر إنما توجه عليه بمقدمات الذبح وقد حصلت لابنفس الذبح أو توجه الأمر بنفس الذبح وتعاطيه ولكن لم يتمكن وكلا الأمرين لايخلصه أما قوله أمر بمقدمات الذبح فباطل بقوله إنى أرى فى المنام أنى أذبحك وقوله افعل ماتؤمر وأما قوله لم يتمكن لأن الشفرة منعت بأمر من الله تعالى بعد تسليم الأمر بالذبح فحاصله أنه لم يتمكن من الذبح المأمور به فكان النسخ إذا قبل التمكن وهو عين ما أنكره المعتزلة ولما لم يكن فى هذين الجوابين لهم خلاص لجأ بعضهم إلى تسليم أنه أمر بالذبح ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتحم وهو باطل لاثبوت له وسياق الآية يخل دعواه ويفل ثنياه

(قوله عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم) لعله فتقديره

وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ۝ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَرُونَ ۝ وَنَجَّيْنَهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَلِبِينَ ۝ وَءَاتَيْنَهُمَا الْكِتَبَ الْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى الْأَخِرِينَ ۝ سَلَمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَرُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلِقِينَ ۝ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْأَخِرِينَ ۝ سَلَمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝

إلى أن تكون موجودة أو مقدرة وقت وجود البشارة بإسحق لعدم إسحق (قلت) هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذى يحل الإشكال أنه لابد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود إسحق نبيا أى بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل فى الحال الوجود لافعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لأن كل نبى لابد أن يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة إسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح إسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه بإسحق قالوا ولايجوز أن يبشره الله بمولده ونبوته معا لأن الامتحان بذبحه لايصح مع علمه بأنه سيكون نبيا (وباركنا عليه وعلى إسحق) وقرئ وبركنا أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتينا أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على إبراهيم فى أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا أنبياء بنى إسرائيل من صلبه وقوله (وظالم لنفسه) نظيره قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين وفيه تنبيه على أن الخبث والطيب لايجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولانقيصة وأن المرء إنما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لاعلى ما وجد من أصله أو فرعه (من الكرب العظيم) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) الضمير لهما ولقومهما فى قوله ونجيناهما وقومهما (الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة كما قال وإنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، وقال من جواز أن تكون التوراة عربية أن تشتق من ورى الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة من واو (الصراط المستقيم) صراط أهل الإسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ۝ قرئ إلياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو إدريس النبى وقرأ ابن مسعود وأن إدريس فى موضع إلياس وقرئ إدراس وقيل هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى (أتدعون بعلا) أتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أى من ربها والمعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله (الله ربكم ورب آبائكم) قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة إذا وصل نصب وإذا وقف رفع ۝ وقرئ على الياسين وإدريسين وإدراسين وإدريسين على أنها لغات فى إلياس وإدريس ولعل لزيادة الياء والنون فى السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على أنه جمع يراد به إلياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون (فإن قلت) فهلا حملت على هذا الياسين على القطع وأخواته (قلت) لوكان جمعا لعرف بالألف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فعلى أن ياسين

(قوله وغشمهم) فى الصحاح الغشم الظلم (قوله أن تشتق من ورى الزند) لعله يجوز أن تشتق

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۞ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۞ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۞ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۞ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۞ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۞ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۞ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۞ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۞ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ۞ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ

اسم أبي الياس أضيف إليه الآل (مصبحين) داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم إلى الشام ليلا ونهاراً فما فيكم عقول تعتبرون بها ۞ قرئ يونس بضم النون وكسرها ۞ وسمي هربه من قومه بغير إذن ربه إباقا على طريقة المجاز ۞ والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم إذا اقترعوا ۞ والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روى أنه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد أبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزجّ بنفسه في الماء (فالتقمه الحوت وهو مليم) داخل في الملامة يقال ربّ لائم مليم أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنياً على شيب ونحوه مدعى بناء على دعى (من المسبحين) من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال إنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله وإقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد (للبث في بطنه) الظاهر لبثه فيه حياً إلى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة وروى أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت: إني جعلت بطنك له سجناً ولم أجعله لك طعاما. واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يوما وعن الضحاك عشرون يوما وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج من بطنه بعد الوقت الذي التقم فيه ۞ وروى أن الحوت سار مع السفينة رافعاً رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فأسلموا وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل ۞ والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه (وهو سقيم) اعتلّ مما حلّ به وروى أنه عاد بدنه كبدن الصبيّ حين يولد ۞ واليقطين كل ما ينسدح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجرة البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به وقيل هو الدباء. فائدة الدباء أنّ الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظلّ بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها وروى أنه مرّ زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فأوحى الله إليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف في يد الكافر (فإن قلت) ما معنى وأنبتنا عليه شجرة (قلت) أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الإنسان (وأرسلناه إلى مائة ألف) المراد به ما سبق من إرساله إلى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين أو إلى غيرهم وقيل أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى لأنّ النبيّ إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيما فيهم وقال لهم إنّ الله باعث إليكم نبياً (أو يزيدون) في مرأى الناظر أي إذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف

(قوله وكانت وعلة) يقال هي شاة جبلية

شَهِدُونَ ۞ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۞ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ۞ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۞ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۞ فَإِنَّكُمْ

بالكثرة (إلى حين) إلى أجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين (فاستفتهم) معطوف على مثله فى أول السورة وإن تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا فى ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدها التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام والثانى تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم كما قال «وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ۞ أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين» والثالث أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه حيث أنثوهم ولو قيل لأقلهم وأدناهم فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك فى أهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الأنواع كلها فى كتابه مرات ودل على فظاعتها فى آيات «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ۞ لقد جئتم شيئا إدا ۞ تكاد السموات يتفطرن منه» «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون» «وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض» «بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد» «ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله» «وجعلوا له من عباده جزأ» «ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون» «أم له البنات ولكم البنون» «ويجعلون لله ما يكرهون» «أصطفى البنات على البنين» «أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين» «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا» (أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) (فإن قلت) لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة (قلت) ما هو إلا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله «أشهدوا خلقهم» ونحوه قوله «ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم» وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم ۞ وقرئ ولد الله أى الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدى وهؤلاء ولدى (فإن قلت) (أصطفى البنات) بفتح الهمزة استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبى جعفر بكسر الهمزة على الإثبات (قلت) جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والأعمش رضى الله عنهما وهذه القراءة وإن كان هذا محملها فهى ضعيفة والذى أضعفها أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وإنهم لكاذبون (مالكم كيف تحكمون) فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين ۞ وقرئ تذكرون من ذكر (أم لكم سلطان) أى حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم فى ذلك كقوله تعالى «أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون» وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وإنكار فظيع واستبعاد لأقاويلهم شديد وما الأساليب التى وردت عليها إلا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا أن يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا (وجعلوا) بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة (نسبا) وهو زعمهم أنهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة (فإن قلت) لم سمى الملائكة جنة (قلت) قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وإن كانوا معظمين فى أنفسهم أن يبلغوا

(قوله ولانقلبت حماليقه) فى الصحاح حملاق العين باطن أجفانها الذى يسوده الكحل اه

وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ * وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ

منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك أتسوى بيني وبين عبدي وإذا ذكره فى غير هذا المقام وقره وكناه * والضمير فى (إنهم لمحضرون) للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون فى الملائكة وقد علم الملائكة أنهم فى ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة فى التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا إن الله والشيطان أخوان وعن الحسن أشركوا الجن فى طاعة الله ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير فى إنهم لمحضرون لهم والمعنى أن الشياطين عالمون بأن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء فى وجوب الطاعة لما عذبهم (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو فى يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به * والضمير فى (عليه) لله عز وجل ومعناه فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعاً بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق فى علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها (فإن قلت) كيف يفتنونهم على الله (قلت) يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهزائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وخيبها عليه * ويجوز أن يكون الواو فى وما تعبدون بمعنى مع مثلها فى قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وأن كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فإنكم وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لأن معناه فإنكم مع ما تعبدون والمعنى فإنكم مع آلهتكم أى فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أى على ما تعبدون (بفاتنين) بباعثين أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال (إلا من هو) ضال مثلكم أو يكون فى أسلوب قوله

فإنك والكتاب إلى على * كدابغة وقد حلم الأديم

وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هى ولام التعريف (فإن قلت) كيف استقام الجمع مع قوله من هو * قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه فى آية واحدة والثانى أن يكون أصله صائل على القلب ثم يقال صال فى صائل كقولهم شاك فى شائك والثالث أن تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الإعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت بإجراء الإعراب على العين (ومامنا) أحد (إلا له مقام معلوم) فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * بكفى كان من أرمى البشر * مقام معلوم مقام فى العبادة والانتهاء إلى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوز كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه (لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو أجنحتنا فى الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل إن المسلمين إنما اصطفوا فى الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل فى صلاتهم غير المسلمين (المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه إلا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وإرادته تعالى الله عما يقول

(قوله بكفى كان من أرمى البشر) لعله وقوله يكفى الخ

الْمُخْلَصِينَ ﴿ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿
وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿

الظالمون علوا كبيراً أنهم من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا وإياه جنسية واحدة ومانحن إلاعبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لايستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون أقدامنا لعبادته وأجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون فى الصلاة يسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من لايعرفه مما لايجوز عليه ﴿ هم مشركو قريش كانوا يقولون (لو أن عندنا ذكرا) أى كتابا (من) كتب (الأولين) الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الأذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم ومايحل بهم من الانتقام ﴿ وإن هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره ﴿ الكلمة قوله (إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وإنما سماها كلمة وهى كلمات عدة لأنها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة ﴿ وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة كما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهزامهم فى بعض المشاهد وماجرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ماغلب نبى فى حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة ﴿ وفى قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت (فتول عنهم) فأعرض عنهم وأغض على أذاهم (حتى حين) إلى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وعن السدى إلى يوم بدر وقيل الموت وقيل إلى يوم القيامة (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب فى الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب فى العاقبة والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على أنها كائنة واقعة لامحالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفى ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله (فسوف يبصرون) للوعيد كما سلف لا للتبعيد ﴿ مثل العذاب النازل بهم بعد ماأنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تدبيراً ينجيهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت فى وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التى تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك إلا لمجيئها على طريقة التمثيل ﴿ وقرأ ابن مسعود فبئس صباح ﴿ وقرئ نزل بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس

(قوله لالتقديره وإرادته تعالى) مبنى على مذهب المعتزلة أن الله لايقدر الشر ولا يريده وقال أهل السنة إن كل كائن فهو بقضاء الله وقدره كما بين فى التوحيد (وقوله وكما يجب على العباد بربهم) لعله كما يجب كعبارة النسفى (قوله ولا يلزم انهزامهم) أى لايرد نقضا للغلبة والنصر (قوله وأغض على أذاهم) فى الصحاح الإغضاء إدناء الجفون (قوله ونزل على ونزل العذاب) لعله على نزل العذاب فيكون بيانا للقراءة نزّل بالتشديد مبنياً للمفعول

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ۞ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۞ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞

سورة صٓ مكية

وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۞ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن

من أنذروا لأنّ ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس رضى الله عنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا إلى حصنهم فقال عليه الصلاة السلام الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ۞ وإنما ثنى (وتول عنهم) ليكون تسلية على تسلية وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة ۞ أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه مامن عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء ۞ اشتملت السورة على ذكر ماقاله المشركون فى الله ونسبوا إليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ماقيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علىّ رضى الله عنه من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

﴿سورة ص مكية وهى ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ص) على الوقف وهى أكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله كقولهم الله لأفعلنّ كذا بالنصب أو بإضمار حرف القسم والفتح فى موضع الجر كقولهم الله لأفعلنّ بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ ص بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهى المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت فى الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة ومعناه ماعارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه (فإن قلت) قوله ص (والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الإعجاز كما مرّ فى أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كأنه قال والقرآن ذى الذكر أنه لكلام معجز والثانى أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعنى هذه

قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص * وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا سحر

السورة التى أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا فى عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله وإذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذى الذكر جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذى الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه فى الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوى العزة والشقاق (فنادوا) فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة (ولات) هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها إما الاسم وإما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الأحيان و (حين مناص) منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أى ولا حين مناص كائن لهم وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبى زبيد الطائى طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن لات حين بقاء

(فإن قلت) ما وجه الكسر فى أوان (قلت) شبه بإذ فى قوله وأنت إذ صحيح فى أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن الأصل ولات أوان صلح (فإن قلت) فما تقول فى حين مناص والمضاف إليه قائم (قلت) نزل قطع المضاف إليه من مناص لأن أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا إلى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير (فإن قلت) كيف يوقف على لات (قلت) يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذى يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائى فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما قول أبى عبيد إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين فى الإمام لا متشبث به فكم وقعت فى المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنا والفوت يقال ناصه ينوصه إذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر: غمر الجراء إذا قصرت عنانه * بيدى استناص ورام جرى المسحل (منذر منهم) رسول من أنفسهم (وقال الكافرون) ولم يقل وقالوا إظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذى لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذى لا وجه لصحته * روى أن إسلام عمر رضى الله تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبى طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الاسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله

(قوله ورام جرى المسحل) فى الصحاح الحمار الوحشى (قوله يسألونك السؤال فلا تمل) لعله السواء كما فى عبارة النسفى

كذّاب ۝ أجعل الآلهة إلها واحدا إنّ هذا لشىء عجاب ۝ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشىء يراد ۝ ما سمعنا بهذا فى الملّة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ۝ أءنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شكّ من ذكرى بل لمّا يذوقوا عذاب ۝ أم عندهم خزائن رحمة ربّك العزيز الوهّاب ۝ أم

فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشىء عجاب) أى بليغ فى العجب وقرئ عجّاب بالتشديد كقوله تعالى مكراً كبّاراً وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرّام وقوله أجعل الآلهة إلها واحداً مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا فى أن معنى الجعل التصيير فى القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال اجعل الجماعة واحداً فى قوله لأنّ ذلك فى الفعل محال (الملأ) أشراف قريش يريدوا انطلقوا عن مجلس أبى طالب بعد ما بكّتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض (امشوا واصبروا) فلا حيلة لكم فى دفع أمر محمد (إن هذا) الأمر (لشىء يراد) أى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مردّ له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو أن هذا الأمر لشىء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو أن دينكم لشىء يراد أى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه ۝ وأن بمعنى أى لأنّ المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وأنهم قالوا امشوا أى أكثروا واجتمعوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم ۝ ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها ۝ وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير أن على إضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا (فى الملة الآخرة) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لأنّ النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة أو فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنا فى الملة الآخرة على أن يجعل فى الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما فى الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهان أنه يحدث فى الملة الآخرة توحيد الله ۝ ما (هذا إلا اختلاق) أى افتعال وكذب ۝ أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلى به صدورهم من الحسد على ما أوتى من شرف النبوة من بينهم (بل هم فى شك) من القرآن يقولون فى أنفسهم أما وأما وقولهم إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد (بل لما يذوقوا عذاب) بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعنى أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب مضطرين

﴿القول فى سورة ص﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قوله تعالى وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد (قال) فيه معناه اصبروا فلا حيلة لكم فى دفع أمر محمد إن هذا الشىء يراد أى يريده الله ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مردّ له ولا ينفع فيه إلا الصبر اه كلامه ۝ قوله تعالى أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب (قال معناه لم يذوقوه بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم الخ) قلت ويؤخذ منه أن لما لائقة بالجواب وإنما ينفى بها فعل يتوقع وجوده كما يقول سيبويه وفرق بينها وبين لم بأن لم نفى لفعل يتوقع وجوده لم يقبل مثبته قد، ولما نفى لما يتوقع وجوده أدخل على مثبته قد وإنما ذكرت ذلك لأنى حديث عهد بالبحث فى قوله عليه الصلاة والسلام الشفعة فيما لم يقسم فإنى استدللت به على أن الشفعة خاصة بما يقبل القسمة فقيل لى إن غايته أنه أثبت الشفعة فيما نفى عنه القسمة فإما لأنها لا تقبل قسمة وإما أنها تقبل ولم تقع القسمة فأبطلت ذلك بأن آلة النفى المذكورة

(قوله ضموا فواشيكم) بقيته فى الصحاح حتى تذهب فحمة العشاء (قوله أنكر أن يختص بالشرف) لعله أنكروا كما فى النسفى

لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ۝
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ۝

إلى تصديقه (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعنى ماهم بما لكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام ۝ وإنما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ماتقتضيه حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض) حتى يتكلموا فى الأمور الربانية والتدابير الإلهية التى تختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التى يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لاتحق له (فليرتقوا فى الأسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى إلى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خساءة عن ذلك بقوله (جند ماهنالك مهزوم من الأحزاب) يريد ماهم إلا جيش من الكفار المتحزبون على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلاتبال بما يقولون ولاتكترث لما به يهذون ومامزيدة وفيها معنى الاستعظام كما فى قول امرئ القيس وحديث ماعلى قصره ۝ إلا أنه على سبيل الهزء
وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك (ذو الأوتاد) أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده قال

والبيت لايبتنى إلا على عمد ۝ ولاعماد إذا لم ترس أوتاد

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود فى ظل ملك ثابت الأوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد فى الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه (أولئك الأحزاب) قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب ۝ ولقد

لم ومقتضاها قبول المحل الفعل المنفى وتوقع وجوده ألا تراك تقول الحجر لايتكلم ولو قلت الحجر لم يتكلم لكان ركيكا من القول لإفهامه قبوله للكلام ۝ قوله تعالى أم لهم ملك السموات والأرض ومابينهما فليرتقوا فى الأسباب (قال) ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة فكانت عندهم المعرفة التى يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لايستحق فليرتقوا فى المعارج والطرق الموصلة إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله تعالى وينزلوا الوحى على من يختارونه قال ثم خسأهم بقوله جند ماهنالك مهزوم من الأحزاب معناه إن هؤلاء إلا جند متحزبون على النبى صلى الله عليه وسلم عماقليل يهزمون ويولون الأدبار اهـ كلامه (قلت) الاستواء المنسوب لله ليس مما يتوصل إليه بالصعود فى المعارج والوصول إلى العرش والاستقرار عليه والتمكن فوقه لأن الاستواء المنسوب إلى الله تعالى ليس استواء استقرار بجسم تعالى الله عن ذلك وإنما هو صفة فعل أى فعل فيه فعلا سماه استواء هذا تأويل القاضى أبى بكر وليست عبارة الزمخشرى فى هذا الفصل مطابقة للمفصل على جارى عاداته فى تحرير العبارة على مراده ۝ قوله تعالى أولئك الأحزاب (قال فيه قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم الذين وجد التكذيب منهم اهـ كلامه) قلت وفى تكرار تكذيبهم فائدة أخرى وهى

(قوله ثم خسأهم خساءة) فى الصحاح خسأت الكلب خسأ طردته وخسأ بنفسه يتعدى ولايتعدى (قوله وقيل كان يشبح المعذب) أى يمد أفاده الصحاح

إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب * وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق * وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب * اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب * إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق * والطير محشورة كل له أواب * وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل

ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفى تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (فحق عقاب) أى فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم (هؤلاء) أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم بالذكر أو لأنهم كالحضور عند الله * والصيحة النفخة (ومالها من فواق) وقرئ بالضم مالها من توقف مقدار فواق وهو مابين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع يعنى إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس مالها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع الدر إلى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد * القط القسط من الشىء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى (عجل لنا قطنا) أى نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها (فإن قلت) كيف تطابق قوله (اصبر على ما يقولون) وقوله (واذكر عبدنا داود) حتى عطف أحدهما على صاحبه (قلت) كأنه قال لنبيه عليه الصلاة والسلام اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله فى أعينهم بذكر قصة داود وهو أنه نبى من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث إليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته فى بطن كفه حتى لا يزال يجدد النظر إليها والندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم أو قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغى ما لقى (ذا الأيد) ذا القوة فى الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وأياد كل شىء ما يتقوى به (أواب) تواب رجاع إلى مرضاة الله (فإن قلت) ما دلك على أن الأيد القوة فى الدين (قلت) قوله تعالى إنه أواب لأنه تعليل لذى الأيد (والإشراق) ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضىء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل

أن الكلام لما طال بتعديد آحاد المكذبين ثم أريد ذكر ما حاق بهم من العذاب جزاء لتكذيبهم كرر ذلك مصحوبا بالزيادة المذكورة ليلى قوله تعالى فحق عقاب على سبيل التطرية المعتادة عند طول الكلام وهو كما قدمته فى قوله وكذب موسى حيث كرر الفعل ليقترن بقوله فأمليت للكافرين * قوله عز وعلا « يسبحن بالعشى والإشراق (قال) الإشراق حين تشرق الشمس أى يصفو نورها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق ومنه أخذ ابن

(قوله وغمه الواصب) أى الدائم

تجدون ذكر صلاة الضحى فى القرآن قالوا لا فقرأ إنا سخرنا له الجبال معه يسبحن بالعشىّ والإشراق وقال كانت صلاة يصليها داود عليه السلام وعنه ماعرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية وعنه لم يزل فى نفسى من صلاة الضحى شىء حتى طلبتها فوجدتها بهذه الآية يسبحن بالعشىّ والإشراق وكان لا يصلى صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس إنى لأجد فى كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك فى كتاب الله تعالى يعنى هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا فى الشروق ومنه قوله تعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق * ويسبحن فى معنى ومسبحات على الحال (فإن قلت) هل من فرق بين يسبحن ومسبحات (قلت) نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شىء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الأعشى * إلى ضوء نار فى يفاع تحرق * ولو قال محرقة لم يكن شيئاً وقوله (محشورة) فى مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن فى الحشر ما كان فى التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شىء جىء به اسما لا فعلا وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئاً بعد شىء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفاً لأن حشرها جملة واحدة أدلّ على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها * وقرئ والطير محشورة بالرفع (كل له أوّاب) كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أى لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الأوّاب موضع المسبح إمّا لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعا بعد رجوع وإمّا لأنّ الأوّاب وهو التوّاب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أوّاب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قال تعالى سنشدّ عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم يحرسونه وقيل الذى شدّ الله به ملكه وقذف فى قلوب قومه الهيبة أنّ رجلا ادّعى عنده على آخر بقرة وعجز عن إقامة

عباس صلاة الضحى قال ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا فى وقت الشروق ويكون المراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بشروق الشمس اه كلامه (قلت) الوجه الثانى يفرق بين العشىّ والإشراق فإنّ العشىّ ظرف بلا إشكال فلو حمل الإشراق على الدخول فى وقت الشروق لكان مصدراً مع أنّ المراد به الظرف لأنه فعل الشمس وصفتها التى تستعمل ظرفا كالطلوع والغروب وشبهها * عاد كلامه إلى قوله تعالى يسبحن (قال فيه إن قلت لم اختار يسبحن على مسبحات وأيهما وقع كان حالا وأجاب بأنّ اختيارهما لمعنى وهو الدلالة على حدوث التسبيح شيئا بعد شىء كأن السامع محاضر لها فيسمعها تسبح ومنه قول الأعشى * إلى ضوء نار فى يفاع تحرق * ولو قال محرقة لم يكن شيئاً) قلت ولهذه النكتة فرق سحنون من أصحابنا بين أنا محرم يوم أفعل كذا بصيغة اسم الفاعل وبين أحرم بصيغة المضارع فرأى أنّ المعلق بصيغة اسم الفاعل يكون محرما يوجد صيغة التعليق ولا كذلك المعلق بصيغة الفعل المضارع فإنه لا يكون محرماً حتى يحرم ويقال له أحرم فكأنه رأى أنّ صيغة الفعل خصوصية فى الدلالة على حدوثه ولا كذلك اسم الفاعل وإن كان متأخراً وأصحابنا اختلفوا فى معنى قول سحنون فى اسم الفاعل يكون محرماً يوم يفعل فمنهم من قال أراد الفور فينشئ إحراما ومنهم من قال يكون محرما فى الحال بالتعليق الأوّل ولا يجدّد شيئا ومذهب مالك التسوية بين صيغتى اسم الفاعل والفعل فى هذا المقام والله أعلم وحقق الزمخشرى هذا الفرق بين اسم الفاعل والفعل فى قوله « والطير محشورة كلّ له أوّاب » فقال لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة وكان ذلك أدلّ على القدرة لم يكن لاستعمال الفعل الدالّ على الحدوث شيئا فشيئا معنى فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل فى الأوّل

(قوله أشرق ثبير) كانوا يقولون أشرق ثبير كيما نغير كما فى الصحاح (قوله نار فى يفاع تحرق) فى الصحاح اليفاع ما ارتفع من الأرض (قوله أربعون ألف مستلئم يحرسونه) أى لابس اللأمة وهى الدرع أفاده الصحاح

الْخِطَابِ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ

البينة فأوحى الله تعالى إليه فى المنام أن اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحى فى اليقظة فأعلم الرجل فقال إن الله عزّ وجلّ لم يأخذنى بهذا الذنب ولكن بأنى قتلت أباهذا غيلة فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنباً أظهره الله عليه فقتله فهابوه (الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة ۞ الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير لأنهم قالوا كلام ملتبس وفى كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل فى نقيضه فصل أى مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظانّ الفصل والوصل فلا يقف فى كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين إلا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظانّ العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرار وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه هو قوله البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أمّا بعد لأنه يفتتح إذا تكلم فى الأمر الذى له شأن بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أمّا بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخلّ ولا إشباع مملّ ومنه ما جاء فى صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نذر ولا هذر ۞ كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته وكانت لهم عادة فى المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وأمّا ما يذكر أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب فقال يارب إن آبائى قد ذهبوا بالخير كله فأوحى إليه أنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلى إبراهيم بنمروذ وذبح ولده وإسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى الله إليه إنك لمبتلى فى يوم كذا وكذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتدّ إليها فطارت فوقعت فى كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء إن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان

۞ قوله تعالى «وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب» الآية (ذكر) فى تفسيرها فصلا أسرده على الاختصار والإيجاز لتندرج حقاً فى فصل الخطاب قال كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضاً النزول له عن امرأته إذا أعجبته فيتزوجها وقد روى مثله عن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فوقعت عين داود عليه السلام على امرأة أوريا فأعجبته فسأله إيثاره بها ليتزوجها فاستحيا منه فنزل عنها فتزوجها وأولدها سليمان فقيل له إنك مع كثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها وكان الأفضل قهر الهوى وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فرغب إليه أهلها فاندرج فى الخاطب على خطبة أخيه وأمّا ما يذكر أن داود تمنى منزلة آبائه الأنبياء فقيل له إنهم ابتلوا فصبروا فسأل الابتلاء ليصبر فقيل له إنك تبتلى يوم كذا فاحترس ذلك اليوم وأغلق عليه محرابه فتمثل له الشيطان فى صورة حمامة ذهب فمد يده ليأخذها لولد صغير فطارت فتبعها فرأى المرأة قد نقضت شعرها فبعث إلى أيوب صاحب بعث البلقاء أن قدم أوريا إلى التابوت وهو من غزاة البلقاء وكان المتقدم

(قوله من غزاة البلقاء) فى الصحاح مدينة بالشام

من يتقدم على التابوت لايحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث الأعور أن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على مافى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ماذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى إظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب (فإن قلت) لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح (قلت) لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى إلى التنبه على الخطإ فيه من أن يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة ألاترى إلى الحكماء كيف أوصوا فى سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة أن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك أزجر له لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ماوجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة (فإن قلت) فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه (قلت) ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التى حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق إلى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف إبراهيم المكرمين لأنه مصدر فى أصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا (فإن قلت) هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك (قلت) معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذا خصمان اختصموا فى ربهم (فإن قلت) فما تصنع بقوله إن هذا أخى وهو دليل على اثنين (قلت) هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض (فإن قلت) فقد جاء فى الرواية أنه بعث اليه ملكان (قلت) معناه أن التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك أن

إليه يحرم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد فقدم فسلم فأمر بتقدمه مرة أخرى وثالثة فقتل فلم يحزن عليه كحزنه على الشهداء وتزوج امرأته المذكورة فهذا ونحوه مما يقبح الحديث به عن متسم بصلاح من آحاد المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب أن عليّ بن أبي طالب قال من حدثكم قصة داود كما يرويها القصاص جلدته مائة وستين حد الفرية مضاعفا روى أن عمر بن عبد العزيز حدثه رجل بذلك بحضرة عالم محقق فكذب الحديث بذلك وقال إن كانت القصة على مافى كتاب الله فالتماس خلافها فرية وإن كانت على ماذكرت وكف الله عنها ستراً لنبيه عليه السلام فما ينبغى لك إظهار ما ستره الله تعالى فقال عمر بن عبد العزيز استماعى هذا الكلام أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس ؎ قال الزمخشرى والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله أن قصته ليست إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فقط ثم نبه الزمخشرى على مجىء الإنكار على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح وذلك أن التعريض داع إلى التأمل والتنبه لوجه الخطإ مع مافيه من اجتناب المجاهرة فى الإنكار والتوبيخ وألقاه بطريق التمثيل ليستقبح ذلك من غيره فيجعله مقياساً لاستقباح ذلك من نفسه مع البقاء على الحشمة كما أوصى الحكماء بذلك فى سياسة الوالد لولده إذا حصلت منه هنة منكرة قال وجاء ذلك على وجه التحاكم ليحكم بقوله لقد ظلمك فتقوم الحجة عليه محكمة ؎ قال وقوله وهل أتاك جاء على وجه الاستفهام تنبيها على أن هذه قصة عجيبة من حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد وتشويقا

(قوله يحدث به بعض المتسمين بالصلاح الخ) لعله عن بعض أو لعله يحدث من بعض وفى الصحاح يقال هو من افناء الناس إذا لم يعلم ممن هو وعبارة النسفى بدل قوله فهذا ونحوه الخ فلا يليق من المتسمين الخ

بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۞ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۞ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ

يصحبهما آخرون (فإن قلت) فإذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما فى قوله نبأ الخصم وخصمان (قلت) لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين فى صورة الخصم صحت التسمية به ۞ (فإن قلت) بم انتصب (إذ) (قلت) لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه بأتاك لأن إتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع إلا فى عهده لا فى عهد داود ولا بالنبأ لأن النبأ الواقع فى عهد داود لا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أردت بالنبإ القصة فى نفسها لم يكن ناصبا فبقى أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وأما إذ الثانية فبدل من الأولى (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره فى الأبنية تسنمه إذا علا سنامه وتذراه إذا علا ذروته روى أن الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة إنسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان (ففزع منهم) قال ابن عباس إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بنى إسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه فى غير يوم القضاء ففزع منهم ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (خصمان) خبر مبتدإ محذوف أى نحن خصمان (ولا تشطط) ولا تجر وقرئ ولا تشطط أى ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق و (سواء الصراط) وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه (أخى) بدل من هذا أو خبر لأن المراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وإن كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الأخوات تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم ۞ وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطح ونطع ولقوة ولقوة (اكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه تعزه قال

قطاة عزها شرك فباتت ۞ تجاذبه وقد علق الجناح

يريد جاءنى بحجاج لم أقدر أن أورده عليه ما أرد به وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى من المعازة وهى المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزنى بتخفيف الزاى طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست (فإن قلت) ما معنى ذكر النعاج (قلت) كأن تحاكمهم فى نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لأن التمثيل أبلغ فى التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصه أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة

إلى سماعها أيضا ۞ وقال فى قوله هذا أخى الأخوة كيف ما كانت إما من الصداقة أو من الدين أو من الشركة والخلطة تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم فلذلك قال إن هذا أخى ۞ وقال فى الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة ومعناه أتانى بما لم أقدر على رده من الجدال ويحتمل أن يكون من الخطبة مفاعلة أى خطبت على خطبتى فغلبنى والمفاعلة لأن الخطبة صدرت منهما جميعا ۞ وقال فى ذكر النعاج إنها تمثيل فكان تحاكمهم تمثيلا وكلامهم أيضا تمثيلا لأنه أبلغ لما تقدم وللتنبيه على أن هذا أمر يستحيا من التصريح به وأنه مما يكنى عنه سماجة الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا برجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد أن يتمها مائة بالنعجة المذكورة ثم قال

(قوله نحو نطع ولقوة ولقوة) فى الصحاح النطع فيه أربع لغات وفيه اللقوة داء فى الوجه والناقة السريعة اللقاح والعقاب الأنثى واللقوة بالكسر مثله (قوله قطاة عزها شرك) لعله عزه يعزه ويعزه

نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ

فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وإن كثيراً من الخلطاء وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة (فإن قلت) إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم (قلت) الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة فى نحو قوله

ياشاة ماقنص لمن حلت له ٭ فرميت غفلة عينه عن شاته

وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا لولا أن الخلطاء تأباه إلا أن يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم (فإن قلت) الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت) هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها فى أنفسهم وكانوا فى صورة الأناسى كما تقول فى تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير إليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضاً فى تصويرها لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها ومالكما من الأربعين أربعة ولا ربعها (فإن قلت) ما وجه قراءة ابن مسعود ولى نعجة أنثى (قلت) يقال لك امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة فى لين الأنوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد فى تكسرها وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشى رويداً تكاد تنغرف (لقد ظلمك) جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه ٭ والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى الإضافة فعدى تعديتها كأنه قيل بإضافة (نعجتك إلى نعاجه) على وجه السؤال

فإن قلت طريقة التمثيل إنما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة فإن كان من الخطبة فما وجهه قال الوجه حينئذ أن تجعل النعجة استعارة للمرأة كما استعاروا لها الشاة فى قوله ٭ ياشاة ماقنص لمن حلت له . إلا أن لفظ الخلطاء يأباه اللهم إلا أن يكون ابتداء مثل من داود عليه السلام (قلت) والفرق بين التمثيل والاستعارة أنه على التمثيل يكون الذى سبق إلى فهم داود عليه السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم فى النعاج التى هى البهائم ثم انتقل بواسطة التنبيه إلى فهم أنه تمثيل لحاله وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم فى النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية ثم استشعر أنه هو المراد بذلك ٭ قال فإن قلت لم صحّ من الملائكة الإخبار عن أنفسهم بما لم يتلبسوا بشىء منه وأجاب بأن ذلك على سبيل التصوير والفرض كما تقول فى تصوير المسألة زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون خلطاها فماذا يجب عليهما من الزكاة وتقول أيضاً لى أربعون شاة ولك أربعون ومالك ولا له من الأربعين أربعة ولا ربعها فإن قلت فما وجه قراءة ابن مسعود ولى نعجة أنثى وأجاب بأنه يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة ومعناه وصفها بالعراقة فى لين الأنوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد فى تكسرها وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم إياها بالكسول والمكسال كقوله :
٭ فتور القيام قطيع الكلام ٭ اه كلامه (قلت) ولكن قوله ولى نعجة إنما أورده على سبيل التقليل لما عنده والتحقير ليستجل على خصمه بالبغى لطلبه هذا القليل الحقير وعنده الجم الغفير فكيف يليق وصف ماعنده والمراد تقليله بصفة الحسن التى توجب إقامة عذر ما لخصمه ولذلك جاءت القراءة المشهورة على الاقتصار على ذكر النعجة وتأكيد قلتها بقوله واحدة فهذا إشكال على قراءة ابن مسعود يمكن الجواب عنه بأن القصة الواقعة لما كانت امرأة أوريا الممثلة بالنعجة فيها مشهورة بالحسن وصف مثالها فى قصة الخصمين بالحسن زيادة فى التطبيق لتأكيد التنبيه على أنه هو المراد بالتمثيل ثم

(قوله لمن حلت له فرميت) لعله وقوله فرميت (قوله كنعاج الملا تعسفن رملا) فى الصحاح الملا الصحراء ويروى الفلا وهو جمع فلاة وهى المغازة كذا فى الصحاح (قوله وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد) فى الصحاح ماله سبد ولا لبد أى لا قليل ولا كثير والسبد من الشعر واللبد من الصوف

وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ *

والطلب (فإن قلت) كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه (قلت) ماقال ذلك إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك فى القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة فقال ياداود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ماوقع فيه (الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهى الخلطة وقد غلبت فى الماشية والشافعى رحمه الله يعتبرها فإذا كان الرجلان خليطين فى ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلا أن مراحهما ومساقهما وموضع حلبهما والراعى والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فإن كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة وإن كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند أبى حنيفة لاتعتبر الخلطة والخليطة والمنفرد عنده واحد ففى أربعين بين خليطين لا شىء عنده وفى مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه (فإن قلت) فهذه الخلطة ماتقول فيها (قلت) عليهما شاة واحدة فيجب على ذى النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعى رحمه الله وعند أبى حنيفة لاشىء عليه * (فإن قلت) ماذا أراد بذكر حال الخلطاء فى ذلك المقام (قلت) قصد به الموعظة الحسنة والترغيب فى إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذى عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلى المظلوم عما جرى عليه فى خليطه وأن له فى أكثر الخلطاء أسوة وقرئ ليبغى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله * اضرب عنك الهموم طارقها * وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما فى (وقليل ماهم) للإبهام وفيه تعجب من قلتهم وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقى له معنى قط لما كان الظن الغالب يدانى العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن (أنما فتناه) أنا ابتليناه لامحالة بامرأة أوريا هل يثبت أو يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وأفتناه من قوله لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت وفتناه وفتناه على أن الألف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لأنه ينحنى ويخضع كالساجد

قال فإن قلت لما سارع بتصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر وأجاب بأن ذلك كان بعد اعتراف خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لأنه معلوم اه كلامه (قلت) ويحتمل أن يكون ذلك من داود على سبيل الفرض والتقدير أى إن صح ذلك فقد ظلمك ونقل بعضهم أن هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلا وإنما كانت من البشر إما خليطين فى الغنم حقيقة وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسرارى والثانى معسر أوماله إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها وفزع داود وخوفه أن يكونا مغتالين لأنهما دخلا عليه فى غير وقت القضاء وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه إلى الظلم قبل مسألته اه كلامه (قلت) مقصود هذا القائل تنزيه داود عن ذنب يبعثه عليه شهوة النساء فأخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب إلى العجلة فى نسبة الظلم إلى المدعى عليه لأن الباعث على ذلك فى الغالب إنما هو التهاب الغضب وكراهيته أخف مما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى ولعل هذا القائل يؤكد رأيه فى الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فما جرت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالأحكام إلا والذى صدر منه أولا وبان منه من قبيل ماوقع له فى الحكم بين الناس وقد التزم المحققون من أئمتنا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام داود وغيره منزهون من الوقوع فى صغائر الذنوب مبرؤون من ذلك والتمسوا المحامل الصحيحة لأمثال هذه القصة وهذا هو الحق الأبلج والسبيل الأبهج إن شاء الله تعالى

(قوله لهى بأمس أفتنت يروى فهى وبقية البيت: سعيدا فأمسى قد ملا كل مسلم. أفاده الصحاح

يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

وبه استشهد أبوحنيفة وأصحابه فى سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لأنه لايكون ساجدا حتى يركع ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتى الاستغفار والإنابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أى مصليا لأن الركوع يجعل عبارة عن الصلاة (وأناب) ورجع إلى الله تعالى بالتوبة والتنصل وروى أنه بقى ساجداً أربعين يوما وليلة لايرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو مالا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه إلى رأسه ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا إلى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا إلى نفسه واجتمع اليه أهل الزيغ من بنى إسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروى أنه نقش خطيئته فى كفه حتى لاينساها وقيل إن الخصمين كانا من الإنس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما إما كانا خليطين فى الغنم وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من المهائر والسرارى والثانى معسراً ماله إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها وإنما فزع لدخولهما عليه فى غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته (خليفة فى الأرض) أى استخلفناك على الملك فى الأرض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله فى أرضه أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله تعالى إذا كنت خليفته (ولا تتبع) هوى النفس فى قضائك وغيره مما تتصرف فيه من أسباب الدين والدنيا (فيضلك) الهوى فيكون سبباً لضلالك (عن سبيل الله) عن دلائله التى نصبها فى العقول وعن شرائعه التى شرعها وأوحى بها و(يوم الحساب) متعلق بنسوا أى بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أى لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بنى مروان أنه قال لعمر بن عبدالعزيز أو للزهرى هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لايجرى عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال ياأمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الأنبياء ثم تلا هذه الآية (باطلا) خلقاً باطلا لالغرض صحيح وحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله تعالى وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق. وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيا موضع المصدر وهو صفة أى ماخلقناهما ومابينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو أن خلقناها نفوسا أودعناها العقل والتميز ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم و(ذلك) إشارة إلى خلقها باطلا ۝ والظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لالالحكمة هو مظنون الذين كفروا (فإن قلت) إذا كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض ومابينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لالالحكمة (قلت) لما كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لأن الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة فى خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لايعرفه ولايقدره حق قدره فكان إقراره بكونه خالقا كلا إقرار (أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الإنكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما

(قوله وهو أن خلقنا نفوسا) عبارة النسفى وهو أنا خلقنا نفوسا

كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۞ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۞ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ۞ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۞ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ۞

وقرئ مباركا وليتدبروا على الأصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذى يؤدى إلى معرفة مايدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى الحسنة لأن من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لايحلبها ومهرة نثور لايستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لاعلم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى إن أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا وقد والله أسقطه كله مايرى للقرآن عليه أثر فى خلق ولا عمل والله ماهو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده والله ماهؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله فى الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعذنا من القراء المتكبرين ۞ وقرئ نعم العبد على الأصل والمخصوص بالمدح محذوف ۞ وعلل كونه ممدوحا بكونه أوّابا رجاعا اليه بالتوبة أومسبحاً مؤوبا للتسبيح مرجعا له لأن كل مؤوب أوّاب ۞ والصافن الذى فى قوله ألف الصفون فما يزال كأنه ۞ مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذى يقوم على طرف سنبك يدأو رجل هو المخيم وأما الصافن فالذى يجمع بين يديه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار أى واقفين كما خدم الجبابرة (فإن قلت) مامعنى وصفها بالصفون (قلت) الصفون لايكاد يكون فى الهجن وإنما هو فى العراب الخاص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها وإذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ماصلى الأولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أوعن ورد من الذكر كان له وقت العشى وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقى مائة فما بقى فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها وهى الريح تجرى بأمره (فإن قلت) مامعنى (أحببت حب الخير عن ذكر ربى) (قلت) أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربى أوجعلت حب الخير مجزيا أومغنيا عن ذكر ربى وذكر أبو الفتح الهمدانى فى كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء إذ أحبا وليس بذاك والخير المال كقوله إن ترك خيرا وقوله وإنه لحب الخير لشديد والمال الخيل التى شغلته أوسمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال

۞ قوله تعالى الصافنات الجياد (قال) الصفون أن يقف على ثلاث وعلى طرف الرابع وقيل هذا للمخيم والصافن الذى يجمع بين يديه قال ووصفها بذلك لأنه لايكون فى الهجن غالبا وإنما يكون فى العراب الخلص أووصفها ليجمع لها الوصفين المحمودين جارية وواقفة فوصفها فى جريها بالجودة والسرعة وفى وقوفها بالسكينة والطمأنينة لأن ذلك من لوازم الصفون غالبا

(قوله لم يحل منه بكثير طائل) فى الصحاح قولهم لم يحل منه بطائل أى لم يستفد منه كبير فائدة وفيه اللقح بالكسر الإبل بأعيانها الواحدة لقوح وهى الحلوب مثل قلوص وقلاص واللقحة اللقوح والجمع بفتح مثل قربة قرب وفيه ناقة درور أى كثيرة اللبن وفيه النثور أى كثيرة الولد (قوله ولا الوزعة) جمع وازع وهو الذى يكف عن الضرر والذى يتقدم الصف فيصلحه بالتقديم والتأخير أفاده الصحاح (قوله وقرئ نعم العبد على الأصل) لعله بفتح النون وكسر العين كما يفيده الصحاح (قوله بعد ماصلى الأولى على كرسيه) عبارة النسفى صلى الظهر (قوله وعقرها مقربا لله) عبارة النسفى تقربا

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ

رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وقال فى زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ماوصف لى رجل فرأيته إلا كان دون مابلغنى إلازيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا رضى الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير ۞ والتوارى بالحجاب مجاز فى غروب الشمس عن توارى الملك أو المخبأة بحجابهما والذى دلّ على أنّ الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولا بد للمضمر من جرى ذكر أو دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام ومن بدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (فطفق مسحا) فجعل يمسح مسحا أى يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها يعنى يقطعها يقال مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكسف القطع ومنه الكسف فى ألقاب الزحاف فى العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها وإعجابا بها ۞ (فإن قلت) بم اتصل قوله ردوها علىّ (قلت) بمحذوف تقديره قال ردوها على فأضمر وأضمر ماهو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال سليمان لأنه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبى من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها ۞ وقرئ بالسؤوق بهمز الواو لضمتها كما فى أدؤر ونظيره الغؤور فى مصدر غارت الشمس وأما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة فى السين كأنها فى الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق أسد وأسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الإلباس قيل فتن سليمان بعد ماملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحابة فماراعه إلا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه فى أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب إليه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) وهذا ونحوه مما لا بأس به وأما مايروى من حديث الخاتم والشياطين وعبادة الوثن فى بيت سليمان فالله أعلم بصحته حكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهى مدينة فى بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب بنتاً له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهنّ فى ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائباً إلى الله متضرّعا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فى خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذى دلّ سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال ياأمينة خاتمى فتختم به وجلس على كرسى سليمان وعكفت عليه الطير والجنّ والإنس وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أنّ الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كلّ يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ماعبد الوثن فى بيته فأنكر آصف وعظماء

(قوله ومسح المسفر الكتاب) الذى فى الصحاح سفرت الكتاب أسفره سفراً وسفرت المرأة كشفت عن وجهها وأسفر الصبح أى إضاءه وأسفر وجهه حسنا أى أشرق فليحرر (قوله فكان يغذوه فى السحابة) فى الصحاح غاداه أى غدا عليه فلعل عبارة الكتاب بالذال المعجمة وفى الصحاح غذوت الصبى باللبن أى ربيته به فاغتذى وعبارة النسفى يغذوه بالمعجمة

بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۞ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۞ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۞ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا

بنى إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلنا مايدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه فى كل شىء إلا فيهنّ ثم طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجداً ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسدّ عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لايتماسك فيها فقال له آصف إنك لمفتون بذنبك والخاتم لايقر فى يدك فتب إلى الله عز وجل ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود ، والشياطين لايتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا فى تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهنّ قبيح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى إلى قوله من محاريب وتماثيل وأما السجود للصورة فلا يظن بنبىّ الله أن يأذن فيه وإذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله (وألقينا على كرسيه جسداً) ناب عن إفادة معنى إنابة الشيطان منابه نبوّاً ظاهراً ۞ قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء والصالحين فى تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم (لاينبغى) لايتسهل ولا يكون ۞ ومعنى (من بعدى) دونى (فان قلت) أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطى الله مالا يعطيه غيره (قلت) كان سليمان عليه السلام ناشئاً فى بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب ألفه ملكا زائداً على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوّته قاهراً للمبعوث إليهم وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لاينبغى لأحد من بعدى وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل ملكا لاأسلبه ولا يقوم غيرى فيه مقامى كما سلبته مرّة وأقيم مقامى غيرى ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح فى الدين وعلم أنه لايضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه فأمره أن يستوهبه إياه فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التى علم الله أنه لايضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباده أو أراد أن يقول ملكا عظيما فقال لاينبغى لأحد من بعدى ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ماليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ماعنده وعن الحجاج أنه قيل له إنك حسود فقال أحسد منى من قال هب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى وهذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكى عنه طاعتنا أوجب من طاعة الله لأنه شرط فى طاعته فقال ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وأطلق طاعتنا فقال وأولى الأمر منكم ۞ قرئ الريح والرياح (رخاء) لينة طيبة لاتزعزع وقيل طيعة له لاتمتنع عليه (حيث أصاب) حيث قصد وأراد حكى الأصمعى عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب وعن رؤبة أنّ رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال أين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال أصاب الله بك خيراً (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) بدل من الشياطين (وآخرين) عطف على كل داخل فى حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ماشاء من الأبنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج الدرّ من البحر وكان يقرّن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدى كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغللين فى الجوامع والصفد القيد وسمى به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علىّ رضى الله عنه

(قوله وجاب صخرة لصخر) أى خرق أو قطع أفاده الصحاح (قوله فى الجوامع والصفد) فى الصحاح الجامعة الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق

لزلفى وحسن مئاب ۞ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطـن بنصب وعذاب ۞ اركض برجلك هـذا مغتسل بارد وشراب ۞ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألبب ۞ وخذ بيدك

من برّك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك ومنه قول القائل ۞ غل يدا مطلقها وأرق رقبة معتقها ۞ وقال حبيب إن العطاء إسار وتبعه من قال ۞ ومن وجد الإحسان قيداً تقيداً ۞ وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه كوعده وأوعده أى (هذا) الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا) بغير حساب يعنى جما كثيراً لا يكاد يقدر على حسبه وحصره (فامنن) من المنة وهى العطاء أى فأعط منه ماشئت (أو أمسك) مفوضا إليك التصرف فيه وفى قراءة ابن مسعود هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق وأمسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب أى لا حساب عليك فى ذلك (أيوب) عطف بيان و(إذ) بدل اشتمال منه (أنى مسنى) بأنى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لأنه لأنه غائب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على أصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة ۞ والعذاب الألم يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل الضرّ فى البدن والعذاب فى ذهاب الأهل والمال (فإن قلت) لم نسبه إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضى من أتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر فى القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب (قلت) لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الأدب فى ذلك حيث لم ينسبه إلى الله فى دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله تعالى فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى إليه الشيطان إن الله لا يبتلى الأنبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل أعجب بكثرة ماله (اركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب أى اضرب برجلك الأرض وعن قتادة هى أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أى ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها (رحمة منا وذكرى) مفعول لهما والمعنى أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم (وخذ) معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شىء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أتى بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما أطرافها قائمة وإما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب فى يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فخرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب إذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدى لى سجدة فأرد عليكم مالكم وأولادكم فهمت بذلك فأدركتها العصمة فذكرت

(قوله من أنواع الوصب) فى الصحاح الوصب المرض (قوله هى أرض الجابية) مدينة بالشام كما فى الصحاح (قوله وتنقلب ما بك قلبة) فى الصحاح القلاب داء يأخذ البعير وقولهم ما به قلبة أى ليست به علة (قوله إنه أتى بمخدج) الخداج النقصان وأخدجت الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق وإن كانت أيامه تامة فهى مخدج والولد مخدج كذا فى الصحاح

ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِى الْأَيْدِى وَالْأَبْصَارِ ۞ إِنَّا أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۞ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ۞ وَاذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ۞ هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۞ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً

ذلك له لحلف وقيل أوهمها الشيطان أن أيوب إذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته أن يقرب للشيطان بعناق (وجدناه صابراً) علمناه صابراً (فان قلت) كيف وجده صابراً وقد شكا اليه مابه واسترحمه (قلت) الشكوى إلى الله عز وعلا لاتسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب وذلك أن أصبر الناس على البلاء لايخلو من تمنى العافية وطلبها فإذا صح أن يسمى صابراً مع تمنى العافية وطلب الشفاء فليسم صابراً مع اللجإ إلى الله تعالى والدعاء بكشف مابه ومع التعالج ومشاورة الأطباء على أن أيوب عليه السلام كان يطالب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان يوسوس اليه أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ماابتلى به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان ويروى أنه قال فى مناجاته إلهى قد علمت أنه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهبنى ماملكت يمينى ولم آكل إلا ومعى يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع أو عريان فكشف الله عنه (إبراهيم وإسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل إبراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهى إسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس وإله أبيك إبراهيم وإسمعيل وإسحق ۞ لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملا لايتأتى فيه المباشرة بالأيدى أو كان العمال جذما لا أيدى لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا (أولى الأيدى والأبصار) يريد أولى الأعمال والفكر كأن الذين لايعملون أعمال الآخرة ولايجاهدون فى الله ولايفكرون أفكار ذوى الديانات ولايستبصرون فى حكم الزمنى الذين لايقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لااستبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ أولى الأيادى على جمع الجمع وفى قراءة ابن مسعود أولى الأيد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالأيد من التأييد قلق غير متمكن (أخلصناهم) جعلناهم خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لاشوب فيها ۞ ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الإضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على أنهم لايشوبون ذكرى الدار بهم آخر إنما همهم ذكرى الدار لاغير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكر الدنيا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما هو شأن الأنبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم (فإن قلت) مامعنى أخلصناهم بخالصة (قلت) معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم فى اختيارها وتعضد الأول قراءة من قرأ بخالصتهم (المصطفين) المختارين من أبناء جنسهم و(الأخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كالأموات فى جمع ميت أو ميت (واليسع) كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع ۞ والتنوين فى (وكل) عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الأخيار (هذا ذكر) أى هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر ثم قال (وإن للمتقين) كما يقول الجاحظ فى كتبه فهذا باب ثم

قوله تعالى هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب (قال فيه إنما قال هذا ذكر ليذكر عقبه ذكرا آخر وهو ذكر الجنة

(قوله ولم يهبنى ماملكت يمينى) أى لم ينشطنى ولم يهيجنى من هبت الريح أى هاجت وهب البعير أى نشط كما فى الصحاح

لَهُمُ الْأَبْوَابُ ۝ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ۝ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۝ هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا

يشرع فى باب آخر ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع فى آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وإن للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وعن ابن عباس رضى الله عنه هذا ذكر من مضى من الأنبياء (جنات عدن) معرفة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب و(مفتحة) حال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدإ محذوف أى هو جنات عدن هى مفتحة لهم كأن اللدات سمين أترابا لأن التراب مسهن فى وقت واحد وإنما جعلن على سن واحدة لأن التحاب بين الأقران أثبت وقيل هن أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم قرئ يوعدون بالتاء والياء (ليوم الحساب) لأجل يوم الحساب كما تقول هذا ماتدخرونه ليوم الحساب أى ليوم تجزى كل نفس ماعملت (هذا) أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر (فبئس المهاد) كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ماتحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم أى هذا حميم فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو (حميم وغساق) أو هذا فليذوقوه بمنزلة وإياى فارهبون أى ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد مايغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة فى المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة فى المغرب لنتنت أهل المشرق وعن الحسن رضى الله عنه الغساق عذاب لايعلمه إلا الله تعالى ۝ إن الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا فى قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وآخر) ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق من مثله فى الشدة والفظاعة (أزواج) أجناس وقرئ وآخر أى وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهى حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهى لغة وأما الغنج فبالكسر لاغير (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لامرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أى أتيت رحبا من البلاد لاضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (إنهم صالوا النار) تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولامرحبا بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا)

وأهلها كما يقول الجاحظ فى كتبه فهذا باب ثم يشرع فى باب آخر) قلت وكما مايقول الفقيه إذا ذكر أدلة المسئلة عند تمام الدليل الأول هذا دليل ثان كذا وكذا إلى آخر مافى نفسه ويدل عليه أنه عند انقضاء ذكر أهل الجنة قال هذا

(قوله وقرئ من شكله بالكسر وهى لغة) أى فى الشكل بمعنى المثل (قوله وأما الغنج فبالكسر لاغير) فى الصحاح الغنج والغنج الشكل وقد غنجت الجارية وتغنجت فهى غنجة وفيه الشكل بالفتح المثل وبالكسر الدل يقال امرأة ذات شكل

فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۞ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ۞ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ۞ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞ رَبُّ

أى الأتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) يريدون الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم (فإن قلت) مامعنى تقديمهم العذاب لهم (قلت) المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لأن العاملين هم المقدمون فى الحقيقة لارؤساؤهم والعمل هو المقدم لاجزاؤه (فإن قلت) فالذى جعل قوله لامرحبا بهم من كلام الخزنة مايصنع بقوله بل أنتم لامرحبا بكم والمخاطبون أعنى رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا لهم (قلت) كأنه قيل هذا الذى دعا به علينا الخزنة أنتم يارؤساء أحق به منا لإغوائكم إيانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوى فارتكبوه فقيل للمزينين أخزى الله هؤلاء ماأسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل أنتم أولى بالخزى منا فلولا أنتم لم نرتكب ذلك (قالوا) هم الأتباع أيضاً (فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا ومعناه ذاضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء فى التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعى (وقالوا) الضمير للطاغين (رجالا) يعنون فقراء المسلمين الذين لايؤبه لهم (من الأشرار) من الأراذل الذين لاخير فيهم ولاجدوى ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا (أتخذناهم سخريا) قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الأشرار وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقوله (أم زاغت عنهم الأبصار) له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله مالنا أى مالنا لانراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلانراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفى عليهم مكانهم والوجه الثانى أن يتصل باتخذناهم سخريا إما أن تكون أم متصلة على معنى أى الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم وإما أن تكون منقطعة بعد مضى اتخذناهم سخريا على الخبر أو الاستفهام كقولك إنها لإبل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزته لأن أم تدل عليها فلاتفترق القراءتان إثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير فى وقالوا لصناديد قريش كأبى جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم ۞ وقرئ سخريا بالضم والكسر (إن ذلك) أى الذى حكيناعنهم (لحق) لابد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال هو (تخاصم أهل النار) وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس (فإن قلت) لم سمى ذلك تخاصما (قلت) شبه تقاولهم ومايجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن

وإن للطاغين لشر مآب فذكر أهل النار ۞ قوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا وقال فى موضع آخر آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً والقصة واحدة (قلت) وفيه دليل على أن الضعفين اثنان من شىء واحد خلافا لمن قال غير ذلك لأنه فى موضع قال فزده عذابا ضعفا والمراد مثل عذابه فيكونا عذابين وقال فى موضعين ضعفين والمراد إذاً عذابان ۞ قوله تعالى إن ذلك لحق تخاصم أهل النار (قال) إن قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم ومايجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لامرحبا بكم

(قوله وجاء فى التفسير عذابا) عبارة الخازن قال ابن عباس حيات وأفاعى (قوله وتأنيب لها) أى تعنيف ولوم أفاده الصحاح

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ۞ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۞ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۞ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۞ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۞ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۞

قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لامرحبابكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لأجل اشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركى مكة ما أنا الارسول (منذر) أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم إنّ دين الحق توحيد الله وأن يعتقد أنّ لا إله إلا الله (الواحد) بلاندّ ولاشريك (القهار) لكل شىء ۞ وأنّ الملك والربوبية له فى العالم كله وهو (العزيز) الذى لايغلب إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك (الغفار) لذنوب من التجأ إليه ۞ أوقل لهم ما أنا إلا منذرلكم ماأعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإنّ مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه (قل هو نبأ عظيم) أى هـذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذرا وأن الله واحد لاشريك له نبأ عظيم لايعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ۞ ثم احتج لصحة نبوته بأنّ ماينبى به عن الملأ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم مالم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أنّ ذلك لم يحصل إلا بالوحى من الله (إن يوحى إلىّ إلا إنما أنا نذير) أى لأنما أنا نذير ومعناه مايوحى إلىّ إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى مايوحى إلىّ إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا إفراط فى ذلك أى ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس إلىّ غير ذلك وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أى إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعى شيأ آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم عليه السلام والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة (فإن قلت) بم يتعلق إذ يختصمون (قلت) بمحذوف لأن المعنى ما كان لى من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم و(إذ قال) بدل من إذ يختصمون (فإن قلت) ما المراد بالملأ الأعلى (قلت) أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم (فإن قلت) ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله تعالى وبينهم لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذى قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين إما أن تقول الملأ الأعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم وإما أن تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملإ الأعلى (قلت) كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول فى الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أنّ التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام التقاول على ماسبق (فإن قلت) كيف صح أن يقول لهم (إنى خالق بشرا) وماعرفوا ماالبشر ولاعهدوا به قبل (قلت) وجهه أن يكون قد قال لهم إنى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم (فإذا سويته) فإذا أتممت خلقه وعدلته (ونفخت فيه من روحى) وأحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) فخروا كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم مابقى منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (فإن قلت) كيف ساغ السجود لغير الله (قلت) الذى لايسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه (فإن قلت) كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجن (قلت) قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه فى قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا (وكان من من باب الخصومة (قلت) هذا يحقق أن ماتقدم من قوله لامرحبا بهم إنهم صالوا النار من قول المتكبرين الكفار وقوله تعالى بل أنتم لامرحبا بكم من قول الأتباع فالخصومة على هذا التأويل حصلت من الجهتين فيتحقق التخاصم خلافا لمن قال إنّ الأول من كلام خزنة جهنم والثانى من كلام الأتباع فإنه على هذا التقدير إنما تكون الخصومة من أحد الفريقين

الكافرين) أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافراً لأن كان مطلق فى جنس الأوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين فى الأزمنة الماضية فى علم الله (فإن قلت) ماوجه قوله (خلقت بيدى) (قلت) قد سبق لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدى له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (فإن قلت) فما معنى قوله مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى (قلت) الوجه الذى استنكر له إبليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه فى المنصب وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لأمر ربهم وإجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حريا بأن يقتدى بهم ويقتفى أثرهم ويعلم أنهم فى السجود لمن هو دونهم بأمر الله أوغل فى عبادته منهم فى السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أى ما منعك من السجود لشىء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدى لا شك فى كونه مخلوقا امتثالا لأمرى وإعظاما لخطابى كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التى تشبث بها فى تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله به يعنى كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه فيقول له مامنعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت أمرى وخطابى وتركت اعتبار سقوطه وفيه أنى خلقته بيدى فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعى حكمة دعانى إليه من إنعام عليه بالتكرمة

فالتفسير الأول أمكن وأثبت * قوله تعالى « مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى » (قال) فيه لما كان ذو اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه غلب العمل باليدين على سائر الأعمال التى تباشر بغير اليدين حتى قيل فى عمل القلب هذا مما عملت يداك * ومعناه أن الوجه الذى استنكر له إبليس السجود لآدم واستنكف بسببه أنه سجود لمخلوق مع أنه دون الساجد لأن آدم من طين وإبليس من نار فرأى للنار فضلا على الطين وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر أعز عباده عليه وأقربهم منه وهم الملائكة أن يسجدوا لهذا البشر لم يمتنعوا ولم يذهبوا بأنفسهم إلى التكبر مع انحطاطه عن مراتبهم فقيل له مامنعك أن تسجد لهذا الذى هو مخلوق بيدى كما وقع لك مع أنه لاشك أن فى ذلك امتثالا لأمرى وإعظاما لخطابى كما فعلت الملائكة فذكر له العلة التى منعته من السجود وقيل له ماحملك على اعتبار هذه العلة دون اعتبار أمرى ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه فيقول له مامنعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت أمرى وخطابى وتركت اعتبار سقوطه انتهى المقصود من الآية بعد تطويل وإطناب وإكثار وإسهاب (قلت) إنما أطال القول هنا ليفر من معتقدين لأهل السنة تشتمل عليهما هذه الآية * أحدهما أن اليدين من صفات الذات أثبتهما السمع هذا مذهب أبى الحسن والقاضى بعد إبطالهما حمل اليدين على القدرة فإن قدرة الله تعالى واحدة واليدان مذكورتان بصيغة التثنية وأبطلا حملهما على النعمة بأن نعم الله لاتحصى فكيف تحصر بالتثنية وغيرهما من أهل السنة كإمام الحرمين وغيره يجوز حملهما على القدرة والنعمة ويجيب عما ذكراه بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة وهذا مما يحقق تفضيله على إبليس إذ لم يخلق إبليس لنعمة الآخرة وعلى أن المراد القدرة فالتثنية تعظيم ومثل ذلك يوجد فى اللغة كثيراً * المعتقد الثانى أن النبى أفضل من الملك والزمخشرى شديد العصبية فى هذه المسئلة والإنكار على من قال

(قوله يداك أوكتا) فى الصحاح أوكى على مافى سقائه إذا شده بالوكاء (قوله حين أمر به أعز عباده) مبنى على مذهب المعتزلة أن الملك أفضل من البشر وعند أهل السنة البشر أفضل من الملك

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۞ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۞ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۞ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۞ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۞ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ

السنية وابتلاء للملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له مالم يصرفنى عن الأمر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدىّ لما خلقت بغير واسطة ۞ وقرئ بيدى كما قرئ بمصرخىّ وقرئ بيدى على التوحيد (من العالمين) ممن علوت وفقت فأجاب بأنه من العالين حيث (قال أنا خير منه) وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لأنّ أم تدل عليه أو بمعنى الإخبار ۞ هذا على سبيل الأولى أى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلى فكيف أسجد لمن هو دونى لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهى (خلقتنى من نار) مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه فى البيان والإيضاح (منها) من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التى أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسودّ بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً وأظلم بعد ما كان نورانياً ۞ والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لأنّ من طرد رمى بالحجارة على أثره والرجم الرمى الحجارة أو لأنّ الشياطين يرجمون بالشهب (فإن قلت) قوله (لعنتى إلى يوم الدين) كأن لعنة إبليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع (قلت) كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى أن عليه اللعنة فى الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكأنها انقطعت (فإن قلت) ما الوقت المعلوم الذى أضيف إليه اليوم (قلت) الوقت الذى تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستأخر (فبعزتك) إقسام بعزة الله تعالى وهى سلطانه وقهره ۞ قرئ فالحق والحق منصوبين على أن الأول مقسم به كالله فى أن عليك الله أن تبايعا وجوابه (لأملأنّ) والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا أقول إلا الحق والمراد بالحق إما اسمه عزّ وعلا الذى فى قوله إنّ الله هو الحق المبين أو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به ومرفوعين على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك أى فالحق قسمى لأملأنّ والحق أقول أى أقوله كقوله كله لم أصنع ومجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلنّ والحق أقول أى ولا أقول إلا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز فى المنصوب والمرفوع أيضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الأول وجره مع نصب الثانى وتخريجه على ما ذكرنا (منك) من جنسك وهم الشياطين

بذلك من أهل السنة لاجرم أنه أجرم فى بسط كلامه على آدم عليه السلام فمثل قصته فى انحطاط مرتبته على زعمه عن مرتبة الملائكة بقول الملك لوزيره زر بعض سقاط الحشم فجعل سقاط حشم الملك مثالا لآدم الذى هو عنصر الأنبياء عليهم السلام وأقام لإبليس عذره وصوب اعتقاده أنه أفضل من آدم لكونه من نار وآدم من طين. وإنما غلطه من جهة أخرى وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة إذ سجدوا له على علمهم أنه بالنسبة إليهم محطوط الرتبة ساقط المنزلة وجعل قوله تعالى لما خلقت بيدىّ إنما ذكر تقريراً للعلة التى منعت إبليس من السجود وهو كونه دونه وهذا نسأل الله العصمة المراد منه ضدّ مافهم الزمخشرى وإنما ذكر ذلك تعظيما لمعصية إبليس إذ امتنع من تعظيم من عظمه الله إذ خلقه بيده وذلك تعظيم لآدم لا تحقير منه ويدل عليه الحديث الوارد فى الشفاعة إذ يقول له الناس عند ما يقصدونه فيها أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته فإنما يذكرون ذلك فى سياق تعديد كراماته وخصائصه لا فيما يحط منه معاذ الله وإياه نسأل أن يعصمنا من مهاوى الهوى ومهالكه وأن يرشدنا إلى سبيل الحق ومسالكه إنه ولىّ التوفيق وبالإجابة حقيق

أجمعين ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين

سورة الزمر مكية

إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبإ

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ﴿ ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ﴿ إن الله لا يهدى من هو كذب كفار ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولدا

(وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (فإن قلت) (أجمعين) تأكيد لماذا (قلت) لايخلو أن يؤكد به الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لاأترك منهم أحداً أو لأملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لاتفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الأتباع منهم من أولاد الأنبياء وغيرهم (عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحي (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعياً ما ليس عندي حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن (إن هو إلا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحي إلى فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لاينال ويقول ما لايعلم (ولتعلمن نبأه) أي ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه من صحة خبره وأنه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير

سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية

﴿وقال ثنتان وسبعون آية إلا قوله قل ياعبادي الذين أسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تنزيل الكتاب) قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدإ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان إلى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزم (فإن قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن وعلى الثاني انه السورة (مخلصا له الدين) ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك لله الدين ألا لله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام (والذين اتخذوا) يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى . عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الأول راجع إلى الذين وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع إلى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء (فإن قلت) فالخبر ما هو (قلت) هو على الأول إما (إن الله يحكم بينهم)

لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ۞ خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على

أو ماأضمر من القول قبل قوله مانعبدهم وعلى الثانى أن الله يحكم بينهم (فإن قلت) فإذا كان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر (قلت) يجوز أن يكون فى موضع الحال أى قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود بإظهار القول قالوا مانعبدهم وفى قراءة أبى مانعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ۞ وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة فى الأمر والتنوين فى عذاب اركض والضمير فى بينهم لهم ولأوليائهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التى نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم ۞ واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض أقروا وقالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير فى بينهم عائد اليهم وإلى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين ۞ والمراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لالطف لهم وأنهم فى علم الله من الهالكين ۞ وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) يعنى لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت إلا أن يصطفى من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه إياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على مافعل من اصطفاء مايشاء من خلقه وهم الملائكة إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم فى جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين فى الافتراء على الله وملائكته غالبين فى الكفر ثم قال (سبحانه) فنزه ذاته عن أن يكون له أحد مانسبوا اليه من الأولاد والأولياء ۞ ودل على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له وإذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ۞ وقهار غلاب لكل شىء ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء ۞ ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لايشارك قهار لايغالب ۞ والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه منها أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا وإذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذى الرمة فى وصف السراب تلوى الثنايا بأحقيها حواشيه ۞ لى الملاء بأبواب التفاريج

﴿القول فى سورة الزمر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى إن الله لايهدى من هو كاذب كفار (قال المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لايلطف بهم وأنه فى علمه من الهالكين انتهى كلامه) قلت مذهب أهل السنة حمل هذه الآية وأمثالها على الظاهر فإن معتقدهم أن معنى هداية الله تعالى للمؤمن خلق الهدى فيه ومعنى إضلاله للكافر إزاحته عن الهدى وخلق الكفر له ومع ذلك فيجوز عند أهل السنة أن يخلق الله تعالى للكافر لطفا يؤمن عنده طائعا خلافا للقدرية وغرضنا

(قوله متبالغين فى الافتراء) لعله مبالغين (قوله غالبين فى الكفر) لعله غالين (قوله بأحقيها حواشيه) فى الصحاح الحقو الإزار وثلاثة أحق وأصله أحقو على أفعل فحذف وأبدلت عن الضمة الكسرة فصار آخره ياء مكسورا ماقبلها فكان بمنزلة القاضى والغازى وفيه الملاءة بالضم ممدود الريطة والجمع ملاء وفيه الريطة والملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين

النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ۞ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمنية أزواج يخلقكم فى بطون أمهتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمت ثلث ذالكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون ۞ إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم

ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه فى تغيبه إياه بشىء ظاهر لف عليه ماغيبه عن مطامح الأبصار ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض (ألا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب المصرين (الغفار) لذنوب التائبين أو الغالب الذى يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة ۞ (فإن قلت) ماوجه قوله (ثم جعل منها زوجها) ومايعطيه من معنى التراخى (قلت) هما آيتان من جملة الآيات التى عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجربها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل فى كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخى فى الحال والمنزلة لامن التراخى فى الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم) وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح كل كائن يكون وقيل لاتعيش الأنعام إلا بالنبات والنبات لايقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها وقيل خلقها فى الجنة ثم أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفراد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف ۞ والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه أفعاله هو (الله ربكم ۞ فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره (فإن الله غنى عنكم) عن إيمانكم وإنكم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالإيمان (ولايرضى لعباده الكفر) رحمة لهم لأنه يوقعهم فى الهلكة (وإن تشكروا يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإن ماذكره كفركم ولارضى شكركم إلا لكم ولصلاحكم لا لأن منفعة

التنبيه على مذهب أهل الحق لاغيره ۞ قوله تعالى ألا هو العزيز الغفار (قال أى لذنوب التائبين انتهى كلامه) قلت الحق أنه تعالى غفار للتائبين ولمن يشاء من المصرين على مادون الشرك وقنوطهم من رحمة الله تعالى ولقد قيد الزمخشرى الآية بما ترى ۞ قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها (قال فيه فإن قلت ماوجه العطف بثم فى قوله ثم جعل وأجاب بأنهما آيتان الخ) قال أحمد إنما منعه من حمل ثم على التراخى فى الوجود أنها وقعت بين خلق الذرية من آدم وخلق حواء منه وهو متقدم على الذرية فضلا عن كونه متراخيا عن خلق الذرية فلم يستقم حملها على تراخى الوجود لما جعلها فى الوجه الآخر متعلقة بمعنى واحدة على تقدير خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يعنى شفعها بزوجها فكانت ههنا على بابها لتراخى الوجود والله سبحانه وتعالى أعلم ۞ قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج (قال إنما جعلها منزلة لأن قضاياه تعالى وقسمه موصوفة بالنزول الخ قال أحمد ومن هذا النمط بعينه قول الراجز أسنمة الآبال فى سحابة ۞ قوله تعالى ولايرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم (حمل الرضا على الإرادة والعباد على

فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ

ترجع إليه لأنه الغنى الذى لايجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى مانفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذى أريد به الخاص وما أراد إلا عباده الذين عناهم فى قوله إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها (خوله) أعطاه قال أبو النجم أعطى فلم يبخل ولم يبخل ۞ كوم الذرى من خول المخول
وفى حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال إذ كان متعهداً له حسن القيام به ومنه ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة والثانى جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر وفى معناه قول العرب ۞ إنّ الغنى طويل الذيل مياس ۞ (ما كان يدعو اليه) أى نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه وقيل نسى ربه الذى كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله تعالى وماخلق الذكر والأنثى ۞ وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى أنّ نتيجة جعله لله أنداداً ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله والنتيجة قد تكون غرضا فى الفعل وقد تكون غير غرض وقوله (تمتع بكفرك) من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له إذ قد أبيت قبول ماأمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة فى خذلانه وتخليته وشأنه لأنه لامبالغة فى الخذلان لأنّ أشد من أن يبعث على عكس ماأمر به ونظيره فى المعنى قوله متاع قليل ثم مأواهم جهنم قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو

العموم الخ) قال أحمد إنّ المصر على هذا المعتقد على قلبه رين أوفى ميزان عقله غين أليس يدعى أو يدعى له أنه الخريت فى مغائر العبارات وبديع الزمان فى صناعة البديع فكيف نباعن جادة الإجادة فهما وأعار منادى الحذاقة أذنا صما اللهم إلا أن يكون الهوى إذا تمكن أرى الباطل حقا وغطى سنى مكشوف العبارة فسحقا سحقا أليس مقتضى العربية فضلا عن القوانين العقلية أنّ المشروط مرتب على الشرط لايتصوّر وجود المشروط قبل الشرط عقلا ولا مضيه واستقبال الشرط لغة وعقلا واستقر باتفاق الفريقين أهل السنة وشيعة البدعة أنّ إرادة الله تعالى لشكر عباده مثلا مقدمة على وجود الشكر منهم فحينئذ كيف ساغ حمل الرضا على الإرادة وقد جعل فى الآية مشروطا وجزاء وجعل وقوع الشكر شرطا ومجزيا واللازم من ذلك عقلا تقدّم المراد وهو الشكر على الإرادة وهى الرضا ولغة تقدّم المشروط على الشرط والزمخشرى أخص من قال إن المشروط متى كان ماضياً محضا لزمته الفاء وقد كقولك إن تكرمنى فقد أكرمتك قبل وقد عريت الآية عن الحرفين المذكورين على أنه لابدّ من تأويل يصحح الشرطية مع ذلك فإذا ثبت بطلان حمل الرضا على الإرادة عقلا ونقلا تعين التماس المحمل الصحيح له وهو المجازاة على الشكر بما عهد أن يجازى به المرضى عنه من الثواب والكرامة فيكون معنى الآية والله أعلم وإن تشكروا يجازكم على شكركم جزاء المرضى عنه ولا شك أن المجازاة مستقبلة بالنسبة إلى الشكر فجرى الشرط والجزاء على مقتضاهما لغة وانتظم ذلك بمقتضى الأدلة العقلية على بطلان تقدم المراد على

(قوله ليثبت لله تعالى) إنما يتم لو كان الرضاء بمعنى الإرادة وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة هو غيرها فكفر الكافر مراد غير مرضى وعند المعتزله غير مراد ولا مرضىّ

مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۞ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى

القيام فيها ومنه القنوت فى الوتر لأنه دعاء المصلى قائما (ساجداً) حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين ۞ وقرئ ويحذر عذاب الآخرة ۞ وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لايعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لايقتنون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أى كالايستوى العالمون والجاهلون كذلك لايستوى القانتون والعاصون وقيل نزلت فى عمار بن ياسر رضى الله عنه وأبى حذيفة ابن المغيرة المخزومى وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى فى المعاصى ويرجو فقال هذا تمن وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية ۞ وقرئ إنما يذكر بالإدغام (فى هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا لابحسنة معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (فإن قلت) إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولايصح أن يقع صفة لها لتقدمه (قلت) هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفا ومعنى (وأرض الله واسعة) أن لاعذر للمفرطين فى الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لايتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلاتجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين فى مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو الذين كانوا فى بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هى أرض الجنة و (الصابرون) الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (بغير حساب) لايحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضى الله عنهما لايهتدى إليه حساب الحُسَّاب ولايُعرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلاينصب لهم ميزان ولاينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل إنى أمرت) بإخلاص الدين (وأمرت) بذلك لأجل (أن أكون أول المسلمين) أى مقدمهم وسابقهم فى

الإرادة عقلا ومثل هذا يقدر فى قوله ولايرضى لعباده الكفر أى لايجازى غير الكافر مجازاة المغضوب عليه من النكال والعقوبة ۞ قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون (قال سئل الحسن عمن يتمادى على المعاصى ويرجو الخ) قال أحمد كلام الحسن رضى الله عنه صحيح غير منزل على كلام الزمخشرى بقرينة حاله فإن الحسن أراد أن المتمادى على المعصية مصراً عليها غير تائب إذا غلب رجاؤه خوفه كان متمنيا لأن اللائق بهذا أن يغلب خوفه رجاؤه ولم يرد الحسن إقناط هذا من رحمة الله تعالى وحاشاه وأما قرينة حال الزمخشرى فإنها تنم على ما أضمره من إيراد هذه المقالة بأن معتقده أن مثل هذا العاصى وإن كان موحداً يجب خلوده فى نار جهنم ولامعنى لرجائه ولتنميته صحة هذا المعتقد أورد مقالة الحسن كالتزام إلى تتميم هذه النزعة وعما قليل يقرع سمعه ما فى أنباء هذه

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ۞ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۞ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۞ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ

الدنيا والآخرة والمعنى أنّ الإخلاص له السبقة فى الدين فمن أخلص كان سابقاً (فإن قلت) كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد (قلت) ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أنّ الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق فى الدين شيء وإذا اختلف وجها الشيء وصفاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها فى أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى مايقوم مقامه كما عوّض السين فى أسطاع عوضاً من ترك الأصل الذى هو أطوع والدليل على هـذا الوجه مجيئه بغير لام فى قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أوّل من أسلم وفى معناه أوجه أن أكون أوّل من أسلم فى زمانى ومن قومى لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أوّل الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاما وأن أكون أوّل من دعا نفسه إلى مادعا إليه غيره لأكون مقتدى بى فى قولى وفعلى جميعاً ولا تكون صفتى صفة الملوك الذين يأمرون بما لايفعلون وأن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعنى أنّ الله أمرنى أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكلّ شوب بدليل العقل والوحى ۞ فإن عصيت ربى بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه (فإن قلت) مامعنى التكرير فى قوله قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وقوله (قل الله أعبد مخلصاً له دينى) (قلت) ليس بتكرير لأنّ الأوّل إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص والثانى إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره فى الأوّل فالكلام أوّلا واقع فى الفعل نفسه وإيجاده وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ماشئتم من دونه) والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة فى الخذلان والتخلية على ماحققت فيه القول مرّتين قل إنّ الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها فى هلكة لاهلكة بعدها (و) خسروا (أهليهم) لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لارجوع بعده إليهم وقيل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل فى الجنة يعنى وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدإ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين (ومن تحتهم) أطباق من النار هى (ظلل) لآخرين (ذلك) العذاب هو الذى يتوعد الله (به عباده) ويخوفهم ليجتنبوا مايوقعهم فيه (ياعباد فاتقون)

السورة ۞ قوله تعالى «قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أوّل المسلمين» إلى قوله «قل الله أعبد مخلصاً له دينى» (قال فيه فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد وأجاب بأنه ليس بتكرير الخ) قال أحمد ولقد أحسن فى تقوية هذا المعنى فى هذه الآية بقوله فاعبدوا ماشئتم من دونه فإنّ مقابلته بعدم الحصر توجب كونه للحصر والله أعلم وما أحسن ما بين وجوه المبالغة فى وصف الله تعالى لفظاعة خسرانهم فقال استأنف الجملة وصدّرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدإ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وبين فى تسمية الشيطان طاغوتا وجوها ثلاثة من المبالغة أحدها تسميته بالمصدر كأنه نفس الطغيان الثانى بناؤه على فعلوت وهى صيغة مبالغة كالرحموت وهى

(قوله وخسروهم لأنهم لم يدخلوا) لعله خسروهم بدون واو

فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَـٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ۞ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ۞ لَـٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ

ولاتتعرّضوا لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة وقرئ ياعبادُ (الطاغوت) فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلاأن فيهاقلباًبتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أوالشياطين لكونهامصدراًوفيهامبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لاتطلق على غير الشيطان والمراد بهاههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل من الطاغوت بدل الاشتمال (لهم البشرى) هى البشارة بالثواب كقوله تعالى «لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة» الله عزّوجل يبشرهم بذلك فى وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عندحضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشرا كم اليوم جنات» وأرادبعباده (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الذين اجتنبوا وأنابوا لاغيرهم وإنما أرادبهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير وأراد أن يكونوا نقاداً فى الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ماهو أقرب عندالله وأكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلا أوأمارة وأن لاتكون فى مذهبه كما قال القائل :

۞ ولاتكن مثل عَيْرٍ قيد فانقادا ۞ يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله تعالى «وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم» وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ماسمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادى ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره (أولئك) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هى الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من فى النار وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم فى الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكدّه نفسه فى دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذى يقدر على الإنقاذ من النار وحده لايقدر على ذلك أحد غيره فكما لاتقدر أنت أن تنقذ الداخل فى النار من النار لاتقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه (غرف من فوقها غرف) علالى بعضها فوق بعض (فإن قلت) مامعنى قوله (مبنية) (قلت) معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التى على الأرض وسويت تسويتها (تجرى من تحتها الأنهار) كما تجرى من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل (وَعْدَ الله) مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك

الرحمة الواسعة والملكوت وشبهه الثالث تقديم لامه على عينه ليفيد اختصاص الشيطان بهذه التسمية ۞ قوله تعالى «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» (قال يدخل تحت هذا المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر الخ) قال أحمد لقد كنت أطمع لعله رجع عما ضمن هذا الكتاب من المذاهب الرديئة والمعتقدات الفاسدة حتى حققت من كلامه هذا أن ذلك التصميم كان متمكنا من فؤاده الصميم فلاحول ولاقوة إلابالله العلىّ العظيم

ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب ۝ أفمن شرح الله صدره للإسلم فهو على نور من ربه فويل للقسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلل مبين ۝ الله نزل أحسن الحديث كتبا متشبها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم

(أنزل من السماء ماء) هو المطر وقيل كل ماء فى الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع فى الأرض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الأجساد (مختلفاً ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك وأصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها (يهيج) يتم جفافه عن الأصمعى لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب (حطاما) فتاتا ودرينا (إن فى ذلك لذكرى) لتذكيراً وتنبيها على أنه لابد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا وقرئ مصفاراً (أفمن) عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسى القلب ۝ ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يارسول الله كيف انشراح الصدر قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يارسول الله فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله أمن هو قانت فى حذف الخبر (من ذكر الله) من أجل ذكره أى إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا إلى رجسهم وقرئ عن ذكر الله (فإن قلت) ما الفرق بين من وعن فى هذا (قلت) إذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة أى من أجل عطشه وسقاه عن العيمة إذا أرواه حتى أبعده عن العطش ۝ عن ابن مسعود رضى الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مَلُّوا مَلَّةً فقالوا له حدثنا فنزلت وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله وإنه من عنده وإن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه وتنبيه على أنه وحى معجز مباين لسائر الأحاديث و(كتابا) بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه (ومتشابها) مطلق فى مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه فى الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها فى التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه فى الإعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون (مثانى) بيانا لكونه متشابها لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثانى جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لأنه يثنى فى التلاوة فلا يمل كما جاء فى وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك (فإن قلت) كيف وصف الواحد بالجمع (قلت) إنما صح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشىء هى جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا مثانى ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثانى صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه (فإن قلت) ما فائدة التثنية والتكرير (قلت) النفوس أنفر شىء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم

(قوله فتاتا ودرينا) فى الصحاح الدرين حطام المرعى إذا قدم وهو ما بلى من الحشيش
(قوله لا يتفه ولا يتشان) فى الصحاح التافه الحقير اليسير وفيه تشانت القربة أخلقت وتشان الجلد يبس وتشنج

وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞

يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه فى قلوبهم ويغرسه فى صدورهم اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهومثل فى شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويراً لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة (فإن قلت) ماوجه تعدية لانَ بإلى (قلت) ضمن معنى فعل متعد بالى كأنه قيل سكنت أواطمأنت إلى ذكر الله لينة غير متقبضة راجية غير خاشية (فإن قلت) لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة (قلت) لأن أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هى سابقة غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شىء من صفاته إلا كونه رؤفا رحيما (فإن قلت) لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا (قلت) إذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم فى أول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم (ذلك) إشارة إلى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به) يوفق به من يشاء يعنى عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين (ومن يضلل الله) ومن يخذله من الفساق والفجرة (فما له من هاد) أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أى أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى يهدى به بهذا الأثر من يشاء من عباده يعنى من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم فى الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه وإصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشىء قط يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتقاه بيده وتقديره (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) كمن أَمِنَ العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقى النار إلا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت فى أبى جهل وقيل لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون ۞ من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينا هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم ۞ والخزى الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله (قرآنا عربيا) حال مؤكدة

۞ قوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة (قال فيه معناه كمن هو آمن فحذف الخبر أسوة أمثاله الخ) قال أحمد الملقى فى النار والعياذ بالله لم يقصد الاتقاء بوجهه ولكنه لم يجد ما يتقى به النار غير وجهه ولو وجد لفعل فلما لقيها بوجهه كانت حاله حال

(قوله من الخوف وقف شعره) أى قام من الفزع كذا فى الصحاح (قوله ومن يخذله من الفساق) تأويل الضلال بذلك مبنى على مذهب المعتزلة أن الله لا يخلق الشر وعند أهل السنة أنه يخلقه كالخير فالإضلال خلق الضلال فى القلب

ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ

كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح (غيرذى عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف (فإن قلت) فهلا قيل مستقيما أو غير معوج (قلت) فيه فائدتان إحداهما نفى أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعانى دون الأعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد

وقد أتاك يقين غير ذى عوج ۞ من الإله وقول غير مكذوب

واضرب لقومك مثلا وقل لهم ماتقولون فى رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى أنه عبدهم فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى ومشاده وإذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير فى أمره سادر قد تشبعت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لايدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى آخر قد سلم لمالك واحد وخاص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أى هذين العبدين أحسن حالا وأجمل شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعى كل واحدمنهم عبوديته ويتشا كسوا فى ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هومتحيرا ضائعا لايدرى أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه فى عاجله مؤمل للثواب فى آجله و (فيه) صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشا كس والتشاخس الاختلاف تقول تشا كست أحواله وتشاخست أسنانه (سالما لرجل) خالصا وقرئ سَلَمًا بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهى مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أى ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء أى وهناك رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقى به أو سعد فإن المرأة والصبى قد يغفلان عن ذلك (هل يستويان مثلا) هل يستويان صفة على التميز والمعنى هل يستوى صفتاهما وحالاهما وإنما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير فى يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين (الحمد لله) الواحد الذى لاشريك له دون كل معبود سواه أى يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا إله إلا هو (بل أكثرهم لايعلمون) فيشركون به غيره كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقى بالفانى وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أى سيموت وسيسود

المتقى بوجهه فعبر عن ذلك بالاتقاء من باب المجاز التمثيلى والله أعلم ۞ قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون (قال فيه قرئ إنك ميت ومائت الخ) قال أحمد فاستعمال ميت مجاز إذ الخطاب مع الأحياء واستعمال مائت حقيقة إذ لا يعطى اسم الفاعل وجود الفعل حال الخطاب ونظيره قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها يعنى توفى الموت والتى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين المنام تشبيها للنوم بالموت كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل فيمسك الأنفس التى قضى عليها الموت الحقيقى أى لا يردها فى وقتها حية ويرسل الأخرى أى النائمة إلى الأجل الذى سماه أى قدره لموتها الحقيقى هذا أوضح ماقيل فى تفسير الآية والله أعلم

(قوله فى أمره سادر) فى الصحاح السادر المتحير (قوله فهمه شعاع) بالفتح أى متفرق وقولهم بها أوزاع من الناس أى جماعات كذا فى الصحاح (قوله ونعى إليكم أنفسكم) لعله إليهم أنفسهم

عَلَى اللّٰهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ لِيُكَفِّرَ اللّٰهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ أَلَيْسَ اللّٰهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ

وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي فى نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى فى قوله (إنك ميت وإنهم ميتون) إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم فى عداد الموتى لأن ماهو كائن فكأن قد كان (ثم إنكم) ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت فى الدعوة فلجوا فى العناد ويعتذرون بما لاطائل تحته تقول الأتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لاتختصموا لدىّ والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفى أهل الكتاب قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدرى كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشدّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم النخعى قالت الصحابة ماخصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبى العالية نزلت فى أهل القبلة والوجه الذى يدل عليه كلام الله هو ماقدمت أولا ألا ترى إلى قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به وماهو إلا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة (كذب على الله) افترى عليه بإضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالأمر الذى هو الصدق بعينه وهو ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم (إذجاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى للكافرين إشارة اليهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال (أولئك هم المتقون إلا أن هذا فى الصفة وذاك فى الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذى جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذى جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفى قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أى صدق به الناس ولم يكذبهم به يعنى أداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أى بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذى لايفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصدق إلا لصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وَصُدِّقَ بِهِ (فإن قلت) مامعنى إضافة الأسوإ والأحسن إلى الذى عملوا ومامعنى التفضيل فيهما (قلت) أما الإضافة فما هى من إضافة أفعل إلى الجملة التى يفضل عليها ولكن من إضافة الشىء إلى ماهو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بنى مروان وأما التفضيل فإيذان بأن السيء الذى يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذى يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوإ وحسنهم بالأحسن وقرئ أسْواء الذى عملوا جمع سوء (أليس الله بكاف عبده) أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفى فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها قرئ بكاف عَبْدَه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الأنبياء وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرتها لعيبك

(قوله وإنا نخشى عليك معرتها) أى أثمتها أفاده الصحاح

يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۞ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۞ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم

إياها ويروى أنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها ياخالد إن لها لشدة لايقوم لها شيء فعمد خالد إليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء فى مواطن الخوف وفى هذا تهكم بهم لأنهم خوفوه مالايقدر على نفع ولا ضر أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الاطلاق لأنه كافيهم فى الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافى عباده على الإضافة ويكافى عباده ويكافى يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازى فى يجزى وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المبالغة والمباراة أن يكون مهموزا من المكافأة وهى المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم أجرهم (بالذين من دونه) أراد الأوثان التى اتخذوها آلهة من دونه (بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الأصل وبالإضافة للتخفيف (فإن قلت) لم فرض المسئلة فى نفسه دونهم (قلت) لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فإذا أرادنى خالق العالم أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل هؤلاء اللاتى خوفتمونى إياهن كاشفات عنى ضره أو ممسكات رحمته حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لايحيروا ببنت شفة قال (حسبى الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) وفيه تهكم ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله (فإن قلت) لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه (قلت) أنثهن وكن إناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الإناث اللاتى هن اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا (على مكانتكم) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (فإن قلت) حق الكلام فإنى عامل على مكانتى فلم حذف (قلت) للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بأن حاله لاتقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لأن الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله ألا ترى إلى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لأنهم إذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث أن الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه (يخزيه) مثل مقيم فى وقوعه صفة للعذاب أى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار ۞ وقرئ مكاناتكم (للناس) لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لى إلى ذلك فأنا الغنى فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها ۞ وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فإن التكليف مبنى على الاختيار دون

بوَكيل ۞ اللهُ يتوفى الأنفسَ حينَ موتِها والتى لم تمت فى منامها فيمسكُ التى قضى عليها الموتَ ويرسلُ الأخرى إلى أجلٍ مسمى إنَّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ۞ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ۞ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ۞ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ۞ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فى ما كانوا فيه يختلفون ۞

الإجبار (الأنفس) الجمل كما هى ۞ وتوفيها إماتتها وهو أن يسلب ماهى به حية حساسة دراكة من صحة أجزائها وسلامتها لأنها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت (والتى لم تمت فى منامها) يريد ويتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك (فيمسك) الأنفس (التى قضى عليها الموت) الحقيقى أى لا يردها فى وقتها حية (ويرسل الأخرى) النائمة (إلى أجل مسمى) إلى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الأنفس يستوفيها ويقبضها وهى الأنفس التى تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها وهى أنفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى النوم هى نفس التمييز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والتحرك فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت أولا لأن الله عز وعلا علق التوفى والموت والمنام جميعا بالأنفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وإنما الجملة هى التى تموت وهى التى تنام (إن فى ذلك) إن فى توفى الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها وإرسالها إلى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون ۞ وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للإنكار من دون الله من دون إذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ألا ترى إلى قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين أن يكون المشفوع له مرتضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا (أولو كانوا) معناه أيشفعون ولو كانوا (لا يملكون شيأ ولا يعقلون) أى ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيأ قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم (له ملك السموات والأرض) تقرير لقوله تعالى لله والشفاعة جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (فإن قلت) بم يتصل قوله (ثم إليه ترجعون) (قلت) بما يليه معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة مدار المعنى على قوله وحده أى إذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا أى نفروا وانقبضوا (وإذا ذكر الذين من دونه) وهم آلهتهم ذكر الله معهم أولم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله إلى هواهم فيها وقيل إذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق إليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية فى بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه (فإن قلت) ما العامل فى إذا ذكر (قلت) العامل فى إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا

(قوله وقت الاستبشار بعل رسول الله) فى الصحاح بعل الرجل بالكسر أى دهش (قوله وعن الربيع بن خثيم) فى النسفى خيثم

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا

وقت الاستبشار بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدّة شكيمتهم فى الكفر والعناد فقيل له ادع الله بأسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بينى وبينهم ولاحيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم وإعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على أثره قتل من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه (وبدا لهم من الله) وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدّته وهو نظير قوله تعالى فى الوعد فلا تعلم نفس ما أخفى لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط فى حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هى سيآت وعن سفيان الثورى أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لى من الله مالم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى سيآت أعمالهم التى كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيآت أنواع العذاب التى يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيآت كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم * التخويل مختص بالتفضل يقال خولنى إذا أعطاك على غير جزاء (على علم) أى على علم منى أنى سأعطاه لما فىّ من فضل واستحقاق أو على علم من الله بى وباستحقاق أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى (فإن قلت) لم ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة (قلت) ذهابا به إلى المعنى لأنّ قوله نعمة منا شيأ من النعم وقسما منها ويحتمل أن تكون ما فى إنما موصولة لا كافة فيرجع إليها الضمير على معنى أنّ الذى أوتيته على علم (بل هى فتنة) إنكار لقوله كأنه قال ماخولناك ماخولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر (فإن قلت) كيف ذكر الضمير ثم أنثه (قلت) حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخراً ولأن الخبر لما كان مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدإ لأجله لأنه فى معناه كقولهم ماجاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق إنما أوتيته (فإن قلت) ما السبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو (قلت) السبب فى ذلك أنّ هذه وقعت مسببة عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت على معنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأزّ من ذكره دون من

---

* قوله تعالى ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هى فتنة (قال فيه معناه على علم من الله بى وباستحقاق الخ) قال أحمد كذلك يقول على قدرى تمنى على الله أن يثيبه فى الآخرة أن الفرق بين حمد الدنيا وحمد الآخرة أنّ حمد الدنيا واجب على العبد لأنه على نعمة متفضل بها وحمد الآخرة ليس بواجب عليه لأنه على نعمة واجبة على الله عزّ وجل ولقد صدق الله إذ يقول وهى فتنة إنما سلم منها أهل السنة إذ يعتقدون أنّ الثواب بفضل الله وبرحمته لا باستحقاق ويتبعون فى ذلك قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته فما أحمق من منى نفسه وركب رأسه وطمع أنه يستحق على الله الجنة (قال فإن قلت لم عطفت هذه الآية على التى قبلها بالفاء والآية التى قبلها فى أول السورة بالواو وأجاب بأن هذه الآية مسببة عن قوله وإذا ذكر الله الخ) قال أحمد كلام جليل فافهمه فضلا عن مشبه قليل

الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ۞ فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ۞ أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ۞ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ۞ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ۞

استبشر بذكره ومابينهما من الآى اعتراض (فإن قلت) حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه (قلت) مافى الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمر منه وقوله أنت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لايحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر إلا أنت وقوله ولو أن الذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم إن جعل مطلقاً أو إياهم خاصة إن عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين مافى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الأسرار والنكت لايبرزها إلا علم النظم وإلا بقيت محتجبة فى أكمامها وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هى إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو وكقولك قام زيد وقعد عمرو (فإن قلت) من أى وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتضى لالتجائهم إليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه (قلت) فى هذا التسبيب لطف وبيانه أنك تقول زيد مؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فتجىء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان ومجريه مجراه فى جعله سبباً فى الالتجاء فأنت تحكى ما عكس فيه الكافر ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام والإنكار والتعجب من فعله ۞ الضمير فى (قالها) راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة من القول ۞ وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (من هؤلاء) من مشركى قومك (سيصيبهم) مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا) أنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالإسراف فى المعاصى والغلو فيها (لا تقنطوا) قرئ بفتح النون وكسرها وضمها (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) يعنى بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط فى القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكراً له فيما لم يذكر فيه لأن القرآن فى حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفى قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لأن مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضى الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظير نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله تعالى ولا يخاف عقباها وقيل قال أهل مكة يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر؟ وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس التى حرم الله فنزلت وروى أنه أسلم عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أبداً فنزلت فكتب بها عمر رضى الله عنه إليهم فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت

(قوله المعترض بينه وبينه) لعل قوله وبينه مزيد من بعض الناسخين (قوله لصدوفهم عنه) أى إعراضهم أفاده الصحاح (قوله يعنى بشرط التوبة) عند التوبة فالعموم شامل للشرك وعند عدمها فلا غفران للكبائر عند المعتزلة ويجوز بالشفاعة وبمجرد الفضل عند أهل السنة «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» كما تقرر فى علم التوحيد فارجع إليه

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۞ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي

فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لى الدنيا ومافيها بهذه الآية فقال رجل يارسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات (وأنيبوا إلى ربكم) وتوبوا إليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل وإنما ذكر الإنابة على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع فى حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لاتحصل بدونه (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وأنتم لاتشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لاتخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم (أن تقول نفس) كراهة أن تقول (فإن قلت) لم نكرت (قلت) لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكسير كما قال الأعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه ۞ أتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحداً ونظيره ربّ بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولايقصد إلا التكسير ۞ وقرئ ياحسرتى على الأصل وياحسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه قال سابق البربرى

أما تتقين الله فى جنب وامق ۞ له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبتّ الأمر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى إلى قوله :

إنّ السماحة والمروءة والندى ۞ فى قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لأجلك وفى الحديث من الشرك الخفىّ أن يصلى الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل (فرطت فى جنب الله) على معنى فرطت فى ذات الله (فإن قلت) فمرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى مايعطى من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت فى الله فمامعنى فرطت فى الله (قلت) لابدّ من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت فى طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفى حرف عبدالله وحفصة فى ذكر الله وما فى مافرطت مصدرية مثلها فى بما رحبت (وإن كنت لمن الساخرين) قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى وروى أنه كان فى بنى إسرائيل عالم ترك علمه وفسق وأتاه إبليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأنفقه فى الفجور فأتاه ملك الموت فى ألذ ما كان فقال ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله ذهب عمرى فى طاعة الشيطان وأسخطت ربى فندم حين لم ينفعه الندم فأنزل الله خبره فى القرآن (لو أن الله هدانى) لايخلو إما أن يريد به الهداية

(قوله لو هتفت بجوه أتانى كريم) فى الصحاح الجو القطعة من الأرض فيها غلظ وما اتسع من الأودية وما بين السماء والأرض وفيه البقيع موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى وأما الحو بالحاء المهملة فلم يذكر فيه نعم ذكر الحوة بمعنى سواد مشوب بحمرة (قوله لايخلو إما أن يريد به الهداية) تمحل لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة ولكنّ خلق الهداية لايصل إلى حد الإلجاء لأنه لا يسلب الاختيار عند أهل السنة كخلق التقوى والطاعة وغيرها من الأفعال الاختيارية لما أثبتوه للعبد من الكسب فيها وإن كان فاعلها فى الحقيقة هو الله تعالى كما تقرر فى التوحيد

فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۞ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞

بالإلجاء أو بالإلطاف أو بالوحى فالإلجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الإلطاف فيلطف به وأما الوحى فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدى وإنما يقول هذا تحيراً فى أمره وتعللا بما لا يجدى عليه كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله (بلى قد جاءتك آياتى) رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحى فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس (فإن قلت) هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هدانى ولم يفصل بينهما بآية (قلت) لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثانى فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط فى الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب (فإن قلت) كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير منفى (قلت) لو أن الله هدانى فيه معنى ما هديت (كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز أن يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا بإثباتهم معه قدماء (وجوههم مسودة) جملة فى موضع

۞ قوله تعالى «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة» (قال فيه يعنى الذين وصفوه تعالى بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه الخ) قال أحمد قد عدا طور التفسير لمرض فى قلبه لا دواء له إلا التوفيق الذى حرمه ولا يعافيه منه إلا الذى قدر عليه هذا الضلال وحتمه وسنقيم عليه حد الرد لأنه قد أبدى صفحته ولولا شرط الكتاب لأضربنا عنه صفحا ولوينا عن الالتفات إليه كشحا وبالله التوفيق فنقول أما تعريضه بأن أهل السنة يعتقدون أن القبائح من فعل الله تعالى فيرجمه باعتقادهم المشار إليه قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة «الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل» أما الزمخشرى وإخوانه القدرية فيغبرون فى وجه هذه الآية ويقولون ليس خالق كل شىء لأن القبائح أشياء وليست مخلوقة له فاعتقدوا أنهم نزهوا وإنما أشركوا وأما تعريضه لهم فى أنهم يجوزون أن يخلق خلقا لا لغرض فذلك لأن أفعاله تعالى لا تعلل لأنه الفعال لما يشاء وعند القدرية ليس فعالا لما يشاء لأن الفعل إما منطو على حكمة ومصلحة فيجب عليه أن يفعله عندهم وإما عار عنها فيجب عليه أن لا يفعله فأين أثر المشيئة إذا ۞ وأما اعتقاده أن فى تكليف ما لا يطاق تظليما لله تعالى فاعتقاد باطل لأن ذلك إنما ثبت لازما لاعتقادهم أن الله تعالى خالق أفعال عبيده فالتكليف بها تكليف بما ليس مخلوقا لهم والقاعدة الأولى حق ولازم الحق حق ولا معنى للظلم إلا التصرف فى ملك الغير بغير إذنه والعباد ملك الله تعالى فكيف يتصور حقيقة الظلم منه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ۞ وأما تعريضه بأنهم يجوزون أن يؤلم لا لعوض فيقال له ما قولك أيها الظنين فى إيلام البهائم والأطفال ولا أعواض لها وليس مرتبا على استحقاق سابق خلافا للقدرية إذ يقولون لا بد

(قوله وقرئ بكسر التاء على مخاطبة) لعل من كسرها كسر الكاف أيضا (قوله تعالى قوم يسفهونه بفعل القبائح) يريد بهم أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه تعالى هو الخالق لأفعال العباد ولو معاصى وأن فعله لا لغرض بل لحكمة وإيلام الأطفال لا يستوجب عليه عوضا وتظليمه نسبة إلى الظلمة بتجويز تكليف المحال كما فى علم الأصول وجوزوا عليه الرؤية وهى غير مختصة بالأجسام عندهم وجوز السلف أن يكون له يد ونحوها لكن لا كالأيدى وأراد بالقدماء صفات المعانى كالقدرة والإرادة حيث قال أهل السنة إنها موجودة بوجودات زائدة على وجود الذات وتحقيق ذلك فى التوحيد والأصول فانظره والبلكفة قولهم بلا كيف

اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ

الحال إن كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب * وقرئ ينجى وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله (لايمسهم السوء ولاهم يحزنون) كأنه قيل مامفازتهم فقيل لايمسهم السوء أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم أوبسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لأنه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة (فإن قلت) لايمسهم مامحله من الإعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الأول فلا محل له لأنه كلام مستأنف وأما على الثانى فمحله النصب على الحال (له مقاليد السموات والأرض) أى هومالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهى المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية (فإن قلت) ما للكتاب العربى المبين وللفارسية (قلت) التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا * (فإن قلت) بما اتصل قوله (والذين كفروا) (قلت) بقوله وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شىء من أعمال المكلفين فيها ومايستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شىء فى السموات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض فقال ياعثمان ماسألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لاإله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولاقوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله

فى الألم من استحقاق سابق أوعوض * وأما اعتقاده أن تجويز رؤية الله تعالى يستلزم اعتقاد الجسمية فإنه اغترار فى اعتقاده بأدلة العقل المجوزة لذلك مع البراءة من اعتقاد الجسمية ولم يشعر أنه يقابل بهداية قول نبى الهدى عليه الصلاة والسلام إنكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته فهذا النص الذى ينبوعن التأويل ولا يردع المتمسك به شىء من التهويل وأما قوله إنهم يتستررون بالبلكفة فيعنى به قولهم بلا كيف أجل إنها لستر لاتهتكه يد الباطل البتراء ولاتبعد عن الهدى عين الضلال العوراء وأما تعريضه بأنهم يجعلون لله أندادا بإثباتهم معه قدماء ففى لإثباتهم صفات الكمال كلا والله إنما جعل لله أندادا القدرية إذ جعلوا أنفسهم يخلقون مايريدون ويشتهون على خلاف مراد ربهم حتى قالوا إن ماشاؤه كان وماشاء الله لايكون وأما أهل السنة فلم يزيدوا على أن اعتقدوا أن الله تعالى علما وقدرة وإرادة وسمعا وبصراً وكلاما وحياة حسبما دل عليه العقل وورد به الشرع وأى مخاص للقدرى إذا سمع قوله تعالى وسع ربنا كل شىء علما إلا اعتقاد أن الله تعالى علما أو جحد آيات الله وإطفاء نوره ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وأما قوله إنهم يثبتون لله تعالى يدا وقدما ووجها فذلك فرية مافيها مرية ولم يقل بذلك أحد من أهل السنة وإنما أثبت القاضى أبو بكر صفات سمعية وردت فى القرآن اليدان والعينان والوجه ولم يتجاوز فى إثباتها ماوردت عليه فى كتاب الله العزيز على أن غيره من أهل السنة حمل اليدين على القدرة والنعمة والوجه على الذات وقد مر ذلك فى مواضع من الكتاب فقد اتصف فى هذه المباحثة بحال من بحث بظلفه عن حتفه وتعريضه معتقده الفاسد لهتك ستره وكشفه وإنما حملنى على إغلاظ مخاطبته الغضب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأهل سنته فإنه قد أساء عليهم الأدب ونسبهم بكذبه إلى الكذب

أُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ۞ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَـٰهِلُونَ ۞ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ ۞ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّـٰكِرِينَ ۞ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَالسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا

اللهوكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (أفغير الله) منصوب بأعبدو (تأمرونى) اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمرونى أعبد لأنه فى معنى تعبدوننى وتقولون لى اعبد والأصل تأمروننى أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما فى قوله ۞ ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى ۞ ألا تراك تقول أفغير الله تقولون لى أعبده وأفغير الله تقولون لى أعبد فكذلك أفغير الله تأمروننى أن أعبده وأفغير الله تأمروننى أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب ۞ وقرئ تأمروننى على الأصل وتأمرونى على إدغام النون أو حذفها ۞ قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون والياء أى ليحبطن الله أو الشرك ۞ (فإن قلت) الموحى إليهم جماعة فكيف قال (لئن أشركت) على التوحيد (قلت) معناه أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله وأوحى إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أى كل واحد منا (فإن قلت) ماالفرق بين اللامين (قلت) الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعنى جوابى القسم والشرط (فإن قلت) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لايشركون ولا تحبط أعمالهم (قلت) هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولوشاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً يعنى على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعى إليه ووجود الصارف عنه ۞ (فإن قلت) ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين (قلت) يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن فى الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهله بعد الردة ألا ترى إلى قوله تعالى إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لاتعبد ماأمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه (وكن من الشاكرين) على ماأنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله أعبد فاعبد ۞ لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل (وماقدروا الله حق قدره) وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لاغير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم مايروى

والله الموعد ۞ قوله تعالى بل الله فاعبد (قال فيه أصل الكلام إن كنت عابداً فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً منه اهـ كلامه) قلت مقتضى كلام سيبويه فى أمثال هذه الآية أن الأصل فيه فاعبد الله ثم حذفوا الفعل الأول اختصاراً فلما وقعت الفاء أولا استنكروا الابتداء بها ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه فقدموا المفعول وصارت متوسطة لفظاً ودالة على أن ثم محذوفا اقتضى وجودها ولتعطف عليه مابعدها وينضاف إلى هذه الغاية فى التقديم فائدة الحصر كما تقدم من إشعار التقديم بالاختصاص ۞ قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (قال) فيه الغرض من هذا الكلام تصوير عظمته تعالى والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أوجهة مجاز وكذلك حكم يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حبراً

أن جبريل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً مما قال ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية وإنما ضحك أفصح العرب صلى الله عليه وسلم وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليه تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديما وما أتى الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه إذ لا يحل عقدها المؤربة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعاً وقوله والسموات ولأن الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد إلى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأراضي كلهن والقبضة المرة من القبض «فقبضت قبضة من أثر الرسول» والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روى أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والأرضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الأرضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته أي ذات أكلته وذات جرعته تريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة فردة من جرعاته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب (قلت) جعلها ظرفا مشبها للمؤقت بالمبهم ٭ مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات

جاء إليه فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجب مما قال الحبر ثم قرأ هذه الآية تصديقاً له فإنما ضحك أفصح العرب لأنه لم يفهم منه إلا ما فهمه علماء البيان من غير تصوير إمساك ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة التي لا يوصل السامع إلى الوقوف عليها إلا إجراء العبارة على مثل هذه الطريقة من التخييل ثم قال وأكثر كلام الأنبياء والكتب السماوية وعليها تخييل قد زلت فيه الأقدام قديما اه كلامه (قلت) إنما عنى بما أجراه ههنا من لفظ التخييل التمثيل وإنما العبارة موهمة منكرة في هذا المقام لا تليق به بوجه من الوجوه والله أعلم

(قوله أن جبريل جاء إلى رسول الله) قيل الصواب أنه حبر من أحبار اليهود لا جبريل ويدل عليه ما في البخاري ومسلم والترمذي كذا بهامش ويؤيده أن يا أبا القاسم عادة اليهود في ندائه صلى الله عليه وسلم (قوله وعليه تخيلات) أي معظمه (قوله وما أتى الزالون) أي أجيبوا (قوله بالتأويلات الغثة) في الصحاح الغث نبت يختبز حبه ويؤكل في الجوب وتكون خبزته غليظة شبيهة بخبز الملة (قوله قبيلا منه من دبير) في الصحاح القبيل ما تقبل به المرأة من غزلها حين تفتله وفيه الدبير ما تدبر به المرأة من غزلها حين تفتله ومنه قيل فلان ما يعرف قبيلا من دبير (قوله نهى عن خطفة السبع) أي والمراد مخطوفة

يشركون ۞ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ۞ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ۞ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ۞ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ۞ قيل ادخلوا أبواب

بيمينه مغنيات بقسمه لأنه أقسم أن يغنيها ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليلتهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكى حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما منى من به أمثاله وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السموات فى حكم الأرض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال (سبحانه وتعالى) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء (فإن قلت) (أخرى) ما محلها من الإعراب (قلت) يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وإنما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود فى مكان لتحيرهم ۞ قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان فى مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى (وأشرقت الأرض) بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط فى الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادى عليه بأنه مستعار إضافته إلى اسمه لأنه هو الحق العدل وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وفى هذه الإضافة أن ربها وخالقها هو الذى يعدل فيها وإنما يجوز فيها غير ربها ثم ما عطف على أشراق الأرض من وضع الكتاب والمجىء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما تقول أظلمت البلاد بجور فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الآية بإثبات العدل ختمها بنفى الظلم وقرئ وأشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق إذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله كما تقول ملأ الأرض عدلا وطبقها عدلا و(الكتاب) صحائف الأعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ (والشهداء) الذين يشهدون للأمم وعليهم من الحفظة والأخيار وقيل المستشهدون فى سبيل الله الزمر الأفواج المتفرقة بعضها فى أثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل فى زمر الذين اتقوا هى الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ۞ وقرئ نذر منكم ۞ (فإن قلت) لم أضيف إليهم اليوم (قلت) أرادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضا فى أوقات الشدة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم لسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا

(قوله وما منى به من أمثاله) أى ابتلى (قوله أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ) أى فى الحاقة وقوله من قرأ أى هناك وقوله حذفت أى هنا (قوله بمعنى الوقوع والجمود) لعله الوقوف (قوله وقد تزمروا) وفى نسخة أخرى تزامروا وفى الصحاح احزألت الإبل فى السير ارتفعت

جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۞ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۞ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞

عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال ۞ اللام فى المتكبرين للجنس لأنّ (مثوى المتكبرين) فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (حتى) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية إلا أنّ جزاءها محذوف وإنما حذف لأنه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شىء لايحيط به الوصف وحق موقعه مابعد خالدين وقيل حتى إذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها أى مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لاتفتح إلا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فلذلك جىء بالواو كأنه قيل حتى إذا جاؤها وقد فتحت أبوابها (فإن قلت) كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق (قلت) المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لايذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراعا بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بما يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان مابين السوقين (طبتم) من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا (فادخلوها) جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هى إلا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لأنها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلايدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وماأضعف سعينا فى اكتساب تلك الصفة إلا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقى أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب (خالدين) مقدرين الخلود (الأرض) عبارة عن المكان الذى أقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه فى إنفاقه طولا وعرضا (فإن قلت) مامعنى قوله (حيث نشاء) وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره (قلت) يكون لكل واحد منهم جنة لاتوصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولايحتاج إلى جنة غيره (حافين) محدقين من حوله (يسبحون بحمد ربهم) يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لامتعبدين (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى قوله (بينهم) (قلت) يجوز أن يرجع إلى العباد كلهم وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لايكون إلا قضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع إلى الملائكة على أن ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعا لايكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم فى أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق (فإن قلت) قوله (وقيل الحمد لله) من القائل ذلك (قلت) المقضى بينهم إما جميع العباد وإما الملائكة كأنه قيل وقضى بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وإنزال كل منا منزلته التى هى حقه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضى الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمر

سـورة غافر مكية

إلا آيتى ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ حمٓ ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۞ غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ

﴿سـورة المؤمن مكية﴾

﴿قال الحسن إلا قوله وسبح بحمد ربك لأن الصلوات نزلت بالمدينة ، وقد قيل فى الحواميم كلها أنها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية ، وهى خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قرئ بإمالة ألف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإيثار أخف الحركات نحو أين وكيف أو النصب بإضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وأنها على زنة أعجمى نحو قابيل وهابيل . التوب والثوب والأوب أخوات فى معنى الرجوع والطول والفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والإفضال يقال طال عليه وتطول إذا تفضل (فإن قلت) كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف (قلت) أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غداً حتى يكونا فى تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه فى تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفى كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهى محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هى صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ماقبله ومابعده لفظاً فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا مايعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ماهو وتر لأجل ماهو شفع على أن الخليل قال فى قولهم مايحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل أنه على نية الألف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام ومما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى مالاشىء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار ويجوز

﴿القول فى سورة غافر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب» الآية (قال) فيه فإن قلت لم اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف وأجاب بأن غافر الذنب وقابل التوب معرفان لأنهما صفتان لازمتان وليستا لحدوث الفعل حتى يكونا حالا أو استقبالا بل إضافتهما حقيقية وأما شديد العقاب فلاشك فى أن إضافته غير حقيقية يريد لأنه من الصفات المشبهة ولا تكون إضافتها محضة أبداً ۞ عاد كلامه قال وجعله الزجاج بدلا وحده وانفراد البدل من بين الصفات فيه نبو ظاهر والوجه أن يقال أن جميعها أبدال غير أوصاف لوقوع هذه النكرة التى لا يصح أن تكون صفة كما لو جاءت قصيدة تفاعيلها كلها على مستفعل قضى عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل (قلت) وهذا لأن دخول مستفعلن فى الكامل ممكن لأن متفاعلن يصير بالضمير إليه مستفعلن وليس وقوع متفاعلن فى الرجز ممكناً إذ لا يصير إليه مستفعلن البتة فما يفضى إلى الجمع بينهما فإنه يتعين وهذا كما يقضى الفقهاء بالخاص على العام لأنه الطريق فى الجمع بين الدليلين وأجاز فيه وجهاً آخر وهو

الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلَٰدِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ

أن يقال هذه النكتة هى الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال (فإن قلت) ما بال الواو فى قوله وقابل التوب (قلت) فيها نكتة جليلة وهى إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروى أن عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع فى هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو «بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير» وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه ۝ سجل على المجادلين فى آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم فى استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد فى سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم إن جدالا فى القرآن كفر وإيراده منكرا وإن لم يقل إن الجدال تمييز منه بين جدال وجدال (فإن قلت) من أين تسبب لقوله (فلا يغررك) ما قبله (قلت) من حيث أنهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم فى عينه ولا يغره إقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون فى بلاد الشام واليمن ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال ووراءه شقاوة الأبد ۝ ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الأمم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه ۝ وقرئ فلا يغرك (الأحزاب) الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم (وهمت كل أمة) من هذه الأمم التى هى قوم نوح والأحزاب (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال للأسير أخيذ (فأخذتهم) يعنى أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم

أن تكون كلها صفات معارف ويكون شديد العقاب محذوف الألف ليجانس ما قبله وذلك مثل قولهم ما يعرف سحادليه من عناديله فثنوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أن الخليل قد قال فى قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل كذا أنه على نية الألف واللام كما جاء الجماء الغفير على نية حذف الألف واللام مضافا إلى ما سهل ذلك وهو عدم اللبس وأمن الجهالة ۝ وأجاز وجها آخر وهو أن يكون صفة قصد تنكيرها لما فى الإبهام من الدلالة على فرط الشدة ۝ قال ولعل هذه النكتة هى الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال ۝ قال فإن قلت فما بال الواو فى قوله وقابل التوب وأجاب بأن فيها نكتة جليلة وهى إفادة الجمع بين رحمتى مغفرة الذنب وقبول التوب ۝ قوله تعالى ما يجادل فى آيات الله الآية (قال) الجدال المذموم هو الجدال بالباطل لإدحاض الحق وقصد إطفاء نور الله فقد دل على ذلك قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة العلماء فى استنباط معانيها ورد أهل الزيغ عنها فأعظم جهاد فى سبيل الله تعالى وعلى هذا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام إن جدالا فى القرآن كفر ولهذا أورده منكرا للتمييز بين جدال وجدال

النَّارِ * الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا

(فكيف كان عقاب) فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (أنهم أصحاب النار) فى محل الرفع بدل من كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب إهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة أو فى محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل * والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار * قرئ كلمات * روى أن حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقا من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفى الحديث إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صنف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل مامنهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر * وقرأ ابن عباس العرش بضم العين (فإن قلت) ما فائدة قوله (ويؤمنون به) لا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون (قلت) فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء فى غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وفائدة أخرى وهى التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من فى الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء فى أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا وأنه منزه عن صفات الأجرام وقد روعى التناسب فى قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن فى مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على أن الاشتراك فى الإيمان يجب أن يكون أدعى شىء إلى النصيحة وأبعثه على إمحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الإيمان

* قوله تعالى « يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون به للذين آمنوا » الآية (قال) فيه إن قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة يؤمنون بالله تعالى وأجاب بأن فائدته إظهار شرف الإيمان كما وصف الأنبياء فى غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أفعال البر بقوله ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وفائدة أخرى وهى التنبيه على أن الأمر لو كان كما يقول المجسمون لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء علم أن إيمانهم وإيمان من فى الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء فى أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا * قال وفيه تنبيه على أن الاشتراك فى وصف الإيمان يجب أن يكون أدعى شىء إلى النصيحة وأبعث شىء على إمحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن فإنه لا تجانس بين ملك وبشر ومع ذلك لما اشتركا فى صفة الإيمان نزل ذلك منزلة الاشتراك الحقيقى والتناسب الجنسى حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض اه كلامه (قلت) كلام حسن إلا استدلاله بقوله ويؤمنون به على أنهم ليسوا مشاهدين فهذا لا يدل لأن الإيمان هو

(قوله حتى يصير كأنه الوصع) طائر أصغر من العصفور (قوله كما تقول المجسمة) يريد أهل السنة لأنهم لما جوزوا رؤيته تعالى معاينة لزمهم القول بأنه تعالى جسم ولكن الرؤية لا تستلزم الجسمية خلافا للمعتزلة كما بين فى علم التوحيد

وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ

الأماكن فإنه لاتجانس بين ملك وإنسان ولابين سماوى وأرضى قط ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلى والتناسب الحقيقى حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض قال الله تعالى ويستغفرون لمن فى الأرض ۞ أى يقولون (ربنا) وهذا المضمر يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا (فإن قلت) تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسع كل شىء (قلت) الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شىء فى المعنى والأصل وسع كل شىء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق فى وصفه بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شىء (فإن قلت) قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون مابعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعاً وماذكر إلا الغفران وحده (قلت) معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التى نهجها لعباده ودعا اليها (إنك أنت العزيز الحكيم) أى الملك الذى لايغلب وأنت مع ملكك وعزتك لاتفعل شيئاً إلا بداعى الحكمة وموجب حكمتك أن تفى بوعدك (وقهم السيآت) أى العقوبات أو جزاء السيآت فحذف المضاف على أن السيآت هى الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة (فإن قلت) ماالفائدة فى استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد (قلت) هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح أفصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم أى ينادون يوم القيامة فيقال لهم

التصديق غير مشروط فيه غيبة المصدق به بدليل صحة إطلاق الإيمان بالآيات مع أنها مشاهدة كانشقاق القمر وقلب العصا حية وإنما نقب الزمخشرى بهذا التكلف عما فى قلبه من مرض لكنه طاح بعيداً عن الغرض فقرر أن حملة العرش غير مشاهدين بدليل قوله تعالى ويؤمنون لأن معنى الإيمان عنده التصديق بالغائب ثم يأخذ من قولهم غير مشاهدين أن البارى عز وجل لو صحت رؤيته لرأوه فحيث لم يروه لزم أن تكون رؤيته تعالى ممالايصححه العقل وقد أبطلنا ماادعاه من أن الإيمان مستلزم عدم الرؤية ولو سلمناه فلا نسلم أنه يلزم من كون حملة العرش مشاهدين له تعالى أن تكون رؤيته غير صحيحة وقوله ولو كانت صحيحة لرأوه شرطية عقيمة الانتاج لأن الرؤية عبارة عن إدراك يخلق الله تعالى هذا الإدراك لحملة العرش إلا أن يذهب بالزمخشرى الوهم إلى أن مصححى الرؤية يعتقدون الجسمية والاستقرار على العرش فيلزمهم رؤية حملة العرش له تعالى الله عن ذلك وحاشى أهل السنة ومصححى الرؤية من ذلك قوله تعالى ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيآت ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته الآية (قال) فيه فإن قلت قدذكر أولا الرحمة والعلم ثم ذكر ماتوجبه الرحمة وهوالغفران فأين موجب العلم وأجاب بأن معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك ۞ قال وقوله إنك أنت العزيز الحكيم معناه الملك الذى لايغلب وأنت مع ملكك وعزتك لاتفعل شيئاً إلابداعى الحكمة وموجب حكمتك أن تفى بوعدك ثم قال ومعنى السيآت العقوبات التى هى جزاء السيآت أو على حذف مضاف على أن السيآت هى الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة ثم قال فإن قلت ماالفائدة فى استغفارهم وهم تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لايخلف الميعاد وأجاب بأن هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب اه كلامه (قلت) كلامه

(قوله سبيل الحق التى نهجها لعباده) أبانها وأوضحها أفاده الصحاح

وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا

(لمقت الله أكبر) والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة و(إذ تدعون) منصوب بالمقت الأول والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار إذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وإذ تدعون تعليل والمقت أشد البغض فوضع فى موضع أبلغ الإنكار وأشده (اثنتين) إماتتين وإحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالإماتتين خلقهم أمواتا أولا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالإحياءتين الاحياءة الأولى وإحياءة البعث وناهيك تفسيراً لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس رضى الله عنهما (فإن قلت) كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا إماتة (قلت) كما صح أن تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر ولا من ضيق إلى سعة ولا من سعة إلى ضيق وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب فى صحته أن الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجح لأحدهما وكذلك الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الإماتتين التى بعد حياة الدنيا والتى بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياآت وهو خلاف مافى القرآن إلا أن يتمحل فيمجل إحداها غير معتد بها أو يزعم أن الله تعالى يحييهم فى القبور وتستمر

ههنا محشو بأنواع الاعتزال منها اعتقاد وجوب مراعاة المصلحة ودواعى الحكم على الله تعالى ومنها اعتقاد أن اجتناب الكبائر يكفر الصغائر وجوبا وإن لم يكن توبة ومنها اعتقاد امتناع غفران الله تعالى للكبائر التى لم يتب عنها ومنها اعتقاد وجوب قبول التوبة على الله تعالى ومنها جحد الشفاعة واعتقاد أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه مراعاة المصلحة وأنه يجوز أن يعذب على الصغائر وإن اجتنب الكبائر وأنه يجوز أن يغفر الكبائر ماعدا الشرك وإن لم يتب منها وأن قبول التوبة بفضله ورحمته لا بالوجوب عليه وأنها تنال أهل الكبائر المصرين من الموحدين فهذه جواهر خمسة نسأل الله تعالى أن يقلد عقائل نابها إلى الخاتمة وأن لا يحرمنا ألطافه ومراحمه آمين وجميع مايحتاج إلى تزييفه مما ذكره على قواعد الاعتزال فى هذا الموضع قد تقدم غير أنه جدد ههنا قوله إن فائدة الاستغفار كفائدة الشفاعة وذلك مزيد الكرامة لا غير يريد أن المغفرة للتائب واجبة على الله فلا تسئل وهذا الذى قاله مما يجعل لنفسه فيه الفضيحة زادت على بطلانه هذه الآية بالألسن الفصيحة كيف يجعل المسؤل مزيد الكرامة لا غير ونص الآية فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فهى ناطقة بأنهم يسألون من الله تعالى المغفرة للتائب ووقاية عذاب الجحيم وهو الذى أنكر الزمخشرى كونه مسؤلا ۞ قوله تعالى أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (قال) فيه إحدى الإماتتين خلقهم أمواتا أولا والأخرى إماتتهم عند انقضاء آجالهم ثم قال فإن قلت كيف سمى خلقه لهم أمواتا إماتة وأجاب بأنه كما يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وكما يقال للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من صغر إلى كبر ولا عكسه ولا من ضيق إلى سعة ولا عكسه وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب فى صحته أن الكبر والصغر جائزان معاً على المصنوع الواحد وكذلك الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن من الآخر جعل صرفا عن الآخر وهو متمكن منه اه كلامه (قلت) ما أسد كلامه ههنا حيث صادق التمسك بأذيال نظر مالك رحمه الله فى مسألة ماإذا باعه إحدى وزنتين معينتين على اللزوم لإحداهما والخيرة فى عينها فإنه منع من ذلك لأن المشترى لما كان

فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۞ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۞ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۞ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ

بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم فى المستثنين من الصعقة فى قوله تعالى إلا من شاء الله (فإن قلت) كيف تسبب هذا لقوله تعالى (فاعترفنا بذنوبنا) (قلت) قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب مالا يحصى لأن من لم يخش العاقبة تخرق فى المعاصى فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكررا عليهم علموا بأن الله قادر على الإعادة قدرته على الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل إلى خروج) أى إلى نوع من الخروج سريع أو بطىء (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم) أى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لاسبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله (العلى الكبير) دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لايكون إلا كذلك وهو الذى يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لاحكم إلا لله من هذا (يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها ۞ والرزق المطر لأنه سببه (ومايتذكر إلا من ينيب) ومايتعظ ومايعتبر بآيات الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن المعاند لاسبيل إلى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك ۞ وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذوالعرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذى يريكم أو أخبار مبتدإ محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله تعالى ذى المعارج وهى مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهى دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء العرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هى درجات ثوابه التى ينزلها أولياءه فى الجنة (الروح من أمره) الذى هو سبب الحياة من أمره يريد الوحى الذى هو أمر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال تعالى أو من كان ميتا فأحييناه

متمكنا من تعيين كل واحدة منهما على سواء فإذا عين واحدة منهما بالاختيار نزل عدوله عن الأخرى وقد كان متمكنا منها منزلة اختيارها أولا ثم الانتقال عنها إلى هذه فإذا آل إلى بيع إحداهما بالأخرى غير معلومتى التماثل وهو لذى لخصه أصحابنا فى قولهم إن من خير بين شيئين فاختار أحدهما عد منتقلا وقد سبقت هذه القاعدة لغير هذا الغرض فيما تقدم ۞ قوله تعالى فهل إلى خروج من سبيل (قال) أى إلى نوع من الخروج سريع أو بطىء من سبيل قط أم اليأس واقع دون ذلك فلاخروج ولاسبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم معناه أن اعتياض السبيل إلى خروجكم من النار سببه كفركم بتوحيد الله تعالى وإيمانكم بالإشراك اه كلامه (قلت) وعلى هذا النمط بنى الشعراء مثل قولهم

هل إلى نجد وصول ۞ وعلى الخيف نزول وإنما قصدهم أن هذا أمر غلب فيه اليأس على الطمع

(قوله تخرق فى المعاصى) فى الصحاح يقال هو يتخرق فى السخاء إذا توسع فيه (قوله الحرورية) فى الصحاح أنها طائفة من الخوارج تنسب إلى حروراسم قرية وكأنه يريد أهل السنه فإنهم الذين اشتهر عنهم هذا القول خلافا للمعتزلة فى قولهم إن الفعل قد يدرك الحكم قبل ورود الشرع كما بين فى الأصول

عباده لينذر يوم التلاق ۝ يوم هم برزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الوحد القهار ۝
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ۝ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب
لدى الحناجر كظمين ما للظلمين من حميم ولا شفيع يطاع ۝ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ۝ والله

(لينذر) الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتنذر أى لتنذر الروح لأنها تؤنث أو على خطاب الرسول ۝ وقرئ لينذر
يوم التلاق على البناء للمفعول (ويوم التلاق) يوم القيامة لأن الخلائق تلتقى فيه وقيل يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض
وقيل المعبود والعابد (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صفصف
ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا (لا يخفى على الله منهم شيء) أى
من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء (فإن قلت) قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان
وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه (قلت) معناه أنهم كانوا يتوهمون فى الدنيا
إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال
لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله
الواحد القهار (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسئل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادى
مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد بأرض
بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى
كل نفس الآية فهذا يقتضى أن يكون المنادى هو المجيب ۝ لما قرر أن الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى
أن كل نفس تجزى ما كسبت وأن الظلم مأمون لأن الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأن الله لا يشغله حساب
عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضى الله عنهما إذا أخذ فى حسابهم
لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها ۝ الآزفة القيامة سميت بذلك لأزوفها أى لقربها ويجوز أن يريد بيوم
الآزفة وقت الخطة الآزفة وهى مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هى تخرج
فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا ۝ فإن قلت (كاظمين) بم انتصب (قلت) هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى
حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وإنما جمع
الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى رأيتهم لى ساجدين وقال فظلت أعناقهم
لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله وأنذرهم أى وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم
كقوله تعالى فادخلوها خالدين ۝ الحميم المحب المشفق ۝ والمطاع مجاز فى المشفع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر فى
أنها لا تكون إلا لمن فوقك (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (ولا شفيع يطاع) (قلت) يحتمل أن يتناول النفى الشفاعة
والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندى كتاب يباع فهو محتمل نفى البيع وحده وأن عندك كتابا
إلا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفى الضب وانجحاره

۝ قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (قال فيه يحتمل أن يكون المنفى الشفيع الذى هو الموصوف
وصفته وهى الطاعة ويحتمل أن يكون المنفى الصفة وهى الطاعة والشفيع ثابت اه كلامه) قلت إنما جاء الاحتمال

(قوله لم يقل أهل الجنة إلا فيها) من قال يقيل قيلولة

يَقْضِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

(فإن قلت) فعلى أى الاحتمالين يجب حمله (قلت) على نفى الامرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله لايحبون ولايرضون إلا من أحبه الله ورضيه وأن الله لايحب الظالمين فلايحبونهم وإذالم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وماللظالمين من أنصار وقال ولايشفعون إلا لمن ارتضى ولأن الشفاعة لاتكون إلافى زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته وإنما هم أهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن الحسن رضى الله عنه والله ما يكون لهم شفيع البتة (فإن قلت) الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة فى ذكر هذه الصفة ونفيها (قلت) فى ذكرها فائدة جليلة وهى أنها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لأن الصفة لاتتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف بيانه أنك إذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت مالى فرس أركبه ولامعى سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى منى الركوب والمحاربة ولافرس لى ولاسلاح معى فكذلك قوله ولاشفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولاشفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المنكر الذى لاينبغى أن يتوهم خلافه ۞ الخائنة صفة للنظرة أومصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر إلى مالايحل كما يفعل أهل الريب ولايحسن أن يراد الخائنة من الأعين لأن قوله وماتخفى الصدور لايساعد عليه (فإن قلت) بم اتصل قوله (يعلم خائنة الأعين) (قلت) هو خبر من أخبار هو فى قوله هو الذى يريكم مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولاشفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (والله يقضى بالحق) يعنى والذى هذه صفاته وأحواله لايقضى إلا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم ۞ وآلهتكم لايقضون بشىء وهذا تهكم بهم لأن مالا يوصف بالقدرة لايقال فيه يقضى أولايقضى (إن الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ووعيد لهم بأنه يسمع مايقولون ويبصر مايعملون وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وأنها لاتسمع ولاتبصر ۞ وقرئ يدعون بالتاء والياء ۞ هم فى (كانوا هم أشد منهم) فصل (فإن قلت) من حق الفصل أن لايقع إلا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم (قلت) قد ضارع المعرفة فى أنه لاتدخله الألف واللام فأجرى مجراها ۞ وقرئ منكم وهى فى مصاحف أهل الشأم (وآثارا)

من حيث دخول النفى على مجموع الموصوف والصفة ونفى المجموع كما يكون بنفى كل واحد من جزئيه وكذلك يكون بنفى أحدهما على أن المراد هنا كما قال نفى الأمرين جميعا قال وفائدة ذكر الموصوف أنه كالدليل على نفى الصفة لأنه إذا انتفى الموصوف انتفت الصفة قطعا (قلت) فكأنه نفى الصفة مرتين من وجهين مختلفين ۞ قوله تعالى يعلم خائنة الأعين (قال الخائنة إما صفة للنظرة وإما مصدر كالعافية قال ولايحسن أن يراد الخائنة من الأعين لأنه لايساعد عليه قوله تعالى وماتخفى الصدور انتهى كلامه) قلت إنما لم يساعد عليه لأن خائنة الأعين على هذا التقدير معناه الأعين الخائنة وإنما يقابل الأعين الصدور لاماتخفيه الصدور بخلاف التأويل الأول فإن المراد به نظرات الأعين فيطابق خفيات الصدور

(قوله لاتكون إلافى زيادة التفضل) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فتكون فى الخروج من النار أيضا كما تقرر فى التوحيد وحديث الشفاعة مشهور نعم الكفار لاخروج لهم من النار (قوله موضع الأمر المعروف) أى الذى يعرفه السامع ويسلمه كما هو شأن الشاهد على الدعوى وإذا كان انتفاء الشفيع معروفا فلا ينبغى أن يتوهم وجوده وبهذا تبين قوله فيما سبق فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف

وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۞ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَآءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۞ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ

يريد حصونهم وقصورهم وعددهم ومايوصف بالشدة من آثارهم أو أرادوا أكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذابا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة ۞ (فإن قلت) أما كان قتل الأبناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن يولد المولود الذي أنذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده (قلت) قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولا يريد أن هذا قتل غير القتل الأول (في ضلال) في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أن كيده ضائع في الكرتين جميعا (ذروني أقتل موسى) كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم إلا ساحرا مثله ويقولون إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك قد عجزت عن معاوضته بالحجة والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويها على قومه وإيهاما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك ۞ والفساد في الأرض التفانن والتهارج الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا ۞ وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون ۞ لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه (إني عذت) بالله الذي

۞ قوله تعالى حكاية عن فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه (قال فيه) كانوا إذا هم بقتله كفوه عنه بقولهم ليس هذا ممن يخاف وإنما هو ساحر لا يقاومه إلا مثله وقتله يوقع الشبهة عند الناس أنك إنما قتلته خوفا وكان فرعون لعنه الله في ظاهر أمره والله أعلم عالما أنه نبي خائفا من قتله مع رغبته في ذلك لولا الجزع وأراد أن يكتم خوفه من قتله بأن يقول لهم ذروني أقتله ليكفوه عنه فينسب الانكفاف عن قتله إليهم لا إلى جزعه وخوفه ويدل على خوفه منه لكونه نبيا قوله وليدع ربه وهذا من تمويهاته المعروفة (قلت) هو من جنس قوله إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون فقد تقدم أن مراده بذلك أن يظهر لقومه قلة احتفاله

(قوله وقرئ يظهر من أظهر) يفيد أن القراءة المشهورة يظهر من ظهر والفساد مرفوع

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۞ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ

هو ربى وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال (من كل متكبر) لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال (لا يؤمن بيوم الحساب) لأنه إذا اجتمع فى الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها وعذت ولذت أخوان وقرئ عت بالإدغام (رجل مؤمن) وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد فى عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان إسرائيليا و(من آل فرعون) صفة لرجل (أو صلة ليكتم أى يكتم إيمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب وقيل خربيل أو حزبيل والظاهر أنه كان من آل فرعون فإن المؤمنين من بنى إسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا دليل ظاهر على أنه ينصح لقومه (أن يقول) لأن يقول وهذا إنكار منه عظيم وتبكيت شديد كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة قط فى ارتكابها إلا كلمة الحق التى نطق بها وهى قوله (ربى الله) مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا أى وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر فى أمره وقوله (بالبينات) يريد بالبينات العظيمة التى عهدتموها وشهدتموها ۞ ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فإن يك كاذبا فعليه كذبه) أى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره (وإن يك صادقا يصبكم بعض) ما يعدكم إن تعرضتم له (فإن قلت) لم قال بعض (الذى يعدكم) وهو نبى صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه (قلت) لأنه احتاج فى مقاولة خصوم موسى ومناكريه إلا أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل فى تصديقهم له وقبولهم

بهم ويوهمهم أن قتاله لهم ليس خوفا منهم ولكن غيظا عليهم وكان من عادته الحذر والتحصن وحماية الذريعة فى المحافظة على حوزة المملكة لأن ذلك خوف وهلع لقد كذب إنما كان فؤاده مملوءا رعبا ۞ قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه الآية (قال) الظاهر أن الرجل من آل فرعون وقيل إنه من بنى إسرائيل ومن آل فرعون متعلق بيكتم تقديره يكتم إيمانه من آل فرعون وهو بعيد لأن بنى إسرائيل كان إيمانهم ظاهرا فاشيا ولقد استدرجهم هذا المؤمن فى الإيمان باستشهاده على صدق موسى بإحضاره عليه السلام من عند من تنسب إليه الربوبية ببينات عدة لا بينة واحدة وأتى بها معرفة معناه البينات العظيمة التى شهدتموها وعرفتموها على ذلك ليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم فقال لا يخلو أن يكون صادقا أو كاذبا فإن يك كاذبا فضرر كذبه عائد عليه أو صادقا فيصبكم إن تعرضتم له بعض الذى يعدكم ۞ قال وإنما ذكر بعض مع تقدير أنه نبى صادق والنبى صادق فى جميع ما يعد به لأنه سلك معهم طريق المناصحة لهم والمداراة فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم وأدخل فى تصديقهم له ليسمعوا منه ولا يردوا عليه صحته وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وأثنى عليه فضلا عن أن يكون متعصبا له

(قوله إلى أن يلاوصهم ويداريهم) فى الصحاح فلان يلاوص الشجر أى ينظر كيف يأتيها لقلعها

ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ

منه فقال وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردّوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافياً فضلا أن يتعصب له أو يرمى بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضاً من هذا القبيل وكذلك قوله إنّ الله لا يهدى من هو مسرف كذاب (فإن قلت) فعن أبى عبيدة أنه فسر البعض بالكل وأنشد بيت لبيد   تراك أمكنة إذا لم أرضها ۝ أو يرتبط بعض النفوس حمامها

(قلت) إن صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسألة العاق كان أجفى من أن يفقه ما أقول له (إنّ الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) يحتمل أنه إن كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصون منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوّة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا له أنت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعاً صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق أنّ مؤمن آل فرعون قال ذلك سراً وأبو بكر قاله ظاهراً (ظاهرين فى الأرض) فى أرض مصر عالين فيها على بنى إسرائيل يعنى أنّ لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال (ينصرنا) وجاءنا لأنه منهم فى القرابة وليعلمهم بأنّ الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (ما أريكم إلا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى إلا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب إلا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (إلا سبيل الرشاد) يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أدّخر منه شيئاً ولا أسرّ عنكم خلاف ما أظهر يعنى أنّ لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحداً ولم يقف الأمر على الإشارة ۝ وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذلك لأنّ فعالا من أفعل لم يجئ إلا فى عدّة أحرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون

۝ قال وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل اهـ كلامه (قلت) لقد أحسن الفهم والتفطن لأسرار هذا القول ويناسب تقديم الكاذب على الصادق هنا قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين فقدّم الشاهد أمارة صدقها على أمارة صدق يوسف وإن كان الصادق هو يوسف دونها لرفع التهمة وإبعاد الظن وإدلالا بأنّ الحق معه ولا يضرّه التأخير لهذه الفائدة ۝ وقريب من هذا التصرّف لإبعاد التهمة ما فى قصة يوسف مع أخيه إذ بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه حتى قيل إنه لما انتهى إليه قال اللهم ما سرق هذا ولا هو بوجه سارق فاطمأنت أنفسهم وانزاحت التهمة عن يوسف أن يكون قصد ذلك فقالوا والله لنفتشنه فاستخرجها من وعائه (قال) وقد قيل إنّ ما لقيه أبو بكر رضى الله عنه مع النبىّ صلى الله عليه وسلم أشدّ مما لقيه مؤمن آل فرعون ولقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت فلقوه فأخذوا بمجامع ردائه وقالوا أنت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال عليه السلام أنا ذلك فجاء أبو بكر فالتزمه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعاً صوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر قال إنّ مؤمن آل فرعون قال ذلك سراً وقاله أبو بكر جهراً قال وقال مؤمن آل فرعون فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ليعلمهم أنه يساهمهم فيه فيتحققوا نصحه لهم

نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ۝ يَوْمَ
تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ
فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ

نسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل (مثل يوم الأحزاب) مثل أيامهم لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كلّ حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله ۝ كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ۝ وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائباً دائماً منهم لا يفترون عنه ولا بدّ من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم (فإن قلت) بم انتصب مثل الثانى (قلت) بأنه عطف بيان لمثل الأوّل لأن آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام فسرى ذلك الحكم إلى أوّل ما تناولته الإضافة (وما الله يريد ظلما للعباد) يعنى أن تدميرهم كان عدلا وقسطا لأنهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله تعالى « وما ربك بظلام للعبيد » حيث جعل المنفى إرادة الظلم لأن من كان عن إرادة الظلم بعيداً كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفى أن يريد ظلما ما لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله تعالى « ولا يرضى لعباده الكفر » أى لا يريد لهم أن يظلموا يعنى أنه دمرهم لأنهم كانوا ظالمين ۝ التنادى ما حكى الله تعالى فى سورة الأعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور ۝ وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفرّ المرء من أخيه ، وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم فى بعض إذ سمعوا منادياً أقبلوا إلى الحساب (تولون مدبرين) عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب إلى النار وعن مجاهد فارّين عن النار غير معجزين ۝ هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين (حتى إذا) قبض (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذى أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفى كأن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث ۝ ثم قال (كذلك يضل الله) أى مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف

۝ قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد (قال فيه) يجوز أن يكون معناه معنى وما ربك بظلام للعبد وهذا أبلغ لأنه إذا لم يرد الظلم كان عن فعله الظلم أبعد وحيث نكر الظلم أيضا كأنه نفى أن يريد ظلما ما لعباده قال ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر فيكون المعنى أن الله لا يريد لعباده أن يظلموا لأنه ذمهم على كونهم ظالمين (قلت) هذا من الطراز الأوّل وقد

(قوله كعوّاج وبتات) أى صاحب العاج والعاج عظم الفيل والبتات الذى يبيع البتوت أو يعملها والبت الطيلسان من الخز كذا فى الصحاح (قوله كأنه نفى أن يريد ظلما ما لعباده يجوز) هذا على مذهب المعتزلة من أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده وأن الإرادة بمعنى الرضا وعند أهل السنة أنه تعالى يخلق الشر ويريده كالخير ولا يرضى الشر فالرضا غير الإرادة عندهم كما تقرر فى التوحيد (قوله وقيل هو يوسف بن إبراهيم) عبارة النسفى أفرأيتم (قوله أى مثل هذا الخذلان المبين) المعتزلة يؤولون الإضلال بالخذلان والترك بناء على مذهبهم أن الله لا يخلق الشر وأهل السنة يفسرونه بخلق الضلال فى القلب بناء على أنه تعالى يخلق الشر كالخير كما بين فى التوحيد

هو مسرف مرتاب * الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار * وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد

فى عصيانه مرتاب فى دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف (فإن قلت) كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد (قلت) لأنه لا يريد مسرفا واحدا فكأنه قال كل مسرف (فإن قلت) فما فاعل (كبر) (قلت) ضمير من هو مسرف (فإن قلت) أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون (قلت) بلى هو جمع فى المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولابد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله (كذلك) أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفى كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد إشكاله من الكبائر * وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الأذن ونحوه قوله عز وجل «فإنه آثم قلبه» وإن كان الآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى على كل ذى قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب * قيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه من صرح الشىء إذا ظهر و(أسباب السموات) طرقها وأبوابها وما يؤدى إليها وكل ما أداك إلى شىء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه (فإن قلت) ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلى أبلغ أسباب السموات لأجزأ (قلت) إذا أبهم الشىء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوفة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوف إليه نفس هامان ثم أوضحه * وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى * ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبيب لأنه مكن

تقدم مذهب أهل السنة فيما يتعلق بإرادة الله تعالى خلافا لهذا وأشياعه * قوله تعالى كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا (قال) فى إعرابه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف لأن المراد كل مسرف وجاز إبداله على معنى من لا على لفظها قال فإن قلت ما فاعل كبر وأجاب بأنه ضمير من هو مسرف فحمل البدل على المعنى والضمير على اللفظ وليس ببدع اهـ كلامه (قلت) فيما ذكره معاملة لفظ من بعد معاملة معناها وهذا ما قدمت أن أهل العربية يستغربونه والأولى أن يجتنب فى إعراب القرآن فإن فيه إبهاما بعد إيضاح والمعهود فى قراءة البلاغة عكسه والصواب أن يجعل الضمير فى قوله كبر راجعا إلى مصدر الفعل المتقدم وهو قوله يجادلون تقديره كبر جدالهم مقتا ويجعل الذين مبتدأ على تأويل حذف المضاف تقديره جدال الذين يجادلون فى آيات الله والضمير فى قوله كبر مقتا عائد إلى الجدال المحذوف والجملة مبتدأ وخبر ومثله فى حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله على أحد تأويله ومثله كثير وفيه سوى ذلك من الوجوه السالمة عما يتطرق إلى الوجه المتقدم فالوجه العدول عنه

(قوله وقرئ فأطلع بالنصب على جواب) يفيد أن القراءة المشهورة بالرفع على العطف (قوله على وجه التسبيب لأنه مكن) أول بهذا لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة أما عند أهل السنة فيخلقه كالخير فلا حاجة إلى هذا التأويل وتبقى الآية على ظاهرها

فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۞ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۞ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ

الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عزّ وجلّ دلّ عليه قوله إلى إله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل ۞ والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه ۞ قال (أهدكم سبيل الرشاد) فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأنّ الإخلاد اليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع مايؤدى إلى سخط الله ويجلب الشقاوة فى العاقبه وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هى الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوة إلى دين الله الذى ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذى عاقبته النار وحذروا وأنذروا واجتهد فى ذلك واحتشد لاجرم أنّ الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيآت مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفى هذا أيضا دليل بين على أنّ الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغيّ وفيه تعريض شبيه بالتصريح أنّ ماعليه فرعون وقومه هو سبيل الغيّ (فلايجزى إلا مثلها) لأنّ الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل ۞ قرئ يدخلون ويدخلون (بغير حساب) واقع فى مقابلة إلا مثلها يعنى أنّ جزاء السيئة لها حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ماشئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة ۞ (فإن قلت) لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى (قلت) أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعى بذلك أن لايتهموه فإنّ سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام فى نصيحة أبيه ياأبت وأما المجىء بالواو العاطفة فلأن الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطى الداخل عليه حكمه فى امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة ۞ يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما تقول هداه إلى الطريق وهداه له (ماليس لى به علم) أى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس بإله وماليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها (لاجرم) سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لارداً لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأنّ مع مافى حيزه فاعله أى حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولايجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان

قوله تعالى تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم (قال المراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس بإله وماليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها) قلت وهذا من قبيل ۞ على لاحب لايهتدى بمناره ۞ أى لامنار له فيهتدى به وكلام الزمخشرى ههنا أشدّ من كلامه على قوله تعالى حكاية عن فرعون ماعلمت لكم من إله غيرى قوله تعالى لاجرم أن ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولافى الآخرة (قال فيه) سياق لاجرم عند البصريين أن يكون لارداً لما دعاه اليه قومه وجرم بمعنى كسب أى وكسب دعاؤهم اليه بطلان دعوته أى ماحصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ويجوز

(قوله وقرئ وزين له سوء عمله) أى بدل قوله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله

إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدُّنْيَا وَلَا فِى الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ * وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِى النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ

دعوته على معنى أنه ماحصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال أن لاجرم نظير لابد فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لابد أنك تفعل كذا بمعنى لابعد لك من فعله فكذلك لاجرم أن لهم النار أى لاقطع لذلك بمعنى أنهم أبداً يستحقون النار لاانقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام أى لاتزال باطلة لاينقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لاجرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم (ليس له دعوة) معناه أن ماتدعوننى إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته ثم يدعو العباد إليها إظهاراً لدعوة ربهم وما تدعون إليه وإلى عبادته لايدعو هو إلى ذلك ولا يدعى الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضجّ من دعائكم وقوله (فى الدنيا ولا فى الآخرة) يعنى أنه فى الدنيا جماد لايستطيع شيئاً من دعاء وغيره وفى الآخرة إذا أنشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة إليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع فى الدنيا ولا فى الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لااستجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء فى قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء (المسرفين) وعن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون * وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضاً (وأفوض أمرى إلى الله) لأنهم توعدوه (فوقاه الله سيئات مامكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى (وحاق بآل فرعون) ماهموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم (النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدإ محذوف كأن قائلا قال ماسوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وفى هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها إحراقهم بها يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به * وقرئ النار بالنصب وهى تعضد الوجه الأخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز أن ينتصب على الاختصاص (غدواً وعشيا) فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فإما أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدواً وعشيا عبارة عن الدوام هذا مادامت الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لهم (ادخلوا) يا (آل فرعون أشد) عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أى يقال لخزنة جهنم أدخلوهم (فإن قلت) قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ماهموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكبا فإذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لأنهم لايعذبون بجهنم (قلت) يجوز أن يهم الإنسان بأن يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لأنه همّ بسوء فأصابه مايقع عليه اسم السوء ولا يشترط فى الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهمّ فرعون لما سمع إنذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فيفعل نحو مافعل نمروذ ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ماأضمره وهمّ بفعله ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر * واذكر وقت يتحاجون (تبعا) تباعا كخدم فى جمع خادم أو ذوى تبع أى أتباع

أن يكون لاجرم نظير لابد من الجرم وهو القطع فكما أنك تقول لابد لك أن تفعل والبد من التبديد الذى هو التفريق ومعناه لامفارقة لك من فعل كذا فكذلك لاجرم معناه لاانقطاع لبطلان دعوة الأصنام بل هى باطلة أبدا

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۞ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۞ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۞ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

أو وصفاً بالمصدر وقرئ كلا على التأكيد لاسم إن وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف إليه يريد إنا كلنا أو كلنا فيها (فإن قلت) هل يجوز أن يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها (قلت) لا لأن الظرف لايعمل فى الحال متقدمة كما يعمل فى الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائماً فى الدار زيد (قد حكم بين العباد) قضى بينهم وفصل بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها (فان قلت) هلا قيل الذين فى النار لخزنتها (قلت) لأن فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعاً ويحتمل أن جهنم هى أبعد النار قعراً من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم فى النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم أنه يلقى الشعر على لسان المنتسب إليه فهو بعيد الغور فى علمه بالشعر كما قال أبو نواس فى خلف الأحمر فليذمّ من العياليم الخسف وفيها أعنى الكفار وأطغاهم فلعلّ الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (أو لم تك تأتيكم) إلزام للحجة وتوبيخ وأنهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الأسباب التى يستجيب الله لها الدعوات (قالوا فادعوا) أنتم فإنا لانجترئ على ذلك ولا نشفع إلا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والإذن فى الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فإنّ الملك المقرب إذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر (فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أى فى الدنيا والآخرة يعنى أنه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وإن غلبوا فى الدنيا فى بعض الأحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثانى بدل من الأول يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لأنها باطلة وأنهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولهم اللعنة) البعد من

۞ قوله تعالى وقال الذين فى النار لخزنة جهنم (قال) فإن قلت فهلا قيل لخزنتها وأجاب أن فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل أن جهنم هى أبعد النار قعراً من قولهم بئر جهنام أى بعيدة القعر وكان النابغة يسمى الجهنام لبعد غوره فى الشعر اه كلامه (قلت) الأول أظهر والتفخيم فيه من وجهين أحدهما وضع الظاهر موضع المضمر وهو الذى أشار إليه والثانى ذكره وهو شىء واحد بظاهر غير الأول أفظع منه لأنّ جهنم أفظع من النار إذ النار مطلقة وجهنم أشدها ۞ قوله تعالى قالوا فادعوا (قال فى معناه أنهم لما ألزموهم الحجة بقولهم أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات واعترفوا بذلك وكان فى ضمن ذلك أنهم خلفوا أوقات الدعاء وأسباب الإجابة وراءهم قالوا لهم فادعوا أنتم معناه إنا نحن لا نجترئ أن ندعو لكم فادعوا أنتم وليس قولهم فادعوا ترجية للكفار ولكن قطعا لرجائهم لأنه إذا لم يسمع دعاء الملك المقرب فكيف يسمع دعاء الكافر قوله تعالى قوله تعالى يوم لاينفع الظالمين معذرتهم (قال فيه يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة لكنها لاتنفعهم لأنها باطلة ويحتمل أنهم لايعتذرون ولو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة انتهى كلامه) قلت هما لا احتمالان فى قوله

(قوله بئر جهنام بعيدة القعر الخ) فى الصحاح بكسر الجيم والهاء وفيه القليذم البئر الغزيرة وفيه العيلم الركية الكثيرة الماء وفيه الخسيف البئر التى تحضر فى حجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة والجمع خسف (قوله ويتيح الله من يقتص) أى يقدر

ٱلْكِتَـٰبَ ۞ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۞ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۞ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا

رحمة الله (ولهم سوء الدار) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ تقوم ولا تنفع بالتاء والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا) وتركنا على بنى إسرائيل من بعده (الكتاب) أى التوراة (هدى وذكرى) إرشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال وأولو الألباب المؤمنون به العاملون بما فيه (فاصبر إن وعد الله حق) يعنى أن نصرة الرسل فى ضمان الله وضمان الله لا يخاف واستشهد بموسى وما آتاه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وإبقاء آثار هداه فى بنى إسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك أمتك مشارق الأرض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فإن العاقبة لك وما سبق به وعدى من نصرتك وإعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه (بالعشى والإبكار) وقيل هما صلاتا العصر والفجر (إن فى صدورهم إلا كبر) إلا تكبر وتعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى «لو كان خيرا ما سبقونا إليه» أو إرادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) أى ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فيرجع إلينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبراً ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله) فالتجئ إليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (إنه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (فإن قلت) كيف اتصل قوله (لخلق السموات والأرض) بما قبله (قلت) إن مجادلتهم فى آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها بأنها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شىء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله (لايعلمون) لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم أهواءهم ۞ ضرب

تعالى ولا شفيع يطاع ولكن بين الموضعين فرقا يصير أحدهما معه عكس الآخر وذلك أنه هنا على تقدير أن يكون المراد أنهم لا معذرة لهم البتة يكون قد نفى صفة المعذرة وهى المنفعة التى لها تراد المعذرة قطعا لرجائهم كى لا يعتذروا البتة كأنه قيل إذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع ما لا ثمرة له وفى الآية المتقدمة جعل نفى الموصوف بتا لنفى الصفة ولهذا أولى النفى فى هذه الآية الفعل وفى المتقدمة أولى النفى الذات المنسوب إليها الفعل قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس (قال فيه) فإن قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والأرض بما قبله وأجاب بأن مجادلتهم فى آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم لخلق الناس بالقياس اليه شىء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على الإنسان الضعيف أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى كلامه (قلت) الأولوية فى هذا الاستشهاد ثابتة

مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۞ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۞ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ

الأعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء ۞ وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء أعم (لاريب فيها) لابد من مجيئها ولامحالة وليس بمرتاب فيها لأنه لابد من جزاء (لايؤمنون) لايصدقون بها (ادعونى) اعبدونى والدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتى ۞ والاستجابة الإثابة وفى تفسير مجاهد اعبدونى أثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وأبشروا فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثورى أنه قيل له ادع الله فقال إن ترك الذنوب هو الدعاء وفى الحديث إذا شغل عبدى طاعتى عن الدعاء أعطيته أفضل ماأعطى السائلين وروى النعمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتى دعائى لأن الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه قول ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله هذه الأمة ثلاث خلال لم يعطهن إلا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبى أنت شاهدى على خلقى وقال لهذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ماعليك من حرج وقال لنا مايريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعنى أستجب لك وقال لنا ادعونى أستجب لكم وعن ابن عباس وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد (داخرين) صاغرين (مبصرا) من الإسناد المجازى لأن الإبصار فى الحقيقة لأهل النهار (فإن قلت) لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لأن كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الإسناد المجازى ولو قيل ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألاترى إلى قولهم ليل ساج وساكن لاريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز (فإن قلت) فهلا قيل لمفضل أو لمتفضل (قلت) لأن الغرض تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لايوازيه فضل وذلك إنما يستوى بالإضافة (فإن قلت) فلو قيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس (قلت) فى هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله إن الإنسان لكفور إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان لظلوم كفار (ذلكم) المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التى لايشاركه فيها أحد هو (الله ربكم خالق كل شيء لاإله إلا هو) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق

بدرجتين أحدهما ماذكره من أن القادر على العظيم هو على الحقير أقدر الثانية أن مجادلتهم كانت فى البعث وهو الإعادة ولاشك أن الابتداء أعظم وأبهر من الإعادة فإذا كان ابتداء خلق العظيم يعنى السموات والأرض داخلا تحت القدرة فابتداء خلق الحقير يعنى الناس أدخل تحتها وإعادته أدخل من ابتدائه فهو أولى بأن يكون مقدورا عليه مما اعترفوا به من خلق السموات والأرض بدرجتين وإلى هذا الترتيب وقعت الإشارة بقوله تعالى فى الم غلبت الروم ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون فقرر أن قيام السماء والأرض هو بأمره أى خلقها من آياته فكيف بما هو أحط من قيامها بدرجتين وهو إعادة البشر أهون عليه من الابتداء ليتحقق الدرجتان المذكورتان فقال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإذا تأملت الذى ذكرته منسوبا لما ذكره الزمخشرى علمت أن ماذكره هو لباب المراد لجدد عهدا به إن لم تعلم ذلك ۞ قوله تعالى ولكن أكثر الناس لايشكرون (قال فيه) هلا قيل ولكن أكثرهم فيستغنى عن التكرير وأجاب بأن فى التكرير تخصيصاً لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه إن الإنسان لكفور إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان لظلوم كفار

شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۞ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا

كل شيء وإنشائه لايمتنع عليه شيء والوحدانية لاثانى له (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان ۞ ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا ۞ وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء هذه أيضا دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة وهى أنه جعل الأرض مستقرا (والسماء بناء) أى قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لأن السماء فى منظر العين كقبة مضروبة على وجه الأرض (فأحسن صوركم) وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى فى أحسن تقويم (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ۞ (فإن قلت) أما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه (قلت) بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لأدلة العقل والسمع جميعا وإنما ذكر مايدل على الأمرين جميعا لأن ذكر تناصر الأدلة أدلة العقل وأدلة السمع أقوى فى إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية (لتبلغوا أشدكم) متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما (ولتبلغوا أجلا مسمى) فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة ۞

۞ قوله تعالى قل إنى نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى (قال فيه) فإن قلت النبى عليه الصلاة والسلام قد اتضحت له أدلة العقل على التوحيد قبل مجئ الوحى فعلام تحمل الآية وأجاب بأن الأمر كذلك ولكن البينات مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومتضمنة ذكرها نحو قوله أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل والسمع جميعا وإنما ذكر مايدل على الأمرين جميعا لأن ذكر الأمرين أقوى فى إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية انتهى كلامه (قلت) اللائق بقواعد السنة أن يقال أما معرفة الله تعالى ومعرفة وحدانيته واستحالة كون الأصنام آلهة فمستفاد من أدلة العقول وقد ترد الأدلة العقلية فى مضامين السمعيات وأما وجوب عبادة الله تعالى وتحريم عبادة الأصنام فحكم شرعى لايستفاد إلا من السمع فعلى هذا يترك الجواب عن هذا السؤال وقوله تعالى إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله إنما أريد به والله أعلم تحريم عبادة غير الله فهذا لايستفاد إلا من نهى الله تعالى عن ذلك لا من العقل لكن قاعدة الزمخشرى تقتضى أن تحريم عبادة غير الله تعالى تتلقى من العقل قبل ورود الشرع إذ العقل عنده حاكم بمقتضى التحسين والتقبيح ولهذا أورد الإشكال عليه واحتاج إلى الجواب عنه ثم قوله فى الجواب أن أدلة الشرع مقوية لأدلة العقل ضعيف مع اعتقاده أن العقل يدل على الحكم قطعا وما دل قطعا كيف يحتمل

يقول له كن فيكون ۞ ألم تر إلى الذين يجـدلون فى ءايت الله أنى يصرفون ۞ الذين كذبوا بالكتب وبما
أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ۞ إذ الأغلل فى أعنقهم والسلسل يسحبون ۞ فى الحميم ثم فى النار يسجرون ۞
ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون ۞ من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك
يضل الله الكفرين ۞ ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ۞ ادخلوا
أبوب جهنم خلدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ۞ فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذى نعدهم

وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم أواقتصر على الواحد لأن الغرض بيان الجنس (من قبل) من قبل الشيخوخة أومن قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطا (ولعلكم تعقلون) مافى ذلك من العبر والحجج (فإذا قضى أمراً فإنما) يكونه من غير كلفة ولامعاناة جعل هـذا نتيجة من قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ماذكر من أفعاله الدالة على أن مقدوراً لايمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار إذاقضى أمرا كان أهون شىء وأسرعه (بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنابه رسلنا) من الكتب (فإن قلت) وهل قوله (فسوف يعلمون إذ الأغلال فى أعناقهم) إلى مثل قولك سوف أصوم أمس (قلت) المعنى على إذا إلاأن الأمور المستقبلة لما كانت فى أخبارالله تعالى متيقنة مقطوعابها عبرعنها بلفظ ماكان ووجد والمعنى على الاستقبال ۞ وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الإسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لوقيل إذ أعناقهم فى الأغلال مكان قوله إذ الأغلال فى أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره   مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ۞ ولا ناعب إلا ببين غرابها
كأنه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون (فى النار يسجرون) من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير كأنه سجر بالحب أى ملئ ومعناه أنهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة اللهم أجرنا من نارك فإنا عائذون بجوارك (ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولاننتفع بهم (فإن قلت) أماذكرت فى تفسير قوله تعالى إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم (قلت) يجوزأن يضلواعنهم إذا وبخوا وقيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم فى سائر الأوقات وأن يكونوا معهم فى جميع أوقاتهم إلاأنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً) أى تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئاً كما تقول حسبت أن فلانا شىء فإذا هو ليس بشىء إذا خبرته فلم ترعنده خيراً (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا (ذلكم) الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح (بغير الحق) وهو الشرك وعبادة الأوثان (أدخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لهاسبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم (فإن قلت)

الزيادة والتأكيد والقطعيات لاتفاوت فى ثبوتها ۞ قوله تعالى «فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين» (قال فيه) فإن قلت كان قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وأجاب بأن

(قوله ومنه السجير كأنه سجر) فى الصحاح سجير الرجل صفيه وخليله والجمع السجراء (قوله فى سائر الأوقات) أى باقى الأوقات بعد وقت التوبيخ

أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۞
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ

أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل فى المسجد الحرام فنعم المصلى
(قلت) الدخول المؤقت بالخلود فى معنى الثواء (فإما نرينك) أصله فإن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك
ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمنى أكرمك ولكن إما تكرمنى أكرمك (فإن قلت) لا يخلو إما أن تعطف
(أو نتوفينك) على نرينك وتشركهما فى جزاء واحد وهو قوله تعالى (فإلينا يرجعون) فقولك فإما نرينك بعض الذى
نعدهم فإلينا يرجعون غير صحيح وإن جعلت فإلينا يرجعون مختصاً بالمعطوف الذى هو نتوفينك بقى المعطوف عليه بغير جزاء
(قلت) فإلينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فإما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو
القتل والأسر يوم بدر فذاك أو إن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله
تعالى « فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذى وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون » (ومنهم من لم نقصص عليك)
قيل بعث الله ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف من بنى إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علىّ رضى الله عنه
أن الله تعالى بعث نبياً أسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا فى اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عناداً يعنى أنا قد أرسلنا كثيراً من الرسل وما كان لواحد منهم (أن يأتى بآية إلا بإذن الله) فمن لى بأن آتى بآية مما
تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن فى الإتيان بها (فإذا جاء أمر الله) وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة
(المبطلون) هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحراً ۞ الأنعام الإبل خاصة
(فإن قلت) لم قال (لتركبوا منها) ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا إلى منافع أو هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون
عليها حاجة فى صدوركم (قلت) فى الركوب الركوب فى الحج والغزو وفى بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين
أو طلب علم وهذه أغراض دينية إما واجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس

الدخول الموقت بالخلود فى معنى الثواء ۞ قوله تعالى فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (قال فيه
المصحح للحاق النون المؤكدة دخول ما المؤكدة للشرط ولولا ما لم يجز دخولها) قلت وإنما كان كذلك لأن النون
المؤكدة حقها أن تدخل فى غير الواجب والشرط من قبيل الواجب إلا أنه إذا أكد قوى إبهامه فقربته قوة الإبهام من غير
الواجب فيساغ دخول النون فيه ۞ ثم قال وقوله تعالى أو نتوفينك إما أن يشرك مع الأول فى الشرط ويكون قوله فإلينا
يرجعون جزاء مشركا بينهما فلا يستقيم المعنى على فإما نرينك بعض الذى نعدهم فإلينا يرجعون وإن جعل الجزاء مختصاً
بالثانى بقى الأول بغير جزاء وأجاب بأنه مختص بالثانى وجزاء الأول محذوف تقديره فإما نرينك بعض الذى نعدهم
وهو ما حلّ بهم يوم بدر فذاك أو نتوفينك فإلينا يرجعون فننتقم منهم اهـ كلامه (قلت) وإنما حذف جواب الأول
دون الثانى لأن الأول إن وقع فذاك غاية الأمل فى انتكاثهم فالثابت على تقدير وقوعه معلوم وهو حصول المراد على
التمام وأما إن لم يقع ووقع الثانى وهو توفيه قبل حلول المجازاة بهم فهذا هو الذى يحتاج إلى ذكره للتسلية وتطمين النفس
على أنه وإن تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم فى الآخرة ولا بدّ منه ۞ قال ومثله قوله تعالى فإما نذهبن بك فإنا منهم
منتقمون أو نرينك الذى وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون كأنه يستشهد على أن جزاء الأول محذوف بذكر هذه الآية
۞ قوله تعالى « لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم » (قال فيه) فإن قلت هلا قيل

وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا

المباح الذى لا يتعلق به إرادته ومعنى قوله (وعليها وعلى الفلك تحملون) وعلى الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر (فإن قلت) هلا قيل وفى الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين (قلت) معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأن الفلك وعاء إن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه (فأى آيات الله) جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لإبهامه (وآثاراً) قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم (فما أغنى عنهم) ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعنى أى شىء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم) فرحوا بما عندهم من العلم) فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهكم فى قوله تعالى بل ادراك علمهم فى الآخرة وعلمهم فى الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى إن لى عنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بنى يونان وكانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة فى نفى فرحهم بالوحى الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ومنها أن يجعل الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادى واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهى أبعد شىء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلاف

لتركبوا منها ولتأكلوا منها ولتبلغوا منها ومنها تركبون ومنها تأكلون وعليها تبلغون وأجاب بأن فى الركوب الركوب فى الغزو والحج وفى بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو علم وهذه أغراض دينية إما واجبة أو مندوبة مما يتعلق به إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس المباح الذى لا يتعلق به الإرادة اه كلامه (قلت) جواب متداع للسقوط مؤسس على قاعدة واهية وهى أن الأمر راجع إلى الإرادة فالواجب والمندوب مرادان لأنهما مندرجان فى الأمر والمباح غير مراد لأنه غير مأمور به وهذا من هنيات المعتزلة فى إنكار كلام النفس فلا نطيل فيه النفس وقاعدة أهل الحق أنه لا ربط بين الأمر والإرادة فقد يأمر بخلاف ما يريد ويريد خلاف ما يأمر به فالجواب الصحيح إذن أن المقصود المهم من الأنعام والمنفعة المشهوره فيها إنما هى الركوب وبلوغ الحوائج عليها بواسطة الأسفار والانتقال فى ابتغاء الأوطار فلذلك ذكرهما هنا مقرونين باللام الدالة على التعليل والغرض وأما الأكل وبقية المنافع كالأصواف والأوبار والألبان وما يجرى مجراها

(قوله المباح الذى لا يتعلق به) مبنى على مذهب المعتزلة أن الإرادة بمعنى الأمر فلا تتعلق إلا بالمطلوب وعند أهل السنة هى صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه فتتعلق بجميع الممكنات كما تقرر فى علم التوحيد

(قوله قلت معنى الإيعاء) فى الصحاح أوعيت الزاد والمتاع إذا جعلته فى الوعاء

(قوله على رفض الدنيا والظلاف) فى الصحاح ظلفت نفسى عن كذا بالكسر تظلف ظلفا أى كفت

يكسبون ۞ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۞ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ۞ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ۞

سورة فصلت مكية

وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ حم ۞ تنزيل من الرحمن الرحيم ۞ كتاب فصلت آياته قرءانا عربيا لقوم

عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به ۞ البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس (فإن قلت) أي فرق بين قوله تعالى (فلم يك ينفعهم إيمانهم) وبينه لو قيل فلم ينفعهم إيمانهم (قلت) هو من كان في نحو قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم (فإن قلت) كيف ترادفت هذه الفاآت (قلت) أما قوله تعالى فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وأما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله (سنت الله) بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة و (هنالك) مكان مستعار للزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فإذا جاء أمر الله قضى بالحق أي وخسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له

﴿سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إن جعلت (حم) إسما للسورة كانت في موضع المبتدا و(تنزيل) خبره وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا محذوف و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت أي فرقت

فهي وإن كانت حاصلة منها فغير خاصة بها خصوص الركوب والحمل وتوابع ذلك بل الأكل بالغنم خصوصا الضأن أشهر فلذلك اختيرت الضحايا منها على الغنم فلذلك جردت هذه المنافع بالإخبار عن وجودها فيها غير مقرونة بما يدل على أنها المقصود ۞ قوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا (قال) فإن قلت أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم وأجاب بأن معنى كان هنا معناها في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد بمعنى فلم يستقم ولم يصح أن ينفعهم إيمانهم اه كلامه (قلت) كان الذي ثبت التصرف فيها بإجراء نونها مجرى حروف العلة حتى حذفت للجازم هي كان الكثير استعمالها المكرر دورانها في الكلام وأما كان هذه فليست كثيرة التصرف حتى يتسع فيها بالحذف بل هي مثل صان وحان في القلة فالأولى بقاؤها على بابها المعروف وفائدة دخولها في هذه الآية وأمثالها المبالغة في نفي الفعل الداخلة عليه بتعديد جهة نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتباره في هذه الآية مثلا فكأنه نفي مرتين والله أعلم

يَعْلَمُونَ ۞ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ

بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أى أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أى فصلت آياته فى حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربى المبين لا يلتبس عليهم شىء منه (فإن قلت) بم يتعلق قوله لقوم يعلمون (قلت) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات ۞ وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدإ محذوف (فهم لا يسمعون) لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه ۞ والأكنة جمع كنان وهو الغطاء ۞ الوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (إننا عاملون) أى على ديننا أو فاعمل فى إبطال أمرنا إننا عاملون فى إبطال أمرك وقرئ إنا عاملون ۞ (فإن قلت) هل لزيادة من فى قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة (قلت) نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين وأما بزيادة من فالمعنى أن حجابا ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها (فإن قلت) هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفى آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد

﴿القول فى سورة فصلت﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب الآية (قال فيه) فإن قلت ما فائدة من فى قوله ومن بيننا وبينك حجاب وأجاب بأن فائدتها الدلالة على أن من جهتهم ابتدأ الحجاب ومن جهته أيضا ابتدأ حجاب فيلزم أن المسافة المتوسطة بينهما مملوءة بالحجاب لا فراغ فيها ولولا ذكر من فيها لكان المعنى على أن فى المسافة بينهما حجابا فقط اه كلامه (قلت) لا ينفك المعنى بدخول من عما كان عليه قبل ولو كان الأمر كما ذكر لكانت من مقدرة مع بين الثانية لأنه جعلها مفيدة للابتداء فى الثانية كما هى مفيدة للابتداء فى الأولى فيكون التقدير إذا ومن بيننا ومن بينك حجاب وهذا يخل بمعنى بين إخلالا بينا فإنها تأبى تكرار العامل معها حتى لو قال القائل جلست بين زيد وجلست بين عمرو لم يكن مستقيما لأن تكرار العامل يصيرها داخلة على مفرد فقط ويقطعه عن قرينه المتقدم ومن شأنها الدخول على متعدد لأن فى ضمن معناها التوسط وزاد الزمخشرى على هذا فجعل بين الثانية غير الأولى لأنه جعل الأولى بجهتهم والثانية بجهته وليس الأمر كما ظنه بل بين الأولى هى الثانية بعينها وهى عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضافين وتكرارها إنما كان لأن المعطوف مضمر مخفوض فوجب تكرار حافظه وهو بين والدليل على هذا أنه لا تفاوت باتفاق بين أن تقول جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد وبين عمرو وإنما كان ذكرها مع الظاهر جوازا ومع المضمر وجوبا لما بيناه فإذا وضح ذلك فالظاهر والله أعلم أن موقع من هاهنا كوقعها فى قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وذلك للإشعار بأن الجهة المتوسطة مثلا بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام مبدأ الحجاب لا غير ووجود من قريب من عدمها ألا ترى إلى آخر هذه الآية كيف لم تستعمل فيها من وهى قوله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا

إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ

(قلت) هو على نمط واحد لأنه لافرق فى المعنى بين قولك قلوبنا فى أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم فى أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لايراعون الطباق والملاحظة إلا فى المعانى (فإن قلت) من أين كان قوله (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) جوابا لقولهم قلوبنا فى أكنة (قلت) من حيث أنه قال لهم إنى لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلى دونكم فصحت بالوحى إلى وأنا بشر نبوتى وإذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى إلى أن إلهكم إله واحد (فاستقيموا إليه) فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى مايسول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء (وتوبوا إليه) مما سبق لكم من الشرك (واستغفروه) ۝ وقرئ قال إنما أنا بشر ۝ (فإن قلت) لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة (قلت) لأن أحب شىء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى إلى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم أى يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لايفعلون مايكونون به أزكياء وهو الإيمان الممنون المقطوع وقيل لايمن عليهم لأنه إنما يمن التفضل فأما الأجر فحق أداؤه وقيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون (أئنكم) بهمزتين

على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وكلام الزمخشرى هذا إذا امتحنته بالتحقيق الذى ذكرناه تبين ضعفه والله الموفق وفى هذه الآية وأختها من المبالغة والبلاغة مالا يليق أن ينتظم إلا فى درر الكتاب العزيز فإنها اشتملت على ذكر حجب ثلاثة متوالية كل واحد منها كاف فى فنه فأولها الحجاب الحائل الخارج ويليه حجاب الصمم وأقصاها الحجاب الذى أكن القلب والعياذ بالله فلم تدع هذه الآية حجابا مرتخياً إلا أسبلته ولم تبق لهؤلاء الأشقياء مطمعاً ولا صريخاً إلا استلبته فنسأل الله كفايته قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم الآية (قال) فإن قلت كيف كان هذا جوابا لما تقدمه (وأجاب) بما نلخصه فنقول لما أبوا القبول منه عليه الصلاة والسلام كل الإباء بدأهم بإقامة الحجة على وجوب القبول منه فإنه بشر مثلهم لاقدرة له على إظهار المعجزات التى ظهرت وإنما القادر على إظهارها هو الله تعالى تصديقاً له عليه الصلاة والسلام ثم بين لهم بعد قيام الحجة عليهم أهم مابعث به وهو التوحيد واندرج تحت الاستقامة جميع تفاصيل الشرع وتمم ذلك بإنذارهم على ترك القبول بالويل الطويل ۝ قوله تعالى وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة (قال فيه) فإن قلت لم خص الزكاة وأجاب بأن أحب الأشياء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فبذله مصداق لاستقامته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بملظة من الدنيا وأهل الردة ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا اه كلامه (قلت) كلام حسن بعد تبديل قوله وما خدع المؤلفة فإن استعماله الخداع غير لائق لأنهم إنما تألفهم عليه الصلاة والسلام على الإيمان من قبيل الملاطفة ودفع السيئة بالحسنة وما نحا هذا النحو

(قوله الطباق والملاحظة) لعله والملاحة (قوله إلا بملظة من الدنيا) فى الصحاح لمظ إذا تتبع بلسانه بقية الطعام فى فمه اه فلمظة بمعنى ملموظ كمضغة بمعنى ممضوغ (قوله أئنكم بهمزتين) لعله قرئ بهمزتين الخ

وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا

الثانية بين بين وآ إنكم بألف بين همزتين (ذلك) الذى قدر على خلق الأرض فى مدة يومين هو (رب العالمين ۝ رواسى) جبالا ثوابت (فإن قلت) مامعنى قوله (من فوقها) وهل اختصر على قوله وجعل فيها رواسى كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسى شامخات وجعلنا فى الأرض رواسى وجعل لها رواسى (قلت) لو كانت تحتها كالأساطين لها تستقر عليها أو مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان أيضا وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون المنافع فى الجبال معرضة لطالبيها حاضرة محصليها وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك لابد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته (وبارك فيها) وأكثر خيرها وأنماه (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفى قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام سواء) فذلكة لمدة خلق الله الأرض ومافيها كأنه قال كل ذلك فى أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الله الأرض فى يوم الأحد ويوم الإثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وقال الزجاج فى أربعة أيام فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء أى استواء والرفع على هى سواء (فإن قلت) بم تعلق قوله (للسائلين) (قلت) بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وهذا الوجه الأخير لايستقيم إلا على تفسير الزجاج (فإن قلت) هلا قيل فى يومين وأى فائدة فى هذه الفذلكة (قلت) إذا قال فى أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت فى يومين علم أن مافيها خلق فى يومين فبقيت المخايرة بين أن تقول فى يومين وأن تقول فى أربعة أيام سواء فكانت فى أربعة أيام سواء فائدة ليست فى يومين وهى الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال فى يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الأولين والآخرين أكثرهما (ثم استوى إلى السماء) من قولك استوى إلى مكان كذا إذا

۝ قوله تعالى أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين (قال فيه) إن قوله فى أربعة أيام فذلكة بمدة خلق الله الأرض وما فيها كأنه قال وقدر فيها أقواتها فى يومين آخرين فذلك أربعة أيام سواء وقال ومعنى سواء كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ونقل عن الزجاج أن معنى الآية فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين ثم قال فإن قلت بم تعلق قوله للسائلين وأجاب بأنه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها أو يقدر أى قدر فيها الأقوات لأجل السائلين المحتاجين إليها من المقتاتين ثم قال وهذا الوجه الأخير لايستقيم إلا على تفسير الزجاج انتهى كلامه (قلت) لم يبين امتناعه على التفسير الأول ونحن نبينه فنقول مقتضى التفسير الأول أن قوله فى أربعة أيام فذلكة ومن شأنها الوقوع فى طرف الكلام بعد تمامه فلو جعل قوله للسائلين متعلقا بمقدر لزم وقوع الفذلكة فى حشو الكلام ولا كذلك على تفسير الزجاج فإن الأربعة على قوله من تتمة الأول وهى متعلقة بمقدر على تأويل حذف التتمة تعلق الظرف بالمظروف ليلائم ذلك إتمام الكلام ببيان المقصود من خلق الأقوات بعد بيان من خلقها وتفسير الزجاج والله أعلم أرجح فإنه يشتمل على ذكر مدة خلق الأقوات بالتأويل القريب الذى قدره ومتضمن لما يقوم مقام الفذلكة إذ ذكر جملة العدد الذى هو ظرف لخلقها وخلق أقواتها وعلى تفسير الزمخشرى تكون الفذلكة مذكورة من غير تقدم تصريح بجملة تفاصيلها فإنه لم يذكر منها سوى يومين خاصة ومن شأن الفذلكة أن يتقدم النص على جميع أعدادها مفصلة ثم تأتى هى على الجلة كقوله فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ۝

أَتَيْنَا طَائِعِينَ ❊ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ

توجه إليه توجها لا يلوى على شىء وهومن الاستواء الذى هوضدّالاعوجاج ونحوه قولهم استقام إليه وامتدّ إليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا إليه والمعنى ثم دعاه داعى الحكمة إلى خلق السماء بعدخلق الأرض ومافيها من غيرصارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والأرض على الماء فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ❊ ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذى يسمى التمثيل ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الأمر فيه على أنّ الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه فقالتا آتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته فى المقدورات لا غير من غير أن يحقق شىء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقنى قال الوتد اسأل من يدقنى فلم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى (فإن قلت) لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمهما فى الأمر بالاتيان والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين (قلت) قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى «والأرض بعد ذلك دحاها» فالمعنى ائتيا على ماينبغى أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتى ياأرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائتى ياسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذى أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الأرض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المؤاتاة وهى الموافقة أى لتؤات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا أمرى ومشيئتى ولا تمتنعا (فإن قلت) مامعنى طوعا أو كرها (قلت) هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين (فإن قلت) هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنها سموات وأرضون (قلت) لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين فى موضع طائعات نحو قوله ساجدين (فقضاهنّ) يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء

قوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا آتينا طائعين (قال فيه) إمّا أن يكون هذا من مجاز التمثيل كان عدم امتناعهما على قدرته امتثال المأمور المطيع إذا ورد عليه الأمر المطاع فهذا وجه وإمّا أن يكون تخييلا فيبنى الأمر فيه على أنّ الله تعالى كلم السموات والأرض فأجابتاه والغرض منه تصوير أثر القدرة فى المقدور من غير أن يحقق شيئا من الخطاب والجواب ومثله قول القائل قال الحائط للوتد لم تشقنى فقال الوتد اسأل من يدقنى لم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى اه كلامه (قلت) قد تقدم إنكارى عليه إطلاق التخييل على كلام الله تعالى فإنّ معنى هذا الإطلاق لو كان صحيحا والمراد منه التصوير لوجب اجتناب التعبير عنه بهذه العبارة لما فيها من إيهام وسوء أدب والله أعلم ❊ قوله تعالى «ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين» الآية (قال) فإن قلت لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمها فى الأمر بالإتيان معها والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين وأجاب بأنه قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والأرض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ماينبغى من الشكل ائتى ياأرض مدحوة وقرارا ومهادا وائتى ياسماء سقفا مقببة ❊ ثم قال فإن قلت مامعنى طوعا أو كرها وأجاب بأنه تمثيل للزوم تأثير القدرة فيهما كما يقول الجبار لمن تحت يده افعل هذا شئت أو أبيت ❊ ثم قال فإن قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ وطائعات على المعنى لأنها سموات وأرضون وأجاب بأنه لما جعلن مخاطبات

(قوله فعل الآمر المطاع) لعله أمر الآمر (قوله تصوير أثر قدرته) لعله تأثير

وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۞ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ

على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثانى على التمييز قيل خلق الله السموات وما فيها فى يومين فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة وفى هذا دليل على ماذكرت من أنه لو قيل فى يومين فى موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان (فإن قلت) فلو قيل خلق الأرض فى يومين كاملين وقدر فيها أقواتها فى يومين كاملين أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء (قلت) الذى أورده سبحانه أخصر وأفصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصاة القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب (أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأنها وما يصلحها (وحفظا) وحفظناها حفظا يعنى من المسترقة بالثواقب ويجوز أن يكون مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فإن أعرضوا) بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته ۞ فحذرهم أن تصيبهم صاعقة أى عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة ۞ وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعنى لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لى فيه حيلة وعن

ومجيبات وموصوفات بالطوع والكره ۞ قيل طائعين فى موضع طائعات نحو قوله ساجدين اه كلامه (قلت) لم يحقق الجواب عن السؤال الآخر وذلك أن فى ضمن الآية سؤالين أحدهما لم ذكرها وهى مؤنثة وهذا هو السؤال الذى أورده الثانى أتى بها على جمع العقلاء وهى لا تعقل وهذا لم يذكره فالجواب الذى ذكره مختص بالسؤال الذى لم يذكره ولهذا نظره بقوله ساجدين فإن تلك الآية ليس فيها سوى السؤال عن كونها جمعت جمع العقلاء فأما السؤال الآخر فلا لأن الكلام راجع إلى الكواكب وهى مذكرة والشمس وإن كانت مؤنثة إلا أنه غلب فى الكلام المذكر على المؤنث على المنهاج المعروف فأما هذه الآية فتزيد على تلك بهذا السؤال الآخر وهو أن جميع ما تقدم ذكره من السموات والأرض مؤنثة فيقال أولا لم ذكرها وثانيا لم أتى جمعها المذكر على نعت جمع العقلاء ليتحقق نسبة السؤال والجواب والطوع اللاتى تختص بالعقلاء لا بها ولم يوجد فى جمع المؤنث عدول إلى جمع المذكر لوجود الصيغة المرشدة إلى العقل فيه فتمت الفائدة بذلك على تأويل السموات والأرض بالأفلاك مثلا وما فى معناه من المذكر ثم يغلب المذكر على المؤنث ولا يعدم مثل هذا التأويل فى الأرضين أيضا ۞ قوله تعالى «فقضاهن سبع سموات فى يومين» (قال فيه) قيل إن الله تعالى خلق السموات وما فيها فى يوم الخميس ويوم الجمعة وفرغ آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق آدم فى تتمة اليوم وفيه تقوم القيامة ثم استدل بذلك على ماذكره من أنه لو قال فى يومين فى موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان اه كلامه (قلت) كأنه يستدل بإهمال اليومين عن التأكيد حيث لم يكن خلق السموات بما فيها فى جملة اليومين على أنه إنما فذلك أيام خلق الأرض بما فيها لأنه لو فصلها لم يكن فيها دليل على استيعاب الخلق لكل يومين منها بل كان يجوز أن يكون الخلق فى أحد اليومين وبعض الآخر كما كان فى هذه الآية على النقل الذى ذكر وهذا لا يتم له منه غرض فإن للقائل أن يقول إنما كان خلق السموات بما فيها فى يومين كاملين لأن آدم لمن يكن فى السموات

(قوله من مغاصاة القرائح ومصاك الركب) أى أمكنة الغوص على اللؤلؤ وأمكنة اصطكاك الركب

كفرون * فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى

الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضى وماجرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وماسيجرى عليهم وقيل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم (فإن قلت) الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون (قلت) قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أى من قبلهم وممن يجىء من خلفهم أى من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاؤهم وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم * أن فى (أن لاتعبدوا) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة أصله أنه لاتعبدوا أى بأن بالشأن والحديث قولنا لكم لاتعبدوا * ومفعول شاء محذوف أى (لوشاء ربنا) إرسال الرسل (لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون) معناه فإذ أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون روى أن أبا جهل قال فى ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما ومايخفى علىّ فأتاه فقال أنت يامحمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أى بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنالك من أموالنا ماتستغنى به ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا مانرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا ياعتبة ماحبسك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لايكلم محمدا أبدا ثم قال والله لقد كلمته فأجابنى بشىء والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب (فاستكبروا فى الأرض) أى تعظموا فيها على أهلها بما لايستحقون به التعظم وهو القوة وعظم الأجرام أو استعلوا فى الأرض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية (من أشد منا قوة) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده (فإن قلت) القوة هى الشدة والصلابة فى البنية وهى نقيضة الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية وهى نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لايوصف بالقوة إلا على معنى القدرة فكيف صح قوله (هو أشد منهم قوة) وإنما يصح إذا أريد بالقوة فى الموضعين شىء واحد (قلت) القدرة فى الإنسان هى صحة البنية والاعتدال والقوة والشدة والصلابة فى البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح

حينئذ وبخلقه كمل اليومان على مقتضى ما نقله فتأمله * قوله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة (قال فيه) القوة الشدة فى البنية ونقيضها الضعف والقدرة مالأجله يصح الفعل من الفاعل وهى نقيضة العجز فإن وصف الله تعالى بالقوة فذاك بمعنى القدرة وليست القوة على حقيقتها فكيف صح قوله هو أشد منهم قوة ولا بد أن يراد بالقوة فى الموضعين شىء واحد وأجاب عنه بأن القدرة فى الإنسان صحة البنية والاعتدال والشدة والقوة زيادة فى القدرة فكما صح أن يقال أقدر منهم صح أن يقال أقوى

(قوله من تميز بذات أو لصحة بنية) هذا كقوله الآتى إنه يقدر لذاته تمحل لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة على أنه تعالى قادر بذاته لكن مذهب أهل السنة أنه تعالى قادر بقدرة قائمة بذاته وكذا بقية الصفات كما فى التوحيد

فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ۞ وأما ثمود فهدينهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ۞ ونجينا الذين ءامنوا وكانوا يتقون ۞ ويوم يحشر أعداء

أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم (يجحدون) كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا أى كانوا كفرة فسقة ۞ الصرصر العاصفة التى تصرصر أى تصوت فى هبوبها وقيل الباردة التى تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع ويقبض (نحسات) قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحساً نقيض سعد سعداً وهو نحس وأما نحس فإما مخفف نحس أو صفة على فعل كالضخم وشبهه أو وصف بمصدر ۞ وقرئ لتذيقهم على أن الإذاقة للريح أو للأيام النحسات ۞ وأضاف العذاب إلى الخزى وهو الذل والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خز كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الإسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر ۞ وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء (فهديناهم) فدللناهم على طريق الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الدخول فى الضلالة على الدخول فى الرشد (فإن قلت) أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة (قلت) الدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق له عذراً ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها (صاعقة العذاب) داهية العذاب وقارعة العذاب. و (الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ولو لم يكن فى القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهداً إلا هذه الآية لكفى بها حجة ۞ قرئ يحشر على البناء

منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم انتهى كلامه (قلت) فسر القدرة على خلاف ما هى فى اعتقاد المتكلمين فإن سلم له من حيث اللغة فقد نكص عنه إلى حمل القدرة فى الآية على مقتضاها فى فن الكلام وجعل التفضيل من حيث أن الله تعالى قادر لذاته أى بلا قدرة والمخلوق قادر بقدرة على القاعدة الفاسدة للقدرية ونظير هذا التفسير فى الفساد تفسير قول القائل زيد أعلم من عمرو بإثبات صفة العلم للمفضول وسلبها بالكلية عن الأفضل وهل هذا إلا عته وعمى فى اتباع الهوى وعمه فالحق أن التفضيل إنما جاء من جهة أن القدرة الثابتة للعبد قدرة مقارنة لفعله معلومة قبله وبعده مفقودة غير مؤثرة فى العقل الراجح فى محلها فضلا عن تجاوزها إلى غيره وقدرة الله جلت قدرته مؤثرة فى المقدورات موجودة أزلا وأبدا عامة التعلق بجميع الكائنات من الممكنات فهذا هو النور الذى لا يلوح إلا من إثبات عقائد السنة لمن سبقت له من الله المنة ۞ قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم (قال فيه) فدللناهم على طريق الضلالة والرشد ۞ ثم قال فإن قلت أليس معنى هديته حصلت له الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة وأجاب بأنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذراً ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بحصول موجبها ۞ ثم قال ولو لم يكن فى القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام وكفى به شهيداً إلا هذه الآية لكفى بها حجة انتهى كلامه (قلت)

(قوله وهو معطوف على فاستكبروا) أى قوله تعالى وكانوا الخ (قوله حجة على القدرية الذين هم مجوس) يريد أهل السنة سماهم المعتزلة بذلك لقولهم جميع الحوادث خيرا كانت أو شراً من أفعال العباد الاختيارية أو غيرها فهى بقضاء الله تعالى وقدره خلافا للمعتزلة حيث ذهبوا إلى أن جميع الأفعال الاختيارية ليست بقضائه تعالى وقدره ولا تأثير له فيها أصلا وهذا أحق بالتنقيص الذى يفيده الحديث وفسروا الإضلال والهدى فى قوله تعالى « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » بخلق الضلال وخلق الاهتداء خلافا للمعتزلة حيث فسروا الإضلال بالخذلان وترك العبد وشأنه والهدى بالبيان ونقل

اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا
تَعْمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن

للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أي يحشر الله عز وجل (أعداء الله) الكفار من الأولين والآخرين (يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم توالبهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته ۝ (فإن قلت) ما في قوله (حتى إذا ما جاؤها) ما هي (قلت) مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله تعالى أثم إذا ما وقع آمنتم به أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من المحرمات (فإن قلت) كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق (قلت) الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج أراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما أراد به في قوله تعالى والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على نطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه وإنما قالوا لهم (لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم ۝ المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم (أن الله لا يعلم كثيراً مما) كنتم (تعملون) وهو الخفيات من أعمالكم وذلك الظن هو الذي أهلككم وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم (وذلكم) رفع بالابتداء و(ظنكم) و(أرداكم)

قد أنطقه الله الذي أنطق كل شيء بأن القدرية مجوس هذه الأمة بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم وقد شهد صحبه الأكرمون أن الطائفة الذين قفا الزمخشري أثرهم القدرية المنمجسة الذين أديانهم بأدناس الفساد متنجسة فهم أول منخرط في هذا السلك ومنهبط في مهواة هذا الهلك ۝ ولنرجع إلى أصل الكلام فنقول الهدى من الله تعالى عند أهل السنة حقيقة هو خلق الهدى في قلوب المؤمنين والإضلال خلق الضلال في قلوب الكافرين ثم يرد الهدى على غير ذلك من الوجوه مجازاً واتساعا نحو هذه الآية فإن المراد فيها بالهدى الدلالة على طريقة كما فسره الزمخشري وقد اتفق الفريقان أهل السنة وأهل البدعة على أن استعمال الهدى ههنا مجاز ثم إن أهل السنة يحملونه على المجاز في جميع موارده في الشرع فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون وأي دليل

الذي عن ابن منصور الماتريدي أن الهدى المضاف للخالق يكون تارة بمعنى البيان كما في هذه الآية وتارة بمعنى خلق الاهتداء كما في قوله تعالى «يضل من يشاء ويهدي من يشاء» والمضاف للمخلوق بمعنى البيان فقط ويحتمل أن يكون هدى ثمود بمعنى خلق الاهتداء فيهم وأنهم آمنوا قبل عقر الناقة ثم كفروا وعقروها اه‍ (قوله لأن يخلو منهم) لعله منها

(قوله كما أنطق الشجرة) على زعم المعتزلة أن تكليمه مع موسى عليه السلام هو خلقه الكلام في الشجرة التي كانت عند الطور وعند أهل السنة هو بأن كشف له عن كلامه القديم وأسمعه إياه كما بين في محله

(قوله وذلك الظن هو الذي أهلككم) لعله وذلكم (قوله في سره مراقبة من التشبه) أي مخافة كما أفاده الصحاح

يستعتبوا فما هم من المعتبين ۞ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ۞ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ۞ فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ۞ ذلك

خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر (فإن يصبروا) لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (إن يستعتبوا) وإن يسألوا العتبى وهى الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها ونحوه قوله عز وعلا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أى إن سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أى لا سبيل لهم إلى ذلك (وقيضنا لهم) وقدرنا لهم يعنى لمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان إذا كان متكافئين والمقايضة المعاوضة (قرناء) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله تعالى «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين» (فإن قلت) كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم (قلت) معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض (ما بين أيديهم وما خلفهم) ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) يعنى كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم ومثل فى هذه ما فى قوله :

إن تك عن أحسن الصنيعة مأ ۞ فوكا ففى آخرين قد أفكوا

يريد فأنت فى جملة آخرين وأنت فى عداد آخرين لست فى ذلك بأوحد (فإن قلت) فى أمم ما محله (قلت) محله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (إنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم وقرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصى بذلك بعضهم بعضا (فلنذيقن الذين كفروا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس (عذابا شديدا) يوم بدر . و (أسوأ الذى كانوا يعملون) فى الآخرة (ذلك) إشارة إلى الأسوأ ويجب أن

فى هذه الآية على أهل السنة لأهل البدعة حتى يرميهم بما ينعكس إلى نحره ويذيقه وبال أمره ۞ قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء (قال) فيه كيف جاز أن يقيض لهم قرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم وأجاب بأن معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية انتهى كلامه (قلت) جواب هذا السؤال على مذهب أهل السنة أن الأمر على ظاهره فإن قاعدة عقيدتهم أن الله تعالى قد ينهى عما يريد وقوعه ويأمر بما لا يريد حصوله وبذلك نطقت هذه الآية وأخواتها وإنما تأولها الزمخشرى ليتبعها هواه الفاسد فى اعتقاده أن الله تعالى لا ينهى عما يريد وإن وقع النهى عنه فعلى خلاف الإرادة تعالى الله عن ذلك وبه نستعيذ من جعل القرآن تبعا للهوى وحينئذ فنقول لو لم يكن فى القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام سوى هذه الآية لكفى بها فهذا موضع هذه المقالة التى أنطقه الله بها الذى أنطق كل شىء فى الآية التى قبل هذه

(قوله قرناء أخدانا من الشياطين) أى أصدقاء أفاده الصحاح (قوله قلت معناه أنه خذلهم) هذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يقدر الشر أما على مذهب أهل السنة أنه تعالى يقدره كالخير فلا داعى إلى هذا التكلف قال تعالى « ألم تر إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين » الخ (قوله والهذيان والزمل) الذى فى الصحاح الأزمل الصوت والأزمولة بالضم المصوت من الوعول وغيرها

جزآء أعدآء الله النار لهم فيها دار الخلد جزآء بما كانوا بآياتنا يجحدون ۞ وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ۞ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ۞ نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ۞ نزلا من غفور رحيم ۞ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ۞ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي

يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة و(النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدإ محذوف (فإن قلت) مامعنى قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) (قلت) معناه أن النار فى نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) أى جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذى هو سبب اللغو (اللذين أضلانا) أى الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والإنس) لأن الشيطان على ضربين جنى وإنسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن وقال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق ۞ وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرنى ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطنى ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء فى معنى الإعطاء وأصله الإحضار (ثم) لتراخى الاستقامة عن الإقرار فى المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ماتقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضى الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قلت يارسول الله أخبرنى بأمر أعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ماتخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت بالبشرى وقيل البشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وإذا قاموا من قبورهم (ألا تخافوا) أن بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه ۞ والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا ماتقدمون عليه ولا تحزنوا على ماخلفتم ۞ كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (تدعون) تتمنون ۞ والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال (ممن دعا إلى الله) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت فى المؤذنين وهى عامة فى كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدا معتقدا الدين الإسلام عاملا بالخير داعيا اليه وماهم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة إلى دين الله وقوله (وقال إننى من المسلمين) ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الإسلام

(قوله العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة) إن أراد بهم المعتزلة سموا أنفسهم بذلك فلا وجه للتخصيص

هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ۞ وما يلقيها إلا الذين صبروا وما يلقيها إلا ذو حظ عظيم ۞ وإما ينزغنك من الشيطن نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ۞ ومن ءايته اليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ۞ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له باليل والنهار وهم لا يسئمون ۞ ومن ءايته أنك ترى الأرض خشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير ۞ إن الذين يلحدون

مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبى حنيفة تريد مذهبه ۞ يعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء اليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن اليه مكان إساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ۞ ثم قال وما يلقى هذه الخليقة أو السجية التى هى مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر ۞ وإلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير (فإن قلت) فهلا قيل فادفع بالتى هى أحسن (قلت) هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتى هى أحسن ۞ وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة (فإن قلت) فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتى هى حسنة (قلت) أجل ولكن وضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها ۞ وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه الله والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا ۞ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على شأنك ولا تطعه الضمير فى (خلقهن) لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن فى معنى الآيات فقيل خلقهن (فإن قلت) أين موضع السجدة (قلت) عند الشافعى رحمه الله تعالى (تعبدون) وهى رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبى حنيفة رحمه الله يسأمون لأنها تمام المعنى وهى عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناساً منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لها السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصاً إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين (فان استكبروا) ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الواسطة فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه لا يعدم عابداً ولا ساجداً بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد وقوله (عند ربك) عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ۞ الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود فى قوله تعالى وترى الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال فى زيه وهى قبل ذلك كالذليل الكاسف البال فى الأطمار الرثة وقرئ وربأت أى ارتفعت لأن النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض ۞ يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ

(قوله فى الأطمار الرثة) فى الصحاح الطمر الثوب الخلق والجمع الأطمار

فِى ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۞ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله (لايخفون علينا) وعيد لهم على التحريف ۞ (فان قلت) بم اتصل قوله (إن الذين كفروا بالذكر) (قلت) هو بدل من قوله إن الذين يلحدون فى آياتنا والذكر القرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (وإنه لكتاب عزيز) أى منيع محمى بحماية الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به فإن قلت أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم فى حمايته عن تعلق الباطل به بأن قيض قوما عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن إلا ممحوقا ولا قول مبطل إلا مضمحلا ونحوه قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ما يقال لك أى ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ماقال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزلة إن ربك لذو مغفرة ورحمة لأنبيائه (وذو عقاب) لأعدائهم ويجوز أن يكون مايقول لك الله إلا مثل ماقال للرسل من قبلك والمقول هو قوله تعالى إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض تخويف العصاة كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا (لولا فصلت آياته) أى بينت ولخصت بلسان نفقهه (ءأعجمى وعربى) الهمزة همزة الإنكار يعنى لأنكروا وقالوا أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل إليه عربى وقرئ أعجمى والأعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه من أى جنس كان والعجمى منسوب إلى أمة العجم وفى قراءة الحسن أعجمى بغير همزة الاستفهام على الإخبار بأن القرآن أعجمى والمرسل أو المرسل اليه عربى والمعنى أن آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتاً لأن القوم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم ويجوز فى قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب (فان قلت) كيف يصح أن يراد بالعربى المرسل إليهم وهم أمة العرب (قلت) هو على مايجب ان يقع فى إنكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب إلى قوم من العرب يقول كتاب أعجمى ومكتوب إليه عربى وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتى الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سيق إليه من الغرض ولا يوصل به ما يخل عرضاً آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباساً طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن الكلام لم يقع فى ذكورة اللابس وأنوثته إنما وقع فى غرض وراءهما (هو) أى القرآن (هدى وشفاء) إرشاد إلى الحق وشفاء (لما فى الصدور) من الظن والشك ۞ (فإن قلت) (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به (قلت) لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون فى موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر إلا أن فيه عطفا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وإما أن يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر

۞ قوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى (أجاز) فى الواو فى هذه الآية وجهين أحدهما أن تكون الواو لعطف الذين على الذين ووقر على هدى وشفاء ويكون من العطف على

مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۞ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ۞ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۞ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ۞ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

على حذف المبتدإ أوفى آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمى كقوله تعالى فعميت عليكم (ينادون من مكان بعيد) يعنى أنهم لايقبلونه ولا يرعونه أسماعهم فمثلهم فى ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لايسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء (فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى (فلنفسه) فنفسه نفع (فعليها) فنفسه ضر (وماربك بظلام) فيعذب غير المسيء (إليه يرد علم الساعة) أى إذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لايعلمها إلا الله وقرئ من ثمرات من أكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أى ومايحدث شيء من خروج ثمرة ولاحمل حامل ولاوضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك (أين شركاءى) أضافهم إليه تعالى على زعمهم وبيانه فى قوله تعالى أين شركائى الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع (آذناك) أعلمناك (مامنا من شهيد) أى مامنا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بأنهم شركاؤك أى مامنا إلا من هو موحد لك أومامنا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لايبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أى مامنا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم (وظنوا) وأيقنوا والمحيص المهرب (فإن قلت) آذناك إخبار بإيذان كان منهم فإذ قد آذنوا فلم سئلوا (قلت) يجوز أن يعاد عليهم أين شركائى إعادة للتوبيخ وإعادته فى القرآن على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكي ويجوز أن يكون المعنى أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لانشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء للإيذان ولايكون إخبارا بإيذان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الأمر كيت وكيت (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير (وإن مسه الشر) أى الضيقة والفقر (فيؤس قنوط) ولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ۞ وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أوسعة بعد ضيق قال (هذالى) أى هذا حقى وصل إلى لأنى استوجبته بما عندى من خير وفضل وأعمال بر أوهذا لى لايزول عنى ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو قوله تعالى (وماأظن الساعة قائمة) إن نظن إلا ظنا ومانحن بمستيقنين يريد وماأظنها تكون فإن كانت على طريق التوهم

عاملين قال وإما أن يكون والذين مرفوعا على تقدير والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر على حذف المبتدإ أوفى آذانهم منه وقر اه (قلت) أى وبتقدير الرابط يستغنى عن تقدير المبتدإ

(قوله وقرئ من ثمرات من أكمامهن) يفيد أن القراءة المشهورة من ثمرة من أكمامها والذى فى النسفى من ثمرات من أكمامها ومن ثمرة من أكمامها وأما من ثمرات من أكمامهن فهى المزيدة هنا فحرر (قوله أحواله من الخداج والتمام) أى النقصان كما فى الصحاح

وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

(إن لى) عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر أمنيتان يقول فى الدنيا ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى ويقول فى الآخرة ياليتنى كنت ترابا وقيل نزلت فى الوليد ابن المغيرة فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ماهم عليه سبب الغنى والصحة وأنهم محقوقون بذلك هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم ۝ وإن مسه الضرّ والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الأجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ بشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للإتباع وناء على القلب كما قالوا راء فى رأى (فإن قلت) حقق لى معنى قوله تعالى ونأى بجانبه (قلت) فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا فى قوله تعالى على مافرطت فى جنب الله أن مكان الشىء وجهته ينزل منزلة الشىء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرت فلان ومجالسه وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم فى المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه (أرأيتم) أخبرونى (إن كان) القرآن (من عند الله) يعنى أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبرونى من أضلّ منكم وأنتم أبعدتم الشوط فى مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله تعالى (ممن هو فى شقاق بعيد) موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) يعنى مايسر الله عزوجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه فى آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفى باحة العرب خصوصا من الفتوح التى لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام فى أقطار المعمورة وبسط دولته فى أقاصيها والاستقراء يطلعك فى التواريخ والكتب المدونة فى مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذى لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق

(قوله ونفيت عنه مقام الذئب) فى الصحاح الرجل اللعين شىء ينصب وسط الزرع تسقط به الوجوب قال الشماخ ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين (قوله وفى باحة العرب) أى ساحتهم أفاده الصحاح (قوله وأن الباطل ريحا تخفق) لعله ريح أو لعله وأن الباطل ريحا

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ۝

سورة الشورى مكية

إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنية وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حم ۝ عسق ۝ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ

ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل (بربك) فى موضع الرفع على أنه فاعل كفى و(أنه على كل شىء شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شىء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شىء شهيد أى مطلع مهيمن يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة وقرئ فى مرية بالضم وهى الشك (محيط) عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

﴿سورة حم عسق مكية وهى تسمى سورة الشورى وهى ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قرأ ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما حم سق (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى أو مثل ذلك الكتاب اليك وإلى الرسل (من قبلك الله) يعنى أن ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه من قبلك إلى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحى إليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن إيحاء مثله عادته ۝ وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول (فإن قلت) فما رافع اسم الله على هذه القراءة (قلت) مادلّ عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحى فقيل الله كقراءة السلمى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركائهم على معنى زينه لهم شركاؤهم (فإن قلت) فما رافعه فيمن قرأ نوحى بالنون (قلت) يرتفع بالابتداء ۝ والعزيز وما بعده أخبار والعزيز الحكيم صفتان والظرف خبر ۝ قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن أبى عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روى فى نوادر ابن الأعرابى الابل تشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات ينفطرن منه ۝ (فإن قلت) لم قال من فوقهن (قلت) لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهى العرش والكرسى وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش ومالا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال (ينفطرن من فوقهن) أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن ونظيره فى المبالغة قوله عزّ وعلا يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به

(قوله تكاد السموات يتفطرن منه) لعله يتفطرن وهما قراءتان

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۞ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

مافى بطونهم لجعل الحميم مؤثرا فى أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الأرضين ۞ (فإن قلت) كيف صح أن يستغفروا لمن فى الأرض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم (قلت) قوله (لمن فى الأرض) يدل على جنس أهل الأرض وهذه الجنسية قائمة فى كلهم وفى بعضهم فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله إلا إياهم ألا ترى إلى قوله تعالى فى سورة المؤمن « ويستغفرون للذين آمنوا » وحكايته عنهم «فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك» كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا فى استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران فى قوله تعالى «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا إلى أن قال إنه كان حليما غفورا » وقوله تعالى «إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما (فإن قلت) قد فسرت قوله تعالى «تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق مابعده لهما (قلت) أما على أحدهما فكأنه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن فى الأرض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثانى فكأنه قيل يكدن ينفطرن من إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التى يضيفها إليه الجاهلون به حامدين له على ما أولاهم من ألطافه التى علم أنهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمنى أهل الأرض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا فى ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا فى توبة الكفار والفساق منهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شىء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم إلا هو وحده (وما أنت) يا محمد بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم ولا قسرهم على الإيمان إنما أنت منذر فحسب ۞ ومثل ذلك (أوحينا إليك) وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم وما أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لأن هذا المعنى كرره الله فى كتابه فى مواضع جمة والكاف مفعول به لأوحينا و (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أى أوحيناه إليك وهو قرآن عربى بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا أى ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا بلسانك (لتنذر) يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدى الأول أعنى لتنذر أم القرى إلى المفعول الأول والثانى وهو قوله وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثانى (أم القرى) أهل أم القرى كقوله تعالى واسئل القرية (ومن حولها) من العرب ۞ وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن (يوم الجمع) يوم القيامة لأن الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الأرواح والأجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله و (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له ۞ قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أى متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فإن قلت) كيف يكونون مجموعين متفرقين فى حالة واحدة

(قوله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له) لعله لا محل له من الإعراب

وَلَـٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِ وَٱلظَّـٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَاجًا

(قلت) هم مجموعون فى ذلك اليوم مع افتراقهم فى دارى البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين فى مسجدين وإن أريد بالجمع جمعهم فى الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق (لجعلهم أمة واحدة) أى مؤمنين كلهم على القسر والإكراه كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا والدليل على أن المعنى هو الإلجاء إلى الإيمان قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله تعالى أفأنت تكره بإدخال همزة الإنكار على المكره دون فعله دليل على أن الله وحده هو القادر على هذا الإكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الإيمان ۝ ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بمن يشاء ألا ترى إلى وضعهم فى مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولى ولا نصير فى عذابه ۝ معنى الهمزة فى (أم) الإنكار (فالله هو الولى) هو الذى يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد فالفاء فى قوله فالله هو الولى جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد إنكار كل ولى سواه إن أرادوا وليا بحق فالله هو الولى بالحق لا ولىّ سواه (وهو يحيى) أى ومن شأن هذا الولى أنه يحيى (الموتى وهو على كل شىء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شىء (وما اختلفتم فيه من شىء) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض إلى الله تعالى وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم هو (الله ربى عليه توكلت) فى رد كيد أعداء الدين (وإليه) أرجع فى كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شىء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله تعالى فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى (فإن قلت) هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين فى أحكام الشريعة (قلت) لا لأن الاجتهاد لا يجوز بحضرة رسول الله ﷺ (فاطر السموات) قرئ بالرفع والجر فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدإ محذوف والجر على فحكمه إلى الله فاطر السموات وذلكم إلى أنيب اعتراض بين الصفة والموصوف (جعل لكم) خلق لكم (من أنفسكم) من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الأنعام أزواجا) أى وخلق من الأنعام

﴿القول فى سورة حم عسق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه (قال إن الضمير المتصل بيذرؤ عائد على الأنفس وعلى الأنعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهى من الأحكام

(قوله لقسرهم جميعا على الإيمان) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فالإرادة تستلزم وجود المراد لكن لا تستلزم القسر والجبر للعباد لأنها لا تنافى الاختيار لما لهم فى أعمالهم من الكسب وإن كانت مخلوقة له تعالى وأما التى لا تستلزم المراد وهى التى سماها مشيئة الحكمة فهى التى بمعنى الأمر عند المعتزلة ولا يثبتها أهل السنة كما تقرر فى التوحيد فمعنى الآية ولو شاء ربك إيمان الكل لآمن الكل ولكن شاء إيمان البعض فآمن من شاء إيمانه

يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ۞ له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم ۞ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم

أزواجا ومعناه وخلق الأنعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذرو والدرو والذرء أخوات (فيه) فى هذا التدبير وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل والضمير فى يذرؤكم يرجع إلى المخاطبين والأنعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهى من الأحكام ذات العلتين (فإن قلت) ما معنى يذرؤكم فى هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به (قلت) جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ألا تراك تقول للحيوان فى خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم فى القصاص حياة ۞ قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربى العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه وفى حديث رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد إلى طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى أنهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال ۞ فأصبحت مثل كعصف مأكول ۞ وقرئ ويقدر (إنه بكل شيء عليم) فإذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره (شرع لكم من الدين) دين

ذات العلتين انتهى كلامه) قلت الصحيح أنهما حكمان متباينان غير متداخلين أحدهما مجيئه على نعت ضمير العقلاء أعم من كونه مخاطبا أو غائبا والثانى مجيئه بعد ذلك على نعت الخطاب فالأول لتغليب العقل والثانى لتغليب الخطاب ۞ قوله تعالى «ليس كمثله شيء» (قال) فيه تقول العرب مثلك لا يبخل فينفون البخل عن مثله والمراد نفسه ونظيره قولك للعربى العرب لا تخفر الذمم ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه وفى حديث رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته تريد طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يكن فرق بين قولك ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها ونحوه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور ولا بسط لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون بها شيئا آخر حتى أنهم يستعملونها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل وفيمن لا مثل له ثم قال ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررت فى قول من قال وصاليات ككما يؤثفين ۞ ومن قال ۞ فأصبحت مثل كعصف مأكول ۞ انتهى كلامه (قلت) هذا الوجه الثانى مردود على ما فيه من الإخلال بالمعنى وذلك أن الذى يليق هنا تأكيد نفى المماثلة والكاف على هذا الوجه إنما تؤكد المماثلة وفرق بين تأكيد المماثلة المنفية وبين تأكيد نفى المماثلة فإن نفى المماثلة المهملة عن التأكيد أبلغ وآكد فى المعنى من نفى المماثلة المقترنة بالتأكيد إذ يلزم من نفى المماثلة الغير المؤكدة نفى كل مماثلة ولا يلزم من نفى مماثلة محققة متأكدة بالغة نفى مماثلة دونها فى التحقيق والتأكيد وحيث وردت الكاف مؤكدة للمماثلة وردت فى الإثبات فأكدته فليس النظر فى الآية بهذين النظرين مستقيما والله أعلم مما يرشد إلى صحة ما ذكرته أن للقائل أن يقول ليس زيد شبيهاً بعمرو لكن مشبهاً له ولو عكس هذا لم يكن صحيحاً

(قوله لا تخفر الذمم كان أبلغ) فى الصحاح أخفرته إذا نقضت عهده وغدرت به وفيه أيفع العلام أى ارتفع وهو يافع ولا تقول موفع وقوله كان أبلغ لعل تقديره فإن قلت له ذلك كان أبلغ (قوله وصاليات فكما يؤثفين) أى أحجار تلاقى النار ويؤثفين أى يجعلن أثافى للقدر وهى الأحجار التى توضع عليها القدر عند الطبخ

وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴿١٣﴾ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ﴿١٤﴾ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴿١٥﴾ والذين يحاجون في الله من بعد

نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه) والمراد إقامة دين الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر مايكون الرجل بإقامته مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان أقيموا إما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه وإما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هى إقامة الدين ونحوه قوله تعلق أن هذه أمتكم أمة واحدة (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم إليه) من إقامة دين الله والتوحيد (يجتبى إليه) يجتلب إليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء) من ينفع فيهم توفيقه ويجرى عليهم لطفه (وماتفرقوا) يعنى أهل الكتاب بعد أنبياءهم (إلا من بعد) أن علموا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى عدة التأخير إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) وهم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفى شك) من كتابهم لايؤمنون به حق الإيمان وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله إليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغى بينهم وقيل وماتفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل وقرئ ورثوا وورثوا (فلذلك) فلأجل التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرك الله (ولاتتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة بما أنزل الله من كتاب أى كتاب صح أن الله أنزله يعنى الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الكافرون حقا (لأعدل بينكم) فى الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إلى (لاحجة بيننا وبينكم) أى لاخصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلاحاجة إلى المحاجة ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والإلزام (فإن قلت) كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والإجلاء (قلت) المراد محاجزتهم فى مواقف المقاولة لا المقاتلة (يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد ما استجيب له) الناس ودخلوا فى الإسلام ليردوهم إلى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من

وما ذاك إلا أنه يلزم من نفى أدنى المشابهة نفى أعلاها ولا يلزم من نفى أعلاها نفى أدناها ففى أكد التشبيه قصر عن المبالغة والوجه الأول الذى ذكره هو الوجه فى الآية عنده وأنى بمطية الضعف فى هذا الوجه الثانى بقوله ولك أن تزعم فافهم

مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۞ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۞ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۞ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۞ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ

بعد إيمانكم كفاراً كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام (داحضة) باطلة زالة (أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى إنزال العدل أنه أنزله فى كتبه المنزلة وقيل الذى يوزن به ۞ بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيداً من الباطل أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك (الساعة) فى تأويل البعث فلذلك قيل (قريب) أو لعل مجىء الساعة قريب (فإن قلت) كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب والميزان (قلت) لأن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذى يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم ويوفى لمن أوفى ويطفف لمن طفف ۞ المماراة الملاجة لأن كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه (لفى ضلال بعيد) من الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء (لطيف بعباده) بر بليغ البر بهم قد توصل بره إلى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلياته وجزئياته (فإن قلت) فما معنى قوله (يرزق من يشاء) بعد توصل بره إلى جميعهم (قلت) كلهم مبرورون لا يخلو أحد من بره إلا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذى أراد بقوله تعالى يرزق من يشاء كما يرزق أحد الأخوين ولداً دون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شىء (العزيز) المنيع الذى لا يغلب سمى ما يعمله العامل مما يبغى به الفائدة والزكاء حرثاً على المجاز وفرق بين عملى العاملين بأن من عمل للآخرة وفق فى عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى شيئاً منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذى قسم له وفرغ منه وماله نصيب قط فى الآخرة ولم يذكر فى معنى عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب معنى الهمزة فى (أم) التقرير والتقريع ۞ وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذى شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به

۞ قوله تعالى «من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب» (قال فرق بين عملى العاملين بأن من عمل للآخرة وفق فى عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله الدنيا أعطى منها شيئاً لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذى قسم له وفرغ منه وماله فى الآخرة من نصيب ولم يذكر فى معنى عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك فى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب

(قوله ونحن خير منكم وأولى بالحق الخ) لعله فنحن كعبارة النسفى (قوله الملاجة لأن كل واحد) بالجيم التمادى فى الخصومة ويمرى أى يستخرج كذا فى الصحاح

ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۞ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا

وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما أضيفت اليهم لأنهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة إلى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم صلوات الله عليه إنهن أضللن كثيراً من الناس (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أى ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفاً له على كلمة الفصل يعنى ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا (ترى الظالمين) فى الآخرة (مشفقين) خائفين خوفا شديداً أرق قلوبهم (مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) يريد ووباله واقع بهم وواصل اليهم لابد لهم منه أشفقوا أولم يشفقوا ۞ كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (عند ربهم) منصوب بالظرف لا بيشاؤن ۞ قرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر من بشره والأصل ذلك الثواب الذى يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده روى أنه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً فنزلت الآية (إلا المودة فى القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا أى لا أسألكم أجراً إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتى ولم يكن هذا أجراً فى الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم فى المروءة ويجوز أن يكون منقطعاً أى لا أسألكم أجراً قط ولكننى أسألكم أن تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم (فإن قلت) هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى ومعنى قوله إلا المودة فى القربى (قلت) جعلوا مكانا للمودة ومقراً لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى قرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل عليه ماروى عن على رضى الله عنه شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لى فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازيه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقينى يوم القيامة وروى أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضى الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فى مجالسهم فقال يامعشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى قالوا بلى يارسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى قالوا بلى يارسول الله قال أفلا تجيبوننى

۞ قوله تعالى إلا المودة فى القربى (قال فيه) إن قلت هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى وأجاب بأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقراً لها كقولك لى فى آل فلان هوى وحب شديد وليس فى صلة المودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى وإنما هى متعلقة بمحذوف تقديره إلا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها انتهى كلامه (قلت) وهذا المعنى هو الذى قصد بقوله فى الآية التى تقدمت إن قوله يذرؤكم فيه إنما جاء عوضا من قوله يذرؤكم به فافهمه

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ

قالوا ما نقول يارسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا ومافى أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى إلا أن تودونى فى القربى أى فى حق القربى ومن أجلها كما تقول الحب فى الله والبغض فى الله بمعنى فى حقه ومن أجله يعنى أنكم قومى وأحق من أجابنى وأطاعنى فإذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذونى ولا تهيجوا علىّ وقيل أتت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يارسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ماينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب إلى الله تعالى أى إلا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح ۞ وقرئ إلا المودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) عن السدى أنها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم فى أى حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولا أوليا كأن سائر الحسنات لها توابع ۞ وقرئ يزد أى يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهى مصدر كالبشرى ۞ الشكور فى صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها (فإن يشأ الله يختم على قلبك) فإن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب فإنه لايجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان فى مثل حالهم وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الأمناء فيقول لعل الله خذلنى لعل الله أعمى قلبى وهو لايريد إثبات الخذلان وعمى القلب وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم ثم قال ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق (بكلماته) بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعنى لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز أن يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذى لامرد له من نصرتك عليهم إن الله عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الأمر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لايشق عليك أذاهم (فإن قلت) إن

(قوله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله) لعله مكتوبا (قوله ومعنى الهمزة فيه التوبيخ) لعله فيها (قوله من البهت والتكذيب) أى اتهام الإنسان بما ليس فيه

مَا تَفْعَلُونَ ۝ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ

كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة فى الخط (قلت) كما سقطت فى قوله تعالى ويدع الإنسان بالشر وقوله تعالى سندع الزبانية على أنها مثبتة فى بعض المصاحف يقال قبلت منه الشىء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وأبنته عنه و التوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لايعاود لأنّ المرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصى على طريقه وروى جابر أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه ياهذا إنّ سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى التوبة فقال ياأمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة وردّ المظالم وإذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيآت) عن الكبائر إذا تيب عنها وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر ويعلم مايفعلون قرئ بالتاء والياء أى يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته (ويستجيب الذين آمنوا) أى يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف فى قوله تعالى وإذا كالوهم أى يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا أو إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ماطلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم أى يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها (ويزيدهم) هو (من فضله) على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه إذا دعاهم وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لأنه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو إلى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا (لبغوا) من البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لأنّ الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أخوف ماأخاف على أمّتى زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمى ينبت بيننا ۝ وبين بنى رومان نبعا وشوحطا

يعنى أنهم أحيوا فحدثوا أنفسهم بالبغى والتفاتن أو من البغى وهو البذخ والكبر أى لتكبروا فى الأرض وفعلوا مايتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت فى قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب ابن الأرت فينا نزلت وذلك أنا نظرنا إلى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها (بقدر) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (خبير بصير) يعرف ما يؤول إليه أحوالهم فيقدّر لهم ماهو أصلح لهم وأقرب إلى جمع شملهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا (فإن قلت) قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فإن كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم فإن كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغى بدون البسط فلم شرطه (قلت) لاشبهة فى أنّ البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب ظاهر الإقدام على البغى والإحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغى حتى ينقلب الأمر إلى عكس ماعليه الآن قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه ومايحصل به من الخصب وعن عمر رضى الله عنه أنه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا إذاً أراد هذه الآية ويجوز أن يريد رحمته فى كل شىء كأنه قال ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة (الولى) الذى يتولى عباده بإحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومابث) يجوز أن يكون مرفوعا

(قوله مبطرة مأشرة) فى الصحاح الأشر البطر (قوله وقد جعل الوسمىّ الخ) مطر الربيع الأوّل لأنه يسم الأرض بالنبات والنبع والشوحط نوعان من شجر الجبال تتخذ منهما القسىّ كذا فى الصحاح (قوله عكس ماعليه الآن) لعله ماهو عليه

فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۞ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ۞ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى

ومجرورا يحمل على المضاف إليه والمضاف ۞ (فإن قلت) لم جاز (فيهما من دابة) والدواب فى الأرض وحدها (قلت) يجوز أن ينسب الشىء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل وإنما هو فى فخذ من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح ويجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الأناسى ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانا يمشى فيها مشى الأناسى على الأرض سبحان الذى خلق ما نعلم وما لا نعلم من أصناف الخلق ۞ إذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضى قال الله تعالى والليل إذا يغشى ومنه (إذا يشاء) وقال الشاعر

وإذا ما أشاء أبعث منها ۞ آخر الليل ناشطا مذعورا

۞ فى مصاحف أهل العراق (فبما كسبت) بإثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفى مصاحف أهل المدينة بما كسبت بغير فاء على أن ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط الآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع أن يستوفى الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فأما من لا جرم له كالأنبياء والأطفال والمجانين فهؤلاء إذا أصابهم شىء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى إحسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات فى كل أوان وجناياته فى طاعاته أكثر من جناياته فى معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة وعن على رضى الله عنه وقد رفعه من عفى عنه فى الدنيا عفى عنه فى الآخرة ومن عوقب فى الدنيا لم تثن عليه العقوبة فى الآخرة وعنه رضى الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن (بمعجزين)

۞ قوله تعالى وما بث فيهما من دابة (قال فيه فإن قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب فى الأرض وحدها) وأجاب بأنه يجوز أن ينسب الشىء إلى جميع المذكور وإن كان لبعضه كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح الخ قال أحمد إطلاق الدواب على الأناسى بعيد من عرف اللغة فكيف فى إطلاقه على الملائكة والصواب والله أعلم هو الوجه الأول وقد جاء مفسرا فى غير ما آية كقوله إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ثم قال وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة فخص هذا الأمر بالأرض والله أعلم ۞ قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير (قال فيه الآية مخصوصة بالمجرمين الخ) قال أحمد هذه الآية تنكسر عندها القدرية ولا يمكنهم ترويج حيلة فى صرفها عن مقتضى نصها فإنهم حملوا قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء على التائب وهو غير ممكن لهم ههنا فإنه قد أثبت التبعيض فى العفو ومحال عندهم أن يكون العفو هنا مقرونا بالتوبة فإنه يلزم تبعيض التوبة أيضا وهى عندهم لا تتبعض وكذلك نقل الإمام عن أبى هاشم وهو رأس الاعتزال والذى تولى كبره منهم فلا محمل لها إلا الحق الذى لا مرية فيه وهو رد العفو إلى مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة وقول الزمخشرى إن الآلام التى تصيب الأطفال والمجانين لها أعواض إنما يريد به وجوب العوض على الله تعالى على سياق معتقده وقد أخطأ على الأصل والفرع لأن المعتزلة وإن أخطأت فى إيجاب العوض فلم تقل بإيجابه فى الأطفال والمجانين ألا ترى أن القاضى أبا بكر ألزمهم قبح إيلام البهائم والأطفال والمجانين فقال لا أعراض لها وليس مترتبا على استحقاق سابق فيحسن فإنما يتم إلزامه بموافقتهم له على أن لا أعواض لها

(قوله فخذ) العشاير أقلها الفخذ وفوقه البطن ثم العمارة ثم الفصيلة ثم القبيلة ثم الشعب فهو أكثرها أفاده الصحاح

الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۝ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۝ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ

بفائتين ماقضى عليكم من المصائب (من ولى) من متول بالرحمة (الجوارى) السفن وقرئ الجوار (كالأعلام) كالجبال قالت الخنساء كأنه علم فى رأسه نار ۝ وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل (رواكد) ثوابت لاتجرى (على ظهره) على ظهر البحر (لكل صبار) على بلاء الله (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذى وكل همته بالنظر فى آيات الله فهو يستملى منها العبر (يوبقهن) يهلكهن والمعنى أنه إن يشأ يبتلى المسافرين فى البحر بإحدى بليتين أما أن يسكن الريح فيركد الجوارى على متن البحر ويمنعهن من الجرى وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكن إغراقا ۝ بسبب ما كسبوا من الذنوب (ويعف عن كثير) منها (فإن قلت) علام عطف يوبقهن (قلت) على يسكن لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (فإن قلت) فما معنى إدخال العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه (قلت) معناه أو إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (فإن قلت) فمن قرأ ويعفو (قلت) قد استأنف الكلام ۝ (فإن قلت) فما وجوه القراآت الثلاث فى (ويعلم) قلت أما الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه فى العطف على التعليل المحذوف غير عزيز فى القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على إضمار أن لأن قبلها جزاء تقول ماتصنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وان شئت وأكرمك جزما ففيه نظر لما أورده سيبويه فى كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو فى قوله إن تأتنى آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله والحق بالحجاز فأستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه فى الجزاء صار أقوى قليلا لأنه ليس بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من الأول فعل فلما ضارع الذى لايوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه اه ولايجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة (فإن قلت) فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم (قلت) كأنه قال وإن يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين (من محيص) من محيد عن عقابه ۝ ما الأولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية عن على رضى الله عنه اجتمع لأبى بكر رضى الله عنه مال فتصدق به كله فى سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى (كبائر الإثم) الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه كبير الإثم هو الشرك (هم يغفرون) أى هم الأخصاء بالغفران فى حال الغضب لايغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجىء بهم

۝ قوله تعالى إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره (قال فيه معناه ثوابت لاتجرى على ظهر البحر قال أحمد وهم يقولون إن الريح لم ترد فى القرآن إلا عذابا بخلاف الرياح وهذه الآية تخرم الاطلاق فإن الريح المذكورة هنا نعمة ورحمة إذ بواسطتها يسير الله السفن فى البحر حتى لو سكنت لركدت السفن ولاينكر أن الغالب من ورودها مفردة ماذكروه وأما اطراده فلا وما ورد فى الحديث اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا فلأجل الغالب فى الاطلاق والله أعلم

شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۞ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا

وإيقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الأنصار دعاهم الله عزوجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس ۞ وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أى لاينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم ۞ والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة شورى ۞ هو أن يقتصروا فى الانتصار على ماجعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعى أنه كان إذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق (فإن قلت) أهم محمودون على الانتصار (قلت) نعم لأن من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف فى القتل إن كان ولى دم أورد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود ۞ كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال الله تعالى «وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك» يريد مايسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فإذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء كما قال تعالى «فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم» (فأجره على الله) عدة مبهمة لايقاس أمرها فى العظم وقوله (إنه لايحب الظالمين) دلالة على أن الانتصار لايكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا فى حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازى من الظالمين وهو لايشعر وعن النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة بإذن الله (بعد ظلمه) من إضافة المصدر إلى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ماظلم (فأولئك) إشارة إلى معنى من دون لفظه (ماعليهم من سبيل) للمعاقب ولا للعاتب والعائب (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدئونهم بالظلم (ويبغون فى الأرض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (ولمن صبر) على الظلم والأذى (وغفر) ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله (إن ذلك) منه (لمن عزم الأمور) وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب رجلا فى مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب إليه ثم الأمر قد ينعكس فى بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوبا إليه وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغى وقطع مادة الأذى وعن النبى صلى الله عليه وسلم مايدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهى فقال لعائشة دونك فانتصرى

۞ قوله تعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لايحب الظالمين) (قال فيه دلالة على أن الانتصار لايكاد يؤمن فيه الخ) قال أحمد معنى حسن يجاب به عن قول القائل لم ذكر هذا عقب العفو مع أن الانتصار ليس بظلم فيشفى غليل السائل

(قوله الحرد) فى الصحاح الحرد بالتحريك الغضب

ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۞ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۞ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ۞ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۞ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا

(ومن يضلل الله) ومن يخذل الله (فما له من ولىّ من بعده) فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل) وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفى بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل فى نظره إلى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفى وفيه تعسف (يوم القيامة) إما أن يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا فى الدنيا وإما أن يتعلق بقال أى يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة (من الله) من صلة لا مرد أى لا يرده الله بعد ما حكم به أو من صلة يأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده ۞ والنكير الإنكار أى مالكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون فى صحائف أعمالكم ۞ اراد بالإنسان الجمع لا الواحد لقوله وإن تصبهم سيئة ولم يرد إلا المجرمين لأن إصابة السيئة بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم ۞ والرحمة النعمة من الصحة والغنى والأمن . والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف ۞ والكفور البليغ الكفران ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال إن الإنسان لظلوم كفار إن الإنسان لربه لكنود والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها ۞ لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك أن لله الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط (فإن قلت) لم قدم الإناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث (قلت) لأنه ذكر البلاء فى آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتى من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض

ويحصل منه على كل طائل ۞ ومن هذا النمط والله الموفق قوله تعالى « وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور » (قال فيه لم يقل فإنه كفور ليسجل على هذا الجنس أنه موسوم بكفران النعم الخ) قال أحمد وقد أغفل هذه النكتة بعينها فى الآية التى قبل هذه وهى قوله تعالى (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم » فوضع الظالمين موضع الضمير الذى كان من حقه أن يعود على اسم إن فيقال ألا إنهم فى عذاب مقيم فأتى هذا الظاهر تسجيلا عليهم بلسان ظلمهم

(قوله ومن يخذل الله فما له من ولىّ) تأويل على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يخلق الشر وعند أهل السنة يخلقه كالخير فالإضلال خلق الضلال ومن بعده أى من بعد إضلاله (قوله كما ترى المصبور ينظر إلى السيف) أى المحبوس للقتل أفاده الصحاح (قوله وينسى النعم ويغمطها) يبطرها ويحقرها أفاده الصحاح

إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ۞ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ۞ أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ۞ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم ۞ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك

آخر فقال (ذكرانا وإناثا) كما قال إنا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وقيل نزلت فى الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط إناثا ولإبراهيم ذكورا ولمحمد ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين (إنه عليم) بمصالح العباد (قدير) على تكوين ما يصلحهم (وما كان لبشر) وما صح لأحد من البشر (أن يكلمه الله إلا) على ثلاثة أوجه إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف فى القلب أو المنام كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام فى ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام فى صدره قال عبيد ابن الأبرص

وأوحى إلىّ الله أن قد تأمروا ۞ بإبل أبي أوفى فقمت على رجل

أى ألهمنى وقذف فى قلبى وإما على أن يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لأنه فى ذاته غير مرئى وقوله (من وراء حجاب) مثل أى كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى وقيل وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولا) أى نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم ووحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل فى معنى إرسال ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون موحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفى فى سرعة كما تقول لا أكلمه إلا جهرا وإلا خفاتا لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وإنما قاله وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو إسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا فى معنى أن يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أى إلا بأن يوحي أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو أو أن يسمع من وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا فى معنى موحيا وروى أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أو لم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية (إنه علىّ) عن صفات المخلوقين (حكيم) يجرى أفعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة إما إلهاما وإما خطابا (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى إليه لأن الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيي الجسد بالروح ۞ (فإن قلت) قد علم أن رسول الله صلى الله

قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان (قال فإن قلت قد علم أن النبي عليه الصلاة والسلام ما كان يدرى

(قوله لأنه فى ذاته غير مرئى) أى لا تجوز رؤيته وهذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فتجوز كما تقرر فى محله
(قوله أو أن يسمع من وراء حجاب) لعله أو بأن

لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۝

سورة الزخرف

إلا آية ٥٤ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي

عليه وسلم ما كان يدرى ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله (ولا الإيمان) والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التى فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر (قلت) الإيمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى ألا ترى أنه قد فسر الإيمان فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم بالصلاة لأنها بعض ما يتناوله الإيمان (من نشاء من عبادنا) من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدى عليه (صراط الله) بدل ۝ وقرئ لتهدى أى يهديك الله وقرئ لتدعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

﴿سورة الزخرف مكية﴾

وقال مقاتل إلا قوله واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وهى تسع وثمانون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم

الكتاب قبل الوحى الخ) قال أحمد لما كان معتقد الزمخشرى أن الإيمان اسم التصديق مضافا إليه كثير من الطاعات فعلا وتركا حتى لا يتناول الموحد العاصى ولو بكبيرة واحدة اسم الإيمان ولا يناله وعد المؤمنين وتفطن لإمكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية عدها فرصة لينتهزها وغنيمة ليحرزها وأبعد الظن بإرادة مذهب أهل السنة على صورة السؤال ليجيب عنه بمقتضى معتقده فكأنه يقول لو كان الإيمان وهو مجرد التوحيد والتصديق كما تقول أهل السنة للزم أن ينفى عن النبى عليه الصلاة والسلام قبل المبعث بهذه الآية كونه مصدقا ولما كان التصديق ثابتاً للنبى عليه الصلاة والسلام قبل البعث باتفاق الفريقين لزم أن لا يكون الإيمان المنفى فى الآية عبارة عما اتفق على ثبوته وحينئذ يتعين صرفه إلى مجموع أشياء من جملتها التصديق ومن جملتها كثير من الطاعات التى لم تعلم إلا بالوحى وحينئذ يستقيم نفيه قبل البعث وهذا الذى طمع فيه يخرط القتاد ولا يبلغ منه ما أراد وذلك أن أهل السنة وإن قالوا أن الإيمان هو التصديق خاصة حتى يتصف به كل موحد وإن كان فاسقاً يخصون التصديق بالله وبرسوله فالنبى عليه الصلاة والسلام مخاطب فى الإيمان بالتصديق برسالة نفسه كما أن أمته مخاطبون بتصديقه ولا شك أنه قبل الوحى لم يكن يعلم أنه رسول الله وما علم ذلك إلا بالوحى وإذا كان الإيمان عند أهل السنة هو التصديق بالله ورسوله ولم يكن هذا المجموع ثابتاً قبل الوحى بل كان الثابت هو التصديق بالله تعالى خاصة استقام نفى الإيمان قبل الوحى على هذه الطريقة الواضحة والله أعلم

﴿القول فى سورة الزخرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ «حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون» الآية (قال فيه أقسم بالكتاب المبين وجعل قوله إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم الخ) قال أحمد تنبيه حسن جداً ووجه التناسب فيه أنه أقسم بالقرآن وإنما يقسم بعظيم ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بأنه قرآن عربى مرجو به أن يعقل به العالمون أى يتعقلوا آيات الله تعالى

أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ﴿ وكم أرسلنا من نبيّ فى الأولين ﴿ وما يأتيهم من نبيّ إلا كانوا به يستهزءون ﴿ فأهلكنا أشدّ منهم بطشا ومضى مثل الأولين ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم ﴿ الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل

وهو من الإيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبى تمام وثناياك إنها إغريض (المبين) البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم وقيل الواضح للتدبرين وقيل المبين الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ماتحتاج إليه الأمة فى أبواب الديانة (جعلناه) بمعنى صيرناه معدى إلى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى إلى واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور و (قرآنا عربيا) حال ﴿ ولعلّ مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجى أى خلقناه عربيا غير عجمى إرادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته ﴿ وقرئ أمّ الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ سمى بأم الكتاب لأنه الأصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ﴿ على رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة أى منزلته عند منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت فى أم الكتاب هكذا (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) بمعنى أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل وقال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ﴿ ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ماقدم من إنزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه وصفحا على وجهين إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا عنكم وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفى هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوف وينتصب على الحال أى صافحين معرضين (إن كنتم) أى لأن كنتم وقرئ أن كنتم وإذ كنتم (فإن قلت) كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البتّ (قلت) هو من الشرط الذى ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك ولكنه يخيل فى كلامه أن تفريطك فى الخروج عن الحق فعل من له شك فى الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه ﴿ الضمير فى (أشد منهم) للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الأولين) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (فإن قلت) قوله (ليقولن خلقهن العزيز العليم) وما سرد من الأوصاف عقيبه إن كان من

فكان جواب القسم مصححا للقسم وكذلك أقسم أبو تمام بالثنايا وإنما يقسم الشعراء بمثل هذه الأشعار بأنه فى غاية الحسن ثم جعل المقسم عليه كونها فى نهاية الحسن لأنها هى أغريض وهو من أحسن تشبيهات الثنايا فجعل المقسم عليه مصححا للقسم والله أعلم ﴿ عاد كلامه إلى قوله تعالى « لعلكم تعقلون » (فسره بالإرادة) وقد بينا فساد ذلك غير مامرة ﴿ قوله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا » الآية (قال فيه فإن قلت قوله ليقولن خلقهن

(قوله إنها إغريض) فى الصحاح الإغريض والغريض الطلع وكل أبيض طرى (قوله لتلاحظ معناها) لعله ليلاحظ (قوله ومعنى الترجى) لعله أو معنى (قوله قونس الفرس) العظم الناتئ بين أذنى الفرس كذا فى الصحاح (قوله عن المدلّ بصحة الأمر) أى المواثق أفاده الصحاح

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ

قولهم فما تصنع بقوله فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون وإن كان من قول الله فما وجهه (قلت) هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن إن خلقهن العزيز العليم الذي هو من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه (بقدر) بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا و(الأزواج) الأصناف (ما تركبون) أي تركبونه (فإن قلت) يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال ما تركبونه (قلت) غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه (على ظهوره) على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام ۝ ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بألسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا ركب

العزيز العليم وما سرد من الأوصاف عقبه إن كان من قولهم الخ) قال أحمد الذي يظهر أن الكلام مجزأ فبعضه من قولهم وبعضهم من قول الله تعالى فالذي هو من قولهم خلقهن وما بعده من قول الله عز وجل وأصل الكلام أنهم قالوا خلقهن الله ويدل عليه قوله في الآية الأخرى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ثم لما قالوا خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته بهذه الصفات ولما سيق الكلام كله سياقه وأخذه حذف الموصوف من كلامهم وأقيمت الصفات المذكورة في كلام الله تعالى مقامه كأنه كلام واحد ونظير هذا أن تقول الرجل من أكرمك من القوم فيقول أكرمني زيد فتقول أنت واصفا المذكور الكريم الجواد الذي من صفته كذا وكذا ثم لما وقع الانتقال من كلامهم إلى كلام الله عز وجل جرى كلامه عز وجل على ما عرف من الافتنان في البلاغة فجاء أوله على لفظ الغيبة وآخره على الانتقال منها إلى التكلم في قوله فأنشرنا كل ذلك افتنان في أفنان البلاغة ۝ ومن هذا النمط قوله تعالى حكاية عن موسى « قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى » فجاء أول الكلام حكاية عن موسى إلى قوله ولا ينسى ثم وقع الانتقال من كلام موسى إلى كلام الله تعالى فوصف ذاته أوصافا متصلة بكلام موسى حتى كأنه كلام واحد وابتدأ في ذكر صفاته على لفظ الغيبة إلى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر إلى تحقيق التطبيق بين الآيتين تر العجب والله الموفق ۝ قوله تعالى « وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون » الآية (قال فيه يقال ركبت الدابة وركبت في الفلك إلى آخره) قال أحمد لم يحرر العبارة في هذا الموضع فإن قوله غلب المتعدي بغير واسطة على المتعدي بنفسه يوهم أن بين الفعلين تباينا وليس كذلك فإن المتعدي إلى الأنعام هو عين الفعل المتعدي إلى السفن غاية ما ثم أن العرب خصته باعتبار بعض مفاعيله بالواسطة وباعتبار بعضها بالتعدي بنفسه والاختلاف بالتعدي والقصور أو باختلاف آلات التعدي وباختلاف أعداد المفاعيل لا يوجب الاختلاف في المعنى فمن ثم يعدون الفعل الواحد مرة بنفسه ومرة بواسطة مثل سكرت وأخواته ويعدون الأفعال المترادفة بآلات مختلفة مثل دعوت وصليت فإنك تقول صلى النبي على آل أبي أوفى ولو قلت دعا على آل أبي أوفى لأفهم عكس المقصود ولكن دعا لآل أبي أوفى ويعدون بعضها إلى مفعولين ومرادفه إلى مفعول واحد كعلم وعرف فلا يترتب على الاختلاف بالتعدي والقصور الاختلاف في المعنى فالذي يحرر من هذا إن ركب باعتبار القبيلين معناه واحد وإن خص أحدهما باقتران الواسطة الآخر بسقوطها فالصواب أحد الأمرين أما تقدير المتعلقين على ما هما عليه لو انفردا فيكون التقدير ما تركبونه وتركبون فيه والأقرب تعليله باعتبار التعدي بنفسه ويكون هذا من تغليب أحد اعتباري الفعل على الآخر وهو أسهل من التغليب في قوله تعالى «فأجمعوا أمركم وشركاءكم» على أحد التأويلين فيه فإن التباين ثم ثابت بين الفعلين من حيث المعنى أعني أجمع على الأمر وجمع الشركاء ولكن لما تقاربا غلب إحداهما على الآخر ثم جعل المغلب هو المتعدي بنفسه والله أعلم

إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۝ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ۝ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ

فى السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها إنّ ربى لغفور رحيم وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه رأى رجلا يركب دابة فقال سبحان الذى سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه وهـذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر فى لطائف الصناعات فكيف بالنظر فى لطائف الديانات (مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة

وأقرنت ماحملتنى ولقلما ۝ يطاق احتمال الصد يادعد والهجر

وحقيقة أقرنه وجده قرينته ومايقرن به لأنّ الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى إلى قولهم فى الضعيف لايقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد (فإن قلت) كيف اتصل بذلك قوله ۝ وإنا إلى ربنا لمنقلبون (قلت) كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين فى سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لاينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لامحالة فمنقلب إلى الله غير منقلب من قضائه ولايدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته فى علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو فى بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أوانى الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو فى بطون السفن وهى تجرى بهم لايذكرون إلا الشيطان ولايمتثلون إلا أوامره وقد بلغنى أنّ بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح إلا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ماأمره الله به فى هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة (وجعلوا له من عباده جزءاً) متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءاً فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءاً إن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءاً له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءاً له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أنّ الجزء فى لغة العرب اسم للإناث وماهو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث متحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا

إن أجزأت حرة يوما فلا عجب ۝ زوجتها من بنات الأوس مجزئة

وقرئ جزؤا بضمتين (لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأنّ نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ) بل اتخذ والهمزة للإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءاً حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت إلى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أنّ إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط فى القسمة ومن ادعائكم

۝ قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (قال فيه كأنه قيل هبوا أنّ إضافة الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط فى القسمة ومن ادعاء أنه آثركم على نفسه الخ) قال أحمد نحن معاشر أهل السنة نقول أنّ كل

(قوله أو شمست أو تقحمت) فى الصحاح شمس الفرس شموسا وشماسا منع ظهره وفيه القحمة بالضم المهلكة وقحم الطريق مصاعبه اه فتقحم الدابة براكبها خوضها به فى قحمته (قوله حتى تميل طلاهم) فى الصحاح الطلى الأعناق قال الأصمعى واحدتها طلية وقال أبو عمرو والفراء واحدتها طلاة

بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ أَوَ مَنْ يُنَشَّؤُا فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ

أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما ۞ وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن فى الذكر عليهم لما ذكرت فى قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا أى شبهاً لأنه إذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضاً منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لايكون إلا من جنس الوالد يعنى أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربدّ وجهه غيظاً وتأسفاً وهومملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذى فيه المرأة فقالت

شىء بمشيئة الله تعالى حتى الضلالة والهدى اتباعا لدليل العقل وتصديقا لنص النقل فى أمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وآية الزخرف هذه لاتزيد هذا المعتقد الصحيح إلا تمهيداً ولاتفيده إلا تصويبا وتسديدا فنقول إذا قال الكافر لوشاء الله ما كفرت فهذه كلمة حق أراد بها باطلا أما كونها كلمة حق فلما مهدناه وأما كونه أرادبها باطلا فمراد الكافر بذلك أن يكون له الحجة على الله توهما أنه يلزم من مشيئة الله تعالى لضلالة من ضلّ أن لايعاقبه على ذلك لأنه إنما فعل مقتضى مشيئته كما توهم القدرية إخوان الوثنية ذلك فأشركوا بربهم واعتقدوا أن الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجة لأنّ هؤلاء أشركوا أنفسهم الدنية فى ملك ربهم المتوحد بالربانية جلّ وعلا فإذا وضح ماقلناه فإنما رد الله عليهم مقالتهم هذه لأنهم توهموا أنها حجة على الله فدحض الله حجتهم وأكذب أمنيتهم وبين أن مقالتهم صادرة عن ظن كاذب وتخرص محض فقال مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون وإن هم إلا يظنون وقد أفصحت أخت هذه الآية مع هذه الآية عن هذا التقدير وذلك قوله تعالى فى سورة الأنعام وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون فبين تعالى أن الحامل لهؤلاء على التكذيب الرسل والإشراك بالله اغترارهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم لو شاء الله ماأشركنا فشبه تعالى حالهم فى الاعتماد على هذا الخيال بحال أوائلهم ثم بين أنه معتقد نشأ عن ظن خلب وخيال مكذب فقال إن تتبعون إلا الظنّ وإن أنتم إلا تخرصون ثم لما أبطل أن يكون لهم فى مقالتهم حجة على الله أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله فلله الحجة البالغة ثم أوضح فى الرد عليهم ليس إلا فى احتجاجهم على الله بذلك لا لأنّ المقالة فى نفسها كذب فقال فلو شاء لهداكم أجمعين وهو معنى قولهم لو شاء ماأشركنا من حيث أن لو مقتضاها امتناع الهداية لامتناع المشيئة فدلت الآية الأخيرة على أن الله تعالى لم يشأ هدايتهم بل شاء ضلالتهم ولو شاء هدايتهم لما ضلوا فهذا هو الدين القويم والصراط المستقيم والنور اللائح والمنهج الواضح والذى يدحض به حجة هؤلاء مع اعتقاد أنّ الله تعالى شاء وقوع الضلالة منهم هو أنه تعالى جعل للعبد تأتيا وتيسراً للهداية وغيرها من الأفعال الكسبية حتى صارت الأفعال الصادرة منه مناط التكليف لأنها اختيارية يفرق بالضرورة بينهما وبين العوارض القسرية فهذه الآية أقامت الحجة ووضحت لمن اصطفاه الله للمعتقدات الصحيحة المحجة ولما كانت تفرقة دقيقة لم تنتظم فى سلك الأفهام الكثيفة فلا جرم أن أفهامهم تبددت وأفكارهم تبددت فغلت طائفة القدرية واعتقدت أنّ العبد فعال لما يريد على خلاف مشيئة ربه وجارت الجبرية فاعتقدت أن لاقدرة للعبد ألبتة ولا اختيار وأن جميع الأفعال صادرة منه على سبيل الاضطرار أما أهل الحق فمنحهم الله من هدايته قسطاً وأرشدهم إلى الطريق الوسطى فانتهجوا سبل السلام وساروا ورائد التوفيق لهم إمام مستضيئين بأنوار العقول المرشدة إلى أنّ جميع الكائنات بقدرة الله تعالى ومشيئته ولم يغب عن أفهامهم أن يكون بعض الأفعال للعبد مقدورة لما وجدوه من التفرقة بين الاختيارية والقسرية بالضرورة لكنها قدرة تقارن بلا تأثير وتميز بين الضرورى والاختيارى فى التصوير فهذا هو التحقيق والله ولى التوفيق

(قوله واربدّ وجهه غيظا) تغير إلى الغبرة من الغضب أفاده الصحاح

وَجَعَلُوا الْمَلَـٰٓئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۞ وَقَالُوا لَوْ شَآءَ الرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۞ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ

مالأبى حمزة لايأتينا ۞ يظل فى البيت الذى يلينا ۞ غضبان أن لاتلد البنينا ليس لنا من أمرنا ماشينا
۞ وإنما نأخذ ما أعطينا ۞

والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على أن فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هـذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه (ينشأ فى الحلية) أى يتربى فى الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال فلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء فى الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضى الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء ۞ قد جمعوا فى كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعبد الرحمن وهو مثل لزلقاهم واختصاصهم وأناثا وأنثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا أنهم أناث ۞ وقرئ اشهدوا وأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن هذه المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون (وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم) هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجبرة (فإن قلت) ماأنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين (قلت) لادليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء مالادليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنه ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزأ وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكى الذى هو إيمان عنده لوجدوا فى النطق به مدحا لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقى أن يكونوا جادين وتشترك كلها فى أنها كلمات كفر فإن قالوا نجعل هـذا الأخير

(قوله إلى مجاثات الخصوم) مفاعلة من جثا يجثو إذا برك على ركبتيه أفاده الصحاح (قوله يحتج به من يخاصمه) لعله على من يخاصمه أو لعله يحج به من يخاصمه أى يغلبه فى الحجاج (قوله هم أكرم عباد الله على الله) هذا عند المعتزلة أما أهل السنة فبعض البشر أكرم عندهم من الملك (قوله المجبرة فإن قلت ما أنكرت على من يقول) يريد أهل السنة حيث قالوا أنه تعالى يريد الشر كالخير لأنه لايقع فى ملكه إلا ما يريد لكن هذا لا يستلزم الجبر ولا ينافى اختيار العبد لماله فى أفعاله من الكسب وإن كانت مخلوقة له تعالى فى الحقيقة بل الجبر إنما يكون لو كان العبد لا دخل له فى أفعاله أصلا كالريشة فى الهواء كما قالت الجبرة الحقيقية وإنما ذم الله تلك المقالة من الكفار لأنهم قالوها استهزاء وعنادا لا إقرارا واعتقادا والدليل على ذلك إجماع سلف الأمة على أنه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وقوله لكان النطق بالمحكيات الخ ممنوع وكذا مابعده والمعتزلة قالوا لايريد الشر بناء على أن الإرادة هى الأمر وهو ممنوع وعفا الله عن صاحب الكتاب فى بذاءة لسانه على أهل السنة وجعلهم إخوان الكفار

بَلْ قَالُوٓا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ۞ وَلَمَّا جَآءَهُمُ

وحده مقولا على وجه الهزء دون ماقبله فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزأ لم يكن لقوله تعالى (مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا (فإن قلت) ماقولك فيمن يفسر مالهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم إن هم إلا يخوضون فى ذلك القول لا فى تعليق عبادتهم بمشيئة الله (قلت) تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم ۞ الضمير فى (من قبله) للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند إلى علم ثم قال أم آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحى فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لاحجة لهم يستمسكون بها إلا قولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وقرئ على إمة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التى تؤم أى تقصد كالرحلة للمرحول إليه والإمة الحالة التى يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة (على آثارهم مهتدون) خبر إن أو الظرف صلة لمهتدون (مترفوها) الذين أترفتهم النعمة أى أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهى ويعافون مشاق الدين وتكاليفه ۞ قرئ قل وقال وجئتكم وجئنا كم يعنى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى ۞ قرئ براء بفتح الباء وضمها وبرئ فبرئ وبراء نحو كريم كرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك (الذى فطرنى) فيه غير وجه أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى فإنه سيهدين وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال إننى براء مما تعبدون إلا من الذى فطرنى (فإن قلت) كيف تجعله بدلا وليس من جنس مايعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات مايعبدون والثانى أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبوده (قلت) قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم وأن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن ما فى ماتعبدون موصوفة تقديره إننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فهو نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (فإن قلت) مامعنى قوله (سيهدين) على التسويف (قلت) قال مرة فهو يهدين ومرة فإنه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية فى الحال والاستقبال (وجعلها) وجعل إبراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا إلى توحيده لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها إبراهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف

(قوله ماقولك فيمن يفسر مالهم بقولهم) لعله يفسر مالهم بذلك بقوله مالهم بقولهم الخ (قوله نحو كريم وكرام) فى الصحاح الكرام بالضم مثل الكريم

ٱلْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَٰفِرُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ

وفى عقبه كذلك وفى عاقبه أى فيمن عقبه أى خلفه (بل متعت هؤلاء) يعنى أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) وهو القرآن (ورسول مبين) الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه إبراهيم وقرئ بل متعنا (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء (قلت) كأن الله تعالى اعترض على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة فى الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الإطناب فى تعييرهم لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا فى زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان لا أن يشركوا به ويجعلوا له أندادا فمثاله أن يشكو الرجل إساءة من أحسن إليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب فى ذلك بمعروفك وإحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله (فإن قلت) قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه قوله (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر) فما طريقة هذا النظم ومؤداه (قلت) المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاءوا بما هو شر من غفلتهم التى كانوا عليها وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله فى تخير محمد من أهل زمانه بقولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وهى الغاية فى تشويه صورة أمرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من إحدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلى القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومى وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفى عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علىّ أو على أبى مسعود الثقفى وأبو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا إلا رجالا من أهل القرى جاءوا بالإنكار من وجه آخر وهو تحكمهم أن يكون أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه فى الدنيا وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمت ربك) هذه الهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التى لا يتولاها إلا هو

۝ قوله تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) (قال فيه فإن قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه إلى آخره) قال أحمد كلام نفيس لا مزيد عليه إلا أن قوله خيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها إطلاق ينبغى اجتنابه والله أعلم وما أحسن مجيء الغاية على هذا النحو مجيء الإضراب فى بعض التارات فكما جاءت الغاية هنا وليس المراد بها أن الفعل المذكور قبلها منقطع عندها على ما هو المفهوم منها بل المراد استمراره وزيادته فكأن تلك الحالة النافعة انتهت بوجود ما هو أكمل منها كذلك الإضراب فى مثل قوله تعالى بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون وهذه الإضرابات ليست على معنى أن الثانى منها رد للأول بل ثانيها آكد من أولها وجاء الإضراب مع التوافق والزيادة للإشعار بأن الثانى لما زاد على الأول صار باعتبار زيادته ونقصان الأول كأنهما شيآن متنافيان يضرب عن أولهما ويثبت آخرهما ومثله كثير وبالله التوفيق ۝ قوله تعالى

بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ۝ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ۝ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ۝ وزخرفا وإن كل ذلك لما متع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ۝ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا

بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم فى دنياهم وأن الله عزّ وعلا هو الذى قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم فى أسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالى وخدما ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا إلى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا وإذا كانوا فى تدبير المعيشة الدنية فى الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم فى تدبير أمور الدين الذى هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق إلى حيازة حظوظ الآخرة والسلم إلى حلول دار السلام ثم قال (ورحمت ربك) يريد وهذه الرحمة وهى دين الله وما يتبعه من الفوز فى المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا (فإن قلت) معيشتهم مايعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فإذن قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال (قلت) الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهى مطاعمه ومشاربه وما يصلحهم من المنافع وأذن له فى تناولها ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك فى تناولها الطريق التى شرعها فإذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله وإذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له أن يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله إلى مالم يشرعه (لبيوتهم) بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين فى قولك وهبت له ثوبا لقميصه ۝ وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمها جمع سقف كرهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كأنه لغة فى سقف وسقوفا ۝ ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهى المصاعد إلى العلالى (عليها يظهرون) أى على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا أن يظهروه ۝ وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفى التضعيف (لما متاع الحياة) اللام هى الفارقة بين إن المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام أى للذى هو متاع الحياة كقوله تعالى مثلا مابعوضة ولما بالتشديد بمعنى إلا وإن

، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا، (قال فيه فإن قلت معيشتهم مايعيشون به من المنافع الخ) قال أحمد قد تقدم أن الرزق عند أهل السنة يطلق على مايقوم الله به حال العبد حلالا كان أو حراما وهذه الآية معضدة والزمخشرى بنى على أصله وقد تقدم ۝ قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم الآية (قال فيه معناه لولا كراهية أن يجتمعوا على الكفر لجعلنا للكفرة سقوفا من فضة أى لوسعنا عليهم الدنيا لحقارتها عندنا انتهى كلامه) قال أحمد لولا هنا أخت لولا فى قوله ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم الآية فلك أن تصحح الكلام بتقدير كراهة ذلك بأن لاتقدر محذوفا كما قدمته فيكون وجه الكلام ههنا أن إجماعهم الكفر مانع من بسط الدنيا وهذا هو معنى لولا المطرد أن مابعدها أبدا مانع من جوابها ولكن قد يكون المانع موجودا تحقيقا فيمتنع الجواب بلا إشكال كقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين وهو الأكثر وقد يكون وجوده تقديرا معه وعلى ذلك الآية أى لو وجد بسط الدنيا للكافر مقدرا لوجد مانعه عندنا وهو الاجتماع على الكفر مقدرا معه وكل ماأدى وجوده إلى وجود مانعه

(قوله وليس له أن يسميها رزق الله) هذا على مذهب المعتزلة وأما عند أهل السنة فالرزق ماينتفع به ولو حراما والمصنف يريد أن الله لاييسر الحرام لأنه لايفعل القبيح عن المعتزلة ومذهب أهل السنة أن فاعل الكائنات كلها هو الله تعالى

نافية وقرئ إلا وقرئ وما كل ذلك إلا * لما قال خير مما يجمعون فقلل أمر الدنيا وصغرها أردفه مايقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أى ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الحياة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعداً وأبوابا وسرراً كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أى زينة من كل شيء والزخرف الزينة والذهب ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف يعنى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفى معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لووزنت عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء (فإن قلت) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى إليها التوسعة عليهم من إطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام (قلت) التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما تؤدى إليه من الدخول فى الإسلام لأجل الدنيا والدخول فى الدين لأجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل فى الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى * وقرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى وإذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة * متى تأته تعشو إلى ضوء ناره *
أى تنظر إليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين فى قول حاتم

أعشو إذا ماجارتى برزت * حتى يوارى جارتى الخدر

وقرئ يعشوا على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح

لا يوجد ثم (قال) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى إليها التوسعة من الإطباق على الكفر فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإيمان وأجاب بأن التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما يؤدى إليه من الدخول فى الإسلام لأجل الدنيا وذلك من دين المنافقين اهـ كلامه (قال أحمد) سؤال وجواب مبنيان على قاعدتين فاسدتين إحداهما تعليل أفعال الله تعالى والأخرى أن الله تعالى أراد الإسلام من الخلق أجمعين أما الأولى فقد أخرس الله السائل عنه بقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون وأما الثانية فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه فيه بقوله ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا * قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا الآية (قال فيه يقال عشى بصره بكسر الشين إذا أصابته الآفة الخ) قال أحمد فى هذه الآية نكتتان بديعتان * إحداهما الدلالة على أن النكرة الواقعة فى سياق الشرط تفيد العموم وهى مسئلة اضطرب فيها الأصوليون وإمام الحرمين من القائلين بإفادتها العموم حتى استدرك على الأئمة إطلاقهم القول بأن النكرة فى سياق الإثبات تخص وقال أن الشرط يعم والنكرة فى سياقه تعم وقد رد عليه الفقيه أبو الحسن على الانبارى شارح كتابه رداعنيفا وفى هذه الآية للإمام ومن قال بقوله كفاية وذلك أن الشيطان ذكر فيها منكرا فى سياق شرط ونحن نعلم أنه إنما أراد عموم الشياطين لا واحدا لوجهين أحدهما أنه قد ثبت أن لكل أحد شيطانا فكيف بالعاشى عن ذكر الله والآخر يؤخذ من الآية وهو أنه أعاد عليه الضمير مجموعا فى قوله وإنهم فإنه عائد إلى الشيطان قولا واحدا ولولا إفادته عموم الشمول لما جاز عود ضمير الجمع عليه بلا إشكال فهذه نكتة تجد عند إسماعها لمخالفى هذا الرأى سكتة * النكتة الثانية أن فى هذه الآية ردا على من زعم أن العود على معنى من يمنع من العود على لفظها بعد ذلك واحتج المانع لذلك بأنه إجمال بعد تفسير وهو خلاف المعهود من الفصاحة وقد نقض الكندى هذا بقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا ونقض غيره بقوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه الآية وكان جدى رحمه الله قد استخرج من هذه الآية بعض ذلك لأنه أعاد على اللفظ فى قوله يعش وله مرتين ثم على المعنى فى قوله ليصدونهم ثم على اللفظ بقوله حتى إذا جاءنا وقد قدمت أن الذى منع ذلك قد يكون اقتصر بمنعه على مجيء ذلك فى جملة واحدة وأما إذا تعددت الجمل واستقلت

فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى

ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عمى وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره أى يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا) نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقيض أى يقيض له الرحمن ويقيض له الشيطان ۝ (فإن قلت) لم جمع ضمير من وضمير الشيطان فى قوله (وإنهم ليصدونهم) (قلت) لأن من مبهم فى جنس العاشى وقد قيض له شيطان مبهم فى جنسه فلما جاز أن يتناولا لإبهامهما غير واحدين جاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعا (حتى إذا جاءنا) العاشى وقرئ جاآنا على أن الفعل له ولشيطانه (قال) لشيطانه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران (فإن قلت) فما بعد المشرقين (قلت) تباعدهما والأصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد إليهما (إنكم) فى محل الرفع على الفاعلية يعنى ولن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب كما ينفع الواقعين فى الأمر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم فى تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب مالاتبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتمنى فى قوله ياليت بينى وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمنى مباعدة القرين وقوله إنكم فى العذاب مشتركون تعليل أى لن ينفعكم تمنيكم لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرأ إنكم بالكسر وقيل إذا رأى الممتو بشدة من منى بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسى الذى ذكرته الخنساء ۝ أعزى النفس عنه بالتأسى ۝ فهؤلاء لايؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ماهم فيه (فإن قلت) مامعنى قوله تعالى إذ ظلمتم (قلت) معناه إذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة فى أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة وإذ بدل من اليوم ونظيره ۝ إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة ۝ أى تبين أنى ولد كريمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدو يجتهد ويكد روحه فى دعاء قومه وهم لايزيدون على دعائه إلا تصميما على الكفر وتماديا فى الغى فأنكر عليه بقوله (أفأنت تسمع الصم) إنكار تعجيب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وأراد أنه لايقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر كقوله تعالى إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور . مافى قوله (فإما نذهبن بك) بمنزلة لام القسم فى أنها إذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم (فإنا منهم منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة كقوله تعالى أو نتوفينك فإلينا يرجعون وإن أردنا أن ننجز فى حياتك ماوعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لايفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذى أوحى إليك على البناء للفاعل وهو الله عزوجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا إلى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل

كل بنفسها فقد لايمنع ذلك حتى رددت على الزمخشرى فى قوله تعالى « لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا » .

(قوله نقيض له شيطانا نخذله) تأويله بذلك مبنى على أنه تعالى لايفعل القبيح وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة أنه فاعل الكائنات كلها فالآيات على ظاهرها (قوله إذا رأى الممتو بشدة) أى المبتلى ومنى أى ابتلى أفاده الصحاح (قوله أعزى النفس عنه) أوله ولولا كثرة الباكين حولى ۝ على إخوانهم لقتلت نفسى
ولا يبكون مثل أخى ولكن ۝ أعزى الخ

وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۝ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ۝ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَقَالُوا

به فإنه الصراط المستقيم الذى لا يحيد عنه إلا ضال شقى وزد كل يوم صلابة فى المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شىء من اللين والرخاوة فى أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذى لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره (وإنه) وإن الذى أوحى إليك (لذكر) لشرف (لك ولقومك و) لسوف (تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط فى ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظراً وفحصاً نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مساءلة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم جمع له الأنبياء ليلة الإسراء فى بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ۝ ما أجابوه به عند قوله إنى رسول رب (العالمين) محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية (إذا هم منها يضحكون) أى يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة (فإن قلت) كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة (قلت) لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (فإن قلت) إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التى فضلت عليها فى الكبر من بقية الآيات (قلت) أختها التى هى آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قروتهم رجلا رجلا (فإن قلت) هو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا هى أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة فى حالة واحدة (قلت) الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة فى الأشياء التى تتلاقى فى الفضل

فإن الجملة واحدة فانظره فى موضعه ۝ قوله تعالى « واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا » (قال سؤال الرسل مجاز عن الفحص فى شرائعهم والنظر فى مللهم الخ) قال أحمد ويشهد لإرادة سؤال الأمم فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والله أعلم ۝ قوله تعالى «فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها» (قال جازت فيه إجابة لما بإذا التى للمفاجأة لأن فعل المفاجأة مقدر معها وهو العامل فيها النصب الخ) قال أحمد الظاهر فى تسويغ هذا الإطلاق والله أعلم أن كل واحدة من هذه الآى إذا أفردتها بالفكر استغرقت عظمتها الفكر وبهرته حتى يجزم أنها النهاية وأن كل آية دونها فإذا انقل الفكرة إلى أختها استوعبت أيضا فكره بعظمها وذهل عن الأولى فجزم بأن هذه النهاية وإن كل آية دونها والحاصل أنها لا يقدر الفكر على أن يجمع بين آيتين منهما ليتحقق عنده الفاضلة من المفضولة بل مهما أفرده بالفكر جزم بأنه النهاية وعلى هذا

(قوله ولكن كما يفعل الثابت لعله وكن أو لعله ولكن كن) (قوله لم تجبك حواراً) أى مخاطبة بالنطق فى الصحاح استحاره أى استنطقه (قوله إذا قروتهم رجلا رجلا) أى تتبعتهم (قوله قليلة التفاوت ثكلتهم) فى الصحاح الثكل فقدان المرأة ولدها

يـٰأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا

وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس فى تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة : من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ۝ مثل النجوم التى يسرى بها السارى
وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها (لعلهم يرجعون) إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان (فإن قلت) لو أراد رجوعهم لكان (قلت) إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد وإلا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه ۝ والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك ۝ وقرئ يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه (فإن قلت) كيف سموه بالساحر مع قولهم (إننا لمهتدون) (قلت) قولهم إننا لمهتدون وعد منوى إخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله تعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر ۝ بما عهد عندك بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (ونادى فرعون فى قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء فى مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فأسند النداء اليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه فى جموع القبط فكأنه نودى به بينهم فقال (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار) يعنى أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجرى تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى وبساتينى ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجرى خبر للمبتدإ وليت شعرى كيف ارتقت إلى دعوة الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وأمر فنودى بها فى أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير

التقدير يجرى جميع مايرد من أمثاله والله أعلم ۝ قوله تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون الآية (قال معناه إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان الخ) قال أحمد تقدم فى غير موضع أن لعل حيثما وردت فى سياق كلام الله تعالى فالمراد صرف الرجاء إلى المخلوقين أى ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك هذا هو الحق وعليه تأول سيبويه ماورد وأما الزمخشرى فيحمل لعل على الإرادة لأنه لا يتحاشى من اعتقاد أن الله يريد شيئا ويريد العبد خلافه فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فما أشنعها زلة وأبشعها خلة ولقد أساء الأدب فى هذا الموضع حتى أنه لولا تعين الرد عليه لما جرى القلم بنقل ماهذى به وما اهتدى وقد جرى على سنن أوائله فى جعل حقيقة الأمر هو الإرادة وأضاف إلى ذلك اعتقاد أن العبد يوجد فعله ويخلقه وأن مراد العبد يقع ومراد الرب لا يقع فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض نعوذ بالله من هذه الغواية ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

(قوله ليس إلا أن يأمره به) هذا مذهب المعتزلة أما مذهب أهل السنة فإرادته غير الأمر سواء كانت لفعل نفسه أو لفعل غيره ولا يلزم تأويل الآية بالإرادة لجواز أن يكون معناها ليكون حالهم عند الأخذ بالعذاب حال من يرجى رجوعهم
(قوله لئلا تخفى تلك الأبهة والجلال) كسكرة كذا بهامش الصحاح وفى الصحاح وهماء الناس جماعتهم

خيرمن هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ﴿ فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملئكة مقترنين ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فسقين ﴿ فلما ءاسفونا انتقمنا منهم فأغرقنهم أجمعين ﴿ فجعلنهم

وحتى يتربع فى صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدى فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبدالله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه (أم أنا خير) أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنه إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة على بل أأنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجرى الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) أى ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو فى نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء ﴿ وأراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك اليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (مقترنين) إما مقترنين به من قولك قرنته فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره ﴿ وقرئ أساور جمع أسورة وأساوير جمع إسوار وهو السوار وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير ﴿ وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (فاستخف قومه) فاستفزهم وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفز من قولهم للخفيف فز (آسفونا) منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومنه الحديث فى موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه إنهم أفرطوا فى المعاصى وعدوا طورهم فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم ﴿ وقرئ سلف جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف أى فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أى ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ﴿ لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبدالله بن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبدالله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه (إذا قومك) قريش من هذا المثل (يصدون) ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجزلا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أى من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما

(قوله لما به من الرتة) بالضم العجمة فى الكلام كذا فى الصحاح (قوله وكانت الأنبياء كلهم أبيناء) فى الصحاح بان الشىء بيانا اتضح فهو بين والجمع أبيناء مثل هين وأهيناء (قوله قرنته فاقترن به) لعله قرنته به فاقترن (قوله امتعضوا من ذلك) غضبوا منه وشق عليهم كذا فى الصحاح (قوله ترتفع لهم جلبة وضجيج) أى صياح وكذا اللجب أفاده الصحاح

سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۞ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۞ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ

(وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى وإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أى ماضربوا هذا المثل (لك إلا جدلا) إلا لأجل الجدل والغلبة فى القول لالطلب المميز بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لدّ شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله تعالى قوما لدّا وذلك أن قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله ما أريد به إلا الأصنام و كذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم إنما قصد به الأصنام ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة إلا أن ابن الزبعرى بخبه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد أصنامهم لاغير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة فى الأصنام على أن الظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة وماضربوه لك إلا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعنى آلهتنا خير أم هو إلا للجدال ۞ وقرئ آلهتنا خير بإثبات همزة الاستفهام وبإسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفى حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أى جدلين وقيل لما نزلت إن مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدّون يضجون ويضجرون والضمير فى أم هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء ۞ ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ماقلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلا فإنا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسى فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وماتنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل وما عيسى (إلا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنى إسرائيل (ولو نشاء) لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر (لجعلنا منكم) لولدنا منكم يارجال (ملائكة) يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لاتتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك (وإنه) وإن عيسى عليه السلام (لعلم للساعة) أى شرط من أشراطها تعلم به فسمى الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبىّ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمى ما يعلم به علما وفى الحديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وعن الحسن أن الضمير للقرآن

(قوله وخبث دخلته) بالضم باطن أمره أفاده الصحاح (قوله على طريقة المحك والجدال) أى اللجاج كما فى الصحاح (قوله ونحن أشف منهم) أى أرق أفاده الصحاح

مستقيم ۞ ولا يصدنكم الشيطن إنه لكم عدو مبين ۞ ولما جاء عيسى بالبينت قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ۞ إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ۞ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ۞ هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ۞ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ۞ يعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ۞ الذين ءامنوا بآيتنا وكانوا مسلمين ۞ ادخلوا الجنة أنتم وأزوجكم تحبرون ۞ يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خلدون ۞ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ۞ لكم فيها فكهة كثيرة منها تأكلون ۞ إن المجرمين فى عذاب جهنم

وأن القرآن به علم الساعة لأن فيه الإعلان بها (فلا تمترن بها) من المرية وهى الشك (واتبعون) واتبعوا هداى وشرعى أو رسولى وقيل هذا أمر لرسول الله أن يقوله (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أدعوكم إليه أو هذا القرآن إن جعل الضمير فى وإنه للقرآن (عدو مبين) قد أبانت عداوته لكم إذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (بالبينات) المعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات (بالحكمة) يعنى الإنجيل والشرائع ۞ (فإن قلت) هلا بين لهم كل الذى يختلفون فيه ولكن بعضه (قلت) كانوا يختلفون فى الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وإنما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من أمر دينهم (الأحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) وعيد للأحزاب ۞ (فإن قلت) من بينهم إلى من يرجع الضمير فيه (قلت) إلى الذين خاطبهم عيسى فى قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث إليهم (أن تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون إلا إتيان الساعة ۞ (فإن قلت) أما ادى قوله (بغتة) مؤدى قوله (وهم لا يشعرون) فيستغنى عنه (قلت) لا لأن معنى قوله تعالى وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تعالى تأخذهم وهم يخصمون ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون (يومئذ) منصوب بعدو أى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتاً إلا خلة المتصادقين فى الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب فى الله تعالى والتباغض فى الله وقيل (إلا المتقين) إلا المجتنبين أخلاء السوء وقيل نزلت فى أبىّ بن خلف وعقبة ابن أبى معيط (ياعبادى) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ ۞ (والذين آمنوا) منصوب المحل صفة لعبادى لأنه منادى مضاف أى الذين صدقوا (بآياتنا وكانوا مسلمين) مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وقيل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى مناد ياعبادى فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين ۞ وقرئ ياعباد (تحبرون) تسرون سروراً يظهر حباره أى أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون إكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل ۞ والكوب الكوز لا عروة له (وفيها) الضمير للجنة ۞ وقرئ تشتهى وتشتهيه وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهاة فى القلوب وإما مستلذة فى العيون (وتلك) إشارة إلى الجنة المذكورة وهى مبتدأ و (الجنة) خبر و (التى أورثتموها) صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدإ

(قوله قد بانت عداوته لكم) فى الصحاح بان الشىء بيانا اتضح فهو بين كذلك أبان فهو مبين

خَـٰلِدُونَ ۞ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۞ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّـٰلِمِينَ ۞ وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ۞ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِالْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ۞ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۞ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَـٰبِدِينَ ۞ سُبْحَـٰنَ رَبِّ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ

الذى هو اسم الإشارة والتى أورثتموها خبر المبتدإ أو التى أورثتموها صفة و (بما كنتم تعملون) الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما فى الظروف التى تقع أخبار أو فى الوجه الأوّل تتعلق بأورثتموها وشبهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة ۞ وقرئ ورثتموها (منها تأكلون) من للتبعيض أى لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار أبداً مورقة بها لاترى شجرة عريانة من ثمرها كما فى الدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاينزع رجل فى الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها (لايفتر عنهم) لايخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى إذا سكنت عنه قليلا ونقص حرّها ۞ والمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم فى تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالداً لايرى ولا يرى (هم) فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين ۞ وقرئ وهم فيها أى فى النار وقرأ على وابن مسعود رضى الله عنهما يامال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل ۞ والحق يامال غير ماتصف ۞ وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ ونادوا يامال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ماهم فيه وقرأ أبو السرار الغنوى يامال بالرفع كما يقال ياحار (ليقض علينا ربك) من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا (فإن قلت) كيف قال ونادوا يامالك بعد ماوصفهم بالإبلاس (قلت) تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكنون أوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لافرج لهم ويغوثون أوقاتا لشدة مابهم (ماكثون) لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضى الله عنهما إنما يجيبهم بعد ألف سنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ماهم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يامالك ليقض علينا ربك (لقد جئناكم بالحق) كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب أن يكون فى قال ضمير الله عز وجل لما سألوا مالكا ان يسأل الله تعالى القضاء عليهم أجابهم الله بذلك (كارهون) لاتقبلونه وتنفرون منه وتشمئزون منه لأنّ مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم) أبرم مشركو مكة (أمراً) من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فإنا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) ما المراد بالسر والنجوى (قلت) السر ماحدث به الرجل نفسه أو غيره فى مكان خال والنجوى ماتكلموا به فيما بينهم (بلى) نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) يريد الحفظة عندهم (يكتبون) ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازى من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذى لايخفى عليه شىء فى السموات فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق (قل إن كان للرحمن ولد) وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها (فأنا أول) من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل

۞ قوله تعالى قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (قال فيه معناه إن صح وثبت برهان قاطع فأنا أول من يعظم

(قوله من ثمرها إلا نبت مكانها) فى الخازن ورد فى الحديث أنه لاينزع أحد فى الجنة من ثمرها ثمرة إلا نبت مكانها مثلاها (قوله وقرئ وهم فيها أى فى النار) لعل تأخير الكلام على هذه القراءة عن الكلام على الضمير السابق من تصرف الناسخ لأنه مخالف لترتيب التلاوة (قوله كما يقال ياحار) فى نداء حارث (قوله ويغوثون) فى الصحاح غوث الرجل قال واغوثاه

يلـقوا يومهم الذى يوعدون * وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم * وتبارك

ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والإطناب فيه وأن لايترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو فى صورة إثبات الكينونة والعبادة وفى معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلى للمجبر إن كان الله تعالى خالقا للكفر فى القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بإله فمعنى هذا الكلام وماوضع له أسلوبه ونظمه نفى أن يكون الله تعالى خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذى ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لوعرفت أن ذلك اليك ماعبدت إلها غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل إن كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد اليه وقيل إن كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد * وقرأ بعضهم العبدين وقيل هى إن النافية أى ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى أن النضر بن عبد الدار بن قصى قال إن الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقنى فقال له الوليد بن المغيرة ماصدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لاولد له وقرئ ولد بضم الواو * ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام ولوكان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم) وهذا دليل على أن مايقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وإعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لايرجعون البتة وإن ركب فى دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية

ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له إلى آخره) قال أحمد لقد اجترأ عظيما واقتحم مهلكة فى تمثيله ذلك بقول من سماه عدليا إن كان الله خالقا للكفر فى القلوب ومعذبا عليه فأنا أول القائلين إنه شيطان وليس بإله فلينقم عليه ذلك بقول القائل قد ثبت قطعا عقلا وشرعا أنه تعالى خالق لذلك فى القلوب كما خلق الإيمان وفاء بمقتضى دليل العقل الدال على أن لاخالق إلا الله وتصديقا بمضمون قوله تعالى هل من خالق غير الله وقوله الله خالق كل شىء وإذا ثبتت هذه المقدمة عقلا ونقلا لزمه فرك أذنه وغل عنقه إذ يلحد فى الله إلحاداً لم يسبقه اليه أحد من عباده الكفرة ولا تجرأ عليه مارد من مردة الفجرة ومن خالف فى كفر القدرية فقد وافق على كفر من تجرأ فقال هذه المقالة واقتحم هذه الضلالة بلامحالة فإنه قد صرح بكلمة الكفر على أقبح وجوهها وأشنع أنحائها والله المسئول أن يعصمنا وهو حسبنا ونعم الوكيل * قوله تعالى وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله (قال فيه ضمن اسمه عزوجل معنى وصف فعلق به الظرف وهو قوله فى السماء الخ) قال أحمد ومما سهل حذف الراجع مضافا إلى الطول الذى ذكره وقوع الموصول خبرا عن مضمر لو ظهر الراجع لكان كالتكرار المستكره إذ كان أصل الكلام وهو الذى هو فى السماء إله ولاينكر أن الكلام مع المحذوف الراجع أخف وأسهل وأن الراجع إنما حذف على قلة حذف مثله لأمر متأكد فإنه لم يرد فى الكتاب العزيز إلا فى قوله تماما على الذى أحسن ومع أى فى موضعين على رأى * عاد كلامه قال وتحتمل الآية أن يكون فى السماء صلة الذى على تأويل الإلهية الخ

(قوله ونظيره أن يقول العدلى للمجبر) يريد أحد المعتزلة لأحد أهل السنة وفى هذا التنظير من سوء الأدب فى حقه تعالى مالا يخفى (قوله قال له أما والله) فى الصحاح أما مخفف تحقيق للكلام الذى يتلوه اهـ ولعل حذف الألف لغة فليحرر

الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ۝ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ۝ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ۝ وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ۝ فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ۝

سورة الدخان مكية

وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ حم ۝ والكتاب المبين ۝ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ۝ فيها يفرق

بينهم وبين الشيطان كقوله تعالى اعملوا ماشئتم وإبعاد بالشقاء فى العاقبة ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف فى قوله فى السماء وفى الأرض كما تقول هو حاتم فى طى حاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كأنك قلت هو جواد فى طى جواد فى تغلب ۝ وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله ومثله قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الأرض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ماأنا بالذى قائل لك شيئاً وزاده طولا أن المعطوف داخل فى حيز الصلة ويحتمل أن يكون فى السماء صلة الذى وإله خبر مبتدإ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه فى السماء على سبيل الإلهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفى الآلهة التى كانت تعبد فى الأرض (ترجعون) قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء ۝ ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من (شهد بالحق) وهو توحيد الله وهو يعلم مايشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا لأن فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة ۝ وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال (وقيله) قرئ بالحركات الثلاث وذكر فى النصب عن الأخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمراً وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر مابعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذى قالوه ليس بقوى فى المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضاً ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يارب أو وقيله يارب قسمى إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائساً عن إيمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير فى وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه : عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

﴿سورة الدخان مكية الا قوله إنا كاشفو العذاب قليلا الآية﴾

﴿وهى سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ الواو فى (والكتاب) واو القسم إن جعلت حم تعديداً للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسما بها وقوله (إنا أنزلناه) جواب القسم ۝ والكتاب

كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبِّ السَّمٰوٰتِ

المبين القرآن ۞ والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل فى تسميتها ليلة البراءة والصك أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة فى هذه الليلة وقيل هى مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام إن الله يرحم أمتى فى هذه الليلة بعدد شعر أغنام بنى كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان فى أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله فى هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى «إنا أنزلناه فى ليلة القدر» ولمطابقة قوله «فيها يفرق كل أمر حكيم» لقوله «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر» وقوله تعالى «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن» وليلة القدر فى أكثر الأقاويل فى شهر رمضان (فإن قلت) مامعنى إنزال القرآن فى هذه الليلة (قلت) قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه فى ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما ۞ (فإن قلت) (إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم) ماموقع هاتين الجملتين (قلت) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسربهما جواب القسم الذى هو قوله تعالى «إنا أنزلناه فى ليلة مباركة» كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه فى هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ۞ والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التى يتعلق بها منافع العباد فى دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال إلى إسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ نفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن على رضى الله عنه نفرق بالنون كل أمر حكيم كل شأن ذى حكمة أى مفعول على ماتقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازى لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعنى بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الأمر الذى هو ضد النهى ثم إما أن يوضع موضع فرقانا الذى هو مصدر يفرق لأن معنى الأمر والفرقان واحد من حيث أنه إذا حكم بالشىء وكتبه فقد أمر به وأوحيه أو يكون حالا من أحد الضميرين فى أنزلناه إما من ضمير الفاعل أى أنزلناه آمرين أمرا أو من ضمير المفعول

(قوله يرحم أمتى فى هذه الليلة) لعله من أمتى (قوله ملفوفتان) لعله من اللف والنشر المقرر فى البيان وبيانه مابعده (قوله لما يتيح الله فيها) أى يقدر

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۞ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۞ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۞ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا

أى أنزلناه فى حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل (فإن قلت) (إنا كنا مرسلين رحمة من ربك) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون بدلا من قوله إنا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها فى قوله تعالى «وما يمسك فلا مرسل له من بعده» أى يفصل فى هذه الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعلا لأن الغرض فى تكليف العباد تعريضهم للمنافع والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين وفى قراءة زيد ابن على أمر من عندنا على هو أمر وهى تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهى تنصر انتصابها بأنها مفعول له (إنه هو السميع العليم) وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لاتحق إلا لمن هذه أوصافه وقرئ رب السموات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك (فإن قلت) مامعنى الشرط الذى هو قوله (إن كنتم موقنين) (قلت) كانوا يقرون بأن للسموات والأرض ربا وخالقا فقيل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول إن هذا إنعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاءه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) وأن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (يوم تأتى السماء) مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته ۞ واختلف فى الدخان فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلا المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضى الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصا عند أبواب كندة يقول إنه دخان يأتى يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من علم الرجل أن يقول لشىء لايعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولايراه من الدخان فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم (بدخان مبين) ظاهر حاله لايشك أحد فى أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو فى محل الجر صفة

(قوله كالرأس الحنيذ) أى المشوى كما فى الصحاح (قوله ليس فيه خصاص) أى فرج أفاده الصحاح (قوله أبين) فى الصحاح أبين اسم رجل نسب إليه عدن (قوله حتى أكلوا الجيف والعلهز) فى الصحاح العلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير فى زمن المجاعة (قوله وكان يحدث الرجل فيسمع) لعله يحدث الرجل الرجل ويمكن أن يجعل الفاعل ضميراً يعود على الرجل السابق

الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۞ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۞ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۞ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۞ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۞ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ۞ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ۞ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ

لدخان و(هـذا عذاب) إلى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أى قائلين ذلك (إنا مؤمنون) موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب (أنى لهم الذكرى) كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم) ماهو أعظم وأدخل فى وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ماظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هوالذى علمه ونسبوه إلى الجنون ثم قال (إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون) أى ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لاتلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال (فإن قلت) كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله إنا كاشفوا العذاب قليلا (قلت) إذا أتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لايتمهلون ثم قال (يوم نبطش البطشة الكبرى) يريد يوم القيامة كقوله تعالى فإذا جاءت الطامة الكبرى (إنا منتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم (فإن قلت) بم انتصب يوم نبطش (قلت) بما دل عليه إنا منتقمون وهو ننتقم ولايصح أن ينتصب بمنتقمون لأن إن تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم فى الرزق فكان ذلك سببا فى ارتكابهم المعاصى واقترافهم الآثام أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الإيمان أو سلبهم ملكهم وأغرقهم (كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه لأن الله لم يبعث نبيا إلا من سراة قومه وكرامهم (ان أدوا إلىّ) هى أن المفسرة لأن مجيء الرسول من بعث إليهم متضمن لمعنى القول لايجيئهم إلا مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا إلى (وعباد الله) مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أدوهم إلى وأرسلوهم معى كقوله تعالى أرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداءلهم على أدوا إلىّ ياعباد الله ماهو واجب لى عليكم من الإيمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بأنه (رسول أمين) غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته (وأن لاتعلوا) أن هذه مثل الأولى فى وجهيها أى لاتستكبروا (على الله) بالاستهانة برسوله ووحيه أو لاتستكبروا على نبىّ الله (بسلطان مبين) بحجة واضحة (أن ترجمون) أن تقتلون ۞ وقرىء عت بالإدغام ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل (فاعتزلون) يريد إن لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لايؤمنوا فتنحوا عنى واقطعوا أسباب الوصلة عنى أى تخلونى كفافا لالى ولاعلىّ ولاتتعرضوا لى بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم إلى مافيه فلاحكم ذلك (أنّ هؤلاء) بأنّ هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم مايستحقونه

(قوله تضور المعذبون به) التضور الصياح والتلوى عند الألم أفاده الصحاح (قوله وتولوا عنه وبهتوه) رموه بما ليس فيه والتغويث قولها واغوثاه كما فى الصحاح أيضا

هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَـٰكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا

بإجرامهم وقيل هو قوله ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين وإنمـا ذكر الله تعالى السبب الذى استوجبا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أى فدعا ربه فقال إن هؤلاء (فأسر) قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان إضمار القول بعد الفاء فقال أسر بعبادى وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال إن كان الأمر كما تقول فأسر (بعبادى) يعنى فأسر ببنى إسرائيل فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويغرق التابعين ۝ الرهو فيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الأعشى

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ۝ ولا الصدور على الأعجاز تتكل

أى مشياً ساكناً على هينة أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فأمر بأن يتركه ساكنا على هينة قاراً على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثانى أن الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملا فالجاً فقال سبحان الله وهو بين سنامين أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (إنهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم ۝ والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر ۝ والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الإنعام ۝ وقرئ فاكهين وفكهين (كذلك) الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها (وأورثناها) أو فى موضع الرفع على الأمر كذلك (قوما آخرين) ليسوا منهم فى شىء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين فى أيديهم فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم ۝ إذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والأرض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض وقال جرير ۝ تبكى عليك نجوم الليل والقمرا ۝ وقالت الخارجية

أياشجر الخابور مالك مورقا ۝ كأنك لم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الأرض ومصاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم فى قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض) فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعنى فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض (وما كانوا منظرين) لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا (من فرعون) بدل من العذاب المهين كأنه فى نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه فى تعذيبهم وإهانتهم ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعاً من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وشيطنته ثم عرف حاله فى ذلك

(قوله أنه رأى جملا فالجاً) فى الصحاح الفالج الضخم ذو السنامين

مُبِينٌ ۞ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ۞ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ۞ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

بقوله (إنه كان عالياً من المسرفين) أى كبيراً رفيع الطبقة ومن بينهم فائقاً لهم بليغاً فى إسرافه أو عالياً متكبراً كقوله تعالى إنّ فرعون علا فى الأرض ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل إنه كان متكبراً مسرفا الضمير فى (اخترناهم) لبنى إسرائيل و (على علم) فى موضع الحال أى عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم منا بأنهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات فى بعض الأحوال (على العالمين) على عالمى زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الأنبياء منهم (من الآيات) من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التى لم يظهر الله فى غيرهم مثلها (بلاء مبين) نعمة ظاهرة لأن الله تعالى يبلوا بالنعمة كما يبلو بالمصيبة أو اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون كقوله تعالى «وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم» (هؤلاء) إشارة إلى كفار قريش (فإن قلت) كان الكلام واقعا فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل إن هى إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين كما قيل إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله (إن هى إلا موتتنا الأولى) وما معنى ذكر الأولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الأولى (قلت) معناه والله الموفق للصواب أنه قيل لهم أنكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله عزّ وجل «وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» فقالوا إن هى إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التى تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا للموتة الأولى خاصة فلا فرق إذاً بين هذا وبين قوله إن هى إلا حياتنا الدنيا فى المعنى ۞ يقال أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصىّ ابن كلاب ليشاوروه فإنه كان كبيرهم ومشاورهم فى النوازل ومعاظم الشؤن ۞ هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمّ الله قومه ولم يذمه وهو الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان إذا كتب قال بسم الله الذى ملك برّاً وبحراً وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبياً أو غير نبي وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان نبيا وقيل نظر إلى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبي بنت تبع لا تشرك بالله شيئا وقيل هو الذى كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقيال لأنهم يتقيلون وسمى الظل

﴿القول فى سورة الدخان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «إنّ هؤلاء ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى» (قال فيه فإن قلت) كان الكلام معهم واقعاً فى الحياة الثانية لا فى الموت الخ) قال أحمد وأظهر من ذلك أنهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالتين أخريين الأولى منهما الموت والأخرى حياة البعث أثبتوا الحالة الأولى وهى الموت ونفوا ما بعدها وسموها أولى مع أنهم اعتقدوا أن لا شىء بعدها لأنهم نزلوا جحدهم على الإثبات فجعلوها أولى على ما ذكرت لهم وهذا أولى من حمل الموتة الأولى على السابقة على الحياة الدنيا لوجهين أحدهما أن الاقتصار عليها لا يعتقدونه لأنهم يثبتون الموت الذى يعقب حياة الدنيا وحمل الحصر المباشر للموت فى كلامهم على صفة تذكر لا على نفس الموت المشاهد لهم فيه عدول عن الظاهر بلا حاجة الثانى أن الموت السابق على الحياة الدنيا لا يعبر عنه بالموتة فإنّ الموتة فعلة فيها إشعار بالتجدد والطريان والموت السابق على الحياة الدنيا أمر مستصحب لم تتقدمه حياة طرأ عليها هذا مع أن فى بقية السورة قوله تعالى «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» وإنما عنى بالموتة الأولى هنا الموت المتعقب للحياة الدنيا فقط ففيه إرشاد لما ذكرته والله أعلم

(قوله واقعا فى الحياة الثانية) أى التى ينكرونها (قوله لأنهم يتقيلون) فى الصحاح تقيل شرب نصف النهار وتقيل فلان أباه تبعه

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۞ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۞ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۞ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۞ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ

تبعا لأنه يتبع الشمس (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (أهم خير) ولا خير في الفريقين (قلت) معناه أهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى أكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أهم أشد أم قوم تبع (وما بينهما) وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن وقرأ ميقاتهم بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل (لا يغني مولى) أي مولى كان من قرابة أو غيرها (عن مولى) عن أي مولى كان (شيئا) من إغناء أي قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للموالي لأنهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى (إلا من رحم الله) في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء (إنه هو العزيز) لا ينصر منه من عصاه (الرحيم) لمن أطاعه قرئ إن شجرت الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي أنه لما نزل أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى إن أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فإن هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل إن (شجرت الزقوم طعام الأثيم) وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية (كالمهل) قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك (تغلي) وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام و (الحميم) الماء الحار الذي انتهى غليانه ۞ يقال للزبانية (خذوه فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يأخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها (إلى سواء الجحيم) إلى وسطها ومعظمها ۞ (فإن قلت) هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه (قلت) إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته إلا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله ۞ صبت عليه صروف الدهر من صبب ۞ وكقوله تعالى أفرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون أهول وأهيب ۞ يقال (ذق إنك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزؤ والتهكم

۞ قوله تعالى « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم » الآية (قال فيه نقل أن أبا الدرداء أقرأها رجلا فلم يقم النطق بالأثيم وجعل يقول طعام اليتيم الخ) قال أحمد لا دليل فيه لذلك وقول أبي الدرداء محمول على إيضاح المعنى ليكون وضوح المعنى عند المتعلم عونا على أن يأتي بالقراءة كما أنزلت على هذا حمله القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار وهو الوجه والله أعلم

(قوله وهو دردي الزيت) لعله ردي الزيت كعبارة النسفي (قوله وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل) الذي في الصحاح لببت الرجل تلبيبا إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جررته اه ويجوز أنه أراد بتلبيب الرجل ثيابه من عند صدره ونحره

مِنْ عَذَابِ ٱلْجَحِيمِ ۞ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۞ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ۞ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۞ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ۞ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۞ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۞ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۞

بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم مابين جبليها أعز ولا أكرم منى فوالله ماتستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيئا وقرئ إنك بمعنى لأنك وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه قرأ به على المنبر (إن هذا) العذاب أوإن هذا الأمر هو (ماكنتم به تمترون) أى تشكون أوتتمارون وتتلاجون ۞ قرئ فى مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم وهو موضع الإقامة أوالأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وهو تعريب استبر (فإن قلت) كيف ساغ أن يقع فى القرآن العربى المبين لفظ أعجمى (قلت) إذا عرب خرج من أن يكون عجميا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب (كذلك) الكاف مرفوعة على الأمر كذلك أو منصوب على مثل ذلك أثبناهم (وزوجناهم) وقرأ عكرمة بحور عين على الإضافة والمعنى بالحور من العين لأن العين إما أن تكون حوراً أو غير حور فهؤلاء من الحور العين لا من شهلهن مثلا وفى قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير لايذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لايذوقون فيها طعم الموت (فإن قلت) كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفى ذوقه فيها (قلت) أريد أن يقال لايذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله إلا الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها فى المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها فى المستقبل فإنهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد (فضلا من ربك) عطاء من ربك وثوابا يعنى كل ماأعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل أى ذلك فضل (فإنما يسرناه بلسانك) فذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فإنما يسرناه أى سهلناه حيث أنزلناه عربيا بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا (فارتقب) فانتظر مايحل بهم (أنهم مرتقبون) مايحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التى يذكر فيها الدخان فى ليلة جمعة أصبح مغفورا له

قوله تعالى «لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» (قال إنما استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفى ذوقه فيها الخ) قال أحمد هذا الذى ذكره مبنى على أن الموتة بدل على طريقة بنى تميم المجوز فيها البدل من غير الجنس وأما على طريقة الحجازيين فانتصبت الموتة استثناء منقطعا وسر اللغة التميمية بناء النفى المراد على وجه لايبقى للسامع مطمعا فى الإثبات فيقولون مافيها أحدا لاحمار على معنى إن كان الحمار من الأحدين ففيها أحد فيعلقون الثبوت على أمر محال حتما بالنفى وعليه حمل الزمخشرى قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله أى إن كان الله ممن فى السموات والأرض ففى السموات والأرض من يعلم الغيب فإذا نفر السامع من ثبوت الأول تعدت النفرة إلى ثبوت الثانى فجزمت بالنفى والله أعلم

(قوله من الحور العين) لعله من حور العين

سورة الجاثية مكية

إلا آية ١٤ فمدنية وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ حم ۞ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۞ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يَسْمَعُ آيَاتِ

﴿سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية وقيل ست﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) إن جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بـ(تنزيل الكتاب) لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و(من الله) صلة للتنزيل وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (إن فى السموات والأرض) يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن فى خلق السموات لقوله (وفى خلقكم) (فإن قلت) علام عطف (وما يبث) أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه (قلت) بل على المضاف لأن المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك إن أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد وقرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك إن زيدا فى الدار وعمرا فى السوق أو وعمرو فى السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت هما إن وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى عملت الرفع فى آيات والجر فى واختلاف وقرأ ابن مسعود وفى اختلاف الليل والنهار (فإن قلت) العطف على عاملين على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده (قلت) فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على إضمار فى والذى حسنه تقدم ذكره فى الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثانى أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ماقبله على التكرير ورفعها بإضمار هى ۞ وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك ومايبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى إن المنصفين من العباد إذا نظروا فى السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لابد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا فإذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة وفى خلق ماعلى ظهر الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فإذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها (وتصريف الرياح) جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لأنه سبب الرزق (تلك) إشارة إلى الآيات المتقدمة أى تلك الآيات آيات الله و(نتلوها) فى محل الحال أى متلوة (عليك بالحق) والعامل مادل عليه تلك من معنى الإشارة ونحوه هذا بعلى شيخا وقرئ يتلوها بالياء (بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه أو قرآنه كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث ۞ وقرئ (يؤمنون)

(قوله وأما قوله آيات لقوم) أى مع قوله واختلاف وقوله عملت أى الواو

اللّهِ تُتلى عليه ثم يُصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ۞ وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين ۞ من ورآئهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم ۞ هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم ۞ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۞ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ۞ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون

بالتاء والياء الأفاك الكذاب والأثيم المتبالغ فى اقتراف الآثام (يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه وأصله من إصرار الحمار على العانة وهو أن ينحى عليها صاراً أذنيه (مستكبرا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت فى النضر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث الأعاجم ويشغل الناس بها عن استماع القرآن والآية عامة فى كل ما كان مضاراً لدين الله (فإن قلت) مامعنى ثم فى قوله ثم يصر مستكبرا (قلت) كمعناه فى قول القائل ۞ يرى غمرات الموت ثم يزورها ۞ وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها فأمر مستبعد فمعنى ثم الإيذان بأن فعل المقدم عليها بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد فى العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا فى العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها (كأن) مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما فى قوله ۞ كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم ۞ ومحل الجملة النصب على الحال أى يصر مثل غير السامع (وإذا) بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) أى الآيات (هزواً) ولم يقل اتخذه للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التى أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئا يمكن أن يتشبث به المعاند ويجدله محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزواً وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عزوجل إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية

نفسى بشيء من الدنيا معلقة ۞ الله والقائم المهدى يكفيها

حيث أراد عتبة وقرئ علم (أولئك) إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين والوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف أو قدام قال أليس ورائى أن تراخت منيتى ۞ أدب مع الولدان أزحف كالنسر

ومنه قوله عزوجل (من ورائهم) أى من قدامهم (ما كسبوا) من الأموال فى رحلهم ومتاجرهم (ولا ما اتخذوا من دون الله) من الأوثان (هذا) إشارة إلى القرآن يدل عليه قوله تعالى «والذين كفروا بآيات ربهم لأن آيات ربهم هى القرآن» أى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل كامل فى الرجولية وأيما رجل والرجز أشد العذاب وقرئ بجر أليم ورفعه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى وغير ذلك من منافع البحر ۞ (فإن قلت) مامعنى منه فى قوله (جميعا منه) وما موقعها من الإعراب (قلت) هى واقعة موقع الحال والمعنى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعنى أنه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز أن

(قوله من إصرار الحمار على العانة) جماعة حمر الوحش كما فى الصحاح وفيه أيضا صر الفرس أذنيه ضمها إلى رأسه فإذا لم يوقعوا قالوا أصر الفرس بالألف

أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۝ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ

يكون خبر مبتدإ محذوف تقديره هي جميعاً منه وأن يكون وسخر لكم تأكيداً لقوله تعالى سخر لكم ثم ابتدئ قوله مافى السموات ومافى الأرض جميعاً منه وأن يكون مافى الأرض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما منه وقرأ سلمة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل سخر على الإسناد المجازى أوعلى أنه خبر مبتدإ محذوف أى ذلك أوهو منه حذف المقول لأن الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (لايرجون أيام الله) لايتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لايأملون الأوقات التى وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزولها فى عمر رضى الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزى عمر بما صنع (لنجزى) تعليل الأمر بالمغفرة أى إنما أمروا بأن يغفروا لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة (فإن قلت) قوله (قوما) ماوجه تنكيره وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف (قلت) هو مدح لهم وثناء عليهم كأنه قيل ليجزى أيما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص (بما كانوا يكسبون) من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزى عمر بما صنع ليجزى بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذى بعثك بالحق لاترى الغضب فى وجهى وقرئ ليجزى قوما أى الله عزوجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما (الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أوفصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم والنبوة (من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق (وفضلناهم على العالمين) حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم (بينات) آيات ومعجزات (من الأمر) من أمر الدين فما وقع بينهم الخلاف فى الدين (إلا من بعد ما جاءهم) ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا لبغى حدث بينهم أولعداوة وحسد (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الأمر) من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولاتتبع مالا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع إلى دين آبائك ۝ ولاتوالهم إنما يوالى الظالمين من هو ظالم مثلهم ۝ وأما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما أبين الفصل بين الولايتين (هذا) القرآن (بصائر للناس) جعل مافيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن وقرئ هذه بصائر أى هذه الآيات (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان ۝ والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى إلى مفعولين

(قوله أيما قوم وقوما مخصوصين) لعله أوقوما

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَآءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ

فأولهما الضمير والثانى الكاف والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولا ثانياً فكانت فى حكم المفرد ألا تراك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديداً كما تقول ظننت زيداً أبوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفرداً غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى إنكار أن يستوى المسيؤن والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصى ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعد لهم وقيل معناه إنكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وإنما يفترقون فى الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد إلى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يافضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (ولتجزى) معطوف على بالحق لأن فيه معنى التعليل أو على معلل محذوف تقديره خلق الله السموات والأرض ليدل به على قدرته ولتجزى كل نفس ۝ أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه وقرئ آلهة هواه لأنه كان يستحسن الحجر فيعبده فإذا رأى ما هو أحسن رفضه اليه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحداً منها (وأضله الله على علم) وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بأن ذلك لايجدى عليه وأنه ممن لالطف له أو مع علمه بوجوه الهداية وإحاطته بأنواع الألطاف المحصلة والمقربة (فمن يهديه من بعد) إضلال (الله) وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث وغشوة بالكسر والفتح وقرئ تتذكرون (نموت ونحيى) نموت نحن ويحيا أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون مواتا نطفا فى الأصلاب ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الأمران الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ إلا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالى هو المؤثر فى هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أى فإن الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره (فإن قلت) لم سمى قولهم حجة وليس بحجة (قلت) لأنهم أدلوا به كما يدلى المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لأنه فى حسبانهم وتقديرهم حجة أو لأنه فى أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كأنه قيل ما كان حجتهم إلا ماليس بحجة والمراد نفى أن تكون لهم حجة البتة (فإن قلت) كيف وقع قوله (قل الله يحييكم) جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (قلت) لما أنكروا البعث

(قوله وتركه عن الهداية) تأويل الآية بذلك لتوافق مذهب المعتزلة أنه لايريد الشر ولا يفعله وعند أهل السنة لايقع فى ملكه إلا ما يريد والله خالق كل شىء فالإضلال خلقه الضلال فى القلب (قوله المحصلة والمقربة) يعنى للهداية.

مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ۞ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ۞ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۞ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۞ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ

وكذبوا الرسل وحسبوا أن ماقالوه قول مبكت ألزموا ماهم مقرون به من أن الله عز وجل هو الذى يحييهم ثم يميتهم وضم إلى الزام ذلك الزام ماهو واجب الإقرار به إن أنصفوا وأصغوا إلى داعى الحق وهو جمعهم إلى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بآبائهم وكان أهون شيء عليه ۞ عامل النصب فى (يوم تقوم) يخسر، و (يومئذ) بدل من يوم تقوم (جاثية) باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو أشد استيفازا من الجثو لأن الجاذى هو الذى يجلس على أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهى الجماعة وجمعها جثى وفى الحديث من جثى جهنم ۞ وقرئ (كل أمة) على الابتداء وكل أمة على الإبدال من كل أمة (إلى كتابها) إلى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه (اليوم تجزون) محمول على القول (فإن قلت) كيف أضيف الكتاب إليهم وإلى الله عز وجل (قلت) الإضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه أما ملابسته إياهم فلأن أعمالهم مثبتة فيه وأما ملابسته إياه فلأنه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (إنا كنا نستنسخ) الملائكة (ما كنتم تعملون) أى نستكتبهم أعمالكم (فى رحمته) فى جنته وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ۞ وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل إن واسمها (ماالساعة) أى شيء الساعة (فإن قلت) مامعنى إن نظن إلا ظنا (قلت) أصله نظن ظنا ومعناه إثبات الظن فحسب فأدخل حرفا النفى والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفى ماسواه وزيد نفى ماسوى الظن توكيدا بقوله (ومانحن بمستيقنين سيئات ماعملوا) أى قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (ننساكم) نترككم فى العذاب كما تركتم عدة (لقاء يومكم هذا) وهى الطاعة أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسى غير المبالى به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذى يطرح نسيا منسيا (فإن قلت) مامعنى إضافة اللقاء إلى اليوم (قلت) كمعنى إضافة المكر فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ولقاء جزائه : وقرئ لايخرجون بفتح الياء (ولاهم يستعتبون) ولا يطلب منهم أن

(قوله فى جثى جهنم) فى الصحاح الجثوة مثلثة الحجارة المجموعة وجثى الحرم بالضم وبالكسر ما اجتمع فيه من حجارة الجمار

رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *

سورة الأحقاف مكية

إلا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥ فمدنية وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ

يعتبوا ربهم أى يرضوه (فلله الحمد) فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شىء من السموات والأرض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته (فى السموات والأرض) وحق مثله أن يتكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿سورة الأحقاف مكية وهى أربع وثلاثون آية وقيل خمس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (إلا بالحق) إلا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهى إليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) من هول ذلك اليوم الذى لابد لكل خلق من انتهائه إليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أى عن إنذارهم ذلك اليوم (بكتاب من قبل هذا) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين من قولهم سمنت الناقة على أثارة من شحم أى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ أثرة أى من شىء أوثرتم به وخصصتم من علم لا إحاطة به لغيركم وقرئ أثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة مع سكون التاء فالإثرة بالكسر بمعنى الأثرة وأما الأثرة فالمرة من مصدر أثر الحديث إذا رواه وأما الأثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به (ومن أضل) معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأصنام حيث يتركون دعاء السميع

﴿القول فى سورة الأحقاف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (قال فيه استفهام معناه إنكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأصنام الخ) قال أحمد وفى قوله إلى يوم القيامة نكتة حسنة وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ومن شأن الغاية انتهاء المغي عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية لأنهم فى القيامة أيضا لا يستجيبون لهم فالوجه والله أعلم أنها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها وإن وافق ما قبلها إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثانى حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعا واحداً لتفاوت ما بينهما كالشىء وضده وذلك أن الحالة الأولى التى جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة والحالة الثانية التى فى القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم إياهم فهو من وادى ما تقدم آنفاً فى سورة الزخرف فى قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول

دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا

المجيب القادر على تحصيل كلّ بغية ومرام ويدعون من دونه جماداً لايستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم مادامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين إلا على نكد ومضرّة لاتتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وإنما قيل من وهم لأنه أسند إليهم مايسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة ولأنهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز أن يريد كلّ معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان فغلب غير الأوثان عليها ۞ قرئ مالايستجيب وقرئ يدعو غير الله من لايستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (بينات) جمع بينة وهى الحجة والشاهد أو واضحات مبينات ۞ واللام فى (للحق) مثلها فى قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لوكان خيراً أى لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلوّ بالحق (لما جاءهم) أى بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول ماسمعوه من غير إجالة فكر ولا إعادة نظر ۞ ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحراً مبيناً ظاهراً أمره فى البطلان لاشبهة فيه (أم يقولون افتراه) إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحراً إلى ذكر قولهم إن محمداً افتراه ومعنى الهمزة فى أم الإنكار والتعجيب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضى منه العجب وذلك أن محمداً كان لايقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة وإذا كانت معجزة كانت تصديقاً من الله والحكيم لايصدق الكاذب فلايكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل إن افتريته) على سبيل الفرض عاجلنى الله تعالى لامحالة بعقوبة الافتراء عليه فلاتقدرون على كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شىء من عقابه عنى فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لايملك إذا غضب ولا يملك عنانه إذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام لاأملك لكم من الله شيئا ثم قال (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله تعالى والطعن فى آياته وتسميته سحراً تارة وفرية أخرى (كفى به شهيداً بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم ماارتكبوا (فإن قلت) فما معنى إسناد الفعل إليهم فى قوله تعالى فلاتملكون لى (قلت) كان فيما أتاهم به النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم فكأنه قال لهم إن افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم

مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون ۞ قوله تعالى ۞ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه ۞ الآية (قال فيه اللام فى قوله تعالى للحق نحو اللام فى قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ماسبقونا إليه أى لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا الخ (قال أحمد هذا الإضراب فى بابه مثل الغاية التى قدمتها آنفاً فى بابها فإنه انتقال إلى موافق لكنه أزيد من الأول فنزل بزيادته عليه مع ماتقدمه مماينقص عنه منزلة المتنافيين كالنفى والإثبات الذين يضرب عن أحدهما للآخر وذلك أن نسبتهم للآيات إلى أنها مفتريات أشد وأبعد من نسبتها إلى أنها سحر فأضرب عن ذلك الأول إلى ذكر ماهو أغرب منه ۞ قوله تعالى ۞ قل إن افتريته فلاتملكون لى من الله شيئا ۞ (قال فإن قلت مامعنى إسناد الفعل إليهم الخ) قال أحمد فيه نظر من قبيل أن الكلام جرى فرضاً وتقديراً ومتى فرض الافتراء لايتصور على تقديره

مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن

وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله فما تغنون عنى أيها المنصوحون إن أخذنى الله بعقوبة الافتراء عليه ۞ البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال أى ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب فقيل له (قل ما كنت بدعا من الرسل) فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون إلا بما أوحى إليهم ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الأولى بقوله علمها عند ربى (وما أدرى) لأنه لا علم لى بالغيب ما يفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لى ولكم من قضاياه (إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ) وعن الحسن وما أدرى ما يصير إليه أمرى وأمركم فى الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبى قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» ويجوز أن يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء أى يفعل الله عز وجل (فإن قلت) إن يفعل مثبت غير منفى فكان وجه الكلام ما يفعل بى وبكم (قلت) أجل ولكن النفى فى ما أدرى لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما فى حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى إلى قوله «أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر» كيف دخلت الباء فى حيز أن وذلك لتناول النفى إياها مع ما فى حيزها ۞ وما فى ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة ۞ وقرئ يوحى أى الله عز وجل ۞ جواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى «إن الله لا يهدى القوم الظالمين» والشاهد من بنى إسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول صلى الله عليه وسلم المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبى المنتظر وقال له إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وبال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد

نصح فإن النصح عبارة عن الدعاء إلى ما فيه نفع ولا ينفع المكلف فى عمل ظاهر أو باطن إلا أن يكون مأمورا به من الله تعالى ولا سبيل إلى الاطلاع على ذلك إلا من الوحى الحق لا غير فإذا لا يتصور نصح مع الافتراء وإنما يتم هذا الذى قرره على قاعدة المعتزلة للقائلين بأن العقل طريق يوصل إلى معرفة حكم الله تعالى لأنه إذا أمر بطاعة من الطاعات كالتوحيد مثلا وقال إن الله حتم عليكم وجوب التوحيد وأنا رسول الله إليكم ولم يكن متعوقا فإنه محق فى الأمر بالتوحيد لأن العقل دل على وجوبه عندهم وإن كان مفتريا فى دعوى كونه رسولا من الله عز وجل وهذه قاعدة قد أفسدتها الأدلة القاطعة فيحتمل فى إجراء الآية على مذهب أهل السنة أن يكون إسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشىء على مقابله بطريق المفهوم فالمعنى إذا إن كنت مفتريا فالعقوبة واقعة بى لا تدفعونها عنى فمفهومه وإن كنت محقا وأنتم مفترون فالعقوبة واقعة بكم لا أقدر على دفعها عنكم ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى «قل إن افتريته فعلىّ إجرامى وأنا برىء مما تجرمون» وأمثاله كثيرة والله أعلم ۞ قوله تعالى «وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم» (قال أجود ما ذكر فيه حمله على الدراية المفصلة يريد بذلك أن تفصيل ما يصير إليه من خير ويصيرون إليه من شر إلى آخره) قال أحمد بنى على أن المجرور معطوف على مثله وأنهما جميعا فى صلة موصول واحد ولو قيل إن المجرور الثانى من صلة موصول محذوف معطوف على مثله حتى يكون التقدير وما أدرى ما يفعل بى ولا ما يفعل بكم لكانت لا واقعة بمكانة غير مفتقرة إلى تأويل وحذف الموصول المعطوف وتفاصيله كثيرة ومنه فمن يهجو رسول الله منكم ۞ ويمدحه وينصره سواء ۞ يريد حسان رضى الله عنه أفمن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يمدحه سواء

(قوله ولحم زيم) فى الصحاح اللحم الزيم المتفرق ليس بمجتمع فى مكان فيبدن وفيه أيضا بدن الرجل يبدن إذا ضخم وسمن

كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ

فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا ثم قال يارسول الله إن اليهود قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك لجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يارسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) الضمير للقرآن أي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وإنه لفي زبر الأولين إن هذا لفي الصحف الأولى كذلك يوحي اليك وإلى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله (فإن قلت) أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة النظم (قلت) الواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو في وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك إن أحسنت اليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت عني لم نتفق في أنك أخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله وإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الإيمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك (للذين آمنوا) لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمداً السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيراً ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل إن أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أني فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه ۞ (فإن قلت) لابد من عامل في الظرف في قوله (وإذ لم يهتدوا به) ومن متعلق لقوله (فسيقولون) وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام (قلت) العامل في إذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا إفك قديم فهذا

۞ قوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم (قال فيه إن قلت أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف عليه من جهة النظم الخ) قال أحمد إنما لم يوجه المعطوف إلى جهة واحدة لأن التفصيل قد يكون عطف مجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما والآية من هذا النمط ومثلها قوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وقوله إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وقد تقدم تقرير ذلك في الآيتين لجدد به عهدا ۞ قوله تعالى وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم (قال فيه لابد من عامل للظرف وغير مستقيم أن يعمل فيه الخ) قال أحمد إن لم يكن مانع من عمل فسيقولون في الظرف إلا تنافي دلالتي

(قوله تبهتوني عندك) ترموني بما ليس بي

قديم ۝ ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ۝ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ۝ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها

المضمر صحّ به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسبباً عنه كما صحّ بإضمار أن قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم (إفك قديم) كقولهم أساطير الأولين (كتاب موسى) مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (إماما) على الحال كقولك فى الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى إماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدقا لما بين يديه (ولسانا عربياً) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول ۝ وقرئ ولينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر إذا حذر (وبشرى) فى محل النصب معطوف على محل لينذر لأنه مفعول له ۝ قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما وإحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان فى معنى المشقة كالفقر والعقر وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدّة حمله وفصاله (ثلاثون شهرا) وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لأن مدّة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر ۝ وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى (فإن قلت) المراد بيان مدّة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال (قلت) لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لأنه ينتهى به ويتم سمى فصالا كما سمى المدة بالأمد من قال

كل حى مستكمل مدة العمـــر ومود إذا انتهى أمده

وفيه فائدة وهى الدلالة على الرضاع التام المنتهى بالفصال ووقته وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشدّه وبلوغ الأشد أن يكتهل ويستوفى السنّ التى تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعين وقيل لم يبعث نبى قط إلا بعد أربعين سنة ۝

المضى والاستقبال فهذا غير مانع فإن الاستقبال ههنا إنما خرج مخرج الإشعار بدوام ماوقع ومضى لأن القوم قد حرموا الهداية وقالوا هذا إفك قديم وأساطير الأولين وغير ذلك فمعنى الآية إذا وقالوا إذا لم يهتدوا به هذا إفك قديم وداموا على ذلك وأصروا عليه فعبر عن وقوعه ثم دوامه بصيغة الاستقبال كما قال إبراهيم إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين وقد كانت الهداية واقعة وماضية ولكن أخبر عن وقوعها ثم دوامها فعبر بصيغة الاستقبال وهذا طريق الجمع بين قوله سيهدين وقوله فى الأخرى فهو يهدين ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذى ذكرته هو الوجه ولكن الفاء المسببة دلت بدخولها على محذوف هو السبب وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم فوجب تقدير المحذوف عاملا فيه لينتظم بتقدير عاملا أمران مصادفة الظرف للعامل والفعل المعلل لعلته فتعين ماذكره الزمخشرى لأجل الفاء لا لتنافى الدلالتين والله أعلم ۝ قوله تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربياً (أجاز فى نصبه أن يكون حالا عن كتاب لتخصصه بالصفة الخ) قال أحمد وجهان حسنان أعزهما ثالث وهو النصب على الاختصاص وهذه الوجوه فى قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا والله أعلم

(قوله وآتينا الذين من قبله) لعله الذين قبله (قوله كالفقر والفقر وانتصابه) فى الصحاح والفقر لغة فى الفقر كالضعف والضعف (قوله ومود إذا انتهى أمده) أى هالك أفاده الصحاح

وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ أُولَـٰٓئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ۞ وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ

والمراد بالنعمة التى استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليهما نعمة عليه ۞ وقيل فى العمل المرضى هو الصلوات الخمس ۞ (فإن قلت) مامعنى فى قوله (وأصلح لى فى ذريتى) (قلت) معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لى الصلاح فى ذريتى وأوقعه فيهم ونحوه ۞ يجرح فى عراقيبها نصلى (من المسلمين) من المخلصين ۞ وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء الضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون (فإن قلت) مامعنى قوله (فى أصحاب الجنة) (قلت) هو نحو قولك أكرمنى الأمير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من أكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين من أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام فأفف بهما وقال ابعثوا إلى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهدوا لبطلانه أن المراد بالذى قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضى الله عنها إنكار نزولها فيه وحين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم فقال مروان ياأيها الناس هو الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ماهو به ولو شئت أن أسميه لسميته

۞ قوله تعالى وأصلح لى فى ذريتى (قال فيه فإن قلت مامعنى فى ههنا وأجاب بأن المراد جعل ذريته الخ) قال أحمد ومثله قوله تعالى إلا المودة فى القربى عدولا عن قوله إلا مودة القربى أو المودة للقربى والله أعلم ۞ قوله تعالى والذى قال لوالديه إلى قوله أولئك الذين حق عليهم القول الآية (قال زعم بعضهم أن المعنى بالآية عبد الرحمن بن أبى بكر الخ) قال أحمد ونحن نختار أن المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبى بكر ولكننا لا نختار الرد على قائل ذلك بهذا الوجه فإن له أن يقول أراد عبد الرحمن وأمثاله ومثل ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم فخاطبها وخاطب أمثالها والمقصودة هى وقد عاد إلى خطابها خصوصا بقوله واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد عبد الرحمن ماذكره الزمخشرى ثانيا فقال إن الذين حق عليهم القول هم المخلدون فى النار فى علم الله تعالى وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم ونقل أن معاوية كتب إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان أيها الناس إن هذا هو الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه الآية فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ماهو به ولو شئت أن أسميه سميته ولكن الله لعن اباك وأنت فى

ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ۞ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ

ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله وقرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما وقرئ أتعدانى بنونين وأتعدانى بأحدهما وأتعدانى بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتعدانى بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحريا للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن أطرح أحدهما (أن أخرج) أن أبعث وأخرج من الأرض وقرئ أخرج (وقد خلت القرون من قبلى) يعنى ولم يبعث منهم أحد (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لاحقيقة الهلاك (فى أمم) نحو قوله فى أصحاب الجنة وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق (ولكل) من الجنسين المذكورين (درجات مما عملوا) أى منازل ومراتب من جزاء ماعملوا من الخير أو الشر ومن أجل ماعملوا منهما (فإن قلت) كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات (قلت) يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين (وليوفيهم) وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ناصب الظرف هو القول المضمر قبل (أذهبتم) وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليها تفسير ابن عباس رضى الله عنه يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها (أذهبتم طيباتكم) أى ماكتب لكم حظ من الطيبات إلا ماقد أصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شىء منها وعن عمر رضى الله عنه لوشئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة ولكنى رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وعنه لوشئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى استبقى طيباتى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم مايجدون لها رقاعا فقال أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم فى حلة ويروح فى أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه

صلبه فأنت فضض من لعنة الله اه كلامه (قلت) وفى هذه الآية رد على من زعم أن المفرد الجنسى لايعم لأنه لايعامل معاملة الجمع لافى الصفة ولافى الخبر فلا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض وهذا مردود بأن خبر الذى الواقع جنسا جاء على نعت خبر المجموع كما رأيت والله أعلم ۞ قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا الآية (قال فيه عرضهم على النار إما من قولهم عرض بنو فلان على السيف الخ) قال أحمد إن كان قولهم عرضت الناقة على الحوض مقلوبا فليس قوله يعرض الذين كفروا على النار مقلوبا لأن الملجئ ثم إلى اعتقاد القلب أن الحوض جماد لا إدراك له والناقة هى المدركة فهى التى يعرض عليها الحوض حقيقة وأما النار فقد وردت النصوص بأنها حينئذ مدركة إدراك الحيوانات بل إدراك أولى العلم فالأمر فى الآية على ظاهره كقولك عرضت الأسرى على الأمير والله أعلم

(قوله فأنت فضض من لعنة الله) فى الصحاح كل شىء تفرق فهو فضض وفى الحديث أنت فضض من لعنة الله يعنى ما انفض من نطفة الرجل وتردد فى صلبه (قوله ومن أجل ماعملوا منهما) لعله أو من أجل (قوله بصلائق وصناب) فى الصحاح الصلائق الخبز الرقاق والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب والكركرة رحى زور البعير والزور أعلى الصدر اه أخذا من مواضع

تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ

بأخرى ويستر بيذه كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أذهبتم بهمزة الاستفهام وآأذهبتم بألف بين همزتين ۞ الهون والهوان وقرئ عذاب الهوان ۞ وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها الأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا أعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة و(النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار (من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هوداً عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم لاتعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس رضى الله عنه يعنى الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا فى زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله إذ أنذر قومه ولك أن تجعل قوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضاً بين أنذر قومه وبين (ألا تعبدوا) ويكون المعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكر الإفك الصرف يقال أفكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتنا (بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (إن كنت) صادقاً فى وعدك (فإن قلت) من أين طابق قوله تعالى (إنما العلم عند الله) جواباً لقولهم فأتنا بما تعدنا (قلت) من حيث أن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم حكمة وصواباً إنما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه فى وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى (وأبلغكم ما أرسلت به) وقرئ بالتخفيف أن الذى هو شأنى وشرطى أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدى ولكنكم جاهلون ولا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه) فى الضمير وجهان أن يرجع إلى تعدنا وأن يكون مبهماً قد وضح أمره بقوله (عارضاً) إما تمييزاً وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء ومثله الحبى والعنان من حبا وعن إذا عرض وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفاً للنكرة (بل هو) القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هى ريح أى قال الله تعالى قل (تدمر كل شيء) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دماراً إذا هلك (لاترى) الخطاب للرائى من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهى عن الحسن رضى الله عنه لاترى بقايا ولا أشياء منهم إلا مساكنهم ومنه بيت ذى الرمة وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ ألا ترى إلا مسكنهم ولا يرى إلا مسكنهم وروى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة نترفعها فى الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحاً فيها كشهب النار وروى أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم

إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۞ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ

فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى أن هوداً لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه فى حظيرة مايصيبهم من الريح إلا مايلين على الجلود وتلذه الانفس وأنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إنى أسألك خيرها وخير ماأرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يارسول الله ماتخاف فيقول إنى أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا (فإن قلت) مافائدة إضافة الرب إلى الريح (قلت) الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عزوجل يعضد ذلك ويقويه (أن) نافية أى فيما مكنا كم فيه إلا أن إن أحسن فى اللفظ لما فيه مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الأصل فى مهما مامافلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب فى قوله ۞ لعمرك ماما بان منك لضارب ۞ وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما إن بان منك لضارب وقد جعلت أن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش يرجى المرء ما إن لايراه ۞ وتعرض دون أدناه الخطوب ۞ وتؤول بأنا مكناهم فى مثل ما مكنا كم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء عليه غير آية فى القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً وهو أبلغ فى التوبيخ وأدخل فى الحث على الاعتبار (من شىء) أى من شىء من الاغناء وهو القليل منه ۞ (فإن قلت) بم انتصب (إذ كانوا يجحدون) (قلت) بقوله تعالى فما أغنى (فإن قلت) لم جرى مجرى التعليل (قلت) لاستواء مؤدى التعليل والظرف فى قولك ضربته لإساءته وضربته إذا أساء لأنك إذا ضربته فى وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك (ماحولكم) يا أهل مكة (من القرى) من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال (لعلهم يرجعون)

۞ قوله تعالى ولقد مكناهم فيما إن مكنا كم فيه الخ (قال احمد بيت المتنبى ليس كما أنشده وإنما هو كما يروى :

لعمرك ان مابان منك لضارب ۞ بأقتل مما بان منك لغائب

ولايستقيم إلا كذلك لأن قبله. هو ابن رسول الله وابن صفيه ۞ وشبههما شبهت بعد التجارب

من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوى ولو أتى أبو الطيب عوض مابان لجاء البيت

يرى أن إن ما بان عنك لضارب ۞ وهذا التكرار أثقل من تكرار مابلا مراء وإنما فنده الزمخشرى وألزمه استعمال أن عوض ما لاعتقاده أن البيت كما أنشده لعمرك ما ما بان منك لضارب ۞ بأقتل مما بان منك لغائب ولو عوض إن عوض ما كما أصلحه الزمخشرى لزم دخول الباء فى خبرها وإنما تدخل الباء فى خبر ما الحجازية العاملة وإن لاتعمل عمل ما على الصحيح فلا يستقيم دخول الباء فى خبرها فما عدل المتنبى عن ذلك إلا لتعذره عليه من كل وجه على أنى لاأبرئ المتنبى من التعجرف فإنه كان مغرى به مغرما بالغريب من النظم ونقل الزمخشرى فى الآية وجهاً آخر وهو جعلها صلة مثلها فى قوله يرجى المرء ماإن لايراه ۞ وتعرض دون أدناه الخطوب ۞ قال ويكون معناه على هذا مكناهم فى مثل ما مكنا كم الخ (قلت) واختص بهذه الطائفة قوله تعالى وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى

(قوله ولقد أغث أبو الطيب) فى الصحاح أغث اى ردؤ وفسد تقول أغث الرجل فى منطقه

الذين اتخذوا من دون الله قرباناً ءالهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون * وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرءان فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم *

القربان ماتقرب به إلى الله تعالى أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف والثانى آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم (بل ضلوا عنهم) أى غابوا عن نصرتهم (وذلك) إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر إفكهم الذى هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ إفكهم والإفك والإفك كالحذر والحذر وقرئ وذلك إفكهم أى وذلك الاتخاذ الذى هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ إفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أى قولهم الآفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الإفك (صرفنا إليك نفرا) أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارنا (فلما حضروه) الضمير (للقرآن) أى فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أى أتم قراءته وفرغ منها (قالوا) قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ماهذا إلا لنبإ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادى نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلوا فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لايشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له فقال إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لاتخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة

خلقهم هو أشد منهم قوة وقوله مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم * قوله تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة (قال فيه أحد مفعولى اتخذ الراجع إلى الموصول محذوف الخ) قال أحمد لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الإعراب ونحن نبينه فنقول لو كان قربانا مفعولا ثانيا ومعناه متقربا بهم لصار المعنى إلى أنهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقربا به لأن السيد إذا وبخ عبده وقال اتخذت فلانا سيدا دونى فإنما معناه اللوم على نسبة السيادة إلى غيره وليس هذا المقصد فإن الله تعالى يتقرب إليه ولا يتقرب به لغيره فإنما وقع التوبيخ على نسبة الإلهية إلى غير الله تعالى فكان حق

(قوله اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف) هو الذى أبرزه فى قوله أى اتخذوهم (قوله وذلك مما كانوا يفترون) لعله ما كانوا (قوله فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) لعله فوافوا (قوله مستثغرى ثياب بيض) قوله مستثغرى الخ فى القاموس الاستثغار أن يدخل إزاره بين فخذيه ملويا وإدخال الكلب ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه اهـ

يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءُ أُولَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَٰسِقُونَ ۝

التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فإن قلت) كيف قالوا من (بعد موسى) (قلت) عن عطاء رضى الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى ۝ (فإن قلت) لم بعض فى قوله (من ذنوبكم) (قلت) لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وجل أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم (فإن قلت) هل للجن ثواب كما للإنس (قلت) اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله تعالى (ويجركم من عذاب أليم) وإليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم فى حكم بنى آدم لأنهم مكلفون مثلهم (فليس بمعجز فى الأرض) أى لا ينجى منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هربا (بقادر) محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وما فى حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شىء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ۝ ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الأول (أليس هذا بالحق) محكى بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (أولوا العزم) أولوا الجد والثبات والصبر و (من) يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولى العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده وإسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى فى آدم ولم نجد له عزما وفى يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل) لكفار قريش بالعذاب أى لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر وإنهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها (ساعة من نهار بلاغ) أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام (فهل يهلك) إلا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى

الكلام أن يكون آلهة هو المفعول الثانى لا غير ۝ قوله تعالى ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم الآية (قال إنما بعض المغفرة لأن من الذنوب ما لا يغفره الإيمان كذنوب المظالم اه كلامه) قال أحمد ليس ما أطلقه من أن الإيمان لا يغفر المظالم بصحيح لأن الحربى لو نهب الأموال المصونة وسفك الدماء المحترمة ثم حسن إسلامه جب الإسلام عنه إثم ما تقدم بلا إشكال ويقال إنه ما وعد المغفرة الكافر على تقدير الإيمان فى كتاب الله تعالى إلا مبعضة وهذا منه فإن لم يكن لا طراده بذلك سرفا هو إلا أن مقام الكافر قبض لا بسط فلذلك لم يبسط رجاءه فى مغفرة جملة الذنوب وقد ورد فى حق المؤمنين مثله كثيرا والله أعلم

سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : مدنية

إلا آية ١٣ فنزلت فى الطريق أثناء الهجرة و آياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ

التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا أى بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون إلا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيدبن جبير مكية وهى سورة القتال وهى تسع وثلاثون آية وقيل ثمان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وصدوا وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الإسلام أوصدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضى الله عنه هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثنى عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أرادمنهم ومن غيرهم أن يدخل فى الإسلام وقيل هو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل التى هى بمضيعة لارب لها يحفظها ويعتنى بأمرها أوجعلها ضالة فى كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها كما يضل الماء فى اللبن وأعمالهم ماعملوه فى كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ماعملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بأن نصره عليه وأظهر دينه على الدين كله (والذين آمنوا) قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وقيل هو عام وقوله (وآمنوا بما نزل على محمد) اختصاص الإيمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مايجب به الإيمان تعظيما لشأنه وتعليما لأنه لايصح الإيمان ولايتم إلابه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التى هى قوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناها أن دين محمد هو الحق إذ لايرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ماكان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك) مبتدأ ومابعده خبره أى ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثانى كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدإ محذوف أى الأمر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الأول

﴿القول فى سورة محمد عليه الصلاة والسلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم » (قال معناه جعلها كالضالة من الإبل الخ) قال أحمد هذا المعنى الثانى حسن متمكن ملائم بمقابلة قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم وتحرير المقابلة بينهما أن الكفار ضلت أعمالهم الصالحة فى جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصى حتى صار صالحهم مستهلكا فى غمار سيئهم ومقابله فى المؤمنين ستر الله لأعمالهم السيئة فى كنف أعمالهم الصالحة من الإيمان والطاعة حتى صار سيئهم مكفرا ممحقا فى جنب صالح أعمالهم وإلى هذا التمثيل الحسن فى عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيئ أعمال المؤمنين وقعت الإشارة بقوله تعالى « كذلك يضرب الله للناس أمثالهم » والله أعلم

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۞ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ

و (الباطل) مالاينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير (وكذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس أمثالهم) والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم (فإن قلت) أين ضرب الأمثال (قلت) فى أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو فى أن جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين (لقيتم) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الأمير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب مافيه عيناه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر مايكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب بغير رقبته من المقاتل كما ذكرنا فى قوله بما كسبت أيديكم على أن فى هذه العبارة من الغلاظة والشدة ماليس فى لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذى هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد فى هذه الغلاظة فى قوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشىء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم مايوثق به ۞ مناوفداء منصوبان بفعلهما مضمرين أى فإما تمنون منا وإما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم (فإن قلت) كيف حكم أسارى المشركين (قلت) أما عند أبى حنيفة وأصحابه فأحد أمرين إما قتلهم وإما استرقاقهم أيهما رأى الإمام ويقولون فى المن والفداء المذكورين فى الآية نزل ذلك فى يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم منّ ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يفادى بأساراهم أسارى المشركين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة والمشهور أنه لايرى فداءهم لابمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وأما الشافعى فيقول للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب مااقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منّ على أبى عروة الحجى وعلى بن أثال الحنفى وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأى وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى لاتقوم إلا بها كالسلاح والكراع قال الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها ۞ رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل أوزارها آثامها يعنى حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا (فإن قلت) حتى بم تعلقت (قلت) لاتخلوا إما أن تتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعى رضى الله عنه أنهم لايزالون على ذلك أبدا إلى أن لايكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شوكة وقيل إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام وعند أبى حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك حين لاتبقى شوكة للمشركين وإذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها

(قوله وضرب مافيه عيناه) لعله كناية عن رأسه أو عن وجهه (قوله لما فيه من تصوير القتل) لعله لما فيها
(قوله وهو القتل والاسترقاق) لعله وهى

الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۞

إلا أن يتأول المنّ والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أى الأمر ذلك أو افعلوا ذلك (لانتصر منهم) لانتقم منهم ببعض أسباب الهلك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف (ولكن) أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ماوجب لهم من العذاب ۞ وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا ۞ وقرئ فلن يضل أعمالهم وتضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضلّ وعن قتادة أنها نزلت فى يوم أحد (عرفها لهم) أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدى أهل الجنة إلى مساكنهم منها لايخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لايستدلون عليها وعن مقاتل إنّ الملك الذى وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شىء أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفى كلام بعضهم عزف كنوح القمارى وعرف كفوح القمارى أوحددها لهم فجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود (إن تنصروا) دين (الله) ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب أو على محجة الإسلام (والذين كفروا) يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره (فتعسالهم) كأنه قال أتعس الذين كفروا ۞ (فإن قلت) علام عطف قوله (وأضل أعمالهم) (قلت) على الفعل الذى نصب تعسا لأن المعنى فقال تعسالهم أو فقضى تعسالهم وتعساله نقيض لعاله قال الأعشى ۞ بالتعس أولى لها من أن أقول لعا ۞ يريد فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردد فى النار (كرهوا) القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والاحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم ۞ دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه مايختص به والمعنى دمر الله عليهم مااختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم (وللكافرين أمثالها) الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لأنّ التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عزّ وعلا سنة الله فى الذين خلوا (مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم وفى قراءة ابن مسعود ولى الذين آمنوا ويروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون أعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال إن لنا عزى ولاعزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم إنّ القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففى النار يعذبون (فإن قلت) قوله تعالى وردوا إلى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية (قلت) لاتناقض بينهما لأنّ الله مولى عباده جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة (يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين

(قوله عزف كنوح القمارى) العزف الغناء والقمارى جمع قمرى اسم طير والعود القمارى منسوب إلى موضع ببلاد الهند أفاده الصحاح

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۞ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ

غير مفكرين فى العاقبة (كما تأكل الأنعام) فى مسارحها ومعالفها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (مثوى لهم) منزل ومقام ۞ وقرئ وكائن بوزن كاعن ۞ وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال (أهلكناهم) كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم ۞ ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك ۞ (فإن قلت) كيف قال (فلا ناصر لهم) وإنما هو أمر قد مضى (قلت) مجراه مجرى الحال المحكية كأنه قال أهلكناهم فهم لا ينصرون من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال تعالى (سوء عمله واتبعوا) للحمل على لفظ من ومعناه ۞ (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار) كمن هو خالد فى النار (قلت) هو كلام فى صورة الإثبات ومعنى النفى والإنكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله فى حيزه وانخراطه فى سلكه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد فى النار أى كمثل جزاء من هو خالد فى النار (فإن قلت) فلم عرى من حرف الإنكار وما فائدة التعرية (قلت) تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الأنهار وبين النار التى يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل

أفرح أن أرزأ الكرام وأن ۞ أورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه عن حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبله والذى طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصور قبح ما أزن فكأنه قال له نعم مثلى يفرح بمرزأة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذى تحته كل إنكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التى فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هى فيها أنهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون

۞ قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون الآية (قال فيه هو كلام فى صورة الإثبات ومعناه النفى الخ) قال أحمد كم ذكر الناس فى تأويل هذه الآية فلم أر أطلى ولا أحلى من هذه النكت التى ذكرها لا يعوزها إلا التنبيه على أن فى الكلام محذوفا لا بد من تقديره لأنه لا معادلة بين الجنة وبين الخالدين فى النار إلا على تقدير مثل ساكن فيه يقوم وزن الكلام ويتعادل كفتاه ۞ ومن هذا النمط قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله فإنه لا بد من تقدير محذوف مع الأول أو الثانى ليتعادل القسمان وبهذا الذى قدرته فى الآية ينطبق آخر الكلام على أوله فيكون المقصود تنظير بعد التسوية بين المتمسك بالسنة والراكب للهوى ببعد التسوية بين المنعم فى الجنة والمعذب فى النار على الصفات المتقابلة المذكورة فى الجهتين وهو من وادى تنظير الشيء بنفسه باعتبار حالتين إحداهما أوضح فى البيان من الأخرى فإن المتمسك بالسنة هو المنعم فى الجنة الموصوفة والمتبع للهوى هو المعذب فى النار المنعوتة ولكن أنكر التسوية بينهما باعتبار الأعمال أولا وأوضح ذلك بإنكار التسوية بينهما باعتبار الجزاء ثانيا

(قوله وكائن بوزن كاعن) فى الصحاح كائن معناها معنى كم فى الخبر والاستفهام وفيها لغتان كأين مثال كعين وكائن مثال كاعن اه (قوله ما أزن به) أى اتهم افاده الصحاح (قوله ذودا يقل طائله) لأن الشصائص قليلات اللبن والنبل الكبار من الإبل والصغار منها أيضا فهو من الأضداد أفاده الصحاح (قوله هى فيها) لعله أى هى فيها

وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ۞ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال ءانفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ۞ والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتاهم تقواهم ۞ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ۞ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات

فى موضع الحال أى مستقرة فيها أنهار وفى قراءة على رضى الله عنه أمثال الجنة أى ماصفاتها كصفات النار ۞ وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معاوية

لقد سقتنى رضابا غير ذى أسن ۞ كالمسك فت على ماء العناقيد

(من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حاذرا ولا مايكره من الطعوم (لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الأنهار والنصب على العلة أى لأجل لذة الشاربين والمعنى ماهو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولاصداع ولا آفة من آفات الخمر (مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ماء حميما) قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم ۞ هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا ومنهم فإذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فإذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل (آنفا) وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشىء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال فى أول وقت يقرب منا (زادهم) الله (هدى) بالتوفيق (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن السدى بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير هم زادهم لقول الرسول أو الاستهزاء المنافقين (أن تأتيهم) بدل اشتمال من الساعة نحو أن تطؤهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ إن تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهى فى مصاحف أهل مكة كذلك (فإن قلت) فما جزاء الشرط (قلت) قوله فأنى لهم ومعناه أن تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أى تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم الساعة يعنى لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (فإن قلت) بم يتصل قوله (فقد جاء أشراطها) على القراءتين (قلت) باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمنى زيد فأنا حقيق بالاكرام أكرمه والأشراط العلامات قال أبو الاسود فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا ۞ فقد جعلت أشراط أوله تبدو

وقيل مبعث محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبى كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام ۞ وقرئ بغتة بوزن جربة وهى غريبة لم ترد فى المصادر أختها وهى مروية عن أبى عمرو وماأخوفنى أن تكون غلطة من الراوى على أبى عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم ۞ لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال إذا علمت أن الأمر كما

(قوله ولا حاذرا ولا مايكره) لعله محذوف وأصله حازر بالزاى وفى الصحاح الحازر اللبن الحامض (قوله وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف) لعله بالضم (قوله بغتة بوزن جربة وهى غريبة) فى القاموس الجربة محركة مشددة جماعة الحمراء وفى الصحاح الجربة بالفتح بغتة وتشديد الباء العانة من الحمير وفيه أيضا العانة القطيع من حمر الوحش

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ * وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى

ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك * والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم فى معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون فى منازلكم أو متقلبكم فى حياتكم ومثواكم فى القبور أو متقلبكم فى أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعد * كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون (لولا نزلت سورة) فى معنى الجهاد (فإذا أنزلت) وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا فى أيديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها إلا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة وقيل هى المحدثة لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفى قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فإذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال (الذين فى قلوبهم مرض) هم الذين كانوا على حرف غير ثابتى الأقدام (نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وهلعا وغيظا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فأولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هى حكاية قولهم أى قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبىّ يقولون طاعة وقول معروف (فإذا عزم الأمر) أى جدّ والعزم والجد لأصحاب الأمر وإنما يسندان إلى الأمر إسناداً مجازيا ومنه قوله تعالى إن ذلك لمن عزم الأمور (فلو صدقوا الله) فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا فى إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم * عسيت وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى التوكيد (فإن قلت) ما معنى فهل عسيتم أن تفسدوا فى الأرض (قلت) معناه هل يتوقع منكم الإفساد (فإن قلت) فكيف يصح هذا فى كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وما يكون (قلت) معناه أنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل (أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الإفساد فى الأرض بالتغاور

(قوله وحرصوا عليه كاعوا) فى الصحاح كاع الكلب يكوع أى مشى على كوعه فى الرمل من شدة الحر

قلوب أقفالها ۞ إنَّ الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ۞ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم إسرارهم ۞ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ۞ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ۞

والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفى قراءة على بن أبى طالب رضى الله عنه توليتم أى إن تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بإفسادهم ۞ وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع (أولئك) إشارة إلى المذكورين (لعنهم الله) لإفسادهم وقطعهم الأرحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن إبصار طريق الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وأنهم يتشوفون إلى الوحى إذا أبطأ عليهم فإذا أنزلت سورة فى معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (أفلا يتدبرون القرآن) ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصى ثم قال (أم على قلوب أقفالها) وأم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر وعن قتادة إذاً والله يجدوا فى القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا (فإن قلت) لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها (قلت) أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك أو يراد على بعض القلوب وهى قلوب المنافقين وأما إضافة الأقفال فلأنه يريد الأقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح وقرئ إقفالها على المصدر (الشيطان سوّل لهم) جملة من مبتدإ وخبر وقعت خبر الإنّ كقولك إنّ زيدا عمرو مربه . سوّل لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا (وأملى لهم) ومدّلهم فى الآمال والأمانى وقرئ وأملى لهم يعنى إنّ الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله تعالى إنما نملى لهم وقرئ وأملى لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومدّ فى عمرهم وقرئ سوّل لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف (فإن قلت) من هؤلاء (قلت) اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته فى التوراة وقيل هم المنافقون ۞ الذين قالوا اليهود ۞ والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ۞ وقيل بعض الأمر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلا إله إلا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم فى التظافر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى (فى بعض الأمر) فى بعض ما تأمرون به أو فى بعض الأمر الذى يهمكم (والله يعلم أسرارهم) وقرئ إسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاه الله عليهم ۞ فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت إحدى تاءيه كقوله تعالى إن الذى توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الله إلا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) إشارة إلى التوفى الموصوف (ما أسخط) الله من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم و(رضوانه) الإيمان برسول الله (أضغانهم) أحقادهم

۞ قوله تعالى الشيطان سوّل لهم (قال فيه هو مشتق من السوال وهو الاسترخاء أى سهل لهم ركوب العظائم قال وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا) قلت لأن السؤل مهموز وسوّل معتل ۞ قوله تعالى

(قوله وقرئ وليتم) لعله بالبناء للمجهول وكذا توليتم فى قراءة على (قوله وقد اشتقه من السول) لعله هنا بالهمز (قوله وقرئ سوّل لهم) لعله بالبناء للمجهول (قوله وقيل هم المنافقون الذين قالوا) التلاوة ذلك بأنهم قالوا ولعل عبارة المفسر الذين قالوا اليهود الخ فلفظ القايلون من زيادة الناسخ سهوا

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۞ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَآقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وإخراجها إبرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلى حنقا عليهم (لأريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لايخفون عليك (بسيماهم) بعلامتهم وهوأن يسمهم الله تعالى بعلامة تعلمون بها وعن أنس رضى الله عنه ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقدكنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق (فإن قلت) أى فريق بين اللامين فى فلعرفتهم ولتعرفنهم (قلت) الأولى هى الداخلة فى جواب لو كالتى فى لأريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم مالنا إن أطعنا من الثواب ولايقولون ماعلينا إن عصينا من العقاب وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أى تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا ۞ واللحن يعرفه ذوو الألباب

وقيل المخطىء لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب (أخباركم) مايحكى عنكم ومايخبربه عن أعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لأن الخبر على حسب المخبر عنه إن حسنا فحسن وإن قبيحا فقبيح ۞ وقرئ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم ۞ وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم لاتبتلنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (وسيحبط أعمالهم) التى عملوها فى دينهم يرجون بها الثواب لأنهامع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير أوسيحبط أعمالهم التى عملوها والمكايد التى نصبوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم بل يستنصرون بها ولايثمر لهم إلاالقتل والجلاء عن أوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر (ولاتبطلوا أعمالكم) أى لاتحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله تعالى لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى إلى أن قال أن تحبط أعمالكم وعن أبى العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لايضر مع الإيمان ذنب كما لاينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولاتبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم

« ولاتبطلوا أعمالكم (قال فيه معناه لاتحبطوا الطاعات بالكبائر الخ) قال أحمد قاعدة أهل السنة مؤسسة على أن الكبائر مادون الشرك لاتحبط حسنة مكتوبة لأن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما نعم يقولون إن الحسنات يذهبن السيئات كما وعد به الكريم جل وعلا وقاعدة المعتزلة موضوعة على أن كبيرة واحدة تحبط ماتقدمها من الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر لأنهم يقطعون بخلود الفاسق فى النار وسلب سمة الإيمان عنه ومتى خلد فى النار لم تنفع طاعاته ولا إيمانه فعلى هذا بنى الزمخشرى كلامه وجلب الآثار التى فى بعضها موافقة فى الظاهر لمعتقده ولا كلام عليها جملة من غير تفصيل لأن القاعدة المتقدمة ثابتة قطعاً بأدلة اقتضت ذلك يحاشى كل معتبر فى الحل والعقد عن مخالفتها فمهما ورد من ظاهر يخالفها وجب رده إليها بوجه من التأويل فإن كان نصاً لايقبل التأويل فالطريق فى ذلك تحسين الظن بالمنقول عنه والتوريك بالغلط على النقلة على أن الأثر المذكور عن ابن عمر هو أولى بأن يدل ظاهره لأهل السنة فتأمله وأما محمل الآية عند أهل الحق فعلى أن النهى عن الإخلال بشرط من شروط العمل وبركن يقتضى بطلانه من أصله لأنه يبطل بعد استجماعه شرائط الصحة والقبول

وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۞ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ۞ إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۞ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ۞ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ۞

وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ماهذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول فى ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحمه الله رحم الله عبداً لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فإن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى (ثم ماتوا وهم كفار) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (و) لا (تدعو إلى السلم) وقرئ السلم وهما المسالمة (وأنتم الأعلون) أى الأغلبون الأقهرون (والله معكم) أى ناصركم وعن قتادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها بالموادعة ۞ وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا إذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى أو منصوب لإضمار إن ونحو قوله تعالى وأنتم الأعلون قوله تعالى إنك أنت الأعلى (ولن يتركم) من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أى أفرد عنهما قتلا ونهباً (يؤتكم أجوركم) ثواب إيمانكم وتقواكم (ولا يسألكم) أى ولا يسألكم جميعها إنما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال (إن يسألكموها فيحفكم) أى يجهدكم ويطلبه كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شيء يقال أحفاه فى المسئلة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح وأحفى شاربه إذا استأصله (تبخلوا ويخرج أضغانكم) أى تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم والضمير فى يخرج لله عز وجل أى يضغنكم بطلب أموالكم أو للبخل لأنه سبب الاضطغان ۞ وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع أضغانكم (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أى أنتم الذين تدعون أو أنتم يامخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وماوصفنا فقيل تدعون (لتنفقوا فى سبيل الله) قيل هى النفقة فى الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال (ومن يبخل) بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وإنما (يبخل عن نفسه) يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ۞ ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو إليه لحاجته إليه فهو الغنى الذى تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب (وإن تتولوا) معطوف على وإن تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين فى الإيمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله تعالى « ويأت بخلق جديد » وقيل هم الملائكة وقيل الأنصار

(قوله فقلنا الكبائر الموجبات) عبارة الخازن الكباير والفواحش (قوله أى تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحاح الضغن الحقد وتضاغن القوم واضطغنوا انطووا على الأحقاد

سـورة الفتح مدنية

نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ

وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح : مدنية : وهى تسع وعشرون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجىء به على لفظ الماضى على عادة رب العزة سبحانه فى أخباره لأنها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر مالايخفى (فإن قلت) كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة (قلت) لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ماعدد من الأمور الأربعة وهى المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث أنه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لأنه منغلق مالم يظفر به فإذا ظفر به وحصل فى اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضى الله عنه رموا المشركين حتى أدخلوا فى ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح (فإن قلت) كيف يكون فتحا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية (قلت) كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه ماهذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رضى المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم فى الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبى نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة مالم يصب فى غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها حتى

القول فى سورة الفتح

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله » الآية (قال فيه جاء الإخبار بالفتح على لفظ الماضى وإن لم يقع بعد لأن المراد فتح مكة والآية نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية قبل عام الفتح وذلك على عادة ربّ العزة فى إخباره لأنها لما كانت محققة نزلت منزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر مالايخفى (قلت) ومن الفخامة الالتفات من التكلم إلى الغيبة ۞ عاد كلامه (قال) فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة المغفرة وأجاب بأن ذلك علة لاجتماع ماعدّد من الأمور الأربعة المغفرة وإتمام النعمة والهداية والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك عزّ الدارين وأغراض العاجل والآجل ۞ قال ويجوز أن يكون الفتح من حيث كونه جهاداً وعبادة سبباً للغفران

(قوله علو شأن المخبر) لعله المخبر به وعبارة النسفى المخبر عنه (قوله عن بلادهم بالراح) فى الصحاح الراح الخمر والراح جمع راحة وهى الكف والراح الارتياح اه والظاهر هنا الثالث

عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا * وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش بالماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعدو قيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد (نصراً عزيزاً) فيه عز ومنعة أو وصف بصفة المنصور إسناداً مجازيا أو عزيز أصحابه (السكينة) السكون كالبيتة للبهتان أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والأمن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا إلى يقينهم وأنزل فيها السكون إلى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع (ليزدادوا إيمانا) بالشرائع مقرونا إلى إيمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا إيمانا إلى إيمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله عزّ وجل ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانا إلى إيمانهم وقيل أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد إيمانهم (ولله جنود السموات والأرض) يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه * وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضى الصالح من الأفعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى (ظن السوء) ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق (فإن قلت) هل من فرق بين السوء والسوء (قلت) هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء بالضم فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف اليه إلا على التأويل الذي ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله عزّ وعلا إن أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة (شاهدا) تشهد على أمتك كقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا (ليؤمنوا) الضمير للناس

(قوله وقرئ دائرة السوء بالفتح) يفيد أن القراءة المشهودة دائرة السوء بالضم

وأصيلا * إنّ الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما * سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل

(ويعزروه) ويقووه بالنصرة (ويوقروه) ويعظموه (ويسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعده * وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته وقرئ وتعزروه بضم الزاى وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله (بكرة وأصيلا) عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر * لما قال (إنما يبايعون الله) أكده تأكيدا على طريق التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد أن يد رسول الله التى تعلوا يدى المبايعين هى يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد بيعة الرضوان (فإنما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه قال جابر ابن عبدالله رضى الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم * وقرئ إنما يبايعون لله أى لأجل الله ولوجهه * وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد (فسيؤتيه) بالنون والياء يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهى لغة تهامة ومنها قوله تعالى أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب إلى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى اعتذارهم وأن الذى خلفهم ليس بما يقولون وإنما هو الشك فى الله والنفاق وطلبهم للاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (فمن يملك لكم) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (إن أراد بكم) ما يضركم من قتل أو هزيمة (أو أراد بكم نفعا) من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم . الأهلون جمع أهل ويقال أهلات على تقدير تاء التأنيث كأرض

---

* قوله تعالى «إنّ الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم» (قال فيه لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريق التخييل الخ) قال أحمد كلام حسن بعد إسقاط لفظ التخييل وإبداله بالتمثيل وقد تقدمت أمثاله
* قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا (قال أى قتلا وهزيمة أو أراد بكم نفعا أى ظفرا وغنيمة انتهى كلامه) قال أحمد لا تخلو الآية من الفن المعروف عند علماء البيان باللف وكان الأصل والله أعلم فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا ومن يحرمكم النفع إن أراد بكم نفعا لأن مثل هذا النظم يستعمل فى الضر وكذلك ورد فى الكتاب العزيز مطردا كقوله فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا فلا تملكون لى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى بعض الحديث إنى لا أملك شيئا

(قوله وقرئ لتؤمنوا وتعزروه) يفيد أن قراءة الياء هى المشهورة وقد تشير إلى تفريق الضمائر قراءة وتسبحوا الله الآتية
(قوله قد غزوه فى عقر داره) فى المصباح عقر الدار أصلها وهو محلة القوم وأهل المدينة يقولون عقر الدار بالضم

كَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ۞ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۞ وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللّٰهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللّٰهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ

وأرضات وقد جاء أهلة وأمّا أهال فاسم جمع كليال وقرئ إلى أهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل وكلاهما جاء فى القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم وزينا لهم أعمالهم ، والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه (للكافرين) مقام مقام لهم للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمانين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر ، ونكر (سعيرا) لأنها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (ولله ملك السموات والأرض) يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر (وكان الله غفورا رحيما) رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم إلى مغانم) إلى غنائم خيبر (أن يبدلوا كلام الله) وقرئ كلم الله أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معى أبدا (تحسدوننا) أن نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرها (لايفقهون) لا يفهمون إلا فهما (قليلا) وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا (فإن قلت) ما الفرق بين حرفى الإضراب (قلت) الأول إضراب معناه ردّ أن يكون حكم الله أن لايتبعوهم

يخاطب عشيرته وأمثاله كثيرة وسر اختصاصه بدفع المضرة أن الملك مضاف فى هذه المواضع باللام ودفع المضرة نفع يضاف للمدفوع عنه وليس كذلك حرمان المنفعة فإنه ضرر عائد عليه لاله فإذا ظهر ذلك فإنما انتظمت الآية على هذا الوجه لأن القسمين يشتركان فى أنّ كل واحد منهما نفى لدفع المقدر من خير وشر فلما تقاربا أدرجهما فى عبارة واحدة وخص عبارة دفع الضر لأنه هو المتوقع لهؤلاء إذ الآية فى سياق التهديد أو الوعيد الشديد وهى نظير قوله قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة فإنّ العصمة إنما تكون من السوء لا من الرحمة فهاتان الآيتان يراهان فى التقرير الذى ذكرته والله أعلم ۞ قوله تعالى ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (قال فيغفر ويعذب بمشيئته الخ) قال أحمد قد تقدمت أمثالها والقول بأنّ موجب الحكمة ماذكر تحكم هذا وأدلة الشرع القاطعة تأبى على مايعتقده فلا تبقى ولاتذر فكم من دليل على أنّ المغفرة لا تقف على التوبة وكم يروم اتباع القرآن للرأى الفاسد فيقيد مطلقا ويحجر واسعا والله الموفق ۞ قوله تعالى سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا (قال المراد بكلام الله وعده أهل الحديبية بغنائم خيبر عوضا عما يفوتهم من غنائم مكة الخ) قال أحمد فالإضراب الأول إذاً هو المعروف والثانى هو المستغرب المستعذب الذى ليس فيه مباينة بين الأول والثانى بل زيادة بينة ومبالغة متمكنة وإنما كان المنسوب إليهم ثانيا أشد من المنسوب إليهم أولا لأنّ الأول نسبة إلى جهل فى شىء مخصوص وهو نسبتهم الحسد إلى المؤمنين والثانى يعتبر بجهل على الإطلاق وقلة فهم على الاسترسال

قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللّٰهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٭ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ٭ لَقَدْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ٭ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً

وإثبات الحسد والثانى إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (إلى قوم أولى بأس شديد) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه لأن مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبى حنيفة ومن عداهم من مشركى العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعى لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركى العجم والعرب وهذا دليل على إمامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فإنهم لم يدعوا إلى حرب فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوم تعالى فقل لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معى عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى (يسلمون) ينقادون لأن الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم إعطاء الجزية (فإن قلت) عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) إن صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معى أبداً مادمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب فى الدين أو على قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا متطوعين لا نصيب لهم فى المغنم (كما توليتم من قبل) يريد فى غزوة الحديبية ٭ أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم أى يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا ثالث لهما وفى قراءة أبىّ أو يسلموا بمعنى إلى أن يسلموا ٭ نفى الحرج عن هؤلاء من ذوى العاهات فى التخلف عن الغزو ٭ وقرئ ندخله ونعذبه بالنون ٭ هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث جوّاس بن امية الخزاعى رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر رضى الله عنه ليبعثه فقال إنى أخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى إياهم وما بمكة عدوى يمنعنى ولكنى أدلك على رجل هو أعز بها منى وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم أنه لم يأت بحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبدالله لو كنت أبصر لأريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبدالله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدى غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفاً وأربعمائة وقيل ألفاً وثلثمائة (فعلم ما فى قلوبهم) من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل السكينة) أى الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم (وأثابهم فتحا قريبا) وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا (ومغانم كثيرة يأخذونها) هى مغانم خيبر وكانت أرضاً ذات عقار

(قوله جوّاس) قوله جوّاس الذى فى أبى السعود وفى الشهاب خراش بالخاء والراء والشين اه ملخصا من هامش وكذا فى النسفى والخازن (قوله ذات عقار) فى الصحاح العقار بالفتح الأرض والضياع والنخل

يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۞ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۞ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم

وأموال فقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق (وعدكم الله مغانم كثيرة) وهى ما يفىء على المؤمنين إلى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعنى مغانم خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) يعنى أيدى أهل خيبر وحلفاؤهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فى منامه ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحى فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله (وأخرى) معطوفة على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى (لم تقدروا عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها ويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدإ والجر بإضمار رب ۞ (فإن قلت) قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه (قلت) هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الإخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وإيقانا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهزموا (سنة الله) فى موضع المصدر المؤكد أى سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله تعالى لأغلبن أنا ورسلى (أيديهم) أيدى أهل مكة أى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك فى غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت ۞ وقرئ تعملون بالتاء والياء ۞ قرئ والهدى والهدى بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى إلى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم أى صدوكم وصدوا الهدى وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدى (معكوفا أن يبلغ محله) محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدى ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل لأبى حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم (فإن قلت) فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية (قلت) بعض الحديبية من الحرم وروى أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم (فإن قلت) فإذن قد نحر فى الحرم فلم قيل معكوفا أن يبلغ محله (قلت) المراد المحل المعهود وهو منى (لم تعلموهم) صفة الرجال والنساء جميعا و(أن تطؤهم) بدل اشتمال منهم

مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ

أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه إذا دهاه مايكره ويشق عليه و(بغير علم) متعلق بأن تطؤهم يعنى أن تطؤهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة قال

ووطئتنا وطأ على حنق ۞ وطأ المقيد ثابت الهرم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفى الأماكن فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب (فإن قلت) أى معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون (قلت) يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل مافعلوا بنا من غير تمييز والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير (فإن قلت) قوله تعالى (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) تعليل لماذا (قلت) لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدى عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته أى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل فى الإسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا (إذ) يجوز أن يعمل فيه ماقبله أى لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام فى ذلك الوقت وأن ينتصب بإضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة والسكينة الوقار ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبدالعزى ومكرز بن حفص بن الأخيف على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه مانعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه رسول الله ﷺ أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبدالله أهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام اكتب مايريدون فأنا أشهد أنى رسول الله وأنا محمد بن عبدالله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا و (كلمة التقوى) بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقيه ومن هم أولى بالهداية من غيرهم وقيل هى كلمة الشهادة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى ۞ وفى مصحف الحرث بن سويد صاحب

۞ قوله تعالى لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم إلى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (قال فيه يجوز أن يكون جواب لولا محذوف الخ) قال أحمد وإنما كان مرجعهما ههنا واحدا وإن كانت لولا تدل على امتناع لوجود ولو تدل على امتناع لامتناع وبين هذين تناف ظاهر لأن لولا ههنا دخلت على وجود ولو دخلت على قوله تزيلوا وهو راجع إلى عدم وجودهم وامتناع عدم الوجود وجود فآلا إلى أمر واحد من هذا الوجه وكان جدى رحمه الله يختار هذا الوجه الثانى ويسميه تطرية وأكثر ماتكون إذا تطاول الكلام وبعد عهده وله واحتيج إلى رد الآخر على الأول فمرة يطرى بلفظه ومرة بلفظ آخر يؤدى مؤداه وقد تقدمت لها أمثال والله أعلم وهو الموفق

(قوله بمعنى عراه إذا دهاه) عبارة الصحاح بلفظها هو يعر قومه أى يدخل عليهم مكروها يلطخهم به والمعرة الإثم (قوله وطأ المقيد ثابت الهرم) لعله نابت بالنون والهرم بالتسكين نبت وهو ضرب من الحمض ترعاه الإبل كما فى الصحاح

وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

عبدالله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذى دفن مصحفه أيام الحجاج ﴿ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها فى عامهم وقالوا إن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبدالله بن أبى وعبدالله ابن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ماحلقنا ولاقصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى (صدق الله رسوله الرؤيا) صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيراً فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ماعاهدوا الله عليه ﴿ (فإن قلت) بم تعلق (بالحق) (قلت) إما بصدق أى صدقه فيما رأى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبساً بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك مافيه من الابتلاء والتميز بين المؤمن المخلص وبين من فى قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أى صدقه الرؤيا ملتبساً بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام ويجوز أن يكون بالحق قسما إما بالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالذى هو من أسمائه و (لتدخلن) جوابه وعلى الأول هو جواب قسم محذوف ﴿ (فإن قلت) ماوجه دخول (إن شاء الله) فى أخبار الله عز وجل (قلت) فيه وجوه أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لتدخلن جميعاً إن شاء الله ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك إن شاء الله أو هى حكاية ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين (فعلم مالم تعلموا) من الحكمة والصواب فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أى من دون فتح مكة (فتحاً قريباً) وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود (بالهدى ودين الحق) بدين الإسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فإنك لاترى دينا قط إلا والإسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لايبقى على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات وفى هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الأقاليم مايستقلون إليه فتح مكة (وكفى بالله شهيداً) على أن ماوعده كائن عن الحسن رضى الله عنه شهد على نفسه أنه سيظهر دينك (محمد) إما خبر مبتدأ أى هو محمد لتقدم قوله تعالى هو الذى أرسل رسوله وإما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح (والذين معه) أصحابه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن رضى الله عنه بلغ من تشددهم على الكفار وأنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لايرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله وكذلك التقبيل قال لاأحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص أبو يوسف فى المعانقة من حق المسلمين فى كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه

(قوله أى صدقه الرؤيا ملتبساً) لعله ملتبسة (قوله إنه سيظهر دينك) لعله دينه كعبارة النسفى

سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ۝

ويعاشروا إخوتهم فى الإسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة والاحتمال والأخلاق السجيحة ووجه من قرأ أشداء ورحماء بالنصب أن ينصبهما على المدح أو على الحال بالمقدر فى معه ويجعل تراهم الخبر (سيماهم) علامتهم وقرئ سيماؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيمياء والمراد بها السمة التى تحدث فى جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله تعالى (من أثر السجود) يفسرها أى من التأثير الذى يؤثره السجود وكان كل من العليين على بن الحسين زين العابدين وعلى بن عبدالله بن عباس أبى الأملاك يقال له ذو الثفنات لأن كثرة سجودهما أحدثت فى مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير وقرئ من أثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هى السمة فى الوجه (فإن قلت) فقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم لاتعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه رأى رجلا قد أثر فى وجهه السجود فقال إن صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك (قلت) ذلك إذا اعتمد بجبهته على الأرض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لايسجد إلا خالصا لوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين كنا نصلى فلا يرى بين أعيننا شىء ونرى أحدنا الآن يصلى فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندرى أثقلت الأرؤس أم خشنت الأرض وإنما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب فى الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الأرض وعن عطاء رحمه الله استنارت وجوههم من طول ماصلوا بالليل كقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) الوصف (مثلهم) أى وصفهم العجيب الشأن فى الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال (كزرع) يريدهم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم ابتدئ ومثلهم فى الإنجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ۝ وقرئ الأنجيل بفتح الهمزة (شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع إذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ماقبلها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) من المؤازرة وهى المعاونة وعن الأخفش أنه أفعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد أى فشد أزره وقواه ومن جعل آزر أفعل فهو فى معنى القراءتين (فاستغلظ) فصار من الدقة إلى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب فى الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه فى الزيادة إلى أن قوى واستحكم لأن النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع مايحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (فإن قلت) قوله (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لماذا (قلت) لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعد الله الذين آمنوا) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع مايعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومعنى (منهم) البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

(قوله والأخلاق السجيحة) أى السهلة أفاده الصحاح (قوله فى مواقعه منهما أشباه ثفنات) فى الصحاح هى مايقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ (قوله لاتعلبوا صوركم) فى الصحاح علبته أعلبه بالضم إذا وسمته أو خدشته أو أثرت فيه (قوله ليس بالندب فى الوجوه) فى الصحاح الندب أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد

فهرس

الجزء الثالث من تفسير الكشاف

﴿تمّ الجزء الثالث من تفسير الكشاف﴾

﴿ويليه الجزء الرابع واوله سورة الحجرات﴾



